الوسيلة الأدبية

إلى العلوم العربية

تأليف
العلامة اللغوي الناقد الأديب
حسين بن أحمد بن حسين المرصفي
مدرس العلوم العربية وعلوم الأدب بدار العلوم الخديوية المصرية
رحمه الله تعالى
(ت ١٣٠٧هـ / ١٨٩٠م)

المجلد الثاني

دار المنهاج

الوسيلة الأدبية

إلى العلوم العربية

٢

بسم الله الرحمن الرحيم

الوسيلة الأدبية

إلى العلوم العربية

تأليف

العلامة اللغوي الناقد الأديب

حسين بن أحمد بن حسين المرصفي

مدرس العلوم العربية وعلوم الأدب بدار العلوم الخديوية المصرية

رحمه الله تعالى

(ت ١٣٠٧ هـ / ١٨٩٠ م)

عني به

الدكتور محمد عبد الرحمن شميلة الأهدل

المجلد الثاني

دار المنهاج

الطَّبْعَةُ الأُولى
١٤٤٠هـ ـ ٢٠١٩م

دار المنهاج للنشر والتوزيع
المملكة العربية السعودية ـ جدة
حي الكندرة ـ شارع الملك فهد ـ جانب البنك الفرنسي
هاتف رئيسي 00966 12 6326666
المكتبة 6322471 ـ فاكس 6320392
ص . ب 22943 ـ جدة 21416
www.alminhaj.com
E-mail: info@alminhaj.com
ISBN: 978 - 9953 - 541 - 97 - 6

«الوسيلة الأدبيّة» أنشأت أكثر من شوقي وحافظ
وبعثت الشّعر من مرقده
وأحيت للأدب العربيّ دولةً جديدة

الأمير شكيب أرسلان

المقصد الثّالث
في فنون البلاغة

[توطئةٌ]

[في تاريخِ تدوينِ فنونِ البلاغةِ]

اعلمْ : أنَّ هٰذهِ الفنونَ وغيرَها مِنْ علومِ العربيةِ كما سبقَتِ الإشارةُ إليهِ . . إنَّما تَحصَّلَتْ لباذلي هممِهِم في تحصيلِها ؛ بتتبُّعِ الكَلِمِ العربيِّ ، يسمعونَهُ منهُم ، ويَروُونَهُ عنهُم .

وأوَّلُ مَنْ تَنبَّهَ لاستخراجِ هٰذهِ الفنونِ واتخاذِها مِعياراً لصناعةِ الكلامِ حَسَبَ ما تقتضيهِ . . **الشاعرانِ الشهيرانِ** : مسلمُ بنُ الوليدِ ، وأبو تمامٍ حبيبُ بنُ أوسٍ الطائيُّ ، ولٰكنْ لم يُدوِّناها ، وإنَّما كانا يَتحدَّثانِ بها ، ويُسمِّيانِها : البديعَ ، ولمَّا أكثرا مِنِ استعمالِ مقتضياتِها ، وتبعَهُما بعضُ شعراءِ ذٰلكَ العصرِ غالبَ ميلِهِم معَ زخرفةِ الألفاظِ كما سينكشفُ لكَ في فنِّ البديعِ إن شاءَ اللهُ تعالىٰ . . أخذَ الشعرُ هيئةً غيرَ هيئتِهِ العربيةِ ، حتَّىٰ إنَّ فحولَ الشعراءِ إذ ذاكَ كانوا يقولونَ : قد أفسدَ هٰؤلاءِ الشعرَ بذٰلكَ الشيءِ الذي يُسمُّونَهُ البديعَ [1] .

❁ ❁ ❁

ولم يزلْ يتزايدُ الحديثُ في ذٰلكَ إلىٰ أن جاءَ عبدُ اللهِ بنُ المُعتزِّ وقُدامةُ الكاتبُ ، فوضعَ كلٌّ منهُما موضوعاً لطيفاً ، ثُمَّ اتسعَ القولُ فيهِ بعدُ ، وأقبلَ عليهِ كُتَّابُ الإنشاءِ ، وسَمَّوهُ البيانَ .

❁ ❁ ❁

---

(١) كذا في « الأغاني » (٧٢٦٤/٢١) .

وهٰذا أُنموذجُ تأليفِ الأوائلِ في هٰذهِ الفنونِ :

ابتدأَ بعضُهُم كتابَهُ بقولِهِ : (البلاغةُ علىٰ عشرةِ أقسامٍ : الإيجازُ ، والتشبيهُ ، والاستعارةُ ، والتلاؤمُ ، والفواصلُ ، والتجانسُ ، والتصريفُ ، والتضمينُ ، والمبالغةُ ، وحسنُ البيانِ)[1] ، ثمَّ أخذَ في بيانِ كلٍّ منها ، والاستشهادِ عليهِ ، وذكرِ تفاوتِ البلغاءِ فيهِ .

ولمَّا اتسعَتْ دائرةُ القولِ في العلومِ الفلسفيَّةِ بينَ المسلمينَ ، حتىٰ أفضىٰ بهِمُ التكلُّمُ في تخليصِ العقائدِ الإسلاميةِ وإزاحةِ الشُّبَهِ عنها ، إلىٰ كشفِ حقيقةِ النبوةِ وبيانِ جهةِ إعجازِ القرآنِ . . رأى الناسُ نفعَ هٰذهِ الفنونِ في معرفةِ إعجازِ القرآنِ ، الذي هوَ برهانُ الدِّينِ الحقِّ ، فصارَ مِنَ العلومِ الدينيَّةِ ، واشتغلَ بها طائفةٌ مِنَ الناسِ ، وأكثروا فيها مِنَ التآليفِ ، وأوَّلُهُمُ الشيخُ عبدُ القاهرِ .

وبحَسَبِ اختلافِ جهاتِ البحثِ مَيَّزوا الفنونَ وخصُّوا كلّاً بلقبٍ ؛ وهيَ ثلاثةُ فنونٍ : فنٌّ يَبحثُ عنِ الألفاظِ مِنْ حيثُ كونُها مُستعمَلةً في معانيها التي وُضِعَتْ لها أو فيما يناسبُها اعتماداً على المناسباتِ ، وسَمَّوهُ : **فنَّ البيانِ** ، وفنٌّ يَبحثُ عنِ المُركَّباتِ مِنْ حيثُ تختلفُ صورُها لاختلافِ الأغراضِ منها ، وسَمَّوهُ : **فنَّ المعاني** ، وفنٌّ يَبحثُ عن أحوالٍ تَعرِضُ للكلامِ فتكسبُهُ حُسْناً ، وسَمَّوهُ : **البديعَ** .

❊ ❊ ❊

ولنبدأْ بفنِّ البيانِ ؛ لأنَّ في عِلْمِ المعاني إحالةً عليهِ ، والبديعَ تابعٌ لهُما ، فنقولُ :

---

(١) هو العلامة الرمَّاني . انظر « النكت في إعجاز القرآن » ضمن « ثلاث رسائل في إعجاز القرآن » (ص ٧٦) .

الفنّ الأوّل

علم البيان

[مدخلٌ إلىٰ علمِ البيانِ]

إنَّ مِنْ نِعَمِ اللهِ التي أسبغَها علينا ظاهرةً وباطنةً . . أن وهبَنا هـٰذا الصوتَ ، نُصوِّرُهُ حُروفاً ، نصوغُ منها كَلِماً نُعيِّنُها لتلكَ الأشياءِ التي يَتناولُها تعقُّلُنا ، تناولَها الحِسُّ أم لا ؛ لنحضرَها بها عندَ المُدرَكاتِ متى احتجنا لذٰلكَ ، فتلكَ الأشياءُ حينَئذٍ تُسمَّىٰ : معانيَ ، وتعيينُ الكَلِمِ لها يُسمَّىٰ : وضعاً ، وإحضارُها إيَّاها يُسمَّىٰ : دلالةً .

[الدلالةُ الوضعيةُ اللفظيةُ ثلاثةُ أقسامٍ]

ثمَّ إنَّ الشيءَ مِنَ الأشياءِ يَتعلَّقُ بهِ ويُنسَبُ إليهِ أمورٌ : إمَّا داخلةٌ فيهِ ؛ وهيَ أجزاؤُهُ ، وإمَّا خارجةٌ عنهُ ؛ كأسبابِهِ ومُسبَّباتِهِ ومشابهاتِهِ ، والكلمةُ المُعيِّنةُ لهُ تُحضِرُهُ بجميعِ ما يَتعلَّقُ بهِ جليَّةً مُفصَّلةً عندَ العالِمِ بها ؛ فإحضارُ الكلمةِ إيَّاهُ يُسمَّىٰ : دلالةَ المطابقةِ ، وإحضارُها أجزاءَهُ يُسمَّىٰ : دلالةَ التضمنِ ، وإحضارُها ما عدا الأجزاءَ مِنَ المُتعلِّقاتِ يُسمَّىٰ : دلالةَ الالتزامِ ؛ ولذٰلكَ يُقالُ : إنَّ الكلمةَ الموضوعةَ للشيءِ موضوعةٌ لأجزائِهِ وسائرِ مُتعلَّقاتِهِ وضعاً تبعيّاً .

وإذاً ؛ يَتبيَّنُ لكَ أنَّ كلَّ ما يُحضِرُهُ اللفظُ عندَ مُدركتِكَ يكونُ لهُ معنىً ولكَ أن تريدَهُ بهِ ، وتَقصِدَ فهمَ مُخاطَبِكَ إيَّاهُ منهُ حيثُ تريدُ الحديثَ عنهُ والحكمَ عليهِ ، إلَّا أنَّ الشيءَ الذي لهُ الرُّتبةُ الأُولىٰ مِنَ الملاحظةِ عندَ الوضعِ . . هوَ الذي يُتبادَرُ إلى الفهمِ ، ويُوجِبُ حكمُ المُخاطَبِ أنَّهُ مُرادُكَ ، وأنَّ الحديثَ عنهُ ، وعليهِ الحكمَ ، وغيرُهُ إنَّما يَحكمُ المُخاطَبُ أنَّهُ مُرادُكَ إذا أصحبتَ اللفظَ بأمرٍ يَدُلُّ علىٰ أنَّهُ مُرادُكَ .

❁ ❁ ❁

فالألفاظُ باعتبارِ الأوضاعِ الأصليَّةِ والمعاني الأوليَّةِ . . تُسمَّىٰ : حقائقَ ، وباعتبارِ الأوضاعِ التبعيَّةِ والمعاني الثانويةِ . . تُسمَّىٰ : مجازاتٍ ؛ فاللَّفظُ : إمَّا حقيقةٌ ، وإمَّا مجازٌ .

والحقيقةُ : إن وقفَتْ بها الملاحظةُ عندَ معناها الأوليّ لكونِهِ المقصودَ بالإفادةِ ، ولم تَجعلْهُ وسيلةً لإفادةِ بعضِ المعاني بنصبِ دليلٍ علىٰ ذٰلكَ . . سُمِّيَتْ : حقيقةً صريحةً ، وإلَّا . . سُمِّيَتْ : حقيقةً كنايةً ، والمجازُ والكنايةُ ـ كما سبقَتِ الإشارةُ إليهِ [1] ـ هما موضوعُ هٰذا الفنِّ .

* * *

(١) انظر (١/٥٦) .

الكلامُ على المجازِ

لفظُ (**المجازِ**) اسمُ مكانٍ مِنْ : جازَ الطريقَ ؛ إذا قطعَ جوزَهُ ؛ أي : وَسَطَهُ ، وانتهىٰ لغايتِهِ ؛ تقولُ : هٰذا الطريقُ مَجازٌ لكذا ، تُسمِّيهِ مجازاً باعتبارِ أنَّكَ تنتهي منهُ وتَخرُجُ عنهُ إلىٰ غيرِهِ .

واللَّفظُ المُسمَّىٰ مجازاً : مَسلكٌ تَخرجُ الملاحظةُ مِنْ معناهُ الأصليِّ إلى المعنى المناسبِ لهُ ، الذي تريدُ إفادتَهُ وتُفهِمُ المُخاطَبَ إيَّاهُ ، ومِنْ هٰذا يمكنُكَ أن **تَحُدَّ المَجازَ** : بأنَّهُ اللفظُ الذي تَعتمِدُ في تفهيمِ مُرادِكَ بهِ العلاقةَ والقرينةَ المانعةَ لمُخاطَبِكَ أن يَفهمَ غيرَ مُرادِكَ .

والقرينةُ : هيَ الأمرُ الذي يَصحَبُ لفظَ المَجازِ مِنْ حالٍ أو لفظٍ آخَرَ .

والعلاقةُ : هيَ المناسبةُ والارتباطُ بينَ المعنى الأصليِّ والمعنى المرادِ .

وقد بحثَ العلماءُ عنِ العلاقاتِ التي لاحظَتْها العربُ في مجازاتِها ، وحصروها باستقصاءِ التتبعِ ، وحكموا بأنَّهُ لا يَصِحُّ أن يُتجوَّزَ بلفظٍ ؛ اعتماداً علىٰ غيرِ تلكَ العلاقاتِ حيثُ كانَ الغَرَضُ التكلُّمَ باللغةِ العربيةِ ، وإلَّا . . فلا حَجْرَ على المُتخاطِبينَ أن يَعتبِروا ما شاؤوا ، وغايةُ الأمرِ : أنَّهُم يكونونَ قد تَكلَّموا بغيرِ اللغةِ العربيةِ ، **بيدَ أنَّهُ لا يَلزمُ إلَّا سماعُ نوعِ العلاقةِ** ؛ مثلاً : سُمِعَ منهُم تسميةُ الشيءِ باسمِ آلتِهِ ، فلنا أن نُسمِّيَ كلَّ شيءٍ باسمِ آلتِهِ وإن لم يكنْ مسموعاً منهُم .

ثمَّ إنَّ المَجازَ لكونِهِ خلافَ الأصلِ لا يُصارُ إليهِ إلَّا لفائدةٍ كلاميَّةٍ تَختصُّ بهِ لا تعطيها الحقيقةُ .

[علاقاتُ المجازِ عشرونَ]

ثمَّ مَرجِعُ جميعِ تلكَ العلاقاتِ المُعتبَرةِ ـ كما يعطيهِ تقسيمُ الدلالةِ ـ هوَ الكليَّةُ ، والجزئيَّةُ ، أوِ التلازمُ بينَ المعنيَينِ ، لكنِ اختلافُ جهةِ التلازمِ أوجبَ تعدُّدَ العلاقاتِ وأسمائِها ؛ وهيَ باستقصاءِ التتبُّعِ مِنْ أئمَّةِ الفنِّ رحمَهُمُ اللهُ تعالىٰ عشرونَ :

اثنتانِ مأخذُهُما التلازمُ بينَ السببِ ومُسبَّبِهِ ؛ وهُما : **السببيةُ** إن كانَ المجازُ لفظَ السببِ ، **والمُسبَّبيَّةُ** إن كانَ لفظَ المُسبَّبِ .

ومأخذُ اثنتَينِ بينَ العامِّ وخاصِّهِ ؛ وهُما : **العمومُ** إن كانَ لفظَ العامِّ ، **والخصوصُ** إن كانَ لفظَ الخاصِّ .

وهٰكذا البيانُ في بقيةِ العلاقاتِ التي هيَ : **الآليَّةُ ، والكليَّةُ والجزئيَّةُ ، والإطلاقُ والتقييدُ ، والحاليَّةُ والمَحليَّةُ ، والمُجاورةُ ، والبدليَّةُ والمُبدَليَّةُ ، واعتبارُ ما كانَ وما يَؤولُ إليهِ الشيءُ ، والمَلزوميَّةُ واللازميَّةُ ، والتعلُّقيَّةُ ، والمُشابَهةُ** .

[بعضُ فوائدِ المجازِ]

الأمثلةُ معَ بيانِ بعضِ فوائدِ المَجازِ :

قالَ بعضُ الشعراءِ (١) : [من الوافر]

إِذَا نَـزَلَ ٱلسَّمَاءُ بِأَرْضِ قَوْمٍ ... رَعَيْنَاهُ وَإِنْ كَانُوا غِضَابَا

الضَّميرُ مِنْ (رعيناهُ) يعودُ للسماءِ ؛ وهوَ المطرُ ، فكأنَّهُ قالَ : رعينا المطرَ ، والمَرعيُّ هوَ النباتُ الذي سببُهُ المطرُ ، قالَ تعالىٰ : ﴿ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴾ (٢) ، والإسامةُ هيَ إرسالُ

---

(١) انظر « معاهد التنصيص » (٢/٢٦٠) .

(٢) سورة النحل : (١٠) .

البهائمِ للرعيِ ، وهيَ سائمةٌ ، فاستعملَ لفظَ السببِ في المُسبَّبِ ؛ فالعلاقةُ السببيةُ .

وفائدةُ هٰذا المجازِ : تَوصُّلُ الشاعرِ بهِ إلىٰ وصفِ قومِهِ بأنَّهُم بلغوا مِنَ القُوَّةِ غايتَها ، ومِنَ السَّلاطةِ نهايتَها ، فهُم سادةُ الناسِ ، والناسُ لهُم تَبَعٌ ؛ وذٰلكَ أنَّ معنىٰ قولِهِ : إنَّا السابقونَ إلى الانتفاعِ بمنافعِ الأرضِ ، لا يُعارِضُنا أحدٌ في ذٰلكَ ، ولا يُمنِّيهِ نفسَهُ ، فسوائمُنا علىٰ آثارِ الأمطارِ راعيةٌ أنفَ النباتِ في أولِ نشأتِهِ وأوانِ نَضْرتِهِ ، والناسُ في انتظارِ إذنِنا ؛ فلو قالَ : رعينا نباتَ كلِّ أرضٍ وإن غضبَ أهلُها . . لم يكنْ مفيداً كلَّ ذٰلكَ .

وقد أفرغَ بعضُهُم هٰذا المعنىٰ في قالَبٍ آخَرَ حيثُ يقولُ[1] : [من الطويل]

أَرَىٰ كُلَّ قَوْمٍ قَارَبُوا قَيْدَ فَحْلِهِمْ ... وَنَحْنُ خَلَعْنَا قَيْدَهُ فَهْوَ سَارِبُ

وقالَ تعالىٰ : ﴿ وَءَايَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴾[2] ، ذُرِّيَّةُ الناسِ : أولادُهُم ، والمحمولُ في السُّفنِ إلىٰ أرضِ العربِ . . هوَ الأطعمةُ وما بهِ حفظُ الحياةِ ومنها نماؤُهم والتولُّدُ منهُم ، فاستعملَ لفظَ المُسبَّبِ في سببِهِ .

وفائدتُهُ : بيانُ أنَّ المِنَّةَ عليهِم ، والاحتفاءُ بهِم ، وكونُهُما في الدرجةِ التي ليسَ وراءَها مُنتظَرٌ مِنَ الظُّهورِ ؛ بحيثُ تكونُ الغفلةُ عن ملاحظتِهِما ، وقِلَّةُ الشُّكرِ عليهِما ، والخروجُ عن حيِّزِ اختصاصِهِ بالعبوديَّةِ لهُ ، وتنزيهُهُ عن تشبيهِ بعضِ مخلوقاتِهِ بهِ . . أمورٌ تَجعلُ أصحابَها أسوأَ حالاً مِنَ البهائمِ ؛ كما قالَ : ﴿ إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ﴾[3] .

وفيهِ معَ التنبيهِ علىٰ موضعِ عِظَمِ المِنَّةِ وسلطانِ الدلالةِ . . ذكرُ جميعِ

---

(١) هو الأخنس بن شهاب بن شريق ، كما في « شرح الحماسة » للتبريزي (٢/١٢٦) .

(٢) سورة يسٓ : (٤١) .

(٣) سورة الفرقان : (٤٤) .

المنافعِ الحيوانيَّةِ والإنسانيَّةِ بأخصرِ عبارةٍ ؛ لأنَّ لفظَ (الذُّرِّيَّةِ) يَذكُرُ جميعَ مُقدِّماتِها ، كما يبعثُ تعقُّلَ حِكَمِ اللهِ تعالىٰ في إنشاءِ هـٰذهِ الأنواعِ وترتيبِها في سلسلةِ الشُّهودِ الوجوديِّ بعدَ الغَيبةِ العَدَميَّةِ ، وإرسالِ الأصولِ في تربيةِ الفُروعِ إلى الحدِّ الذي أرادَهُ والغايةِ التي قَدَّرَها ، وعبارةُ الحقيقةِ لا تفيدُ كلَّ هـٰذا كما يظهرُ لِمَنْ يَستعمِلُ فكرَهُ فيما خُلِقَ لأجلِهِ .

وقالَ تعالىٰ : ﴿ أَمۡ يَحۡسُدُونَ ٱلنَّاسَ ﴾ (١) ، **والمُرادُ** : محمدٌ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، فعَبَّرَ عنهُ باسمِهِ **العامِّ** لهُ ولغيرِهِ ، ومِنْ [فوائدِهِ] : تسليمُ المحكيِّ عنهُ مِنْ تناولِ ألسنةِ أعدائِهِ إيَّاهُ ، والإشارةُ إلىٰ أنَّ الحسدَ قبيحٌ تَعلَّقَ بمَنْ كانَ ؛ حيثُ ربطَهُ بالاسمِ العامِّ ، وأنَّ الفضلَ المحسودَ عليهِ هوَ منافعُ الكافَّةِ ؛ الحاسدينَ وغيرِهِم ، ورميُهُم بالغباوةِ أو فَرْطِ العِنادِ حيثُ لم يَعرِفوا منافعَهُم أو عرفوا وتركوا .

وقالَ تعالىٰ : ﴿ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ ﴾ (٢) ، فأفادَ هـٰذا المجازُ أنَّ المؤمنينَ ـ معَ كونِ أعدائِهِم يداً واحدةً في الإيقاعِ بهِم متىٰ قدروا ، وألسنتُهُم مُنطلِقةٌ بتهديدِهِم والإرجافِ بهِم ـ علىٰ غايةٍ مِنَ اليقينِ وثباتِ الجَنانِ وصدقِ العزيمةِ ، لا يبالونَ بأعدائِهِم ما كانوا ؛ فلو قيلَ : الذينَ قالَ لهُم نعيمُ بنُ مسعودٍ . . لم يُفِدْ ذٰلكَ .

وأسماءُ القبائلِ ؛ كتميمَ وقريشَ وتيمَ . . مِنِ استعمالِ الاسمِ **الخاصِّ عامّاً** ، وكأن تقولَ في أحزابٍ ذوي رُؤساءَ : فَرِّقْ هـٰذا علىٰ زيدٍ ، وهـٰذا علىٰ خالدٍ .

وقالَ تعالىٰ : ﴿ يَجۡعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمۡ فِيٓ ءَاذَانِهِم ﴾ (٣) ، **تسميةٌ للأناملِ أصابعَ** .

---

(١) سورة النساء : (٥٤) .

(٢) سورة آل عمران : (١٧٣) .

(٣) سورة البقرة : (١٩) .

ويقولُ أميرُ الجيشِ لجواسيسِهِ ودَيْدَبَاناتِهِ[1] : إنَّما أنتُم عيونُنا ، إليكُم نجاتُنا ، وهـٰذهِ أوطانُكُم مسكونةً بأهلِكُم وعيالِكُم ، فيُسمِّيهِم عُيوناً ؛ وذٰلكَ إنَّما يكونُ إذا كانَ الجزءُ هوَ المقصودَ مِنَ الشيءِ ، وكأنَّ الشيءَ ليسَ إلَّا ذٰلكَ الجزءَ .

وقالَ تعالىٰ : ﴿ وَٱجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي ٱلْآخِرِينَ ﴾[2] ، تسميةٌ للذِّكرِ الحَسَنِ والثناءِ الجميلِ باسمِ آلتِهِ .

ومِنِ استعمالِ المُطلَقِ في المُقيَّدِ : قولُهُ تعالىٰ : ﴿ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ ﴾[3] ، والمُرادُ : رقيقٌ مؤمنٌ .

ومِنِ استعمالِ المُقيَّدِ في المُطلَقِ : مثلُ قولِكَ : جَحْفَلَةُ زيدٍ ؛ والجَحْفَلَةُ : شَفَةُ الخيلِ .

واعتبارُ ما كانَ : مثلُ قولِهِ تعالىٰ : ﴿ وَءَاتُوا۟ ٱلْيَتَٰمَىٰٓ أَمْوَٰلَهُمْ ﴾[4] .

واعتبارُ ما يَؤولُ لهُ الشيءُ : مثلُ قولِكَ : أعطِ رجالَ هـٰذا المكتبِ كذا ، ونساءَهُ كذا .

واستعمالُ اسمِ الحالِّ في المَحَلِّ : مثلُ قولِهِ تعالىٰ : ﴿ فَفِي رَحْمَةِ ٱللَّهِ ﴾[5] .

ومقابلُهُ : مثلُ قولِهِ : ﴿ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ ﴾[6] ؛ والنادي : مجلسُ القومِ فيهِ يَتحدَّثونَ .

---

(١) الديدبان : الرقيب .

(٢) سورة الشعراء : (٨٤) .

(٣) سورة المجادلة : (٣) .

(٤) سورة النساء : (٢) .

(٥) سورة آل عمران : (١٠٧) .

(٦) سورة العلق : (١٧) .

ومِنِ استعمالِ اسمِ المُبدَلِ منهُ في البدلِ : قولُ الشاعرِ (١) : [من الطويل]

أَكَلْتُ دَماً إِنْ لَمْ أَرُعْكِ بِضَرَّةٍ

أي : ديةً ، وكانَ مِنَ العارِ عندَهُم أخذُ الديةِ ، ولم يكنْ إلَّا في العاجزينَ عنِ الثأرِ .

ومقابلُهُ مثلُ قولِكَ : في ملكِ فلانٍ ألفُ دينارٍ ؛ لمتاعٍ يساوي ذٰلكَ .

وعلاقةُ اللُّزومِ حيثُ لا يكونُ هنالِكَ معنىً خاصٌّ يُؤخَذُ منهُ اسمٌ ؛ كاستعمالِ الشمسِ في الضَّوءِ في قولِكَ : دخلَتِ الشمسُ مِنْ هٰذهِ الكَوَّةِ ، واستعمالِ الضَّوءِ في الشمسِ ، واستعمالِ المصدرِ في معنى المُشتقِّ وعكسِهِ ، قيلَ : العلاقةُ فيهِ التعلُّقُ ، وهوَ يَدخُلُ في الكليَّةِ والجزئيَّةِ .

هٰذا ؛ والمجازُ المرسلُ ربَّما فاتَ على الملاحظةِ في درجةِ الكلامِ ، وربَّما خفيَتِ الفائدةُ فيهِ ، فهوَ يحتاجُ إلىٰ دقَّةِ نظرٍ .

وأمَّا علاقةُ المشابهةِ التي نَوَّعَتِ المَجازَ إلى استعارةٍ ؛ وهوَ ما كانَتْ علاقتَهُ ، وإلىٰ مَجازٍ مرسلٍ ؛ وهوَ ما علاقتُهُ غيرُها . . فإنَّها تُظهِرُ المجازَ حيثُ كانَتِ الأشياءُ المتشابهةُ أجنبيّاً بعضُها عن بعضٍ ؛ ولذٰلكَ ترىٰ مَنْ خَصَّ عِلْمَ البديعِ بالتأليفِ يشرحُ الاستعارةَ ويَعُدُّها مِنْ أنواعِهِ .

❁ ❁ ❁

---

(١) انظر « شرح الحماسة » للتبريزي (٤/١٧٦) ، والبيت بتمامه :

أَكَلْتُ دَماً إِنْ لَمْ أَرُعْكِ بِضَرَّةٍ بَعِيدَةِ مَهْوَى ٱلْقُرْطِ طَيِّبَةِ ٱلنَّشْرِ

القولُ في الاستعارةِ

اعلمْ : أنَّهُ متى اشتركَ أمرانِ في معنىً أو أكثرَ علىٰ تفاوتٍ بينَهُما فيهِ . . فثَمَّ معنىً مقصودٌ بالإفادةِ وسمَّىٰ بالعبارةِ عنهُ أهلُ البيانِ : **عبارةَ التشبيهِ** ؛ وعرَّفوهُ : بأنَّهُ إلحاقُ أمرٍ بأمرٍ في صفةٍ بأداةٍ لغَرَضٍ ؛ فالأمرانِ المُلحَقُ والمُلحَقُ بهِ هما : **المُشبَّهُ** ، **والمُشبَّهُ بهِ** ، والصفةُ المُشترَكةُ هيَ : **وجهُ الشبهِ** ، **والأداةُ** : هيَ الألفاظُ المفيدةُ لذٰلكَ .

مثلُ : وجهُ زيدٍ كالقمرِ ، وكأنَّهُ قمرٌ ، وتَخالُهُ قمراً ، وتَحسَبُهُ ، وتقولُ إنَّهُ ، وهوَ مثلُ . . .

ثمَّ إنَّ عبارةَ التشبيهِ تُورَدُ علىٰ صورٍ مختلفةٍ :

تقولُ : زيدٌ كالبحرِ ، وزيدٌ بحرٌ بحذفِ الأداةِ ، ويُسمَّىٰ حينَئذٍ : **تشبيهاً بليغاً** ؛ أي : بالغاً غايةً لم يَبلُغْها الأوَّلُ ؛ فإنَّ العبارةَ الأُولىٰ مناديةٌ بالفَرْقِ بينَ الطرفَينِ ، والعبارةُ الثانيةُ ناطقةٌ بالاتحادِ .

وتقولُ : رأيتُ اليومَ قمراً بديعَ الشَّمائلِ ، ساحرَ الطَّرْفِ ، دُرِّيَّ اللفظِ ؛ بحذفِ الأداةِ وأحدِ الطرفَينِ ، وحينَئذٍ يجيءُ اسمُ الاستعارةِ ؛ **فالاستعارةُ** : تشبيهٌ أبلغُ ؛ حيثُ تركتَ العبارةَ المُشعِرةَ بالاثنينيَّةِ معَ الفرقِ أو دعوى الاتحادِ ، فليسَ معَنا إلَّا أمرٌ واحدٌ نخبرُ عنهُ ونحكي في شأنِهِ .

[أقسامُ الاستعارةِ]

وتنقسمُ الاستعارةُ حَسَبَ اعتباراتٍ : إلىٰ مُصرِّحةٍ ومَكنيَّةٍ ، وإلىٰ أصليَّةٍ وتبعيَّةٍ ، وإلىٰ مُرشَّحةٍ ومُجرَّدةٍ ومُطلَقةٍ ، وإلىٰ تمليحيَّةٍ وتهكُّميَّةٍ ، وإلىٰ تمثيليَّةٍ وغيرِ تمثيليَّةٍ .

فإن كانَ المُستعارُ اسمَ جنسٍ جامداً ولو تأويلاً ؛ كالأعلامِ المُشتهِرةِ أصحابُها بأوصافٍ ؛ كحاتمٍ المُشتهِرِ بالجُودِ ، ومادِرٍ المُشتهِرِ بالبخلِ ، وباقِلٍ المُشتهِرِ بالعِيِّ ، وكانَ هوَ المذكورَ . . **فالاستعارةُ هيَ المُصرَّحةُ الأصليَّةُ** .

وإن كانَ غيرَ اسمِ جنسٍ جامدٍ فعلاً أو حرفاً أو مُشتقّاً . . **فهيَ التبعيَّةُ** .

وإن كانَ المذكورُ لفظَ المُستعارِ لهُ . . **فهيَ المَكنيَّةُ** .

وإن كانَتِ الاستعارةُ مقرونةً بما يناسبُ المُشبَّهَ بهِ . . **فهيَ المُرشَّحةُ** ، وإن كانَتْ مقرونةً بما يناسبُ المُشبَّهَ . . **فهيَ المُجرَّدةُ** ، **والمُطلَقةُ غيرُهُما** .

وإن كانَ المُستعارُ لفظَ أحدِ الضِّدَّينِ للآخَرِ ؛ فإن كانَ علىٰ سبيلِ الاستهزاءِ . . **فهيَ التهكميَّةُ** ، وإن كانَ علىٰ سبيلِ التلطُّفِ والتحسينِ . . **فهيَ التمليحيَّةُ** .

وإن كانَ التشبيهُ بينَ هيئتَينِ مُنتزَعتَينِ مِنْ عِدَّةِ أمورٍ . . **فهيَ الاستعارةُ التمثيليَّةُ** .

والتفاوتُ بينَ طرفَيِ التشبيهِ . . في المعنى المُشترَكِ بينَهُما ؛ وهوَ المُسمَّىٰ وجهَ الشَّبهِ في غيرِ الاستعارةِ ، والجامعَ بينَ الطرفَينِ فيها باعتبارِ كونِهِ في المُشبَّهِ بهِ أقوىٰ أو أعرفَ .

والغايةُ في التشبيهِ : إفادةُ المساواةِ بينَ أمرَينِ ، أو قُوَّةِ المعنىٰ في المُشبَّهِ ؛ بحيثُ يَحسُنُ ادعاءُ تساوي الطرفَينِ فيهِ .

والاستعارةُ التبعيَّةُ : هيَ التي تقعُ تبعاً لاستعارةٍ تَسبِقُها في الملاحظةِ ، فتكونُ السابقةُ أصليَّةً ، وتكونُ اللَّاحقةُ تبعيَّةً .

وبيانُ ذٰلكَ : أنَّ الاستعارةَ إذا جرتْ في المُشتقَّاتِ وقد عرفتَ أنَّ أصلَها

التشبيهُ . . فالغَرَضُ إنَّما هوَ تشبيهُ المعاني المُستقِلَّةِ التي تَضمَّنَتْها المُشتقَّاتُ غالباً ، مثلاً : إذا قلتَ : ركبَ فلانٌ كتفَيْ غريمِهِ فلانٍ . . فقد شَبَّهتَ شِدَّةَ لزومِهِ إيَّاهُ ومقهوريَّتِهِ لهُ ، فكأنَّكَ قلتَ : لزومُهُ إيَّاهُ كركوبِ كتفَيهِ ، فاستعرتَ الركوبَ للزومِ ، فيكونُ هـٰذا الأصلُ مُستعمَلاً في غيرِ ما وُضِعَ لهُ ، فجميعُ الفروعِ تكونُ مُستعارةً تبعاً لهُ .

وكما تكونُ الاستعارةُ في المُشتقَّاتِ باعتبارِ المادَّةِ . . تكونُ باعتبارِ الهيئةِ ، فتُستعارُ الهيئةُ الدالَّةُ على الزمنِ الماضي للزمنِ الآتي ؛ بجامعِ تَحقُّقِ ما يَحصُلُ فيهما والإيقانِ بهِ ، قالَ تعالىٰ : ﴿ أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ ﴾ (١) ، فبعثُ الناسِ للحسابِ وفصلِ القضاءِ بينَهُم ، وإيصالُ كلٍّ إلىٰ مَقَرِّهِ المُعَدِّ لهُ . . أمرٌ يقعُ في الزمنِ الآتي ، فعبارتُهُ الدالَّةُ عليهِ : (يأتي أمرُ اللهِ) ، فلكونِهِ مُتحقِّقاً يقينيّاً قيلَ : أتىٰ أمرُ اللهِ .

وقالَ تعالىٰ : ﴿ فِيهِ هُدًى لِّلۡمُتَّقِينَ ﴾ (٢) ؛ أي : المُتلبِّسينَ بالتقوىٰ ؛ وهيَ اجتنابُ ما نُهوا عنهُ وامتثالُ ما أُمِروا بهِ عندَ استماعِ الأمرِ والنهيِ ، فاستُعِيرَ ما يَدُلُّ على التلبُّسِ بالفعلِ لِمَا سيَحصلُ التلبُّسُ بهِ .

وربَّما كانَتِ الاستعارةُ في موضوعِ الصفةِ ، كما إذا قلتَ : فلانٌ يرىٰ مَضربَهُ كمَقتَلِهِ ، فهوَ يَفزَعُ مِنْ ذٰلكَ فزعَهُ مِنْ هـٰذا .

وإذا جرتِ الاستعارةُ في **الحروفِ** . . فالتشبيهُ يكونُ في المعاني الكليَّةِ ، مثلاً : تقولُ : تَرتُّبُ عاقبةِ الشيءِ عليهِ مثلُ ترتُّبِ المعلولِ علىٰ عِلَّتِهِ ، فيكونُ كلُّ ترتُّبٍ جزئيٍّ مُشبَّهاً لترتُّبٍ جزئيٍّ ، فتُستعارُ حينَئذٍ الحروفُ الدالَّةُ على الترتُّباتِ الجزئيَّةِ العِلِّيَّةِ لتَرتُّباتِ العاقبةِ .

---

(١) سورة النحل : (١) .

(٢) سورة البقرة : (٢) .

قالَ تعالىٰ : ﴿ فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ﴾ [1] ، فالغَرَضُ مِنِ التقاطِ موسى الانتفاعُ بهِ كما يُنتفَعُ بالأبناءِ ، ولٰكنْ تَرتَّبَ على التقاطِهِ عداوتُهُ لهُم وإحزانُهُ إيَّاهُم ، فوقعَتِ العاقبةُ موقعَ الغَرَضِ ، فعُبِّرَ عنها بعبارتِهِ .

والاستعارةُ بالكنايةِ أوِ المَكنيَّةُ ـ أيِ : المستورةُ ـ لا تكونُ مذكورةً في الكلامِ ، وإنَّما يُذكَرُ معَ المُستعارِ لهُ بعضُ خواصِّ المُستعارِ منهُ ، فيَدُلُّ عليها ؛ وهوَ قرينةُ الاستعارةِ ، وتارةً يكونُ لفظُ القرينةِ مُستعاراً أيضاً ، وتارةً لا يكونُ مُستعاراً ، ومعَ ذٰلكَ يُسمَّىٰ في الاصطلاحِ **استعارةً تخييليَّةً** .

قالَ تعالىٰ : ﴿ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ ﴾ [2] ، فالعهدُ مُشبَّهٌ بالحبلِ ؛ فإنَّ الدِّينَ يَعصِمُ القلوبَ مِنِ افتراقِ الأهواءِ ما بقيَ علىٰ حالتِهِ . . كما يَمنعُ الحبلُ الحُزْمةَ مِنْ تَفرُّقِ عِيدانِها ما بقيَ علىٰ متانتِهِ والتواءِ بعضِ طاقِهِ علىٰ بعضٍ ؛ فالحبلُ المُستعارُ لم يُذكَرْ ، وذُكِرَ النقضُ الذي هوَ تفريقُ طاقاتِ الحبلِ وإزالةُ صورتِهِ ، وهوَ مُستعارٌ لتفريقِ الدِّينِ وإبطالِ صورتِهِ ؛ فقرينةُ المَكنيَّةِ فيهِ . . **استعارةٌ تصريحيَّةٌ تبعيَّةٌ** .

وفي قولِ لبيدٍ [3] : [من الكامل]

وَغَدَاةِ رِيحٍ قَدْ وَزَعْتُ وَقَرَّةٍ ... قَدْ أَصْبَحَتْ بِيَدِ ٱلشَّمَالِ زِمَامُهَا

تشبيهُ الشَّمالِ والبَرْدِ بإنسانٍ وناقةٍ أمسكَ بزمامِها ، فهوَ يُقبِلُ بها تارةً ويُدبِرُ تارةً ؛ فاليدُ والزِّمامُ غيرُ مُستعارَينِ لشيءٍ غايتُهُ أنَّهُ يُوقِعُ في الخيالِ للقَرَّةِ زِماماً وللشَّمالِ يداً .

---

(١) سورة القصص : (٨) .

(٢) سورة البقرة : (٢٧) .

(٣) انظر « ديوان لبيد رضي الله عنه » (ص ٣١٥) .

والترشيحُ : التقويةُ ، والمُرشَّحةُ مُقوَّاةٌ بذكرِ ما يلائمُ المُشبَّهَ بهِ ، قالَ تعالىٰ : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلۡهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمۡ ﴾ (١) ، فحديثُ ربحِ التجارةِ يُقوِّي استعارةَ الاشتراءِ .

والتمثيلُ : جعلُ مثالٍ للشيءِ يكونُ علىٰ صورتِهِ وهيئتِهِ ؛ جملتُهُ كجملتِهِ ، وأجزاؤُهُ كأجزائِهِ ، والاستعارةُ التمثيليَّةُ كذٰلكَ ؛ فمَنْ قالَ (٢) : [من الوافر]

أَرَىٰ مَـاءً وَبِـي ظَـمَـأٌ شَـدِيـدٌ وَلَـٰكِنْ لَا سَـبِـيـلَ إِلَى ٱلْـوُرُودِ

مكانَ أن يقولَ : أعلمُ أنَّ الحبيبَ وراءَ هـٰذهِ الجُدْراناتِ العاليةِ ، ودونَهُ هـٰذا الحَرَسُ الشديدُ ، فأنا علىٰ ما بي مِنْ حرارةِ الشَّوقِ وشِدَّةِ الوَلَعِ لا يُمكِنُني الوصولُ إلىٰ مغازلتِهِ والراحةِ بالمحادثةِ معَهُ ؛ فقد شَبَّهَ حالةَ المُحِبِّ هـٰذهِ بهيئةِ ظمآنَ شديدِ الظَّمأِ واقفٍ علىٰ رأسِ جِدارٍ عالٍ تحتَهُ ماءٌ ، وليسَ لهُ دَرَجٌ ، فهـٰذهِ الصُّورةُ مثالُ تلكَ الصُّورةِ .

ولمَّا كانَ في التشبيهِ مِنْ تصويرِ الحالِ والتأثيرِ في النفوسِ ما لا تَبلغُهُ العباراتُ الأصليَّةُ . . كَثُرَ في الكلامِ كثرةً بالغةً ، لا تَكادُ قصةٌ مِنَ الكلامِ العالي تخلو منهُ ، وكلَّما كانَ التشبيهُ أغربَ وأكثرَ معانيَ . . كانَتِ النفوسُ لهُ أميلَ ، وبهِ أبهجَ ، وسنوردُ عليكَ لهُ أمثلةً تكونُ بمنزلةِ رياضٍ نَضِرةٍ تُنزِّهُ فيها خاطرَكَ وترتاحُ إليها نفسُكَ :

قالَ تعالىٰ : ﴿ وَيَطُوفُ عَلَيۡهِمۡ وِلۡدَٰنٞ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيۡتَهُمۡ حَسِبۡتَهُمۡ لُؤۡلُؤٗا مَّنثُورٗا ﴾ (٣) ، فإنَّ تصويرَ حالِ الوِلدانِ ؛ مِنْ كونِهِم في الجَمالِ والمَلاحةِ متشابهينَ ، لا يَتميَّزُ بعضُهم عن بعضٍ ، بحيثُ لا تَتناولُ العينُ إلَّا مَلاحةً ، ولا تجدُ النفسُ

---

(١) سورة البقرة : (١٦) .

(٢) هو ابن الرومي في « ديوانه » (٢/٨٠٤) .

(٣) سورة الإنسان : (١٩) .

إلَّا بهجةً باللُّؤلؤِ المنثورِ . . لا يكونُ بأن يُقالَ : وِلدانٌ حِسانٌ رائعونَ يُشبِهُ بعضُهُم بعضاً في الجمالِ .

وقالَ : ﴿ وَحُورٌ عِينٌ ۝ كَأَمْثَلِ ٱللُّؤْلُوِ ٱلْمَكْنُونِ ﴾ [(١)] ؛ أي : اللُّؤلؤِ في صَدَفِهِ ، أوِ المحفوظِ عمَّا يُغيِّرُ نَضارتَهُ ويُكدِّرُ صفاءَ مائيتِهِ .

ولمَّا كانَتِ الحُورُ مقصوراتٍ في الخِيامِ ، وكانَ الوِلدانُ مُتردِّدينَ في وظائفِ [خِدْمَتِهِم] . . كانَ اللُّؤلؤُ المكنونُ مثلَ الحُورِ ، وكانَ مثلَ الوِلدانِ اللُّؤلؤُ المنثورُ [(٢)] .

وقالَ : ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعْمَٰلُهُمْ كَسَرَابٍۭ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا ﴾ [(٣)] ، وقال : ﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ أَعْمَٰلُهُمْ كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ فِى يَوْمٍ عَاصِفٍ ﴾ [(٤)] ، وقالَ : ﴿ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴾ [(٥)] .

أعمالُ الكُفَّارِ ؛ مِنْ عبادةِ الأصنامِ في العربِ بأنواعِ العباداتِ التي ما لا يَضُرُّ منها [ولا] ينفعُ ، وعبادةِ الهُنودِ النارَ والماءَ والبقرَ والكواكبَ ، ومعاناتُهُمُ الشدائدَ في ذٰلكَ . . **أعمالٌ باطلةٌ لا تَستعقِبُ خيراً** ، غيرَ أنَّها في ظاهرِ الأمرِ أعمالُ برٍّ وانقيادٍ ، وتسليمُ أنفسٍ وأموالٍ في طاعةِ اللهِ ، فضربَ لها المثلَ مِنْ حيثُ ظاهرُها المُطمِعُ وباطنُها المُحسِرُ بالسَّرابِ ، وضربَ الرَّمادَ ـ وهوَ ما يبقيهِ إحراقُ النارِ حيثُ تطيرُ بهِ الريحُ الشديدةُ ـ مثلاً ليأسِهِم مِنَ الانتفاعِ

---

(١) سورة الواقعة : (٢٢ ـ ٢٣) .

(٢) كذا العبارة في الأصل ، ولعل فيها قلباً ، وتقديرها : (كان الحورُ مثلَ اللؤلؤ المكنون ، وكان الولدانُ مثلَ اللؤلؤ المنثور) .

(٣) سورة النور : (٣٩) .

(٤) سورة إبراهيم : (١٨) .

(٥) سورة الفرقان : (٢٣) .

بها ، وكذٰلكَ الهَباءُ المنثورُ ، ﴿ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (١) .

وقالَ : ﴿ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ ﴾ (٢) .

اعلمْ : أنَّ الخالقَ البارئَ المُصوِّرَ قد أَودعَ كلَّ نوعٍ مِنْ أنواعِ مخلوقاتِهِ سِرّاً إليهِ يُنسَبُ جميعُ ما يظهرُ صدورُهُ منهُ في مَسكنِهِ نسبةَ الفعلِ إلى الفاعلِ ، وبإزاءِ ذٰلكَ السِّرِّ ومَسكنِهِ يُوضَعُ اسمُ النوعِ .

مثلاً : نوعُ الإنسانِ نوعٌ مستوي القامةِ ، عريضُ الأظفارِ ، ماشٍ علىٰ رجلَيهِ ، عاملٌ بيدَيهِ ، دائمُ الفكرةِ في الماضي والحاضرِ ونتائجِهِما الآتيةِ . . . إلىٰ غيرِ ذٰلكَ مِنَ الخصائصِ الإنسانيَّةِ ، فهيَ منسوبةٌ لذٰلكَ السِّرِّ المُسمَّىٰ إنساناً ، ولهُ باعتباراتٍ مُختلِفةٍ عِدَّةُ أسماءٍ ؛ فباعتبارِ لطفِهِ ومشابهتِهِ الريحَ يُسمَّىٰ : رُوحاً ، وباعتبارِ استضافةِ الأجزاءِ التي يَزدادُ بها حجمُ مَسكنِهِ يُسمَّىٰ : **غاذياً ونامياً** ، وباعتبارِ إفاضتِهِ الصُّورةَ يُسمَّىٰ : **قُوَّةً مُصوِّرةً** ، وباعتبارِ حفظِ الصُّورِ والمعاني يُسمَّىٰ : **عقلاً** .

وهٰكذا بقيَّةُ الأسماءِ واعتباراتُها ؛ **فاسمُ الزَّرعِ** : موضوعٌ بإزاءِ السِّرِّ الذي يذهبُ بأعضاءِ النباتِ مُمتدّاً إلى الجهاتِ المختلفةِ على الحدودِ المُعينةِ إلى الغايةِ التي لهُ ، **والشَّطْءُ** : هوَ المادَّةُ الحافظةُ لهُ في الحَبَّةِ والنَّواةِ وغيرِهِما ؛ فمتىٰ أسكنتَ الحَبَّةَ رَحِمَ الأرضِ معَ استيفاءِ شرائطِ النباتِ . . وَجَدَ ذٰلكَ السِّرُّ مَساغاً لتمديدِ ما معَهُ ، واستضافَ الأجزاءَ المتناسبةَ ، مُوزِّعاً لها علىٰ أحيازِها الطالبةِ لها ، حتىٰ يكونَ شخصٌ تامٌّ قائمٌ علىٰ صورتِهِ

---

(١) سورة البقرة : (١١٢) .

(٢) سورة الفتح : (٢٩) .

الخاصَّةِ بهِ ، فيكونَ شيئاً واحداً ذا أجزاءٍ مُؤتلِفةٍ مُنتظِمةِ الأعمالِ علىٰ نهجٍ واحدٍ .

ضُرِبَ الزرعُ مثلاً لأُمَّةٍ سِرُّها الدِّينُ الحقُّ الذي بدأَها بواحدٍ ، ثمَّ لم يزلْ يستضيفُ الواحدَ إلى الواحدِ والجملةَ إلى الجملةِ حتىٰ قامَتْ أُمَّةٌ مُؤتلِفةُ القلوبِ ، مُجتمِعةُ الألسنةِ ، ساعيةٌ في طريقٍ واحدةٍ إلىٰ غايةٍ ينظرُ إليها الكلُّ على السَّواءِ ، فأنتَ تجدُ التمثيلَ لها بالزرعِ مفيداً معَ الاختصارِ مِنَ الارتباطِ ووَحدةِ المقصودِ ما لا يعطيهِ أن يُقالَ : أُمَّةٌ مُؤتلِفةٌ إلىٰ آخرِ ما يُقالُ مِنَ العبارةِ عنِ المعاني التي يَحصُرُها عندَ فكرِكَ التمثيلُ بالزرعِ .

وفي هٰذا المعنىٰ قولُهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ : « ٱلْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَٱلْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضاً »(١) .

وقولُهُ : « ٱلْمُؤْمِنُ لِأَهْلِ ٱلْإِيمَانِ بِمَنْزِلَةِ ٱلرَّأْسِ لِلْجَسَدِ »(٢) .

وقولُهُ : « ٱلْمُسْلِمُونَ تَتَكَافَأُ دِمَاؤُهُمْ ، وَيَسْعَىٰ بِذِمَّتِهِمْ أَدْنَاهُمْ ، وَهُمْ يَدٌ عَلَىٰ مَنْ سِوَاهُمْ »(٣) .

[أمثلةٌ منَ التشابيهِ الرائقةِ]

هٰذا ؛ وعليكَ بإطلاقِ الفكرِ في سائرِ التشابيهِ القرآنيةِ التي هيَ بمنزلةِ الشَّمسِ مِنَ التشابيهِ ؛ إذ كانَتْ صادرةً عنِ اللَّطيفِ الخبيرِ الذي لا تَخفىٰ عليهِ خافيةٌ .

وقالَ عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ : « ٱلنَّاسُ مَعَادِنُ كَمَعَادِنِ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ »(٤) .

---

(١) أخرجه البخاري (٤٨١) ، ومسلم (٢٥٨٥) عن سيدنا أبي موسى الأشعري رضي الله عنه .
(٢) أخرجه أحمد (٣٤٠/٥) عن سيدنا سهل بن سعد رضي الله عنهما .
(٣) أخرجه أبو داوود (٢٧٤٥) عن سيدنا عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما .
(٤) أخرجه مسلم (٢٦٣٨) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

وقالَ : « أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ ٱلسَّمْعِ وَٱلْبَصَرِ »[1] .

وقالَ : « أَصْحَابِي كَٱلنُّجُومِ ؛ بِأَيِّهِمُ ٱقْتَدَيْتُمُ . . ٱهْتَدَيْتُمْ »[2] .

وقالَ : « مَا أَنْتُمْ فِي غَيْرِكُمْ إِلَّا كَٱلشَّعْرَةِ ٱلْبَيْضَاءِ فِي ٱلثَّوْرِ ٱلْأَسْوَدِ »[3] .

وقالَ : « مَثَلُ مَا بَعَثَنِي ٱللهُ بِهِ مِنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْعِلْمِ . . كَمَثَلِ ٱلْغَيْثِ ٱلْكَثِيرِ أَصَابَ أَرْضاً ؛ فَكَانَ مِنْهَا نَقِيَّةٌ قَبِلَتِ ٱلْمَاءَ فَأَنْبَتَتِ ٱلْكَلأَ وَٱلْعُشْبَ ٱلْكَثِيرَ ، وَكَانَ مِنْهَا أَجَادِبُ أَمْسَكَتِ ٱلْمَاءَ فَنَفَعَ ٱللهُ بِهِ ٱلنَّاسَ ، فَشَرِبُوا وَسَقَوْا وَزَرَعُوا ، وَأَصَابَ مِنْهَا طَائِفَةٌ أُخْرَىٰ إِنَّمَا هِيَ قِيعَانٌ لَا تُمْسِكُ مَاءً ، وَلَا تُنْبِتُ كَلأً ؛ فَذَاكَ مَثَلُ مَنْ فَقُهَ فِي دِينِ اللهِ وَنَفَعَهُ مَا بَعَثَنِي ٱللهُ بِهِ ، فَعَلِمَ وَعَلَّمَ ، وَمَثَلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَٰلِكَ رَأْساً ، وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَى ٱللهِ ٱلَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ »[4] .

وقالَ : « ٱلْعَالِمُ فِي قَوْمِهِ كَٱلنَّبِيِّ فِي أُمَّتِهِ »[5] .

فأيُّ عنايةٍ تَلزمُ طالبَ الأدبِ باعتبارِ مقاصدِ التشبيهِ الذي شَرَّفَهُ بالاستعمالِ الكلامُ المُقدَّسُ الصَّادرُ عنِ الحضرةِ الإلـٰهيَّةِ ، والصَّادرُ عن حضرةِ الرسالةِ ؟!

ثمَّ إنَّ الشُّعراءَ لَهِجوا قديماً وحديثاً باستعمالِهِ علىٰ تفاوتٍ عظيمٍ بينَهُم ؛ في توقيعِهِ في مواقعِهِ ، وتزيينِهِ بقرائنَ يناظرُ بعضُها بعضاً في المَلاحةِ ، حتىٰ إنَّهُ ربَّما كانَ التشبيهُ مِنَ المُبتذَلاتِ ، فتَجعلُهُ القرينةُ اللَّطيفةُ مِنَ المُستغرَباتِ ؛ كقولِ أبي الطيبِ[6] : [من الكامل]

لَمْ تَلْقَ هَـٰذَا ٱلْوَجْهَ شَمْسُ نَهَارِهِ ... إِلَّا بِـوَجْـهٍ لَـيْـسَ فِـيـهِ حَـيَـاءُ

---

(١) أخرجه أبو نعيم في « الحلية » (٧٢/٤) عن سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما .

(٢) أخرجه ابن عبد البر في « جامع بيان العلم وفضله » (١٧٦٠) عن سيدنا جابر رضي الله عنه .

(٣) أخرجه البخاري (٤٧٤١) ، ومسلم (٢٢٢) عن سيدنا أبي سعيد الخدري رضي الله عنه .

(٤) أخرجه البخاري (٧٩) عن سيدنا أبي موسى الأشعري رضي الله عنه .

(٥) انظر « المقاصد الحسنة » (٦٠٩) .

(٦) انظر « ديوان المتنبي » (ص ٩٧) .

كَثُرَ علىٰ ألسنةِ الشعراءِ قديماً التشبيهُ بالشمسِ ؛ قالَ النابغةُ الذُّبيانيُّ (١) : [من الطويل]

فَإِنَّكَ شَمْسٌ وَٱلْمُلُوكُ كَوَاكِبٌ ... إِذَا طَلَعَتْ لَمْ يَبْدُ مِنْهُنَّ كَوْكَبُ

وقالَ العباسُ بنُ الأحنفِ (٢) : [من المتقارب]

هِيَ ٱلشَّمْسُ مَسْكَنُهَا فِي ٱلسَّمَاءِ ... فَعَزِّ ٱلْفُؤَادَ عَزَاءً جَمِيلَا
فَلَنْ تَسْتَطِيعَ إِلَيْهَا ٱلصُّعُودَ ... وَلَنْ تَسْتَطِيعَ إِلَيْكَ ٱلنُّزُولَا

فأحسنَ أبو الطيبِ التصرُّفَ فيهِ ؛ حيثُ أثبتَ ونفىٰ ، ورفعَ وخفضَ .

وإذا كانَ وجهُ التشبيهِ خفيّاً . . وجبَ ذكرُهُ ، وإلَّا . . فالأحسنُ حذفُهُ ، حتىٰ لو زادَ ظُهورُهُ . . كانَتِ الاستعارةُ أحسنَ مِنَ التشبيهِ ؛ فالأحسنُ لِمَنْ حَصَّلَ عِلْماً ، وانزاحَتْ عنهُ شُبهةٌ . . أن يقولَ : قدِ انزاحَتْ عن قلبي ظُلمةٌ وامتلأَ نوراً ، دونَ أن يقولَ : شُبهةٌ كالظُّلمةِ وعِلْماً كالنورِ .

قالَ الطُّغرائيُّ (٣) : [من الكامل]

أَبْذُلْ فَإِنَّ ٱلْمَالَ شَعْرٌ كُلَّمَا ... أَوْسَعْتَهُ حَلْقاً يَزِيدُ نَبَاتَا

فتشبيهُ المالِ بالشَّعرِ في أنَّ إزالةَ كلٍّ تُوجِبُ تَكاثُرَهُ . . مِنَ التشابيهِ الغريبةِ التي لا تُؤهِّلُها إلَّا الفِطنةُ بعدَ الفِطنةِ .

[أنموذجٌ من اختلافِ الشعراءِ في تشبيهِ الثُّريا]

وممَّا ينتهي بكَ إلىٰ غايةِ معرفةِ ما بينَ الشُّعراءِ مِنَ التفاوتِ . . الأمرُ الواحدُ يَتناولُ تشبيهَهُ العددُ الكثيرُ منهُم ، وهـٰذا أُنموذجُ ذٰلكَ :

---

(١) انظر « ديوان النابغة الذبياني » (ص ٧٤) .
(٢) انظر « ديوان العباس بن الأحنف » (ص ٢٢١) .
(٣) انظر « ديوان الطغرائي » (ص ١٠٤) .

الثُّرَيَّا : مُصغَّرُ ثَرْوىٰ بالقصرِ ، امرأةٌ ثَرْوىٰ : كثيرةُ المالِ ؛ وهوَ اسمُ الكوكبِ الذي غلبَ عليهِ اسمُ النجمِ ، كما تَعرِفُهُ مِنْ قولِ العربيِّ : (إذا طَلَعَ النجمُ عِشاءً . . ابتغى الراعي كساءً)(١) ، وهوَ مجموعُ كواكبَ صغارٍ مُتقارِبةٍ ، منها ستةٌ ظاهرةٌ والسابعُ خفيٌّ يَختبِرُ الناسُ بهِ حِدَّةَ البصرِ ، وكانَ أكملُ الناسِ في جميعِ أحوالِهِ نبيُّنا صلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ . . يَعُدُّ الثُّريَّا أحدَ عشرَ كوكباً(٢) .

أكثرَ الشُّعراءُ مِنَ العربِ وغيرِهِم تشبيهَهُ ؛ قالَ الهيثمُ بنُ عديٍّ أحدُ علماءِ الأدبِ في الصَّدرِ الأوَّلِ(٣) : كنَّا عندَ صالحِ بنِ حَسَّانَ فقالَ : أنشدوني أحسنَ بيتٍ في تشبيهِ الثُّريَّا ، فقالَ قائلٌ : بيتُ عبدِ اللهِ بنِ الزَّبِيرِ ـ كأميرٍ ـ مِنْ شُعراءِ بني أميَّةَ : [من الطويل]

وَقَدْ لَاحَ فِي ٱلْغَوْرِ ٱلثُّرَيَّا كَأَنَّمَا ... بِهِ رَايَةٌ بَيْضَاءُ تَخْفِقُ لِلطَّعْنِ

فقالَ صالحٌ : أريدُ أحسنَ مِنْ هٰذا ، فقيلَ : بيتُ امرئ القيسِ(٤) : [من الطويل]

إِذَا مَا ٱلثُّرَيَّا فِي ٱلسَّمَاءِ تَعَرَّضَتْ ... تَعَرُّضَ أَثْنَاءِ ٱلْوِشَاحِ ٱلْمُفَصَّلِ

فقالَ : أريدُ أحسنَ مِنْ هٰذا ، فقيلَ : بيتُ ابنِ الطَّثَرِيَّةِ : [من الطويل]

إِذَا مَا ٱلثُّرَيَّا فِي ٱلسَّمَاءِ كَأَنَّهَا ... جُمَانٌ وَهِيْ مِنْ سِلْكِهِ فَتَسَرَّعَا

فقالَ : أريدُ أحسنَ مِنْ هٰذا ، فقالَ الحاضرونَ : ما عندَنا شيءٌ !! فقالَ صالحٌ : بيتُ أبي قيسِ بنِ الأسلتِ : [من الطويل]

وَقَدْ لَاحَ فِي ٱلصُّبْحِ ٱلثُّرَيَّا لِمَنْ رَأَىٰ ... كَعُنْقُودِ مُلَّاحِيَّةٍ حِينَ نَوَّرَا

---

(١) أورده الزمخشري في « ربيع الأبرار » (١/١٢١) .
(٢) انظر « شرح الزرقاني على المواهب » (٥/٢٧١) .
(٣) انظر الخبر في « معاهد التنصيص » (٢/٢٨) .
(٤) انظر « ديوان امرئ القيس » (ص ١٤) .

فهٰؤلاءِ مِنْ شعراءِ العربِ ؛ جاهليَّانِ : أبو قيسٍ ، وامرُؤُ القيسِ ، وأُمويَّانِ : يزيدُ بنُ الطَّثَريَّةِ ، وعبدُ اللهِ بنُ الزَّبيرِ .

وإنَّما كانَ تشبيهُ ابنِ الأسلتِ أحسنَ ؛ لكونِهِ تَضمَّنَ جميعَ أحوالِ النجمِ ؛ مِنْ شكلِ المجموعِ ، وشكلِ الأجزاءِ ، ومقاديرِها في رأيِ العينِ ، وهيئاتِها الوضعيَّةِ ، وقرارِها في موضعِها ، فقد أمعنَ النظرَ قبلَ التشبيهِ ، ولذٰلك افتخرَ بقولِهِ : (لِمَنْ رأىٰ) ، فليسَتْ حشواً .

والمُلَّاحيَّةُ ـ بضمِّ الميمِ وتخفيفِ اللَّامِ أو تشديدِها ـ : نوعٌ مِنَ العنبِ الأبيضِ ، في حَبِّهِ طُولٌ ، وامرُؤُ القيسِ فاتَهُ بعضُ ذٰلكَ ، معَ اشتمالِ بيتِهِ علىٰ ما ليسَ لهُ دخلٌ في التشبيهِ ، فإنَّ مَخلَصَ لفظِ التشبيهِ : الثُّريَّا كقطعةٍ مِنْ وشاحٍ مُفصَّلٍ .

وفي بيتِ ابنِ الطَّثَريَّةِ : الحركةُ في المُشبَّهِ بهِ مفسدةٌ للتشبيهِ ، وأنزلُ هٰذهِ التشابيهِ تشبيهُ ابنِ الزَّبيرِ .

ويُروىٰ بيتُ ابنِ الطَّثَريةِ : [من الطويل]

جُـمَـانٌ وَهِـيَ مِـنْ سِـلْـكِـهِ فَـتَـبَـدَّدَا

وهوَ أحسنُ ، قالَ ذو الرُّمَّةِ[1] : [من الطويل]

وَرَدْتُ ٱعْـتِـسَـافـاً وَٱلـثُّـرَيَّـا كَـأَنَّـهَـا ... عَـلَـىٰ قِـمَّـةِ ٱلـرَّأْسِ ٱبْـنُ مَـاءٍ مُـحَـلِّـقُ

ومِنْ تشابيهِ المُولَّدينَ للثُّريَّا : قولُ ابنِ المعتزِّ[2] : [من المنسرح]

قَـدِ ٱنْـقَـضَـتْ دَوْلَـةُ ٱلـصِّـيَـامِ وَقَـدْ ... بَـشَّـرَ سُـقْـمُ ٱلْـهِـلَالِ بِـٱلْـعِـيـدِ

يَـتْـلُـو ٱلـثُّـرَيَّـا كَـفَـاغِـرٍ شَـرِهٍ ... يَـفْـتَـحُ فَـاهُ لِأَكْـلِ عُـنْـقُـودِ

---

(١) انظر « ديوان ذي الرمة » (١/٤٩٠) .

(٢) انظر « ديوان ابن المعتز » (٢/١٩٠) .

وقولُهُ [١] : [من الخفيف]

زَارَنِي وَٱلدُّجَىٰ أَحَمُّ ٱلْحَوَاشِي ... وَٱلثُّرَيَّا فِي ٱلْغَرْبِ كَٱلْعُنْقُودِ
وَهِلَالُ ٱلسَّمَاءِ طَوْقُ عَرُوسٍ ... بَاتَ يُجْلَىٰ عَلَىٰ غَلَائِلَ سُودِ

وقولُهُ [٢] : [من الطويل]

أَتَانِيَ وَٱلْإِصْبَاحُ يَرْفُلُ فِي ٱلدُّجَىٰ ... بِصَفْرَاءَ لَمْ تَفْسُدْ بِطَبْخٍ وَإِحْرَاقِ
فَنَاوَلَنِيهَا وَٱلثُّرَيَّا كَأَنَّهَا ... جَنَىٰ نَرْجِسٍ حَيَّا ٱلنَّدَامَىٰ بِهِ ٱلسَّاقِي

وقولُ أبي الفرجِ الببَّغا مِنْ شعراءِ « اليتيمةِ » المُتكسِّبينَ بالشعرِ [٣] : [من البسيط]

خُذُوا مِنَ ٱلْعَيْشِ فَٱلْأَعْمَارُ فَانِيَةٌ ... وَٱلدَّهْرُ مُنْصَرِفٌ وَٱلْعَيْشُ مُنْقَبِضُ
فِي حَامِلِ ٱلْكَأْسِ مِنْ بَدْرِ ٱلدُّجَىٰ خَلَفٌ ... وَفِي ٱلْمُدَامَةِ مِنْ شَمْسِ ٱلضُّحَىٰ عِوَضُ
كَأَنَّ نَجْمَ ٱلثُّرَيَّا كَفُّ ذِي كَرَمٍ ... مَبْسُوطَةٌ لِلْعَطَايَا لَيْسَ تَنْقَبِضُ

وقولُ الصَّنوبريِّ [٤] : [من المنسرح]

فِي ٱلشَّرْقِ كَأْسٌ وَفِي مَغَارِبِهَا ... قُرْطٌ وَفِي أَوْسَطِ ٱلسَّمَا قَدَمُ

ولبعضِهِم في شِكايةِ طُولِ الليلِ [٥] : [من الطويل]

كَأَنَّ ٱلثُّرَيَّا رَاحَةٌ تَشْبُرُ ٱلدُّجَىٰ ... لِتَنْظُرَ طَالَ ٱللَّيْلُ أَمْ قَدْ تَعَرَّضَا
عَجِبْتُ لِلَيْلٍ بَيْنَ شَرْقٍ وَمَغْرِبٍ ... يُقَاسُ بِشِبْرٍ كَيْفَ يُرْجَىٰ لَهُ ٱنْقِضَا

---

(١) انظر « ديوان ابن المعتز » (٢/٨٨) .
(٢) انظر « ديوان ابن المعتز » (٢/٢٣٨) .
(٣) انظر « معاهد التنصيص » (٢/٢٠) .
(٤) انظر « معاهد التنصيص » (٢/٢١) .
(٥) انظر « معاهد التنصيص » (٢/٢٤) .

وقولُ الأشهبِ ابنِ رميلةَ[1] : [من الطويل]

وَلَاحَتْ لِسَارِيهَا ٱلثُّرَيَّا كَأَنَّهَا لَدَى ٱلْأُفُقِ ٱلْغَرْبِيِّ قُرْطٌ مُسَلْسَلُ

فهٰذا أحسنُ ما قيلَ في تشبيهِ الثُّريَّا .

قال بشارُ بنُ بردٍ ـ وهوَ مِنْ شعراءِ الدولتَينِ الأمويَّةِ والعباسيَّةِ ـ : ما زلتُ منذُ سمعتُ قولَ امرئِ القيسِ في تشبيهِ شيئَينِ بشيئَينِ[2] : [من الطويل]

كَأَنَّ قُلُوبَ ٱلطَّيْرِ رَطْباً وَيَابِساً لَدَىٰ وَكْرِهَا ٱلْعُنَّابُ وَٱلْحَشَفُ ٱلْبَالِي

أعملُ نفسي في تشبيهِ شيئينِ بشيئينِ ، حتىٰ قلتُ[3] : [من الطويل]

كَأَنَّ مُثَارَ ٱلنَّقْعِ فَوْقَ رُؤُوسِنَا وَأَسْيَافَنَا لَيْلٌ تَهَاوَىٰ كَوَاكِبُهْ

وتشبيهُ بشارٍ هٰذا مِنْ آحادِ التشابيهِ ، يُحكىٰ : أنَّهُ قيلَ لبشارٍ : مِنْ أينَ جاءَكَ هٰذا التشبيهُ ولم ترَ الدنيا قطُّ ؟! فإنَّهُ وُلِدَ أعمىٰ ، فقالَ : إنَّ عدمَ الاشتغالِ بالمنظوراتِ يُوفِّرُ الحِسَّ ، ويُقوّي الذَّكاءَ ، وأنشدَ لنفسِهِ[4] : [من الطويل]

عَمِيتُ جَنِيناً وَٱلذَّكَاءُ مِنَ ٱلْعَمَىٰ فَجِئْتُ عَجِيبَ ٱلظَّنِّ لِلْعِلْمِ مَوْئِلَا

وَغَاضَ ضِيَاءُ ٱلْعَيْنِ لِلْعِلْمِ رَافِداً لِقَلْبٍ إِذَا مَا ضَيَّعَ ٱلنَّاسُ حَصَّلَا

وَشِعْرٍ كَنَوْرِ ٱلرَّوْضِ لَاءَمْتُ بَيْنَهُ بِقَوْلٍ إِذَا مَا أَحْزَنَ ٱلشِّعْرُ أَسْهَلَا

وقدِ استعملَ بشارٌ هٰذا التشبيهَ ونزلَ فيهِ درجةً في قولِهِ مُخاطِباً : [من الطويل]

[خَلَقْنَا] سَمَاءً فَوْقَنَا بِنُجُومِهَا سُيُوفاً وَنَقْعاً يَقْبِضُ ٱلطَّرْفَ أَقْتَمَا

---

(١) انظر « خزانة الأدب » (١١/٥٠) .

(٢) انظر « ديوان امرئ القيس » (ص ٣٨) .

(٣) انظر « ديوان بشار بن برد » (١/٣٣٥) ، و« معاهد التنصيص » (٢/٣٠) .

(٤) الخبر والشعر في « معاهد التنصيص » (٢/٣٠) .

ثمَّ إنَّ الشُّعراءَ مَشَوا علىٰ أثرِ بشارٍ في هٰذا التشبيهِ ؛ قالَ منصورٌ النميريُّ (١) : [من البسيط]

لَيْلٌ مِنَ ٱلنَّقْعِ لَا شَمْسٌ وَلَا قَمَرٌ إِلَّا جَبِينُكَ وَٱلْمَذْرُوبَةُ ٱلشُّرَعُ

وقالَ مسلمُ بنُ الوليدِ (٢) : [من البسيط]

فِي عَسْكَرٍ تُشْرِقُ ٱلْأَرْضُ ٱلفَضَاءُ بِهِ كَٱللَّيْلِ أَنْجُمُهُ ٱلْقُضْبَانُ وَٱلْأَسَلُ

وقالَ ابنُ المعتزِّ وتركَ الليلَ والنجومَ (٣) : [من الطويل]

إِذَا شِئْتُ أَوْقَرْتُ ٱلْبِلَادَ حَوَافِراً وَسَارَتْ وَرَائِي هَاشِمٌ وَنِزَارُ

وَعَمَّ ٱلسَّمَاءَ ٱلنَّقْعُ حَتَّىٰ كَأَنَّهُ دُخَانٌ وَأَطْرَافُ ٱلرِّمَاحِ شَرَارُ

وقالَ المُتنبّي (٤) : [من الكامل]

فَكَأَنَّمَا كُسِيَ ٱلنَّهَارُ بِهَا دُجَا لَيْلٍ وَأَطْلَعَتِ ٱلرِّمَاحُ كَوَاكِبَا

فهٰؤلاءِ فُحولُ الشعراءِ المعدودونَ ، ينبغي أن تَتأمَّلَ كيفَ حالُهُم في المشيِ علىٰ أثرِ ذٰلكَ الشاعرِ الفريدِ ، وقد ضربتُ صفحاً عن كثيرٍ تناولوا ذٰلكَ التشبيهَ كيفَما [تناولوهُ] ، وبيتُ بشارٍ المذكورُ مِنْ قصيدةٍ موجودٌ بعضُها في الكتبِ ، وهيَ مِنَ الشعرِ الرَّصينِ الذي يُعرِبُ عن نفسِهِ بدرجةِ براعتِهِ ، فرأيتُ إثباتَ ما وجدتُ منها ؛ ليتخذَهُ طُلَّابُ الأدبِ سراجاً يمشونَ في ضوئِهِ ، قالَ (٥) : [من الطويل]

جَفَا وِدُّهُ فَٱزْوَرَّ أَوْ مَلَّ صَاحِبُهْ وَأَزْرَىٰ بِهِ أَلَّا يَزَالَ يُعَاتِبُهْ

---

(١) انظر « معاهد التنصيص » (٢/٣١) .
(٢) انظر « معاهد التنصيص » (٢/٣١) .
(٣) انظر « ديوان ابن المعتز » (١/٦٥) .
(٤) انظر « ديوان المتنبي » (ص ٨٢) .
(٥) انظر « ديوان بشار بن برد » (١/٣٢٥) .

خَلِيلَيَّ لَا تَسْتَكْثِرَا لَوْعَةَ ٱلْهَوَىٰ ... وَلَا سَلْوَةَ ٱلْمَحْزُونِ شَطَّتْ حَبَائِبُهْ
إِذَا كُنْتَ فِي كُلِّ ٱلْأُمُورِ مُعَاتِباً ... صَدِيقَكَ لَمْ تَلْقَ ٱلَّذِي لَا تُعَاتِبُهْ
فَعِشْ وَاحِداً أَوْ صِلْ أَخَاكَ فَإِنَّهُ ... مُقَارِفُ ذَنْبٍ مَرَّةً وَمُجَانِبُهْ
إِذَا أَنْتَ لَمْ تَشْرَبْ مِرَاراً عَلَى ٱلْقَذَىٰ ... ظَمِئْتَ وَأَيُّ ٱلنَّاسِ تَصْفُو مَشَارِبُهْ
رُوَيْداً تَصَاهَلْ بِٱلْعِرَاقِ جِيَادُنَا ... كَأَنَّكَ بِٱلضَّحَّاكِ قَدْ قَامَ نَادِبُهْ (١)

ومنها :

وَسَامٍ لِمَرْوَانٍ وَمِنْ دُونِهِ ٱلشَّجَا ... وَهَوْلٌ كَلُجِّ ٱلْبَحْرِ جَاشَتْ غَوَارِبُهْ
أَحَلَّتْ بِهِ أُمُّ ٱلْمَنَايَا بَنَاتِهَا ... بِأَسْيَافِنَا إِنَّا رَدَىٰ مَنْ نُحَارِبُهْ
وَكُنَّا إِذَا دَبَّ ٱلْعَدُوُّ لِسُخْطِنَا ... وَرَاقَبَنَا فِي ظَاهِرٍ لَا نُرَاقِبُهْ
رَكِبْنَا لَهُ جَهْراً بِكُلِّ مُثَقَّفٍ ... وَأَبْيَضَ تَسْتَسْقِي ٱلدِّمَاءَ مَضَارِبُهْ
وَجَيْشٍ كَجُنْحِ ٱللَّيْلِ يَزْحَفُ بِٱلْحَصَىٰ ... وَبِٱلشَّوْكِ وَٱلْخَطِّيِّ حُمْراً ثَعَالِبُهْ

ومنها :

غَدَوْنَا لَهُ وَٱلشَّمْسُ فِي خِدْرِ أُمِّهَا ... تُطَالِعُهَا وَٱلطَّلُّ لَمْ يَجْرِ ذَائِبُهْ
بِضَرْبٍ يَذُوقُ ٱلْمَوْتَ مَنْ ذَاقَ طَعْمَهُ ... وَتُدْرِكُ مَنْ نَجَّى ٱلْفِرَارُ مَثَالِبُهْ

ومنها :

بَعَثْنَا لَهُمْ مَوْتَ ٱلْفُجَاءَةِ إِنَّنَا ... بَنُو ٱلْمَوْتِ خَفَّاقٌ عَلَيْنَا سَبَائِبُهْ
فَرَاحُوا فَرِيقٌ فِي ٱلْأُسَارَىٰ وَمِثْلُهُ ... قَتِيلٌ وَمِثْلٌ لَاذَ بِٱلْبَحْرِ هَارِبُهْ
إِذَا ٱلْمَلِكُ ٱلْجَبَّارُ صَعَّرَ خَدَّهُ ... مَشَيْنَا إِلَيْهِ بِٱلسُّيُوفِ نُعَاتِبُهْ

---

(١) هٰذا البيت ليس في « ديوانه » ، وهو زيادة من « معاهد التنصيص » (٢/٢٩) .

قالَ بعضُ رُجّازِ العربِ[(١)] : [من الرجز]

وَٱلشَّمْسُ كَٱلْمِرْآةِ فِي كَفِّ ٱلْأَشَلّْ

ومنهُ أخذَ القاضي الفاضلُ قولَهُ[(٢)] : [من الكامل]

وَٱلشَّمْسُ مِنْ بَيْنِ ٱلْأَرَائِكِ قَدْ حَكَتْ … سَيْفاً صَقِيلاً فِي يَدٍ رَعْشَاءِ

والشهابُ التَّلَعْفَرِيُّ قولَهُ[(٣)] : [من البسيط]

أَفْدِي ٱلَّذِي زَارَنِي فِي ٱللَّيْلِ مُسْتَتِراً … أَحْلَىٰ مِنَ ٱلْأَمْنِ عِنْدَ ٱلْخَائِفِ ٱلدَّهِشِ

وَلَاحَتِ ٱلشَّمْسُ تَحْكِي عِنْدَ مَطْلَعِهَا … مِرْآةَ تِبْرٍ بَدَتْ فِي كَفِّ مُرْتَعِشِ

وإدريسُ بنُ اليمانيِّ العبديُّ قولَهُ : [من المديد]

قُبْلَةٌ كَانَتْ عَلَىٰ دَهَشِ … أَذْهَبَتْ مَا بِي مِنَ ٱلْعَطَشِ

وَلَهَا فِي ٱلْقَلْبِ مَنْزِلَةٌ … لَوْ عَدَتْهَا ٱلنَّفْسُ لَمْ تَعِشِ

طَرَقَتْنِي وَٱلدُّجَا لَبِسٌ … خِلَعاً مِنْ جِلْدَةِ ٱلْحَبَشِ

وَكَأَنَّ ٱلنَّجْمَ حِينَ بَدَا … دِرْهَمٌ فِي كَفِّ مُرْتَعِشِ

[مِن أنواعِ التَّشبيهِ]

ومِنَ التشبيهِ نوعٌ سَمَّوهُ تشبيهاً ضمنيّاً أو مكنيّاً عنهُ ، كقولِ أبي الطيبِ يُخاطِبُ سيفَ الدولةِ ابنَ حمدانَ[(٤)] : [من الوافر]

رَأَيْتُكَ فِي ٱلَّذِينَ أَرَىٰ مُلُوكاً … كَأَنَّكَ مُسْتَقِيمٌ فِي مُحَالِ

---

(١) هو الشماخ الذبياني رضي الله عنه في « ديوانه » (ص ٣٩٤) .

(٢) انظر « ديوان القاضي الفاضل » (ص ٤٤٠) .

(٣) انظر « معاهد التنصيص » (٢/٣٣) .

(٤) انظر « ديوان المتنبي » (ص ٢٠٧) .

فَإِنْ تَفُقِ ٱلْأَنَامَ وَأَنْتَ مِنْهُمْ   فَإِنَّ ٱلْمِسْكَ بَعْضُ دَمِ ٱلْغَزَالِ

فقد تَضمَّنَ احتجاجُهُ لدعواهُ تشبيهَ الممدوحِ بالمِسكِ في أنَّ كلّاً مباينٌ لأصلِهِ بخصائصَ جعلَتْهُ حقيقةً منفردةً ، واستعملَ هٰذا التشبيهَ مَرَّةً ثانيةً في نفسِهِ حيثُ يقولُ[1] : [من الوافر]

وَمَا أَنَا مِنْهُمُ بِٱلْعَيْشِ فِيهِمْ   وَلَٰكِنْ مَعْدِنُ ٱلذَّهَبِ ٱلرَّغَامُ

ومِنَ الطَّرائفِ : ما يُحكىٰ : أنَّ بعضَ الناسِ قالَ لأبي الطيبِ : إنَّ القافيةَ ألجأَتْكَ إلىٰ مقابلةِ المستقيمِ بالمُحالِ ، وإنَّما يقابلُهُ المُعْوَجُّ ، وماذا كنتَ تقولُ في قافيةِ البيتِ الثاني لو قلتَ في الأوَّلِ : كأنكَ مستقيمٌ في اعوجاجٍ ؟ فقالَ : كنتُ أقولُ : فإنَّ البيضَ بعضُ دمِ الدَّجاجِ .

ثمَّ إنَّ المقابلةَ صحيحةٌ ؛ **إذِ المُحالُ في اللغةِ** : هوَ المصروفُ عن جهةِ قصدِهِ ، فهوَ مُعوَجٌّ ، والمُحالُ بمعنى الممتنعِ . . استعمالٌ اصطلاحيٌّ بينَ أهلِ عِلْمِ الكلامِ ، وليسَ لغويّاً .

ومثلُ قولِ محمدِ بنِ وهبٍ[2] : [من الكامل]

وَبَدَا ٱلصَّبَاحُ كَأَنَّ غُرَّتَهُ   وَجْهُ ٱلْخَلِيفَةِ حِينَ يُمْتَدَحُ

يُسمَّى : **التشبيهَ المقلوبَ** .

ومثلُ قولِ أبي الطيبِ[3] : [من الوافر]

بَدَتْ قَمَراً وَمَالَتْ خُوطَ بَانٍ   وَفَاحَتْ عَنْبَراً وَرَنَتْ غَزَالَا

التشبيهُ المفروقُ .

---

(١) انظر « ديوان المتنبي » (ص ٧٣) .
(٢) هو محمد بن وُهيب الحميري ، كما في « شعراء عباسيون » (١/٦٩) .
(٣) انظر « ديوان المتنبي » (ص ١٠٧) .

ومثلُ قولِ امرئِ القيسِ[1] : [من الطويل]

كَـأَنَّ قُـلُـوبَ ٱلـطَّـيْـرِ . . .

التشبيهُ الملفوفُ .

ومثلُ قولِهِ[2] : [من الطويل]

حَـمَـلْـتُ رُدَيْـنِـيّـاً كَـأَنَّ سِـنَـانَـهُ   سَـنَـا لَـهَـبٍ لَـمْ يَـتَّـصِـلْ بِـدُخَـانِ

تشبيهُ التفصيلِ .

وقد يُترَكُ التشبيهُ إلى الحُكْمِ بالتشابهِ ؛ فِراراً مِنْ ترجيحِ أحدِ المتساويَينِ في رأيِ المُتكلِّمِ ، مثلُ قولِ الصاحبِ إسماعيلَ بنِ عبَّادٍ[3] : [من الكامل]

رَقَّ ٱلـزُّجَـاجُ وَرَاقَـتِ ٱلْـخَـمْـرُ   فَـتَـشَـابَـهَـا وَتَـشَـاكَـلَ ٱلْأَمْـرُ

فَـكَـأَنَّـمَـا خَـمْـرٌ وَلَا قَـدَحٌ   وَكَـأَنَّـمَـا قَـدَحٌ وَلَا خَـمْـرُ

وعن هٰذا المعنىٰ عَبَّرَ بعضُ المغاربةِ بقولِهِ[4] : [من الكامل]

خَـفِـيَـتْ عَـلَـىٰ شُـرَّابِـهَـا فَـكَـأَنَّـمَـا   يَـجِـدُونَ رَيّـاً مِـنْ إِنَـاءٍ فَـارِغِ

ومثلُ قولِ أبي إسحاقَ إبراهيمَ بنِ هلالٍ الصَّابئِ[5] : [من الطويل]

تَـشَـابَـهَ دَمْـعِـي إِذْ جَـرَىٰ وَمُـدَامَـتِـي   فَمِنْ مِثْلِ مَا فِي ٱلْكَأْسِ عَيْنِيَ تَسْكُبُ

فَـوَٱللهِ مَـا أَدْرِي أَبِـٱلْـخَـمْـرِ أَسْـبَـلَـتْ   جُفُونِيَ أَمْ مِنْ عَبْرَتِي كُنْتُ أَشْرَبُ

---

(١) تقدم تخريجه قريباً (٣٤/٢) ، والبيت بتمامه :

كَـأَنَّ قُـلُـوبَ ٱلـطَّـيْـرِ رَطْـبـاً وَيَـابِـسـاً   لَـدَىٰ وَكْـرِهَـا ٱلْـعُـنَّـابُ وَٱلْـحَـشَـفُ ٱلْـبَـالِـي

(٢) كذا في « معاهد التنصيص » (٩٢/٢) .

(٣) انظر « ديوان الصاحب » (ص ١٧٦) .

(٤) هو جعفر المصحفي ، كما في « نفح الطيب » (٥٩٤/١) .

(٥) انظر « معاهد التنصيص » (٥٩/٢) .

ومِنَ المُشبَّهِ بهِ : ما يكونُ أمراً وهميّاً يَحصُلُ بهِ غرضُ التشبيهِ ؛ كقولِ امرئِ القيسِ في تشبيهِ النِّبالِ[1] : [من الطويل]

وَمَسْنُونَةٌ زُرْقٌ كَأَنْيَابِ أَغْوَالِ

يُحكىٰ : أنَّ بعضَ المُلحدينَ الذينَ يتهالكونَ في طلبِ مَثْلَبةٍ يميلونَ بها إلى القرآنِ . . قالَ في مجلسِ بعضِ الملوكِ : ما حُسْنُ التشبيهِ بما لا يَعرِفُهُ الناسُ في قولِهِ : ﴿ طَلْعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴾ ؟![2] .

فقالَ بعضُ العلماءِ الحاضرينَ : انصِبوا لي مِنبراً أجيبُ فوقَهُ عن مسألةِ هٰذا ، فلم يزدْ حينَ علاهُ أن أنشدَ قولَ امرئِ القيسِ هٰذا ، فخَرِسَ المُلحِدُ ، وفرحَ المجلسُ .

وقد شَبَّهَ بعضُهُم بأمرٍ اخترعَهُ ؛ كقولِ الصَّنوبريِّ[3] : [من مجزوء الكامل]

وَكَأَنَّ مُحْمَرَّ ٱلشَّقِيـ ـقِ إِذَا تَصَوَّبَ أَوْ تَصَعَّدْ
أَعْلَامُ يَاقُوتٍ نُشِرْ نَ عَلَىٰ رِمَاحٍ مِنْ زَبَرْجَدْ

وكقولِ القاضي التنوخيِّ وهوَ مِنَ العباراتِ النيرةِ[4] : [من المتقارب]

وَرَاحٌ مِنَ ٱلشَّمْسِ مَخْلُوقَةٌ تَضَمَّنَهَا قَدَحٌ مِنْ نَهَارِ
هَوَاءٌ وَلَٰكِنَّهُ جَامِدٌ وَمَاءٌ وَلَٰكِنَّهُ غَيْرُ جَارِ
كَأَنَّ ٱلْمُدِيرَ لَهَا بِٱلْيَمِينِ إِذَا مَالَ بِٱلشُّرْبِ أَوْ بِٱلْيَسَارِ

---

(١) انظر « ديوانه » (ص ٣٣) والبيت بتمامه :
أَيَقْتُلُنِي وَٱلْمَشْرِفِيُّ مُضَاجِعِي وَمَسْنُونَةٌ زُرْقٌ كَأَنْيَابِ أَغْوَالِ
(٢) سورة الصافات : (٦٥) .
(٣) انظر « معاهد التنصيص » (٢/٤) .
(٤) انظر « يتيمة الدهر » (٢/٣٩٧) .

تَــدَرَّعَ ثَــوْبــاً مِــنَ ٱلْــيَــاسَــمِــيــنِ ... لَــهُ فَــرْدُ كُــمٍّ مِــنَ ٱلْــجُــلَّــنَــارِ

وهٰذا وإن كـــانَ حسناً لٰكنَّهُ ليسَ في الفضلِ مثلَ قولِ ابنِ الروميّ (١) : [من البسيط]

وَلَازَوَرْدِيَّــةٌ تَــزْهُــو بِــزُرْقَــتِــهَــا ... بَيْنَ ٱلرِّيَاضِ عَلَىٰ حُمْرِ ٱلْيَوَاقِيتِ

كَأَنَّـهَا فَوْقَ قَامَاتٍ ضَعُفْنَ بِهَا ... أَوَائِلُ ٱلنَّارِ فِي أَطْرَافِ كِبْرِيتِ

فالتشبيهُ بينَ الأشياءِ المُحقَّقةِ أدلُّ على النَّباهةِ ، وأعجبُ للنفوسِ ، ووقعَ هٰذا التشبيهُ لشاعرٍ آخَرَ ، ولٰكنْ ليسَتْ عبارتُهُ في سَلاسةِ عبارةِ ابنِ الروميّ ، قالَ (٢) : [من البسيط]

بَنَفْسَجٌ بِذَكِيِّ ٱلْمِسْكِ مَخْصُوصُ ... مَا فِي زَمَانِكَ إِنْ [وَافَاكَ] تَنْغِيصُ

كَأَنَّمَا شُعَلُ ٱلْكِبْرِيتِ مَنْظَرُهُ ... أَوْ خَدُّ أَغْيَدَ بِٱلتَّخْمِيشِ مَقْرُوصُ

[مِن شواهدِ التشبيهِ]

هٰذا ؛ وليسَ كلُّ ما فيهِ الكافُ أو (كأنَّ) . . يُعَدُّ في نظرِ أهلِ صناعةِ الكلامِ العارفينَ بها الواقفينَ علىٰ أسرارِها الملتفتينَ إلىٰ دقائقِها ، وإنَّما التشبيهُ ما جَلَّتْ فائدتُهُ ، وحَسُنَ موقعُهُ مِنْ غرضِهِ ، واعتبرْ هٰذا بتشبيهاتٍ نَختِمُ بها شواهدَ التشبيهِ ؛ قالَ بعضُ العربِ (٣) : [من الطويل]

وَلَمَّا بَدَا لِي مِنْكَ مَيْلٌ مَعَ ٱلْعِدَا ... عَلَيَّ وَلَمْ يَحْدُثْ سِوَاكَ بَدِيلُ

صَدَدْتُ كَمَا صَدَّ ٱلرَّمِيُّ تَطَاوَلَتْ ... بِهِ مُدَّةُ ٱلْأَيَّامِ وَهْوَ قَتِيلُ

---

(١) انظر « ديوان ابن الرومي » (١/٣٩٤) .

(٢) انظر « معاهد التنصيص » (٢/٥٧) .

(٣) انظر « شرح الحماسة » للتبريزي (٣/١٤٤) .

ولراشدِ ابنِ حُكَيْمةَ الكاتبِ حيثُ انتهتْ بهِ السِّنُّ إلىٰ ضَعفِ عضوِ التناسلِ[(١)] : [من الطويل]

يَـنَـامُ عَـلَـىٰ كَـفِّ ٱلْـفَـتَـاةِ وَتَـارَةً ... لَـهُ حَـرَكَـاتٌ لَا يُـحِـسُّ بِـهَـا ٱلْـكَـفُّ
كَمَا يَرْفَعُ ٱلْفَرْخُ ٱبْنُ يَوْمَيْنِ رَأْسَهُ ... إِلَـىٰ أَبَـوَيْـهِ ثُـمَّ يُـدْرِكُـهُ ٱلـضَّـعْـفُ

ولم يبقَ في أيدي الناسِ إذ ذاكَ مِنْ شعرِ راشدٍ هٰذا . . إلَّا شعرُهُ في هٰذا المعنىٰ ، وهوَ كثيرٌ ، وفيهِ محاسنُ ، وتناقلَهُ المُؤلِّفونَ في كتبِ الأدبِ .

وقالَ ابنُ الرُّوميِّ[(٢)] : [من البسيط]

مَا أَنْسَىٰ لَا أَنْسَىٰ خَبَّازاً مَرَرْتُ بِهِ ... يَدْحُو ٱلرُّقَاقَةَ وَشْكَ ٱللَّمْحِ بِٱلْبَصَرِ
مَـا بَـيْـنَ رُؤْيَـتِـهَـا فِـي كَـفِّـهِ كُـرَةً ... وَبَـيْـنَ رُؤْيَـتِـهَـا قَـوْرَاءَ كَـٱلْـقَـمَـرِ
إِلَّا بِـمِـقْـدَارِ مَـا تَـنْـدَاحُ دَائِـرَةٌ ... فِي صَفْحَةِ ٱلْمَاءِ يُلْقَىٰ فِيهِ بِٱلْحَجَرِ

وقالَ ابنُ رشيقٍ[(٣)] : [من الكامل]

وَمُهَفْهَفٍ يَحْمِيهِ عَنْ نَظَرِ ٱلْوَرَىٰ ... غَيْرَانُ سُكْنَى ٱلْمُلْكِ تَحْتَ قِبَابِهِ
أَوْمَـا إِلَـيَّ أَنِ ٱئْـتِـنِـي فَـأَتَـيْـتُـهُ ... وَٱلْفَجْرُ يُنْظَرُ مِنْ خِلَالِ [نِقَابِهِ][(٤)]
فَضَمَمْتُهُ لِلصَّدْرِ حَتَّى [ٱسْتَوْهَبَتْ] ... مِنِّي ثِيَابِي [بَعْضَ] طِيبِ ثِيَابِهِ
وَكَـأَنَّ قَـلْـبِـي مِـنْ وَرَاءِ ضُـلُـوعِـهِ ... طَـرَبـاً يُـخَـبِّـرُ قَـلْـبَـهُ عَـمَّـا بِـهِ

---

(١) انظر « ثمار القلوب » (٣٦٧/١) ، و« فوات الوفيات » (١٨/٢) وفيه : (راشد بن إسحاق . . . يلقب أبا حُكيمة) .
(٢) انظر « ديوان ابن الرومي » (١١١٠/٣) .
(٣) انظر « ديوان ابن رشيق » (ص ٤٦ ـ ٤٧) .
(٤) في الأصل : (سحابه) .

ومِنْ أحسنِ التشابيهِ في خفقانِ القلبِ : قولُ مَنْ قالَ [1] : [من الطويل]

وَلِـي كَـبِـدٌ حَـرَّىٰ وَنَـفْـسٌ كَـأَنَّـهَـا ... بِـكَـفِّ عَـدُوٍّ مَـا يُـرِيـدُ سَـرَاحَـهَـا
كَـأَنَّ عَـلَـىٰ قَـلْـبِـي قَـطَـاةً تَـذَكَّـرَتْ ... عَـلَـىٰ ظَـمَـأٍ وِرْداً فَـهَـزَّتْ جَـنَـاحَـهَـا

والتشبيهُ الذي يكونُ المُشبَّهُ بهِ فيهِ مُركَّباً ، فيكونُ وجهُ الشَّبَهِ مُنتزَعاً مِنَ المجموعِ . . يُسمَّىٰ : **تشبيهَ التمثيلِ** ؛ فمتىٰ حذفتَ منهُ المُشبَّهَ والأداةَ . . صارَ **استعارةً تمثيليةً** ، ومتىٰ صَلَحَ لأن يُستعمَلَ في مواضعَ كثيرةٍ استشهاداً أوِ استرواحاً وتأسِّياً . . سُمِّيَ : **مَثَلاً** ، قالَ [2] : [من الطويل]

كَـمَـا أَبْـرَقَـتْ قَـوْماً عِـطَـاشاً غَـمَـامَـةٌ ... فَـلَـمَّـا رَأَوْهَـا أَقْـشَـعَـتْ وَتَـجَـلَّـتِ

وقالَ آخَرُ [3] : [من الوافر]

هَـجَـرْتُـكَ لَا قِـلـىً مِـنِّـي وَلَـٰكِـنْ ... رَأَيْـتُ بَـقَـاءَ وُدِّكَ فِـي ٱلـصُّـدُودِ
كَـهَـجْـرِ ٱلْـحَـائِـمَـاتِ ٱلْـوِرْدَ لَـمَّـا ... رَأَتْ أَنَّ ٱلْـمَـنِـيَّـةَ فِـي ٱلْـوُرُودِ
تَـفِـيـضُ نُـفُـوسُـهَـا ظَـمَـأً وَتَـخْـشَـىٰ ... حِـمَـاماً فَـهْـيَ تَـنْـظُـرُ مِـنْ بَـعِـيـدِ

فلو قلتَ : هجرَتِ الحائماتُ الوِردَ حينَ رأتِ الأرصادَ ، فهيَ تنظرُ سببَ حياتِها وتَخشىٰ سببَ موتِها . . **كانَ استعارةً تمثيليةً** ، كما قيلَ أخذاً مِنْ هـٰذا : [من الوافر]

أَرَىٰ مَـاءً . . . . (البيتَ) [4] .

---

(١) هو ديك الجن في « ديوانه » (ص ١٠٢) .
(٢) انظر « معاهد التنصيص » (٢/٥١) .
(٣) انظر كتاب « المحب والمحبوب » للسري الرفاء (٢/٧٠ ـ ٧١) .
(٤) تقدم (٢/٢٥) ، والبيت بتمامه :
أَرَىٰ مَـاءً وَبِـي ظَـمَـأٌ شَـدِيـدٌ ... وَلَـٰكِنْ لَا سَـبِـيـلَ إِلَى ٱلْـوُرُودِ

[مِن أمثلةِ الاستعارةِ]

وكفاكَ هـٰذا القدْرُ مِنْ أمثلةِ التشبيهِ مِعياراً تَعرِفُ بهِ جودةَ ما يَرِدُ عليكَ منهُ ، ولنمضِ بكَ حينَئذٍ في أمثلةِ الاستعارةِ ؛ قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾ (١) .

الباطلُ : هوَ الأحكامُ التي مِنْ جهتِها يَدخُلُ الفسادُ على الحالةِ التي هيَ صلاحُ الكافَّةِ ، وبضدِّها تَتميَّزُ الأشياءُ ؛ فالحقُّ خلافُ الباطلِ ، وزهوقُ نفسِ الحيِّ مفارقتُها بدنَهُ ، والباطلُ ليسَ حيواناً ، فيكونُ لفظُ الزُّهوقِ مُستعمَلاً في غيرِ ما وُضِعَ لهُ ؛ وهوَ اضمحلالُ الباطلِ وذهابُهُ مِنَ الكونِ ، فيُعرِّفُنا هـٰذا أنَّ الباطلَ قد شُبِّهَ بذي رُوحٍ يكونُ بهِ حيّاً يَعملُ أعمالَهُ التي أعدَّهُ اللهُ لعملِها ، وتفارقُهُ فلا يستطيعُ عملاً ؛ فالاستعارةُ مكنيةٌ حيثُ كانَ المذكورُ في الكلامِ مِنْ طرفَيِ التشبيهِ هوَ المُشبَّهَ ، والمُشبَّهُ بهِ غيرُ مذكورٍ ، مشارٌ إليهِ بما هوَ لهُ خاصَّةٌ ؛ وذٰلكَ هوَ المُسمَّىٰ : **قرينةَ المكنيَّةِ** .

ويظهرُ لكَ مِنَ التقريرِ : أنَّهُ هنا استعارةٌ تحقيقيةٌ تصريحيةٌ تبعيَّةٌ ، وهـٰذا الكلامُ معَ شِدَّةِ اختصارِهِ يفيدُ بسببِ الاستعارةِ المكنيةِ ما لا تفيدُهُ الحقيقةُ التي هيَ (ذهبَ الباطلُ) ، ومَنْ لم يكنْ آتاهُ اللهُ عِلْمَ أسرارِ الصناعةِ الكلاميَّةِ . . يُخيَّلُ لهُ أنَّ الكلامَ لو كانَ (جاءَ الحقُّ وذهبَ الباطلُ) . . كانَ مُشتمِلاً علىٰ حسنِ (المطابقةِ) التي هي مِنَ الوجوهِ التي تكسو الكلامَ حسناً ، كما يُعربُ عنه فنُّ البديعِ ، ويكونُ كقولِهِ قبلُ : ﴿ أَدْخِلْنِى مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِى مُخْرَجَ صِدْقٍ ﴾ (٢) .

وبيانُ ما تفيدُهُ الاستعارةُ المكنيةُ : هوَ تصويرُها لفكرِ المُتعقِّلِ الباطلَ في

---

(١) سورة الإسراء : (٨١) .

(٢) سورة الإسراء : (٨٠) .

صورةِ وقُوَّةِ الحقّ الذي يبطلُها ويزيلُها ، وأنَّهُ يجبُ أن يكونَ إلـٰهيّاً ، ﴿ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ﴾ (١) ، ﴿ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ﴾ (٢) .

وطريقُ تصويرِ الباطلِ في صُوَرِهِ : أنَّهُ لمَّا شَبَّهَهُ بذي رُوحٍ دونَ تخصيصِ حيوانٍ . . أوجبَ أن يلتفتَ فكرُكَ إلىٰ سائرِ أنواعِ الحيوانِ وخواصّ كلِّ نوعٍ ، وحينَئذٍ تقولُ : الباطلُ مثلُ السِّباعِ العاديةِ افتراساً مجاهرةً أو ختلاً أو بالمكرِ والحِيلةِ ، فتُشبِّهُ باطلاً بأسدٍ ، وباطلاً بذئبٍ ، وباطلاً بثعلبٍ ، وباطلاً بغُرابٍ وحِدَأَةٍ ، وباطلاً بثورٍ وحمارٍ . . . إلىٰ غيرِ ذٰلكَ ، وأشدُّ الباطلِ وأنكرُهُ ما يكونُ شَبَهَ الإنسانِ ؛ حيثُ كانَ الإنسانُ جامعاً لسائرِ خصائصِ جميعِ الأنواعِ ؛ فالبعضُ يعملُ بالقهرِ والعُدوانِ والسَّلاطةِ ، والبعضُ بالمكرِ والحِيلةِ والتملُّقِ ، والبعضُ بالاختلاسِ والاختتالِ والاختطافِ .

مثلاً : قبيلةُ طيّئٍ أو قبيلةُ نُمَيرٍ كَثُرَ فيها العَدَدُ والعُدَدُ ، وقبائلُ أخرىٰ دونَها ، فكانَ مِنْ أحكامِها الباطلةِ التي تُنفِّذُها بالقهرِ والسَّلاطةِ فتشبهُ السبعَ . . أنَّهُ إذا قَتَلَ واحدٌ مِنَ القبيلةِ الضَّعيفةِ واحداً مِنَ القبيلةِ القويَّةِ ؛ فإمَّا أن يطلبوا منهُم للقتلِ في ثأرِ قتيلِهِم عشرةً أو عشرينَ ، فإن سلَّموا وإلَّا . . صبَّحَتْهُمُ الخيلُ بالغارةِ ، فقتلوا الرجالَ ، وسَبَوُا النساءَ جواريَ ، والأولادَ عبيداً ، فربَّما أفنَتْ قبيلةٌ قبيلةً ، وأنَّ حُرَّ الضَّعيفةِ وإن لم يكنِ القاتلَ بعبدِ القويَّةِ ، وأنَّ الشيءَ المغصوبَ يُستَرَدُّ مُضاعفاً . . . إلىٰ غيرِ ذٰلكَ مِنَ الأحكامِ التي تُطلِعُكَ عليها تواريخُ تلكَ الأُمَّةِ .

ومِنَ الباطلِ الذي يَحسُنُ تشبيهُهُ بحيواناتِ المكرِ والحيلةِ والختلِ : ما

---

(١) سورة الأنفال : (٦٣) .

(٢) سورة الأنفال : (١٧) .

يَصدُرُ عنِ الأشخاصِ الذين يَفتَرونَ على اللهِ الكذبَ ، فيدَّعونَ أنَّهُ تعالىٰ شأنُهُ اختصَّهُم بأسرارٍ أهَّلَتْهُم ليكونوا رؤساءَ ينظرونَ في مصالحِ جمعٍ مِنَ الناسِ وتكميلِ أرواحِهِم ، ويَجعلونَ ذٰلكَ طريقةً إلىٰ أغراضِهِم وشهواتِهِم باستعبادِ ذٰلكَ الجمعِ وتسييرِهِ في تحصيلِها مُخيّلينَ لهُم أنَّهُم في طاعةِ خالقِهِم ، ومِنْ باطلِ بعضِ هٰؤلاءِ ما يَحسُنُ تشبيهُهُ بالإنسانِ .

وأمَّا الباطلُ الذي يَحسُنُ تشبيهُهُ بأغبياءِ الحيواناتِ : فهوَ باطلُ أولٰئكَ الناسِ الذين يريدونَ التوصُّلَ إليهِ بالانحيازِ إلىٰ بعضِ الظَّلَمةِ ، وما أشبهَ ذٰلك .

وَمَنْ يَجْعَلِ ٱلضِّرْغَامَ بَازاً لِصَيْدِهِ تَصَيَّدَهُ الضِّرْغَامُ فِيمَنْ تَصَيَّدَا (١)

ومَنْ أرادَ أن يَقدُرَ كلامَ اللهِ حقَّ قدرِهِ ، ويعرفَ مقاصدَ البلغاءِ المعدودينَ . . لزمَهُ ألَّا يَنصرِفَ بالنظرةِ الحمقاءِ ، بل يُكرِّرَ الفكرَ مَرَّةً بعدَ مَرَّةٍ ، ووقتاً بعدَ وقتٍ ، حتىٰ يقفَ علىٰ أسرارِ البلاغةِ .

قالَ صاحبُ « المثلِ السائرِ » : (كنتُ أقرأُ في اليومِ ختمةً ، ثمَّ في الشهرِ ، ثمَّ في السنةِ ، ثمَّ هـٰأنا أقرأُ في ختمةٍ منذُ كذا وكذا سنةً ولم أفرُغْ منها ، وكلَّما أعدتُ النظرَ . . ظهرَ لي ما لم يكنْ قبلُ ظهرَ) .

وقدْ جاءَتْ هـٰذهِ الاستعارةُ مقرونةً بأخرىٰ في قولِهِ جلَّ ذكرُهُ : ﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ﴾ (٢) .

ففيهِ استعارتانِ مَكنيَّتانِ ، مِنْ جهتِهِما يَخرُجُ بكَ الفكرُ إلىٰ تلكَ المعاني ، فتفاوتُ الباطلِ الذي هوَ كتفاوتِ الحيواناتِ . . يُوجِبُ التفاتَكَ إلى التفاوتِ بينَ الأحجارِ المقذوفةِ ؛ فالفيلُ لا يَدمَغُهُ الحجرُ الذي يَدمَغُ الثعلبَ .

---

(١) من الطويل ، وهو للمتنبي في « ديوانه » (ص ٢٨١) .

(٢) سورة الأنبياء : (١٨) .

وبما تَقرَّرَ تَعرِفُ أنَّهُ لا يَصِحُّ الاقتصارُ علىٰ أن تقولَ : شَبَّهَ كذا بكذا ، واستُعِيرَ كذا لكذا .

وقالَ تعالىٰ : ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (١) .

كلمةُ (الشفاءِ) التي معناها زوالُ المرضِ تخبرُنا أنَّ في الآيةِ استعارتَينِ :

فإن كانَ المعنىٰ : وننزلُ مِنَ القرآنِ آياتٍ تشفي الجهلاءَ المؤمنينَ . . فالاستعارتانِ مَكنيَّتانِ ؛ **الأُولىٰ** : أصليةٌ ، **والثانيةُ** : تبعيةٌ .

وإن كانَ المعنىٰ : وننزلُ مِنَ القرآنِ أدويةً تشفي المرضى المؤمنينَ . . فالاستعارتانِ مُصرَّحتانِ ؛ **أصليةٌ** ، **وتبعيةٌ** .

وفيهِ ـ كما صارَ لا يَخفىٰ عليكَ ـ التنبيهُ علىٰ تفاوتِ الجهالاتِ والبراهينِ كتفاوتِ الأمراضِ والأدويةِ ؛ فمِنَ الجهلِ ما يزولُ بالإشارةِ ، ومنهُ ما يُحتاجُ زوالُهُ إلى العبارةِ ، وربَّما لم يجدْ إلَّا تضافرَ الأدلَّةِ .

ويُنوِّرُ عليكَ هـٰذا النظرَ إلىٰ مبدأ تحصُّلِ أُمَّةِ الإسلامِ ؛ وذٰلكَ أنَّ رجلاً علىٰ أكملِ ما يكونُ مِنْ خصائصِ الإنسانيةِ قامَ يَدَّعي أنَّ أمراً سماويّاً جاءَهُ بغتةً يُعَلِّمُهُ ليُعلِّمَ الناسَ ويرشدَهُم إلىٰ مصالحِهِم ، فارتاعَ ، وكانَ أوَّلَ مَنْ أخبرَ بما رأى السيدةُ خديجةُ ، فآمنَتْ بهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ ورضيَ عنها ، قائلةً : كلَّا واللهِ ؛ لا يُخزِيكَ اللهُ أبداً ؛ إنَّكَ لَتصلُ الرحمَ ، وتَحمِلُ الكَلَّ ، وتَكسِبُ المعدومَ ، وتُعِينُ علىٰ نوائبِ الحقِّ ، فهـٰذهِ السيدةُ وأشباهُها مِنَ المؤمنينَ اكتفَوا في تصديقِ دعواهُ بتصوُّرِ أنَّ مَنْ كانَ مِنَ الكمالاتِ في تلكَ الدرجةِ . . لا يكونُ أمرُهُ شيطانيّاً .

وغيرُ هـٰؤلاءِ احتاجوا إلىٰ إباناتٍ وتنويراتٍ مختلفةٍ حَسَبَ ما يظهرُ لكَ

---

(١) سورة الإسراء : (٨٢) .

مِنَ الاطِّلاعِ علىٰ تواريخِ إسلامِ المسلمينَ ، حتىٰ قيلَ : أقلُّ الإيمانِ فضلاً الإيمانُ عنِ المعجزةِ .

وقالَ تعالىٰ : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ (١) .

علىٰ : حرفٌ موضوعٌ ليُستعمَلَ في ارتباطاتٍ جزئيةٍ بينَ شيءٍ وما قَرَّ فوقَهُ ؛ الجبالُ على الأرضِ ، وجدارٌ علىٰ أساسٍ ، وإنسانٌ علىٰ دابَّةٍ ، **والهُدىٰ** هنا : هوَ الأمرُ الذي كانَ سبباً في جزمِ المؤمنِ بحقيَّةِ ما أُمِرَ بهِ مِنِ اعتقادٍ وقولٍ وعملٍ ، وإنَّ ذٰلكَ يصلُ بهِ مِنَ السعادةِ إلى الغايةِ التي أُعِدَّتْ لهُ .

فإن كانَ الغرضُ : تشبيهَ ارتباطِ المؤمنِ بذٰلكَ السببِ الذي هوَ البرهانُ أوِ العِيانُ الكشفيُّ ، بالارتباطِ بينَ الجبلِ والأرضِ مثلاً . . **فالاستعارةُ تبعيةٌ** ؛ فإنَّ فكرَكَ يقولُ : الارتباطُ كالارتباطِ ، وهٰذا الارتباطُ المطلقُ الذي جرىٰ فيهِ التشبيهُ ليسَ معنى الحروفِ ، ولٰكنْ جزئياتُهُ ، وإذا جرىٰ تشبيهُ المطلقِ بالمطلقِ . . فألبتةَ يَحصُلُ تشبيهُ الجزئياتِ بالجزئياتِ ، فالحاصلُ مدحُ المتقينَ الذينَ يؤمنونَ بالغيبِ . . . إلىٰ آخِرِهِ بالثباتِ وتمامِ الاستقرارِ ، كما هو صفةُ الجبالِ ، ولا يَذهبُ عليكَ ملاحظةُ الإشارةِ إلى التفاوتِ .

وإن كانَ الغرضُ : تشبيهَ الهدى الذي يصلُ بصاحبِهِ إلىٰ تلكَ الغايةِ ، بالمطيَّةِ التي تصلُ براكبِها إلىٰ مَقصِدِهِ . . **فالاستعارةُ مكنيَّةٌ** ، ومِنْ قبيلِ هٰذهِ الاستعارةِ قولُهُم : ركبَ مَطِيَّةَ الجهلِ وغوىٰ ، واقتعدَ غاربَ الهوىٰ ، وقولُهُ (٢) : [من الطويل]

صَحَا ٱلْقَلْبُ عَنْ سَلْمَىٰ وَأَقْصَرَ بَاطِلُهْ وَعُرِّيَ أَفْرَاسُ الصِّبَا وَرَوَاحِلُهْ

---

(١) سورة البقرة : (٥) .

(٢) هو زهير بن أبي سلمىٰ في « ديوانه » (ص ١٠١) .

وقالَ تعالىٰ : ﴿ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ ﴾ (١) .

الختمُ والطَّبعُ يَدُلُّ علىٰ تشبيهِ القلوبِ بصناديقَ مثلاً ؛ ففي الكلامِ استعارةٌ مكنيةٌ ، قرينتُها لفظُ (ختمَ) ، فيفيدُ الكلامُ أنَّ أولـٰئكَ بمنزلةِ الجماداتِ ؛ بحيثُ إنَّها لو كانَ فيها شيءٌ . . لم تكنْ مُنتفِعةً بهِ ، وقد جُعِلَتْ بحيثُ لا يمكنُ أن يَدخُلَ فيها شيءٌ ، فلا يَطمَعُ طامعٌ في إيمانِهِم .

وعلىٰ تشبيهِ القلوبِ بالمُستودَعاتِ أوِ المساكنِ مثلاً قولُهُ تعالىٰ : ﴿ وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ ﴾ (٢) .

وقالَ عليهِ الصلاةُ والسلامُ : « لَا يُلْدَغُ ٱلْمُؤْمِنُ مِنْ جُحْرٍ مَرَّتَيْنِ » (٣) .

إذا قلتَ : أدخلَ فلانٌ يدَهُ في جُحْرٍ ، فلدغَتْهُ لادغةٌ ، ثمَّ أعادَها فلدغَتْهُ مَرَّةً ثانيةً . . فتلكَ استعارةٌ تمثيليةٌ ؛ أصلُها : أن تُشبِّهَ بهـٰذهِ الحالةِ حالةَ مَنْ يُصابُ بمكروهٍ مِنْ أمرٍ ، ثمَّ يَحمِلُهُ فَرْطُ الشَّهوةِ والطَّمعِ علىٰ مُغالطةِ نفسِهِ ، فيعودُ فيُصابُ بما أصابَهُ .

مثلاً : يأكلُ إنسانٌ طعاماً يَستلِذُّهُ ، فلا يوافقُ مِزاجَهُ ، فيُمرِضُهُ ، فتَحمِلُهُ اللَّذةُ منهُ علىٰ أن يقولَ : ذٰلكَ الوقتُ كانَ حارّاً ، وقد بَرَدَ الزمنُ ، أو كانَ ذٰلكَ الانحرافُ عنِ الاعتدالِ بسببٍ آخَرَ .

يُحكىٰ : أنَّ الجاحظَ كانَ علىٰ مائدةِ بعضِ الأُمراءِ ومعَهُم حكيمٌ ، فنهى الجاحظَ عنِ الجمعِ بينَ اللَّبَنِ والسَّمكِ ، فقال الجاحظُ : إن كانا حارَّينِ أو باردَينِ . . فالأكلُ منهُما كالإكثارِ مِنْ أحدِهِما ، وإن كانا مُختلفَينِ . . عَدَّلَ بعضُهُما بعضاً ، فقالَ الحكيمُ : أعرفُ أنَّ هـٰذا

---

(١) سورة البقرة : (٧) .

(٢) سورة الحجرات : (١٤) .

(٣) أخرجه البخاري (٦١٣٣) ، ومسلم (٢٩٩٨) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

يَحصُلُ عنهُ في العادةِ الفالجُ ، ولستُ خطيباً ، فأصبحَ الجاحظُ مفلوجاً عفا اللهُ عنهُ[1] .

والاستعارةُ في كلامِ اللهِ تعالىٰ وفي كلامِ نبيِّهِ تجاوزُ حدَّ الكثرةِ ، وبمعرفتِكَ معانيَ الألفاظِ الأُوَلِ ؛ فمتىٰ وردَتْ عليكَ الكلمةُ غيرَ مُستعمَلةٍ في معنىً أوليٍّ لها . . لزمَكَ أن تقارنَ بينَ المعنيَينِ مُتفكِّراً في الأمورِ المُشترَكةِ بينَ المعنيَينِ ؛ لتَعرِفَ الغَرَضَ مِنَ الاستعارةِ .

[أمثلةٌ للاستعارةِ من أشعارِ البُلغاءِ]

وهٰذهِ أمثلةٌ للاستعارةِ مِنْ أشعارِ البُلغاءِ : قالَ امرُؤُ القيسِ[2] : [من الطويل]

وَبَـيْـضَـةِ خِـدْرٍ لَا يُـرَامُ خِـبَـاؤُهَـا ... تَمَتَّعْتُ مِنْ لَهْوٍ بِهَا غَيْرُ مُعْجَلِ

شَبَّهَ الحسناءَ المَصونةَ في النَّضْرةِ وطيبِ المَلمسِ بالبيضةِ المحضونةِ ، فالاستعارةُ مُصرَّحةٌ مُجرَّدةٌ ، وفي قولِهِ : (**لا يُرامُ خِباؤُها**) وصفَ نفسَهُ بغايةِ الشجاعةِ ، ونهايةِ الجسارةِ ، وعدمِ المبالاةِ بما يكونُ كيفَما يكونُ ؛ فإنَّهُ يقولُ : إنَّ خِباءَها ممنوعٌ ، حولَهُ الحَرَسُ مُعتقِلينَ الرِّماحَ ، قابضينَ على السيوفِ ؛ بحيثُ لا يَرومُهُ ويَطلُبُ الوصولَ إليهِ أحدٌ ، وقد وصلتُ إليهِ وقضيتُ منهُ مآربي علىٰ مهلةٍ واطمئنانٍ ، كما صَرَّحَ ببعضِ ذٰلكَ في قولِهِ[3] : [من الطويل]

فَقُلْتُ يَمِينَ ٱللهِ أَبْرَحُ قَاعِداً ... وَلَوْ قَطَّعُوا رَأْسِي لَدَيْكِ وَأَوْصَالِي

وهٰذا مِنَ الكنايةِ كما ستقفُ عليهِ عندَ شرحِها ، وقال[4] : [من الطويل]

---

(١) انظر « عيون الأنباء » (ص ٢٥٣) .
(٢) انظر « ديوان امرئ القيس » (ص ١٣) .
(٣) انظر « ديوان امرئ القيس » (ص ٣٢) .
(٤) انظر « ديوان امرئ القيس » (ص ١٨) .

وَلَيْلٍ كَمَوْجِ ٱلْبَحْرِ أَرْخَىٰ سُدُولَهُ   عَلَيَّ بِأَنْوَاعِ ٱلْهُمُومِ لِيَبْتَلِي
فَقُلْتُ لَهُ لَمَّا تَمَطَّىٰ بِصُلْبِهِ   وَأَرْدَفَ أَعْجَازاً وَنَاءَ بِكَلْكَلِ

أرادَ أن يصفَ حالَهُ مِنْ أنَّ وساوسَ الأفكارِ وبلابلَ الهُمومِ لم تزلْ تَشتدُّ في تقليبهِ مِنْ جنبٍ إلىٰ جنبٍ ، فأَودعَ ذٰلكَ في موجِ البحرِ ، وأرادَ أيضاً أن يصفَ اللَّيلَ بالطُّولِ كما هو حالُهُ معَ العُشَّاقِ والمهمومينَ ، فجعلَهُ قارّاً ثابتاً غيرَ مُتحرِّكٍ ؛ حيثُ شُبِّهَ بالأشياءِ التي هيَ للبقاءِ واللبسِ ، فاستعارَ إرخاءَ السُّدولِ لإحاطةِ الظُّلَمِ بهِ ، كما استعارَ لها ـ والغَرَضُ واحدٌ ـ بُرُوكَ البعيرِ العظيمِ الخَلْقِ الثقيلِ الجسمِ ، **والسدلُ** ـ بضمّ أولِهِ وكسرِهِ ـ السِّترُ ، **والكَلْكلُ** : الصَّدرُ .

ومِنِ استعارةِ بُروكِ الجَمَلِ للثباتِ والقرارِ . . قولُ عليٍّ كَرَّمَ اللهُ وجهَهُ وقد قيلَ لهُ : أمرَ النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ بتغييرِ الشَّيبِ : ذٰلكَ والدِّينُ قُلٌّ ، فأمَّا وقد ضربَ الدِّينُ بجِرانِهِ . . فامرؤٌ ونفسُهُ[1] .

جِرانُ البعيرِ ـ بكسرِ أوَّلِهِ ـ : ما أمامَ صدرِهِ ، ويَضرِبُ البعيرُ بجِرانِهِ حيثُ يأخذُ تمامَ راحتِهِ .

وقالَ زهيرٌ[2] :   [من الطويل]

لَدَىٰ أَسَدٍ شَاكِي ٱلسِّلَاحِ مُقَذَّفٍ   لَهُ لِبَدٌ أَظْفَارُهُ لَمْ تُقَلَّمِ

شاكي السلاحِ : تامُّهُ ، فاستعارةُ الأسدِ مُرشَّحةٌ باللِّبَدِ والأظفارِ ، **ولِبْدةُ الأسدِ** : شعرُهُ المُتلبّدُ علىٰ كتفَيهِ ؛ حيثُ يكونُ في شبيبتِهِ وأوسطِ سِنّهِ ، ولفظُ (السلاحِ) جرى استعمالُهُ في المخالبِ والأنيابِ والقرونِ . . . إلىٰ

(١) انظر « التذكرة الحمدونية » (٢٨/٦) .
(٢) انظر « ديوان زهير بن أبي سلمىٰ » (ص ٣٠) .

غيرِ ذٰلكَ مِنَ الأشياءِ التي خلقَها اللهُ للحيواناتِ تدافعُ بها عن نفسِها ، فلا يكونُ (شاكي السلاحِ) تجريداً ، ويكونُ قولُهُ : (أظفارُهُ لم تُقلَّمِ) بمنزلةِ التفسيرِ ، كأنَّهُ قالَ : لدىٰ أسدٍ صحيحِ الأظفارِ والأنيابِ في أوانِ شِدَّةِ قُوَّتِهِ ، وقالَ كثيرُ عزَّةَ أو غيرُهُ[1] :

وَلَمَّا قَضَيْنَا مِنْ مِنىً كُلَّ حَاجَةٍ ... وَمَسَّحَ بِٱلْأَرْكَانِ مَنْ هُوَ مَاسِحُ

وَشُدَّتْ عَلَىٰ ظَهْرِ ٱلْمَطِيِّ رِحَالُنَا ... وَلَمْ يَنْظُرِ ٱلْغَادِي ٱلَّذِي هُوَ رَائِحُ

أَخَذْنَا بِأَطْرَافِ ٱلْأَحَادِيثِ بَيْنَنَا ... وَسَالَتْ بِأَعْنَاقِ ٱلْمَطِيِّ ٱلْأَبَاطِحُ

الأباطحُ تسيلُ بالماءِ ، والمأخوذُ بأطرافِهِ نحوُ الرداءِ ، فأيُّ تصويرٍ تُصوِّرُ هاتانِ الاستعارتانِ مواصلةَ الأحاديثِ بينَ الأحبَّةِ ، وأنَّها معَ غايةِ فَرَحٍ وأُنْسٍ وملاعبةٍ ، وسهولةِ سيرِ الإبلِ واندفاعِها فيهِ ، وحسنِ هيئةِ اجتماعِها علىٰ كثرتِها وملئِها الأوديةَ .

ومِنَ الاستعارةِ الأخيرةِ أخذَ ابنُ المُعتزِّ قولَهُ ـ وقد فاتَتْهُ سَلاسةُ هاتيكَ العبارةِ ـ في رئيسِ أحبَّتِهِ [وأعوانِهِ][2] : [من البسيط]

سَالَتْ عَلَيْهِ شِعَابُ ٱلْحَيِّ حِينَ دَعَا ... أَنْصَارَهُ بِوُجُوهٍ كَٱلدَّنَانِيرِ

وفي كلمةِ (علىٰ) ما ليسَ في كلمةِ (إلىٰ) ، وزيادةُ العربيّ لفظَ الأعناقِ التي هيَ مظهرُ الحركةِ أفادَ بها ابتهاجَهُم بذٰلكَ المنظرِ .

وقالَ القطاميُّ مِنْ قصيدتِهِ التي يقولُ في نسيبِها[3] : [من البسيط]

يَقْتُلْنَنَا بِحَدِيثٍ لَيْسَ يَعْلَمُهُ ... مَنْ يَتَّقِينَ وَلَا مَكْنُونُهُ بَادِي

---

(١) انظر « معاهد التنصيص » (٢/١٣٤) .

(٢) انظر « معاهد التنصيص » (٢/١٣٥) .

(٣) انظر « ديوان القطامي » (ص ٢٠٥) .

فَهُنَّ يَنْبُذْنَ مِنْ قَوْلٍ يُصِبْنَ بِهِ مَوَاقِعَ ٱلْمَاءِ مِنْ ذِي ٱلْغُلَّةِ ٱلصَّادِي

نَقْرِيهِمُ لَهْذَمِيَّاتٍ نَقُدُّ بِهَا مَا كَانَ خَاطَ عَلَيْهِمْ كُلُّ زَرَّادِ

القِرىٰ : طعامُ الضَّيفِ ، ومَنْ قَرىٰ ضيفَهُ . . فقد أكرمَهُ ، وحفظَ عليهِ حياتَهُ ، وشَدَّ مِنْ قُواهُ ، والمحاربُ مُهِينٌ لأعدائِهِ ، مزيلٌ حياتَهُم ، هادمٌ قُواهُم ، فالاستعارةُ التبعيَّةُ التصريحيةُ تهكميةٌ ، وأصلُ هٰذهِ الاستعارةِ لعمرِو بنِ كلثومٍ في « مُعلَّقتِهِ »[١] : [من الوافر]

نَزَلْتُمْ مَنْزِلَ ٱلْأَضْيَافِ مِنَّا فَأَعْجَلْنَا ٱلْقِرَىٰ أَنْ تَشْتِمُونَا

قَرَيْنَاكُمْ فَعَجَّلْنَا قِرَاكُمْ قُبَيْلَ ٱلصُّبْحِ مِرْدَاةً طَحُونَا

المِرداةُ : اسمُ آلةٍ مِنْ : ردىٰ كرمىٰ وزناً ومعنىً ؛ وهيَ مِنَ الصَّخرِ الصُّلبِ .

ومِنَ **التهكميَّةِ** : قولُ بشارٍ السابقُ[٢] : [من الطويل]

مَشَيْنَا إِلَيْهِ بِٱلسُّيُوفِ نُعَاتِبُهْ

أصلُ العِتابِ : معالجةُ الجلدِ بالدِّباغِ حتىٰ يَصلُحَ فراشاً ولباساً ، وفي المثلِ : (إنَّما يُعاتَبُ الأديمُ ذو البَشَرةِ)[٣] ؛ يُضرَبُ في النهيِ عن تأديبِ مَنْ لا يخافُ علىٰ عِرْضِهِ ، ولا يبالي بفوتِ شرفِهِ ، نُقِلَ العِتابُ إلىٰ ملاطفةِ الإخوانِ في التماسِ أعذارِهم عمَّا يَصدُرُ مِنْ هفواتِهم ؛ لتعودَ نقاوةُ أُخوَّتِهم وطهارةُ ذاتِ بينِهم ، وأينَ المُلاطفةُ مِنْ طعنِ الرِّماحِ وضربِ السُّيوفِ وسلبِ الأرواحِ ؟!

---

(١) انظر « ديوان عمرو بن كلثوم » (ص ٩٨) .

(٢) تقدم (٢/٣٦) .

(٣) انظر « مجمع الأمثال » (١/١٤٦) .

وقولُ بعضِهم[1] : [من الوافر]

تَـحِـيَّـةُ بَـيْـنِـهِـمْ ضَـرْبٌ وَجِـيـعُ

والسِّراجُ المنيرُ في التهكميَّةِ قولُهُ جلَّ ذكرُهُ : ﴿ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾[2] .

ومِنْ شريفِ الاستعارةِ وغريبِها : قولُ يزيدَ بنِ مسلمةَ بنِ عبدِ الملكِ في صفةِ فرسِهِ[3] : [من الكامل]

عَـوَّدْتُـهُ فِـيـمَـا أَزُورُ حَـبَـائِـبِـي ... إِهْـمَـالَـهُ وَكَـذَاكَ كُـلُّ مُـخَـاطِـرِ

وَإِذَا ٱحْـتَـبَـىٰ قَـرَبُـوسُـهُ بِـعِـنَـانِـهِ ... عَلَكَ ٱلشَّكِيمَ إِلَى ٱنْصِرَافِ ٱلزَّائِرِ

القَرَبُوسُ ـ بفتحتَينِ ـ : قائمةُ السَّرجِ ، **والشَّكيمُ** : واحدُهُ شكيمةٌ ؛ وهيَ الحديدةُ في حَنَكِ الفرسِ العربيِّ ، ليسَ عندَهُ جدارٌ يُسنِدُ إليهِ ظهرَهُ ولا وسادةٌ ، فكانَ يَقعدُ ناصباً فخذَيهِ وساقَيهِ ويدخلُ في حِمالةِ سيفِهِ أو غيرِها مائلاً إلىٰ خَلْفٍ ، فذٰلكَ استنادُهُ ؛ وهوَ الاحتباءُ ، **ومِنْ كناياتِهِم** : فلانٌ تُحَلُّ لهُ الحُبا ؛ أي : هوَ شريفٌ يُقامُ لهُ ، **والحَبوةُ** : الاسمُ ، وفتحُ الحاءِ أكثرُ مِنْ ضمِّها ، وقالَ كُثَيِّرٌ في المدحِ بكثرةِ العطاءِ[4] : [من الكامل]

غَـمْـرُ ٱلـرِّدَاءِ إِذَا تَـبَـسَّـمَ ضَـاحِـكـاً ... غَـلِـقَـتْ لِـضِـحْـكَـتِـهِ رِقَـابُ ٱلْـمَـالِ

الرداءُ : صاحبُ الإزارِ ، ومجموعُهُما **الحُلَّةُ** ، والغُمْرُ كما يُقالُ للماءِ الكثيرِ يُقالُ للثوبِ التامِّ الشاملِ : ماءٌ غَمرٌ ، ورداءٌ غَمرٌ ، فليسَ الغَمرُ كما قيلَ : ملائماً للعطاءِ وحدَهُ حتىٰ تكونَ استعارةُ الرداءِ لهُ مُجرَّدةً ،

---

(١) قيل : هو عمرو بن معديكرب رضي الله عنه . انظر « ديوانه » (ص ١٤٩) ، والبيت بتمامه :

وَخَـيْـلٍ قَـدْ دَلَـفْـتُ لَـهَـا بِـخَـيْـلٍ ... تَـحِـيَّـةُ بَـيْـنِـهِـمْ ضَـرْبٌ وَجِـيـعُ

(٢) سورة آل عمران : (٢١) .

(٣) انظر « معاهد التنصيص » (١٣٢/٢) .

(٤) انظر « ديوان كثير عزة » (ص ٢٨٨) .

وقدِ استعارَ بعضُ العربِ الرداءَ للسيفِ في قولِهِ [1] : [من الوافر]

يُنَازِعُنِي رِدَائِي عَبْدُ عَمْرٍو ... رُوَيْدَكَ يَا أَخَا عَمْرِو بْنِ بَكْرِ
لِيَ ٱلشَّطْرُ ٱلَّذِي مَلَكَتْ يَمِينِي ... فَدُونَكَ فَٱعْتَجِرْ مِنْهُ بِشَطْرِ

ولأبي الوليدِ الشاطبيِّ في استعارةِ الرداءِ [2] : [من مجزوء الرمل]

فَوْقَ خَدِّ ٱلْوَرْدِ دَمْعٌ ... مِنْ عُيُونِ ٱلسُّحْبِ يُذْرَفْ
بِرِدَاءِ ٱلشَّمْسِ أَضْحَىٰ ... بَعْدَمَا سَالَ يُجَفَّفْ

❊ ❊ ❊

هٰذا ؛ وأمكنْ مِنْ نفسِكَ أنَّ أحسنَ التشبيهِ والاستعارةِ ما وقعَ موقعَهُ ؛ مِنْ غرضِ تصويرِ حالِ المُشبَّهِ والمُستعارِ لهُ ، والإبانةِ عنها بجزيلِ العبارةِ ولطيفِ السِّياقِ ؛ بحيثُ لا يكونُ قصدُ المُتكلِّمِ إلىٰ مُجرَّدِ التشبيهِ والاستعارةِ كما هوَ كثيرٌ في كلامِ المُولَّدينَ ، فعليكَ أن تَعتبرَ مواقعَها بإطالةِ الفكرِ ، وإمعانِ النظرِ في كلامِ اللهِ جلَّ ذكرُهُ ، وفي كلامِ مَنْ يَرِدُ عليكَ بعضُ كلامِهِ مِنْ شعراءِ العربِ ومَنْ حذا حذوَهُم واقتفىٰ أثرَهُم مِنَ المُولَّدينَ ؛ ليكونَ ذٰلكَ لكَ بمنزلةِ المِحَكِّ تَعرِفُ بِهِ الزُّيوفَ مِنَ الصِّحاحِ الخِلاصِ .

فمِنْ جَيِّدِ كلامِ المُولَّدينَ : مثلُ قولُ أبي طاهرٍ البغداديِّ [3] : [من الكامل]

خَطَرَتْ تَكَادُ ٱلْوُرْقُ تَسْجَعُ فَوْقَهَا ... إِنَّ ٱلْحَمَامَ لَمُولَعٌ بِٱلْبَانِ
مِنْ مَعْشَرٍ نَشَرُوا عَلَىٰ هَامِ ٱلرُّبَىٰ ... لِلطَّارِقِينَ ذَوَائِبَ ٱلنِّيرَانِ

---

(١) انظر « معاهد التنصيص » (٢/١٥٠) .
(٢) انظر « معاهد التنصيص » (٢/١٥٠) .
(٣) انظر « معاهد التنصيص » (٢/١٥٩) .

وهوَ مأخوذٌ مِنْ قولِ العربيّ[1] : [من الطويل]

يَبِيتُونَ فِي ٱلْمَشْتَىٰ خِمَاصاً وَعِنْدَهُمْ ... مِنَ ٱلزَّادِ فَضْلَاتٌ تُعَدُّ لِمَنْ يُقْرَىٰ

إِذَا ضَلَّ عَنْهُمْ طَارِقٌ رَفَعُوا لَهُ ... مِنَ ٱلنَّارِ فِي ٱلظَّلْمَاءِ أَلْوِيَةً حُمْرَا

ومثلُ قولِ المجدِ الأربليّ[2] : [من الكامل]

أُصْغِي إِلَىٰ قَوْلِ ٱلْعَذُولِ بِجُمْلَتِي ... مُسْتَفْهِماً عَنْكُمْ بِغَيْرِ مَلَالِ

لِتَلَقُّطِي زَهَرَاتِ وَرْدِ حَدِيثِكُمْ ... مِنْ بَيْنِ شَوْكِ مَلَامَةِ ٱلْعُذَّالِ

وهوَ مأخوذٌ مِنْ قولِ أبي الشِّيصِ[3] : [من الكامل]

وَقَفَ ٱلْهَوَىٰ بِي حَيْثُ أَنْتِ فَلَيْسَ لِي ... مُتَأَخَّرٌ عَنْهُ وَلَا مُتَقَدَّمُ

أَجِدُ ٱلْمَلَامَةَ فِي هَوَاكِ لَذِيذَةً ... حُبّاً لِذِكْرِكِ فَلْيَلُمْنِي ٱللُّوَّمُ

وَأَهَنْتِنِي فَأَهَنْتُ نَفْسِي صَاغِراً ... مَا مَنْ يَهُونُ عَلَيْكِ مِمَّنْ أُكْرِمُ

ومِنْ قولِ أبي طاهرٍ السابقِ : قولُ بعضِهِم وزادَ إحساناً[4] : [من الخفيف]

قَالَ لِي أَكْحَلُ ٱللَّوَاحِظِ صِفْ لِي ... هَيَفِي قُلْتُ يَا رَشِيقَ ٱلْقَوَامِ

لَكَ قَدٌّ لَوْلَا جَوَارِحُ عَيْنَيْـ ... ـكَ لَغَنَّتْ عَلَيْهِ وُرْقُ ٱلْحَمَامِ

وكانَ الصَّاحبُ ابنُ عبَّادٍ كثيراً ما يَتمثَّلُ بقولِ عَصرِيّهِ عبدِ اللهِ السلاميّ : [من الوافر]

تَبَسَّطْنَا عَلَى ٱلْآثَامِ لَمَّا ... وَجَدْنَا ٱلْعَفْوَ مِنْ ثَمَرِ ٱلذُّنُوبِ

---

(١) انظر « معاهد التنصيص » (٢/١٥٩) .

(٢) انظر « معاهد التنصيص » (٢/١٥٩) .

(٣) انظر « ديوان أبي الشيص الخزاعي » (ص ١٠١) .

(٤) انظر « فوات الوفيات » (٣/٢٧٧) .

ويقولُ : ما درىٰ قائلُهُ : أيُّ دُرَّةٍ رمىٰ بها ؟! وأيُّ غُرَّةٍ سَيَّرَها وخَلَّدَها ؟![1] .

وأقولُ : استحسانُ كلِّ شيءٍ حَسَبَ موافقةِ الهوىٰ ، كما قيلَ[2] : [من الخفيف]

إِنَّمَا تَنْجَحُ ٱلْمَقَالَةُ فِي ٱلْمَرْ ... ءِ إِذَا صَادَفَتْ هَوىً فِي ٱلْفُؤَادِ

وأرادَ السلاميُّ : أنَّهُ لولا الذُّنوبُ . . لم يكنْ تَحقُّقُ مُسمَّى العفوِ ، وتَحقُّقُهُ واجبٌ حيثُ كانَ مِنَ الكمالاتِ الإلـٰهيَّةِ ، ولـٰكنَّ الذنوبَ تُثمِرُ أيضاً العِقابَ ، كما ترىٰ أنَّ أكثرَ الشَّهواتِ كما تُثمِرُ اللَّذَّةَ تُثمِرُ الألمَ ، وقدِ استلبَ السلاميُّ قولَهُ هـٰذا مِنْ قولِ الحسنِ بنِ هانئٍ الحكميِّ المشهورِ بأبي نُوَاسٍ شاعرِ الرشيدِ[3] : [من الوافر]

تَكَثَّرْ مَا ٱسْتَطَعْتَ مِنَ ٱلْخَطَايَا ... فَإِنَّكَ وَاجِدٌ رَبّاً غَفُورَا
سَتُبْصِرُ إِنْ وَرَدْتَ عَلَيْهِ عَفْواً ... وَتَلْقَىٰ سَيِّداً مَلِكاً كَبِيرَا
تَعَضُّ نَدَامَةً كَفَّيْكَ مِمَّا ... تَرَكْتَ مَخَافَةَ ٱلنَّارِ ٱلسُّرُورَا

ولـٰكنَّ السلاميَّ أوجزَ وأبدعَ .

قالَ مسلمُ بنُ الوليدِ في رثاءٍ[4] : [من الكامل]

سَلَكَتْ بِكَ ٱلْعَرَبُ ٱلسَّبِيلَ إِلَى ٱلْعُلَا ... حَتَّىٰ إِذَا سَبَقَ ٱلرَّدَىٰ بِكَ دَارُوا
نَفَضَتْ بِكَ ٱلْآمَالُ أَحْلَاسَ ٱلْمُنَىٰ ... وَٱسْتَرْجَعَتْ نُزَّاعَهَا ٱلْأَمْصَارُ
فَٱذْهَبْ كَمَا ذَهَبَتْ غَوَادِي مُزْنَةٍ ... أَثْنَىٰ عَلَيْهَا ٱلسَّهْلُ وَٱلْأَوْعَارُ

هـٰذا الشعرُ في أرفعِ طبقةٍ وصلَ إليها شاعرٌ !! مَثَّلَ حالَ الممدوحِ

---

(١) كذا في « معاهد التنصيص » (١٥٧/٢) .
(٢) انظر « يتيمة الدهر » (٢٥٧/١) .
(٣) انظر « ديوان أبي نواس » (٢٠٤/٥) طبعة (فاغنر) .
(٤) انظر « ديوان صريع الغواني » (ص ٣١٣ ـ ٣١٤) .

وأتباعَهُ ؛ مِنِ استدامةِ تحصيلِ الكمالاتِ واقتدائِهم بهِ في أعمالِهِ ، وأنَّهُ لمَّا تَغمَّدَتْهُ الرحمةُ لم يهتدِ العربُ بعدَهُ إلىٰ ما كانَ يُفطِّنُهُم لهُ . . بحالِ قومٍ ذوي رئيسٍ ، قصدوا علىٰ أثرِهِ جهةً شريفةً ، فلمَّا غابَ عنهُم سيِّدُهُم . . رجعوا إلىٰ منازلِهِم ، **والمُنْيَةُ** ـ وهيَ ما يُحِبُّ الإنسانُ ويَتمنَّاهُ ـ لمَّا كانَتْ تَحمِلُ صاحبَها علىٰ مواصلةِ أعمالِهِ وتَجدُّدِ آمالِهِ . . حَسُنَ تشبيهُها بالمركوبِ ، **والحِلْسُ** ـ بكسرٍ فسكونٍ ـ : كساءٌ يُجعَلُ تحتَ البَرْذَعةِ ، ونفضُ **الحِلْسِ** : كنايةٌ عنِ الإقامةِ وتعطيلِ الدوابِّ حيثُ لم تبقَ للسَّفرِ جدوىٰ ؛ كالكنايةِ في قولِهِم : (**ألقىٰ عصا التَّسيارِ**) ، وفي قولِهِ : (**فاذهبْ كما ذهبَتْ**) مِنَ التفجُّعِ والتأسُّفِ ما لا يَبلُغُهُ قولٌ ؛ أي : مشكوراً لكلِّ مكانٍ ، محموداً بكلِّ لسانٍ .

ومِنْ أرصنِ الشعرِ وأشدِّهِ قولُ عربيٍّ في المحاجاةِ[1] : [من الطويل]

وَدَاهِيَةٍ دَاهَىٰ بِهَا ٱلْقَوْمَ مُفْلِقٍ ... شَدِيدٍ بِعَوْرَاءِ ٱلْكَلَامِ أُزُومُهَا
أَصَخْتُ لَهَا حَتَّىٰ إِذَا مَا وَعَيْتُهَا ... رَمَيْتُ بِأُخْرَىٰ يَسْتَدِيرُ أَمِيمُهَا
تَرَى ٱلْقَوْمَ مِنْهَا مُطْرِقِينَ كَأَنَّمَا ... تَسَاقَوْا بِكَأْسٍ مَا يُبِلُّ سَلِيمُهَا
فَلَمْ تَرَنِي فَهّاً وَلَمْ تَرَ حُجَّتِي ... مُلَجْلَجَةً أَبْغِي لَهَا مَنْ يُقِيمُهَا

السَّليمُ : اللَّديغُ ، **وأبلَّ مِنْ مرضِهِ** : برئَ ، **والأُزومُ** : العَضُّ وإمساكُ الشيءِ بالأسنانِ ، **ومفلقٌ** : ذاتُ فَلَقٍ ؛ أي : عجبٍ ، **ودهاهُ** : أذهلَهُ وحَيَّرَهُ وأدهشَهُ ، وعليكَ باستخراجِ الاستعاراتِ ونسبتِها إلىٰ أجناسِها .

وحيثُ كانَ حذفُ الأداةِ مِنْ تركيبِ التشبيهِ وسيلةً إلى المبالغةِ بدعوى

---

(١) انظر « الكامل » للمبرد (١/١٤٠ ـ ١٤١) .

الاتحادِ ، والاستعارةُ كما عرفتَ في ذٰلكَ الغرضِ أقوىٰ . . تسمعُ مثلَ قولِ العباسِ بنِ الأحنفِ (1) : [من المتقارب]

هِيَ ٱلشَّمْسُ [مَسْكَنُهَا] . . . . (البيتَينِ) .

وقولِ ابنِ العميدِ (2) : [من الكامل]

قَامَتْ تُظَلِّلُنِي مِنَ ٱلشَّمْسِ نَفْسٌ أَعَزُّ عَلَيَّ مِنْ نَفْسِي
قَامَتْ تُظَلِّلُنِي وَمِنْ عَجَبٍ شَمْسٌ تُظَلِّلُنِي مِنَ ٱلشَّمْسِ

وقولِ بعضِهِم (3) : [من المنسرح]

لَا تَعْجَبُوا مِنْ بِلَىٰ غِلَالَتِهِ قَدْ زَرَّ أَزْرَارَهُ عَلَى ٱلْقَمَرِ

الغِلالةُ : القميصُ ، ويُقالُ : إنَّ القمرَ يبلي ثيابَ الكَتَّانِ .

وقولِ أبي تمامٍ (4) : [من المتقارب]

وَيَصْعَدُ حَتَّىٰ يَظُنَّ ٱلْجَهُولُ بِأَنَّ لَهُ حَاجَةً فِي ٱلسَّمَاءِ

* * *

(1) تقدم (٢/٣٠) ، والبيتان بتمامهما :

هِيَ ٱلشَّمْسُ مَسْكَنُهَا فِي ٱلسَّمَاءِ فَعَزِّ ٱلْفُؤَادَ عَزَاءً جَمِيلَا
فَلَنْ تَسْتَطِيعَ إِلَيْهَا ٱلصُّعُودَ وَلَنْ تَسْتَطِيعَ إِلَيْكَ ٱلنُّزُولَا

(2) انظر « معاهد التنصيص » (٢/١١٣) .

(3) انظر « معاهد التنصيص » (٢/١٢٩) .

(4) انظر « ديوان أبي تمام » (٤/٣٤) .

القولُ في الكنايةِ

حدُّ الكنايةِ على التحقيقِ : لفظٌ أُريدَ بهِ لازمُ معناهُ ، معَ جوازِ إرادتِهِ أيضاً ، فيكونُ المرادُ إفادتَهُما جميعاً ، وحينَئذٍ يُقالُ : إنَّها حقيقةٌ غيرُ منفردةٍ ، وتقابلُها الحقيقةُ المُجرَّدةُ .

[أقسام الكنايةِ باعتبارِ المكنيِّ عنهُ]

وتنقسمُ الكنايةُ باعتبارِ المَكنيِّ عنهُ إلىٰ ثلاثةِ أقسامٍ :

[الكنايةُ عن صفةٍ]

القسمُ الأوَّلُ : كنايةٌ يكونُ المكنيُّ عنهُ فيها صفةً ؛ كقولِ الخنساءِ[1] : [من المتقارب]

طَوِيلُ ٱلنِّجَادِ رَفِيعُ ٱلْعِمَادِ ... كَثِيرُ ٱلرَّمَادِ إِذَا مَا شَتَا

فقولُها : (**طويلُ النّجادِ**) المُرادُ به : طويلُ القامةِ ؛ مدحاً ببسطِ الجسمِ ، كما مدحَ بها تعالىٰ في قولِهِ : ﴿ وَزَادَهُۥ بَسۡطَةٗ فِي ٱلۡعِلۡمِ وَٱلۡجِسۡمِ ﴾[2] .

وقولُها : (**رفيعُ العِمادِ**) معناهُ : كبيرُ البيوتِ المرتفعةِ السماواتِ ؛ وذٰلكَ إنَّما يكونُ للسَّادةِ الأشرافِ ؛ أي : هوَ سيدٌ شريفٌ .

وقولُها : (**كثيرُ الرَّمادِ**) أي : هو كريمٌ مِضيافٌ .

ونظمُ الكنايةِ علىٰ طريقِ البرهانِ : أن تقولَ : كلُّ مَنْ كانَ كريماً

---

(١) انظر « ديوان الخنساء » رضي الله عنها (ص ١٤٣) ، والرواية فيه :

رَفِيعُ ٱلْعِمَادِ طَوِيلُ ٱلنِّجَا ... دِ سَادَ عَشِيرَتَهُ أَمْرَدَا

(٢) سورة البقرة : (٢٤٧) .

مِضيافاً . . كانَ كثيرَ الضُّيوفِ ، وكلُّ مَنْ كانَ كثيرَ الضُّيوفِ . . كانَ كثيرَ الخبزِ والطَّبخِ ، وكلُّ مَنْ كانَ كثيرَهُما . . كانَ كثيرَ إحراقِ الخشبِ ، وكلُّ مَنْ كانَ كثيرَهُ . . كانَ كثيرَ الرمادِ ؛ فكثرةُ الرمادِ كنايةٌ عنِ الكرمِ بهٰذهِ الوسائطِ .

وكقولِ الخنساءِ أيضاً وقد أرادَ أخوها معاويةُ أن يُزوِّجَها مِنْ دُريدِ بنِ الصِّمَّةِ ولم يكنْ مِنْ غرضِها (١) : [من الوافر]

تُبَاكِرُنِي حَمِيدَةُ كُلَّ يَوْمٍ ... بِمَا يُولِي مُعَاوِيَةُ بْنُ عَمْرِو

إِذَا لَمْ أُعْطَ مِنْ نَفْسِي خِيَاراً ... لَقَدْ أَوْدَى ٱلزَّمَانُ إِذاً بِصَخْرِ

أَتُكْرِهُنِي هُبِلْتَ عَلَىٰ دُرَيْدٍ ... وَقَدْ حَرَّمْتُ سَيِّدَ آلِ بَدْرِ

مَعَاذَ ٱللهِ يَرْضَعُنِي حَبَرْكَىٰ ... قَصِيرُ ٱلشِّبْرِ مِنْ جُشَمِ بْنِ بَكْرِ

فقدِ استعاذَتْ مِنْ تزوُّجِهِ كانيةً بالغايةِ عنِ البدايةِ ؛ فإنَّها إذا تَزوَّجَتْ . . أُتِيَتْ ، وإذا أُتِيَتْ . . حَمَلَتْ ، وإذا حَمَلَتْ . . وَضَعَتْ ، وإذا وَضَعَتْ . . أرضعَتْ .

[الكنايةُ عن نسبةٍ]

القسمُ الثاني : كنايةٌ يكونُ المكنيُّ عنهُ فيها نسبةً ؛ كقولِ زيادٍ الأعجمِ في أحدِ الأمراءِ لبني أُميَّةَ عبدِ اللهِ بنِ الحشرجِ أميرِ خراسانَ إذ ذاكَ (٢) : [من الكامل]

إِنَّ ٱلسَّمَاحَةَ وَٱلْمُرُوءَةَ وَٱلنَّدَىٰ ... فِي قُبَّةٍ ضُرِبَتْ عَلَى ٱبْنِ ٱلْحَشْرَجِ

كانَتِ القِبابُ لا تُضرَبُ إلَّا علىٰ خيامِ الأمراءِ ، فالمكنيُّ عنهُ نسبةُ الإمارةِ

(١) انظر « ديوان الخنساء » رضي الله عنها (ص ٣٧١) ، و« زهر الأكم » (١٩١/٣) .
(٢) انظر « شعر زياد الأعجم » (ص ٧٧) .

والسماحةِ ؛ أي : ابنُ الحشرجِ سمحٌ كريمٌ ذو مروءةٍ ، وهيَ كمالُ الرُّجوليَّةِ ، ومِنْ هٰذا أخذَ أبو تمامٍ قولَهُ(١) : [من الكامل]

لَوْلَا بَنُو جُشَمَ بْنِ بَكْرٍ فِيكُمُ   كَانَتْ خِيَامُكُمُ بِغَيْرِ قِبَابِ

أي : بنو جُشَمَ سادتُكُم وأُمراؤُكُم .

وابنُ رشيقٍ قولَهُ(٢) : [من الكامل]

وَمُهَفْهَفٍ يَحْمِيهِ . . . . (البيتَ) .

ومِنْ كلامِهِمْ : المجدُ بينَ ثوبَيهِ ، والكرمُ تحتَ ردائِهِ .

[الكنايةُ عن موصوفٍ]

القسمُ الثالثُ : كنايةٌ يكونُ المكنيُّ عنهُ فيها غيرَ صفةٍ ولا نسبةٍ ؛ كقولِهِ كنايةً عنِ القلوبِ(٣) : [من الكامل]

اَلضَّارِبِينَ بِكُلِّ أَبْيَضَ مِخْذَمٍ   وَٱلطَّاعِنِينَ مَجَامِعَ ٱلْأَضْغَانِ

[أقسامُ الكنايةِ باعتبارِ الوسائطِ واللَّوازمِ]

ثمَّ الكنايةُ : إن قَلَّتْ فيها الوسائطُ ، أو لم تكنْ ووَضَحَتْ . . سُمِّيَتْ : **إيماءً وإشارةً** .

وإن خفيَتْ . . سُمِّيَتْ : رمزاً ؛ كالكنايةِ بعريضِ الوسادةِ ، وعريضِ القفا ، وعظيمِ الهامةِ . . عنِ الأبلهِ ، وبالسَّمينِ الرخوِ عنِ الغبيِّ البليدِ ،

---

(١) انظر « ديوان أبي تمام » (١/٨٩) .

(٢) تقدم (٢/٤٢) ، والبيت بتمامه :

وَمُهَفْهَفٍ يَحْمِيهِ عَنْ نَظَرِ ٱلْوَرَىٰ   غَيْرَانُ سُكْنَى ٱلْمُلْكِ تَحْتَ قِبَابِهِ

(٣) هو عمرو بن معديكرب رضي الله عنه . انظر « ديوانه » (ص ١٧٤) .

وبمُتناسِبِ الأعضاءِ المُكتَنزِ اللَّحمِ البسيطِ القامةِ . . عنِ الذكيِّ الشجاعِ ذي الهِمَّةِ .

[التعريضُ وأنواعُهُ]

وهنالكَ نوعُ دلالةٍ للكلامِ يُعتمَدُ فيها على السياقِ والحالِ تُسمَّىٰ : تعريضاً ؛ وهوَ إمالةُ الكلامِ إلىٰ عُرْضٍ بضمِّ أوّلِهِ ؛ أي : ناحيةٍ ؛ كقولِكَ روايةً لقولِهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ وأنتَ تُخاصِمُ إنساناً : « ٱلْمُسْلِمُ : مَنْ سَلِمَ ٱلْمُسْلِمُونَ مِنْ يَدِهِ وَلِسَانِهِ »[1] ، وهٰذا الكلامُ معناهُ الكنائيُّ : المؤذي غيرُ مسلمٍ ، والمُعرَّضُ بهِ إليهِ : أنتَ غيرُ مسلمٍ .

❁ ❁ ❁

والتعريضُ يكونُ بالحقائقِ والمجازاتِ والكناياتِ ، وبعدَ قولِ زيادٍ السابقِ : (إنَّ ٱلسَّمَاحَةَ . . .) يقولُ[2] : [من الكامل]

مَـلِـكٌ أَغَـرُّ مُـتَـوَّجٌ ذُو نَـائِـلٍ ... لِـلْـمُـعْـتَـفِـينَ يَـمِـينُـهُ لَـمْ تَـشْـنَـجِ
يَا خَيْرَ مَنْ صَعِدَ ٱلْمَنَابِرَ بِٱلتُّقَىٰ ... بَعْدَ ٱلنَّبِيِّ ٱلْمُصْطَفَى ٱلْمُتَحَرِّجِ
لَـمَّـا أَتَـيْـتُـكَ رَاجِـيـاً لِـنَـوَالِـكُـمْ ... أَلْـفَـيْـتُ بَـابَ نَـوَالِـكُـمْ لَـمْ يُـرْتَـجِ

[إجمالُ ما سبقَ وتلخيصُهُ]

فمُلخَّصُ ما تَعرِفُهُ ويَبقىٰ معكَ أصلاً تَعتبِرُ بهِ ما يَرِدُ عليكَ في الكلامِ : أنَّ اللفظَ مُركَّباً كانَ أو جزءَ مُركَّبٍ ؛ إمَّا أن تَعتمِدَ في تفهيمِ مُرادِكَ بهِ مُجرَّدَ الوضعِ الأوليِّ بالأصالةِ أو بالنقلِ ؛ وهيَ **الحقائقُ** ، وإمَّا أن تَعتمِدَ معَ الوضعِ

---

(١) أخرجه البخاري (١٠) عن سيدنا عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما .

(٢) انظر « شعر زياد الأعجم » (ص ٧٧) .

علاقةً وقرينةً مانعةً مِنْ إرادةِ المعنى الحقيقيِّ ؛ وهيَ **المجازاتُ** ، أو غيرَ مانعةٍ ؛ **وهيَ الكناياتُ** .

وأنَّ **المجازاتِ** : إن كانَتْ علاقتُها المشابهةَ . . **فهيَ المجازاتُ بالاستعارةِ** ، وإن كانَتْ غيرَها . . **فهيَ المجازاتُ المرسلةُ** ، وأنَّ الاستعارةَ أصلُها التشبيهُ ، وأنَّ **التشبيهَ** تارةً تُذكَرُ أركانُهُ ، وتارةً يُحذَفُ بعضُها ، وذكرُ الوجهِ وحذفُهُ لا يُغيِّرُ الاسمَ ، وحذفُ الأداةِ معَ ذكرِ الطرفَينِ يُغيِّرُهُ **إلى التشبيهِ البليغِ** ، ومعَ حذفِ أحدِ الطرفَينِ **إلى الاستعارةِ** ، وفي الاستعارةِ والتشبيهِ البليغِ دعوى الاتحادِ ، وبناءً عليها كانَ ما عرفتَ .

وأنَّ **الاستعارةَ** تنقسمُ باعتبارِ المذكورِ والمحذوفِ مِنَ الطرفَينِ **إلىٰ مُصرَّحةٍ ومكنيةٍ** ، وباعتبارِ جنسِ المُستعارِ **إلىٰ أصليةٍ** إن كانَ اسمَ جنسٍ ولو تأويلاً ، **وإلىٰ تبعيةٍ** إن كانَ غيرَهُ ، وباعتبارِ كونِها في الهيئاتِ المُنتزَعةِ مِنْ مُتعدِّدٍ أو في غيرِها **إلىٰ تمثيليةٍ وغيرِ تمثيليةٍ** ، وباعتبارِ كونِها في الأضدادِ أو في غيرِها إلىٰ ما تصلحُ أن تكونَ **تهكميَّةً أو تمليحيَّةً** وإلىٰ غيرِها ، وباعتبارِ كونِها مقرونةً بما يلائمُ أحدَ الطرفَينِ أو بما يلائمُهُما **إلىٰ مُرشَّحةٍ ومُجرَّدةٍ ومُطلَقةٍ** ، وأنَّ قرينةَ المكنيةِ إن كانَتِ استعارةً لشيءٍ مِنْ توابعِ المُستعارِ لهُ . . **كانَتْ تحقيقيَّةً** ، وإلَّا . . **فهيَ تخييليةٌ** .

وأنَّ **الكنايةَ** تنقسمُ بحَسَبِ المطلوبِ بها إلىٰ ثلاثةِ أقسامٍ ، ولها باعتبارِ الواسطةِ أسماءٌ .

على الطالبِ أن يجيدَ ضبطَ هٰذا ، ثمَّ يأخذَ في التطبيقِ عليهِ ، ينفعُهُ إن شاءَ اللهُ تعالىٰ .

ثمَّ الحقيقةُ والمجازُ السالفُ تقريرُهُما يُسمَّيانِ **الحقيقةَ والمَجازَ اللغويَّينِ** ،

وثَمَّ حقيقةٌ ومَجازٌ يُسمَّيانِ : **حقيقةً ومجازاً عقليَّينِ** ؛ وهُما إسنادُ أمرٍ لأمرٍ ونسبتُهُ لهُ .

فإن كانَ الإسنادُ إسنادَ الشيءِ لِمَا هوَ لهُ في المتعارفِ ؛ كإسنادِ فعلِ المعلومِ إلى الفاعلِ ، وإسنادِ فعلِ المجهولِ إلى المفعولِ . . سُمِّيَ : **حقيقةً عقليةً** .

وإن كانَ إسنادُهُ لغيرِ ما هوَ لهُ ؛ اعتماداً علىٰ علاقةٍ ، مدلولاً عليهِ بالقرينةِ لبعضِ الاعتباراتِ الكلاميَّةِ والنكتِ البلاغيةِ . . سُمِّيَ : **مَجازاً عقليّاً** ؛ كنسبةِ فعلِ المعلومِ إلى المفعولِ بجعلِهِ فاعلاً ؛ نحوُ : عيشةٌ راضيةٌ ؛ أي : مرضيَّةٌ ، وحالٌ مُبتهِجةٌ ، ونِعْمةٌ مُغتبِطةٌ ، وكنسبةِ فعلِ المجهولِ إلى الفاعلِ فيُجعَلُ مفعولاً ؛ نحوُ : سيلٌ مُفعَمٌ ، ونِعَمٌ مسرورةٌ ، وكنسبةِ الفعلِ إلىٰ زمانِهِ ومكانِهِ وسببِهِ في نحوِ قولِكَ : نامَ ليلُ زيدٍ ، ونَشِطَ نهارُهُ ، وسَعِدَتْ أوقاتُهُ ، وطابَتْ أمكنةُ زيدٍ ، وخَبُثَتْ مجالسُ عمرٍو ، وخرجَتِ المدينةُ لشكرِ السُّقيا ، وأكرمَتْكَ أخلاقُكَ ، واحترمَتْكَ فضائلُكَ ، وغزا السلطانُ بلادَ كذا ، وكذٰلكَ يُنسَبُ الفعلُ إلىٰ مصدرِهِ ؛ نحوُ : جَدَّ جِدُّهُ ، وخَشَعَ خشوعُهُ ، واطمأنَّ اطمئنانُهُ .

❋ ❋ ❋

الفنّ الثّاني
علم المعاني

[موضوعُ علمِ المعاني]

عرفتَ أنَّ هـٰذا العلمَ يُبيِّنُ الأغراضَ المُترتِّبةَ علىٰ إيرادِ التركيبِ في صُوَرِهِ المختلفةِ (١) ، فموضوعُهُ : المُركَّباتُ مِنْ حيثُ تَختلِفُ صُوَرُها لاختلافِ الدواعي .

ثمَّ إنَّ دواعيَ صُوَرِ التراكيبِ لم تَدخُلْ تحتَ حصرٍ ، فما يُذكَرُ منها في هـٰذا الفنِّ إنَّما هوَ كالمثالِ نُصِبَ لكَ ؛ لتحذوَ عليهِ إذا استعملتَ ذوقَكَ ودِقَّةَ نظرِكَ في طلبِ ما يمكنُ اعتبارُهُ عندَ قراءتِكَ لكلامِ ربِّ العالَمينَ ، وروايتِكَ لأحاديثِ سيِّدِ المرسلينَ ، ومطالعةِ الآثارِ الصادرةِ عن بلغاءِ صحابتِهِ ومَنِ اقتفىٰ آثارَهُم ممَّنْ جاءَ بعدَهُم ، وإنشادِ ما يَرِدُ عليكَ مِنَ الأشعارِ للجاهليينَ والإسلاميينَ .

وبعدُ : فمدارُ البحثِ في هـٰذا الفنِّ . . علىٰ إبانةِ صُوَرِ التراكيبِ ودواعيها ؛ رسماً للطريقِ الذي تَسلُكُ منهُ إلى اعتبارِ اللَّطائفِ الكلاميَّةِ التي بها يُسمَّىٰ كلٌّ مِنَ الكلامِ والمُتكلِّمِ بهِ : بليغاً .

[تعريفُ الفصاحةِ والبلاغةِ]

وقبلَ الشُّروعِ في المقصودِ لا بدَّ مِنْ تعريفِ الفصاحةِ والبلاغةِ وما يَتعلَّقُ بذٰلكَ ، والتنبيهِ علىٰ ما يُوجِبُ قسمةَ هـٰذا الفنِّ إلىٰ أقسامِهِ التي ينقسمُ إليها .

الفصاحةُ : كلمةٌ تُنبِئُ استعمالاتُها عن معنى الصَّفاءِ والخُلوصِ والظُّهورِ ، قالوا : يومٌ فِصْحٌ ـ بكسرِ الفاءِ ـ : ليسَ فيهِ غيمٌ ولا قَرٌّ ، وأفصحَ

---

(١) تقدم في مقدمة الكتاب (١/٥٦) .

اللَّبَنُ : زالَتْ عنهُ رغوتُهُ ، وأفصحَتِ الشاةُ ؛ أي : خَلَصَ لبنُها وصفا . . . إلىٰ غيرِ ذٰلكَ .

وعَرَّفَها العلماءُ حيثُ تُوصَفُ بها الكلمةُ ؛ بكونِها سالمةً : مِنْ تنافرِ الحروفِ المُوجِبِ ثقلَ النطقِ بها ، كما في لفظِ (مستشزراتٌ) مِنْ قولِ امرئِ القيسِ (١) : [من الطويل]

غَـدَائِـرُهُ مُـسْـتَـشْـزِرَاتٌ إِلَى ٱلْـعُـلَا

ومِـنَ الـغـرابـةِ الـمُـوجِـبـةِ فـواتَـهـا عـلـىٰ أهـلِ الـعـنـايـةِ بـنـقـلِ الـلـغـةِ وإيداعِها في مُؤلَّفاتٍ ؛ كغرابةِ لفظِ (مُسرَّجٍ) مِنْ قولِ رؤبةَ في صفةِ الأنفِ (٢) : [من مشطور الرجز]

. . . . وَمَـرْسِـنـاً مُـسَـرَّجَـا

أي : يشبهُ السراجَ في البريقِ واللمعانِ ، أو السيفَ السُّرَيْجيَّ في الدقَّةِ والاستواءِ .

ومِنْ مخالفةِ نهجِ الاستعمالِ المُبيَّنِ بعِلْمِ الصرفِ ؛ كالمخالفةِ في قولِ أبي النجمِ (٣) : [من مشطور الرجز]

اَلْـحَـمْـدُ لِلهِ ٱلْـعَـلِـيِّ ٱلْأَجْـلَـلِ

حيثُ فكَّ ، ونهجُ الاستعمالِ الإدغامُ .

وحيثُ يُوصَفُ بها الكلامُ ؛ بكونِهِ مُؤلَّفاً مِنَ الكلماتِ الفصيحةِ ،

---

(١) انظر « ديوان امرئ القيس » (ص ١٧) ، والبيت بتمامه :

غَـدَائِـرُهُ مُـسْـتَـشْـزِرَاتٌ إِلَى ٱلْـعُـلَا ... تَـضِـلُّ ٱلْـعِـقَـاصُ فـي مُـثَـنّـىً وَمُـرْسَـلِ

(٢) كذا قال في « معاهد التنصيص » (١/١٤) .

(٣) انظر « ديوان أبي النجم العجلي » (ص ٣٣٧) .

سالماً مِنْ تنافرِ الكلماتِ ؛ كما في قولِ أبي تمامٍ[١] : [من الطويل]

كَرِيـمٌ مَتَـىٰ أَمْـدَحْـهُ أَمْـدَحْـهُ . . . . .

ومِنْ ضعفِ التأليفِ بمخالفةِ القوانينِ النحويَّةِ ؛ كتقديمِ ما يجبُ تأخيرُهُ ، وتأخيرِ ما يجبُ تقديمُهُ ، وحذفِ ما يجبُ ذكرُهُ ، وذكرِ ما يجبُ حذفُهُ .

ومِنَ التعقيدِ اللفظيِّ ؛ بإدخالِ بعضِ أجزاءِ جملةٍ بينَ أجزاءِ أخرىٰ ؛ بحيثُ يوجبُ عسرَ الفهمِ ؛ كما في قولِ الفرزدقِ يمدحُ خالَ هشامِ بنِ عبدِ الملكِ[٢] : [من الطويل]

وَمَا مِثْلُهُ فِي ٱلنَّاسِ إِلَّا مُمَلَّكاً أَبُو أُمِّهِ حَيٌّ أَبُوهُ يُقَارِبُهْ

ووجهُ الكلامِ : وما مثلُهُ في الناسِ حيٌّ يُقارِبُهُ . . إلَّا مُملَّكاً أبو أُمِّهِ أبوهُ .

ومِنَ التعقيدِ المعنويِّ ؛ باستعمالِ مجازاتٍ وكناياتٍ لا يُفهَمُ المرادُ بها ، فتكونُ إلغازاً في غيرِ موضعِهِ .

وحيثُ يُوصَفُ بها المُتكلِّمُ : بكونِهِ دَرِباً ، ذا قُوَّةٍ واقتدارٍ على استعمالِ الكلامِ الفصيحِ متىٰ أرادَ .

❁ ❁ ❁

والبلاغةُ : مصدرُ (بَلُغَ) مِنْ بابِ (كَرُمَ) مُحوَّلاً عن (بَلَغَ) من بابِ (نصَرَ) بمعنىٰ : وصلَ إلىٰ حدٍّ ؛ يُقالُ : بَلُغَ الرجلُ ، فهوَ بليغٌ ، وبلْغٌ بفتحِ أوَّلِهِ وكسرِهِ ، وبَلاغاً بفتحِ أوَّلِهِ وضمِّهِ مقصوراً ، إذا كانَ يَبلُغُ بعبارتِهِ كنهَ مرادِهِ ، هـٰذا كلامُ أهلِ اللغةِ .

---

(١) انظر « ديوان أبي تمام » (٢/١١٦) ، والبيت بتمامه :

كَرِيـمٌ مَتَـىٰ أَمْـدَحْـهُ أَمْـدَحْـهُ وَٱلْـوَرَىٰ مَعِـي وَمَتَـىٰ مَـا لُـمْتُـهُ لُـمْتُـهُ وَحْـدِي

(٢) تقدم أول الكتاب (١/٧٠) .

ومِنْ كلامِ أميرِ المؤمنينَ عليٍّ كَرَّمَ اللهُ وجهَهُ في تفسيرِ البلاغةِ : (**البلاغةُ** : البصرُ بالحُجَّةِ ، والمعرفةُ بمواضعِ الفُرصةِ ، **ومِنَ البصرِ بالحُجَّةِ** : أن تدعَ الإفصاحَ بها إلى الكنايةِ عنها إذا كانَ الإفصاحُ أوعرَ طريقةً ، وكانَتِ الكنايةُ أبلغَ في الدَّرَكِ وأحقَّ بالظَّفَرِ)(١) .

فهٰذا كلامٌ شريفٌ ، تفسيرُهُ لا يكفي فيهِ كلُّ ما شُرِحَ في عِلْمِ البلاغةِ .

وعَرَّفَها أهلُ هٰذا الفنِّ **حيثُ يُوصَفُ بها المُتكلِّمُ** : بأنَّها مُرونةُ وقُوَّةُ نفسِهِ علىٰ تأليفِ الكلامِ البليغِ في الأغراضِ المختلفةِ ؛ كالتأديبِ ، والوعظِ ، والتحريضِ ، والاستعطافِ ، والعتابِ . . . إلىٰ غيرِ ذٰلكَ مِنَ المعاني .

وحيثُ يُوصَفُ بها الكلامُ : بأنَّها مُطابَقةُ الكلامِ الفصيحِ لمقتضى الحالِ ؛ **والحالُ** ـ ويُسمَّىٰ بالمَقامِ أيضاً ـ : هوَ الأمرُ الداعي لإيرادِ التركيبِ علىٰ بعضِ صُوَرِهِ الممكنةِ فيهِ ، **ومقتضى الحالِ** ـ ويُسمَّىٰ بالاعتبارِ المناسبِ أيضاً ـ : هوَ تلكَ الصُّوَرُ الحاصلةُ بسببِ الذِّكرِ والحذفِ ، والتقديمِ والتأخيرِ ، والإطلاقِ والتقييدِ ، ووصلِ بعضِ الجملِ ببعضٍ بالعطفِ وفصلِها بتركِهِ ، والإيجازِ والإطنابِ والمساواةِ ، واشتمالِ الكلامِ على المجازاتِ والكناياتِ المختلفةِ في الوضوحِ عندَ خطابِ الفُطناءِ ، وكونِهِ مِنَ الحقائقِ الصرفةِ والعباراتِ السهلةِ عندَ خطابِ غيرِهِم .

❁ ❁

وحيثُ كانَتْ مسائلُ الفنِّ ؛ **منها** : ما يَتعلَّقُ بالجملةِ وأجزائِها ، **ومنها** : ما يتعلَّقُ بالجملتَينِ فأكثرَ ، **ومنها** : ما هو مُشترَكٌ . . **ناسبَ قسمتَهُ إلىٰ ثلاثةِ أبوابٍ** :

---

(١) انظر « البيان والتبين » (١/٨٨) ، وفيه أنه لبعض أهل الهند .

[البابُ الأولُ]

بابُ الجملةِ وأجزائِها

الجملةُ الخبريَّةُ

أصلُ المقصودِ بها : إعلامُ السامعِ بمعناها ، أو بأنَّ المُتكلِّمَ يَعلَمُهُ ، ويُسمَّى الأوَّلُ : **فائدةَ الخبرِ** ، والثاني : **لازمَها** ؛ كما تقولُ لصاحبِكَ : أنعمَ اللهُ عليكَ بما زادَنا لكَ فَرَحاً ، وللهِ فيكَ شكراً .

ثمَّ يَخرجُ عنِ الإعلامِ لأغراضٍ شتَّىٰ ؛ كقولِكَ لإظهارِ الفرحِ بمُقبِلٍ والشَّماتةِ بمُدبِرٍ : جاءَ الحقُّ وزهقَ الباطلُ ، ولتوبيخِ العاثرِ : الشمسُ طالعةٌ ، وللتأسُّفِ ؛ كقولِهِ[1] : [من الطويل]

هَوَايَ مَعَ ٱلرَّكْبِ ٱلْيَمَانِينَ مُصْعِدٌ ... جَنِيبٌ وَجُثْمَانِي بِمَكَّةَ مُوثَقُ

[أضربُ الخبرِ]

وحيثُ كانَ الغرضُ مِنَ الكلامِ الإفادةَ . . **فحقُّهُ** : أن يُقتصَرَ منهُ علىٰ قَدْرِ الحاجةِ ؛ فإنَّ الزيادةَ عنهُ تُعَدُّ مِنَ الفُضولِ .

فإذا كانَ الخطابُ معَ خالي الذِّهنِ . . أُلقِيَ إليهِ الخبرُ مُجرَّداً عن مُؤكِّدٍ .

وإذا كانَ معَ مَنْ يَشعُرُ بهِ وهوَ مُنكِرٌ أو شاكٌّ ، ولإدراكِ أحدِ الأمرَينِ طالبٌ . . أُلقِيَ إليهِ الكلامُ مُؤكَّداً بحَسَبِ الحاجةِ .

وشاهدُ ذٰلكَ : قولُهُ تعالىٰ حكايةً عن رسلِ الحقِّ لأهلِ الباطلِ بعدَ

---

(١) انظر « معاهد التنصيص » (١/١٢٠) .

التكذيبِ الأوَّلِ : ﴿ إِنَّآ إِلَيۡكُم مُّرۡسَلُونَ ﴾[1] ، وبعدَ الثاني : ﴿ رَبُّنَا يَعۡلَمُ إِنَّآ إِلَيۡكُمۡ لَمُرۡسَلُونَ ﴾[2] .

[مُؤكِّداتُ الخبر]

وأدواتُ التوكيدِ : إنَّ ، وأنَّ ، ولامُ الابتداءِ ، وأحرفُ التنبيهِ ، والقَسَمُ ، والتكريرُ ، والحروفُ الزائدةُ ، وقد ، ونونا التوكيدِ ، وأمَّا الشرطيةُ .

[كيفيةُ إلقاءِ المُتكلِّمِ الخبرَ للمخاطبِ]

وقد يُنزَّلُ العالمُ منزلةَ الجاهلِ ؛ لعدمِ جريِهِ علىٰ ما يناسبُ علمَهُ ؛ كقولِكَ : العدلُ حسنٌ ، والظلمُ قبيحٌ .

وقد يُنزَّلُ خالي الذهنِ منزلةَ السائلِ ؛ وذٰلكَ حيثُ يَسبِقُ ما يشيرُ إلىٰ جنسِ الخبرِ ؛ كقولِهِ تعالىٰ : ﴿ إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ ﴾ بعدَ قولِهِ حكايةً : ﴿ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓ ﴾[3] ، المشيرِ إلىٰ أنَّ المُتكلِّمَ سيخبرُ عنِ النفسِ بشيءٍ مِنْ إساءتِها .

وقد يُجعَلُ غيرُ المُنكِرِ مُنكِراً ؛ وذٰلكَ حيثُ يَلوحُ عليهِ ما يَلوحُ على المُنكِرينَ ؛ كقولِ العربيِّ[4] : [من السريع]

جَاءَ شَقِيقٌ عَارِضاً رُمْحَهُ ... إِنَّ بَنِي عَمِّكَ فِيهِمْ رِمَاحْ

أي : جاءَ [واضعاً] رمحَهُ علىٰ صورةِ الآمنِ الذي ليسَ يَخشىٰ حرباً ، كأنَّهُ يَعتقِدُ أنَّ أعداءَهُ عُزَّلٌ ليسَ معَهُم سلاحٌ ، ولا هُم أهلُ قتالٍ .

---

(١) سورة يسٓ : (١٤) .

(٢) سورة يسٓ : (١٦) .

(٣) سورة يوسف : (٥٣) .

(٤) البيت لحجل بن نضلة ، كما في « معاهد التنصيص » (١/٧٢) .

كما يُجعَلُ المُنكِرُ غيرَ مُنكِرٍ إذا كانَ معَهُ مِنْ دلائلِ العِلْمِ ومُوجِباتِ المعرفةِ وهوَ لها طارحٌ ، وعنِ استعمالِ فكرِهِ فيها مُعرِضٌ .

يُحكىٰ : أنَّ بعضَ العَجَمِ قالَ لبعضِ العلماءِ : إنَّ في لغةِ العربِ فُضولاً وألفاظاً زائدةً ؛ تارةً يقولونَ : عبدُ اللهِ قائمٌ ، وتارةً : إنَّ عبدَ اللهِ قائمٌ ، وتارةً : إنَّ عبدَ اللهِ لقائمٌ !! فقالَ لهُ : إنَّ لكلٍّ موضعاً يقتضيهِ ، وكانَ هٰذا مِنْ أسبابِ إقبالِ العلماءِ علىٰ هٰذا الفنِّ .

الجملةُ الاسميةُ : للثبوتِ وضعاً ، وللدوامِ استعمالاً بالقرينةِ ؛ وذٰلكَ إذا لم يكنْ في خبرِها فعلٌ .

الجملةُ الفعليَّةُ : للتجدُّدِ والزمانِ باختصارٍ ، وقد يُفادُ بالمضارعِ الاستمرارُ التجدديُّ بمعونةِ المَقامِ وقرينةٍ تُنصَبُ لذٰلكَ .

[أغراض بناء الفعل للمفعول]

ويُبنى الفعلُ للمفعولِ : **لجهلِ الفاعلِ** ، أو **عِلْمِ السامعِ بهِ** ، فيكونُ ذكرُهُ كالعَبَثِ ، أو **تعظيمِهِ والأدبِ في حقِّهِ** ، تَعرِفُ ذٰلكَ مِنْ قولِهِ تعالىٰ : ﴿ وَأَنَّا لَا نَدْرِيٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴾ (١) ، فحيثُ ذُكِرَ الخيرُ . . صُرِّحَ بالفاعلِ ، وفي مقابلِهِ بُنِيَ الفعلُ للمفعولِ ، أو **تحقيرِ الفاعلِ** ، أو **الخوفِ منهُ أو عليهِ** .

وتُقيَّدُ الأفعالُ حيثُ تكونُ القُيودُ مَحَطَّ الفائدةِ ومُتعلَّقَ الأغراضِ الإشاريَّةِ ؛ كما تقولُ : ركبَ زيدٌ اليومَ فرساً ، وزارَكَ فلانٌ ماشياً علىٰ قدمَيهِ ، وكَرُمَ زيدٌ أصلاً ، تَتكلَّمُ بالكلامِ لغَرَضِ التعظيمِ والإجلالِ ، أوِ التحقيرِ والإهانةِ ، أوِ التعجُّبِ مِنْ أحوالِ الدنيا ، فتجدُ القيودَ في الجملةِ هيَ مُتعلَّقَ ذٰلكَ ،

---

(١) سورة الجن : (١٠) .

والنواسخَ في جُمَلِها هيَ قيودَ المسندِ ؛ بما لها مِنَ الأزمنةِ والمعاني التي سَلَفَ بيانُها[1] .

ويُوضَعُ الماضي موضعَ المضارعِ ؛ للتنبيهِ على التحقُّقِ أو قربِ الحصولِ ، ويُوضَعُ المضارعُ موضعَ الماضي لحكايةِ الحالِ ؛ حيثُ يكونُ المعنىٰ غريباً ينبغي تأمُّلُهُ والنظرُ فيهِ ، فتُحضَرُ صورتُهُ في الخيالِ لذٰلكَ ؛ مثلُ : ﴿ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا ﴾[2] .

وقد يُقصَدُ بهِ إفادةُ الاستمرارِ في الأوقاتِ الماضيةِ ؛ نحوُ : زيدٌ يشربُ ويَطرَبُ ، ويلهو ويلعبُ ، حتىٰ أضاعَ طريفَهُ وتليدَهُ ، فهوَ الآنَ عِبرةٌ لِمَنْ يَعتبِرُ ، وذكرىٰ لِمَنْ يريدُ أن يَذَّكَّرَ .

❋ ❋ ❋

---

(١) انظر (١/٣٥٧) .

(٢) سورة فاطر : (٩) .

الجملةُ الشرطيةُ

عرفتَ مَفادَها في النحوِ ، وما بينَ أدواتِ الشرطِ مِنَ الاختلافِ ، والذي يَخُصُّ هـٰذا الفنَّ : أنَّ (لـو) قد يُؤتىٰ معَها بلفظِ المضارعِ لإفادةِ معنى الاستمرارِ في الأوقاتِ الماضيةِ ؛ مثلُ : ﴿ لَوۡ يُطِيعُكُمۡ فِي كَثِيرٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡرِ لَعَنِتُّمۡ ﴾ (١) ، فمعناهُ : انتفىٰ عَنَتُكم وحصولُ ما يسوءُكم بسببِ استمرارِ امتناعِ عملِهِ علىٰ رأيِكُم حيثُ كانَتْ نتيجةُ الخيرِ في مخالفتِهِ .

و(إن) و(إذا) لكونِهما للتعليقِ في المستقبلاتِ فحقُّهُما أن يُؤتىٰ معَهُما بالمضارعِ الذي هوَ العبارةُ عنِ المستقبلِ ، ولـٰكنْ كَثُرَ أن يُؤتىٰ معَهُما بالماضي ؛ للإبرازِ في مَعرِضِ الحاصلِ ؛ لقُوَّةِ الأسبابِ ، أوِ التفاؤلِ ، أو إظهارِ الرغبةِ ؛ نحوُ : (إن ظفرتَ بحسنِ العاقبةِ . . .) فإنَّ الطالبَ إذا عَظُمَتْ رغبتُهُ في مطلوبِهِ . . يَكثرُ تَصوُّرُهُ إيَّاهُ ، فربَّما يَتخيَّلُهُ حاصلاً ، أو للتعريضِ ؛ نحوُ : ﴿ لَئِنۡ أَشۡرَكۡتَ لَيَحۡبَطَنَّ عَمَلُكَ ﴾ (٢) ، فجيءَ بالماضي إبرازاً للإشراكِ في مَعرِضِ الحاصلِ علىٰ سبيلِ الفَرْضِ ؛ تعريضاً للمشركينَ بأنَّهُ قد حَبِطَتْ أعمالُهُم .

ونظيرُهُ في **التعريضِ** : ﴿ وَمَا لِيَ لَآ أَعۡبُدُ ٱلَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴾ (٣) ؛ قصداً لإسماعِ الحقِّ علىٰ وجهٍ لا يزيدُ غضبَ المُخاطَبينَ ، حيثُ لم يُصرِّحْ بنسبتِهِم إلى الباطلِ ، وهـٰذا أدخلُ في إمحاضِ النصحِ لهُم ؛ لإشعارِهِ بأنَّهُ لا يريدُ لهُم إلَّا ما يريدُ لنفسِهِ ، ويُسمَّىٰ هـٰذا : **كلامَ المُنصِفِ** ، ﴿ وَإِنَّآ أَوۡ إِيَّاكُمۡ لَعَلَىٰ

---

(١) سورة الحجرات : (٧) .

(٢) سورة الزمر : (٦٥) .

(٣) سورة يسٓ : (٢٢) .

هُدًى أَوْ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾[1] ؛ حيثُ رَدَّدَ الضَّلالةَ بينَهُم وبينَ نفسِهِ ، ولم يقلْ : إنَّا على هدىً ، وأنتم في ضلالٍ ؛ تحاشياً عنِ التصريحِ بنسبتِهِم إلى الباطلِ .

وقد تُستعمَلُ (إن) في غيرِ المشكوكِ ؛ للتجاهلِ ، أو جهلِ السامعِ ، أو تجهيلِهِ ؛ أي : تنزيلِهِ منزلةَ الجاهلِ ؛ كقولِكَ لِمَنْ يؤذي أباهُ : إن كانَ هـٰذا أباكَ . . فلا تؤذِهِ .

الذِّكرُ

يجبُ عندَ عدمِ القرينةِ ، ويَترجَّحُ معَها لكونِهِ الأصلَ ولا صارفَ ، أو قِلَّةِ الثقةِ بالقرينةِ ؛ لضَعفِها ، أو ضَعفِ فهمِ السامعِ ، أو زيادةِ التقريرِ والإيضاحِ ، أوِ التعريضِ بغَباوةِ السامعِ ، أوِ التبرُّكِ ، أوِ التلذُّذِ ، أو إيهامِهِما ، أوِ التعجُّبِ إذا كانَ الحكمُ غريباً ؛ نحوُ : زيدٌ يقاومُ الأسدَ ، أوِ التعظيمِ ، أوِ الإهانةِ ، كما في بعضِ الألقابِ المحمودةِ والمذمومةِ ، أو بسطِ الكلامِ لفائدةٍ في مَقامِ الافتخارِ ونحوِهِ ؛ كما يُقالُ لكَ : مَنْ نبيُّكَ ؟ فتقولُ : نبيُّنا محمدٌ حبيبُ اللهِ سيِّدُ الأنبياءِ والمرسلينَ ، أو لئلَّا يَتمكَّنَ السامعُ مِنِ ادعاءِ عدمِ التنبيهِ ، أو لتعيُّنِ كونِ المسندِ اسماً أو فعلاً أو ظرفاً ليَدُلَّ على الثبوتِ أو التجدُّدِ ، وهـٰذا الوجهُ لذكرِ المسندِ ، والباقي مُشترَكٌ بينَ ذكرِ المسندِ إليهِ وغيرِهِ .

الحذف

أمَّا الواجبُ منهُ على ما شُرِحَ في النحوِ . . فوجوبُهُ عليكَ لاتباعِ الاستعمالِ ، والذي دعا العربَ لهُ وضوحُ المحذوفِ وظهورُهُ جدّاً ، وقصدُهُمُ : الإيجازُ .

وربَّما كانَ الحذفُ أعونَ على تفهيمِ الغَرَضِ مِنَ الكلامِ ؛ مثلاً : تقولُ : لا

(١) سورة سبأ : (٢٤) .

أزالُ أتبرَّكُ بخدمةِ فلانٍ العالمُ الفاضلُ المُتمسِّكُ ؛ بقطعِ النعتِ ، فالحذفُ أدخلُ في إفادةِ أنَّ الغرَضَ المَسُوقَ إليهِ الكلامُ هوَ المدحُ ، والمدحُ بالاعتقادِ وزعمِ المادحِ ، فلا يَحتمِلُ الجدلَ ، فلو صَرَّحَ بالمبتدأ . . لاحتملَ أنَّهُ دعوىٰ يحاولُ إثباتَها ، فيفتحُ للمُخاطَبِ بابَ المنازعةِ .

وأمَّا الجائزُ في حكمِهِم . . فيُوجِبُهُ البليغُ لِمَا يَذكُرُ مِنْ دواعيهِ ؛ كضِيقِ المَقامِ ؛ مِنْ تَوجُّعٍ ونحوِهِ ؛ مثلُ[1] : [من الخفيف]

قَالَ لِي كَيْفَ أَنْتَ قُلْتُ عَلِيلُ ... سَهَرٌ دَائِمٌ وَحُزْنٌ طَوِيلُ

أي : أنا عليلٌ ، وحالي سهرٌ دائمٌ ، فحذفَ لضِيقِ المَقامِ ؛ للتوجُّعِ أوِ الحزنِ .

أو للاحترازِ عنِ العبثِ ظاهراً ؛ نحوُ : ﴿ يُسَبَّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ رِجَالٌ ﴾[2] علىٰ قراءةِ المجهولِ ، فكأنَّهُ قيلَ : مَنْ يُسبِّحُ لهُ ؟ فقالَ : رجالٌ ؛ أي : يُسبِّحُ لهُ رجالٌ ، فحُذِفَ للاحترازِ عنِ العَبَثِ ؛ نظراً إلىٰ ظاهرِ القرينةِ ، لا العَبَثِ في الحقيقةِ ؛ لأنَّ ذكرَ المسندِ والمسندِ إليهِ لا يكونُ عَبَثاً حقيقةً أصلاً ، وفيهِ تكثيرُ الفائدةِ بنيابتِهِ عن ثلاثِ جملٍ ؛ أي : في هـٰذا النظمِ علىٰ هـٰذهِ القراءةِ تكثيرُ الفائدةِ بكونِ المذكورِ نائباً عن ثلاثِ جملٍ : **إحداها** : المذكورةُ ، **والثانيةُ** : مَنْ يُسبِّحُ لهُ ؟ **والثالثةُ** : يُسبِّحُ رجالٌ ، بخلافِهِ علىٰ قراءةِ المعلومِ ؛ إذ لا حذفَ حينَئذٍ ولا تقديرَ سؤالٍ ، وبكونِ المُسبَّحِ لهُ عمدةً ؛ لأنَّهُ لمَّا كانَ قولُهُ (لهُ) نائبَ الفاعلِ . . فقد جُعِلَ المُسبَّحُ لهُ عمدةً في الكلامِ ، بخلافِ القراءةِ الأخرىٰ ، وبكونِهِ تفصيلاً بعدَ إجمالٍ ، وهوَ أوقعُ في النفسِ .

---

(١) انظر « معاهد التنصيص » (١/١٠٠) .

(٢) سورة النور : (٣٦ ـ ٣٧) ، وهي قراءة ابن عامر .

ولهٰذهِ الوجوهِ تُرجَّحُ روايةُ المجهولِ علىٰ روايةِ المعلومِ في قولِهِ [1] : [من الطويل]

لِيُبْكَ يَزِيدُ ضَارِعٌ لِخُصُومَةٍ

أو لتخييلِ العدولِ إلىٰ أقوى الدليلَينِ : عقليٍّ ولفظيٍّ ؛ فإنَّ الاعتمادَ عندَ الذِّكرِ . . علىٰ دلالةِ اللفظِ ، وعندَ الحذفِ . . علىٰ دلالةِ العقلِ ؛ وهو أقوىٰ .

أو لاختبارِ تَنبُّهِ السامعِ أو قَدْرِ تَنبُّهِهِ ؛ **فالأوَّلُ** : هل يَتنبَّهُ بالقرينةِ أو لا ، **والثاني** : هل يَتنبَّهُ بالقرينةِ الخفيةِ أو لا .

أو لصونِهِ عن لسانِكَ ، أو عكسِهِ ، أو إيهامِهِما ؛ **فالأوَّلُ** : للتعظيمِ ، **والثاني** : للتحقيرِ ، ويَقرُبُ منهُ الحياءُ مِنَ التصريحِ ؛ كقولِ عائشةَ رضيَ اللهُ تعالىٰ عنها : (ما رأىٰ منِّي ، ولا رأيتُ منهُ) [2] ؛ تعني : العورةَ .

أو لتعيُّنِهِ ولوِ ادِّعاءً ؛ نحوُ : خالقُ كلِّ شيءٍ ؛ فإنَّ الخَلْقَ مخصوصٌ بالباري تعالىٰ ، أو للإخفاءِ ، أو ليمكنَ الإنكارُ ، أو لتكثيرِ الفائدةِ باحتمالِ أمرَينِ ؛ نحوُ : ﴿ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ﴾ [3] ؛ أي : فأمري أو أجملُ ؛ يعني : أنَّهُ يُحتمَلُ كونُهُ خبرَ مبتدأً محذوفٍ ؛ أي : فأمري صبرٌ جميلٌ ، وكونُهُ مبتدأً محذوفَ الخبرِ ؛ أي : فصبرٌ جميلٌ أجملُ وأولىٰ ، ونحوُ : ﴿ فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ ﴾ [4] ؛ أي : فليكنْ أو فالأمرُ .

---

(١) تقدم (١/٤٠٥) ، والبيت بتمامه :

لِيُبْكَ يَزِيدُ ضَارِعٌ لِخُصُومَةٍ ... وَمُخْتَبِطٌ مِمَّا تُطِيحُ ٱلطَّوَائِحُ

(٢) انظر « مرقاة المفاتيح » (٦/٢٦٣ ـ ٢٦٤) .

(٣) سورة يوسف : (٨٣) .

(٤) سورة البقرة : (١٧٨) .

أو للتعميمِ باختصارٍ ؛ نحوُ : ﴿ وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ ﴾ (١) ؛ أي : يدعو العبادَ كلَّهُم ؛ إِذِ الدعوةُ عامَّةٌ ، وهـٰذا التعميمُ وإن أمكنَ بذكرِ المفعولِ علىٰ صيغةِ العامِّ لـٰكنْ يفوتُ الاختصارُ حينَئذٍ .

أو للتناسبِ ؛ نحوُ : ﴿ وَمَا قَلَىٰ ﴾ (٢) ؛ إذ لو قيلَ : وما قَلَاكَ . . فاتَ شبهُ السَّجعِ .

وقد يُحذَفُ المفعولُ نَسْياً ، فلا يكونُ منويّاً مُقدَّراً ، ولا يُلاحَظُ تَعلُّقُ الفعلِ بهِ أصلاً ؛ لمُجرَّدِ إثباتِ الفعلِ أو نفيِهِ ، فيُنزَّلُ مَنزِلةَ اللَّازمِ ؛ نحوُ : ﴿ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾ (٣) ؛ فإنَّ الغرضَ مُجرَّدُ إثباتِ العِلْمِ ونفيِهِ مِنْ غيرِ ملاحظةِ تَعلُّقِهِ بمعلومٍ عامٍّ أو خاصٍّ ، والمعنىٰ : لا يستوي مَنْ تَثبُتُ لهُ حقيقةُ العِلْمِ ومَنْ لا تَثبُتُ ، ولا يُقدَّرُ لهُ مفعولٌ ، وإلَّا . . فاتَ هـٰذا الغرضُ .

التقديم

اقتصروا في تعليلِ واجبِهِ على اتباعِ الاستعمالِ ، وهم مُطالَبونَ بالتماسِ أسبابِ الاستعمالِ كما هوَ مقتضىٰ وظيفةِ مَنْ نصبَ نفسَهُ لبيانِ مُوجِباتِ اختلافِ هيئاتِ التراكيبِ العربيةِ .

وأمَّا الجائزُ : فقالوا : إنَّه للاهتمامِ بهِ مِنَ المُتكلِّمِ أوِ السامعِ ولوِ ادِّعاءً ، قالَ الشيخُ عبدُ القاهرِ (٤) : لا بدَّ في تعليلِ تقديمِ اللفظِ ـ أي : النطقِ بهِ أولاً ـ وإن كانَ موضعَهُ الطبيعيَّ بعدَ الاهتمامِ بهِ والعنايةِ ؛ مِنْ ذكرِ جهةٍ خاصَّةٍ تُوجِبُ الاعتناءَ ؛ بأن يُقالَ : لكونِهِ الأصلَ ولا صارفَ ، أو للتشويقِ

---

(١) سورة يونس : (٢٥) .

(٢) سورة الضحىٰ : (٣) .

(٣) سورة الزمر : (٩) .

(٤) انظر « دلائل الإعجاز » (ص ١٠٦) .

إلى الخبرِ لتمكينِهِ في ذهنِ السامعِ ، وهٰذا إذا كانَ المسندُ إليهِ مُشعِراً بغرابةِ الخبرِ ؛ نحوُ[1] : [من الخفيف]

وَٱلَّـذِي حَـارَتِ ٱلْـبَـرِيَّـةُ فِـيـهِ   حَـيَـوَانٌ مُـسْـتَـحْـدَثٌ مِـنْ جَـمَـادِ

أو لتعجيلِ المَسرَّةِ أو لمساءةٍ تفاؤلاً أو تَطيُّراً إذا كانَ اللفظُ صالحاً لهُما ؛ نحوُ : سعدٌ في دارِكَ ، والسَّفاحُ في دارِ صديقِكَ ، ونحوُ : العفوُ عن فلانٍ صدرَ بهِ الأمرُ ، ونحوُ : إذا ابتسمَ لكَ ثغرُ الأيامِ . . فنحنُ مقترحونَ عليكَ ما نشاءُ .

أو لإيهامِ أنَّهُ لا يزولُ عنِ الخاطرِ ؛ إظهاراً لقُوَّةِ المَحَبَّةِ ؛ لأنَّ اسمَ المحبوبِ كثيراً ما يُوجِبُ بدلَ الغَلَطِ ، والتبرُّكِ ، أوِ التلذُّذِ ، أو كونِهِ مَحَزَّ التعجُّبِ والاستبعادِ ، أو مقطعَ الحكمِ ومَركزَ العنايةِ ؛ نحوُ : ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾[2] ، ترتيبُ الكلامِ : ولم يكنْ أحدٌ كفؤاً لهُ ؛ فمركزُ العنايةِ نفيُ الكونِ لهُ ، ثمَّ الموضعُ الثاني للفظ (الكفءِ) ، ونحوُ : أبَعْدَ طولِ التجربةِ تنخدعُ بهٰذهِ الزخارفِ ؟! أو : أتنخدعُ بعدَ طولِ التجربةِ ، أو : أبهٰذهِ الزخارفِ ، هٰذا حَسَبَ ما تجدُهُ موضعَ التعجُّبِ والإنكارِ .

أو لبيانِ اتسامِهِ بالخبرِ ، واشتهارِهِ بمعناهُ ، وكونِهِ صارَ لهُ عادةً ، كما تقولُ في جوابِ : (كيفَ الخطيبُ ؟) : الخطيبُ يشربُ ويَطرَبُ ، ليسَ غرضُكَ أن تخبرَ بحصولِ الشربِ منهُ في أيِّ زمنٍ ، فلا يَصِحُّ في الجوابِ : يشربُ الخطيبُ .

أوِ الكنايةِ بلفظِ (مثلٍ) و(غيرٍ) نحوُ : مثلُكَ لا يبخلُ ، وغيرُكَ لا يجودُ ؛ أي : أنتَ لا تبخلُ ، وأنتَ تجودُ .

---

(١) انظر « شروح سقط الزند » (٣/١٠٠٤) ، والبيت لأبي العلاء المعري .

(٢) سورة الإخلاص : (٤) .

أو للنصِّ علىٰ عمومِ السَّلْبِ في نحوِ : كلُّ ذٰلكَ لم يكنْ ، فلو أَخَّرَ لفظَ (كلٍّ) ولو رتبةً ؛ بأن كانَ معمولاً قُدِّمَ علىٰ عامِلِهِ معَ النفيِ . . [لم يُفِدْ ذٰلكَ](١) .

أو للتقويةِ في الخبرِ الفعليِّ لتكرُّرِ الإسنادِ ؛ نحوُ : زيدٌ قامَ ، والحقُّ وضحَ ؛ أي : لتقويةِ الحكمِ إذا كانَ الخبرُ فعلاً ؛ فإنَّهُ حينَئذٍ يكونُ المسندُ إليهِ مبتدأً ، والفعلُ مسنداً إلىٰ ضميرِهِ ، فيَتكرَّرُ الإسنادُ فيَتقوَّى الحكمُ ، بخلافِ ما لو أُخِّرَ ؛ فإنَّهُ يكونُ حينَئذٍ فاعلاً أُسنِدَ إليهِ الفعلُ ، فلا يَتكرَّرُ الإسنادُ ، وتقوِّي الحكمِ حيثُ يكونُ الخبرُ مُشتقّاً غيرَ فعلٍ . . أَنزَلُ منهُ حيثُ يكونُ فعلاً ؛ لأنَّ ضميرَ المُشتقِّ لكونِهِ لا يَتغيَّرُ . . كانَ بمنزلةِ المفقودِ .

وأمثلةُ التقديمِ لتقويةِ الحكمِ . . تُستعمَلُ للتخصيصِ بقرينةِ الحالِ ، فنحوُ : (زيدٌ فهمَ) يكونُ لتقويةِ الحكمِ ؛ فمعناهُ : زيدٌ فهمَ يقيناً ، وأنا مِنْ غيرِهِ في شكٍّ مثلاً ، ويكونُ للتخصيصِ ؛ فمعناهُ : زيدٌ فهمَ وغيرُهُ لم يفهمْ ، ونحوُ : رجلٌ جاءَ ؛ للتخصيصِ بالجنسِ أوِ الواحدِ ؛ أي : لا امرأةٌ ، أو لا أكثرُ .

والتقديمُ في نحوِ : ما أنا قلتُ ؛ للتخصيصِ قطعاً ، ومعناهُ : أنَّ نفيَ فاعليةِ الفعلِ الحاصلِ مُختصٌّ بي ، فيكونُ الفعلُ ثابتاً ، وإنَّما النزاعُ في فاعلِهِ ، فالمُتكلِّمُ يقولُ : لستُ الفاعلَ لهُ ، بل غيري ، فانظرْ مَنْ هوَ ، أو : هوَ فلانٌ ، فلا يَصِحُّ : ما أنا فعلتُ هٰذا ولا غيري ، ولا : ما أنا ضربتُ إلَّا زيداً ؛ فإنَّهُ حينَئذٍ يكونُ تفريغاً في الإثباتِ حيثُ لا يمكنُ ؛ فإنَّ المعنىٰ : غيري ضربَ كلَّ أحدٍ إلَّا زيداً .

---

(١) ما بين معقوفين ليس في الأصل ، وانظر « حاشية الصبان » (٣/٧٥) .

والتقديمُ في نحوِ[1] :
[من الطويل]

لَـهُ هِـمَـمٌ لَا مُـنْـتَـهَـىٰ لِـكِـبَـارِهَـا وَهِـمَّـتُـهُ ٱلصُّـغْرَىٰ أَجَـلُّ مِـنَ ٱلـدَّهْـرِ

للتحرُّزِ مِنِ احتمالِ الوصفيَّةِ .

وفي نحوِ[2] :
[من البسيط]

ثَـلَاثَـةٌ تُـشْـرِقُ ٱلـدُّنْـيَـا بِـبَـهْـجَـتِـهَـا شَمْسُ ٱلضُّحَىٰ وَأَبُو إِسْحَاقَ وَٱلْقَمَرُ

لتشويقِ نفسِ السامعِ إلى المُؤخَّرِ .

وعلىٰ أمثالِ هٰذهِ الدواعي يدورُ أمرُ التقديمِ ، وبابُ الاعتبارِ مفتوحٌ لذوقِ المُتكلِّمِ ، وما ذُكِرَ مِنَ الدواعي كافٍ لترشيحِهِ وتربيةِ فطنتِهِ إلى اعتبارِ محاسنِ المقاصدِ الكلاميةِ .

التعريفُ

حيثُ يكونُ غرضُكَ أن تَتكلَّمَ علىٰ ما يَعرِفُهُ المُخاطَبُ بسببِ حضورِهِ ، أو عهدِهِ ، أو سبقِ ذكرٍ لهُ ، وحينَئذٍ توردُ بعضَ المعارفِ ، لٰكنْ لكلِّ معرفةٍ موضعٌ .

فالعَلَمُ : لإحضارِ الشخصِ بالاسمِ الخاصِّ المعروفِ وضعُهُ لهُ ؛ نحوُ : ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ﴾[3] ، و﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ ﴾[4] ، ﴿ فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ ﴾[5] ، ﴿ يَـٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا ﴾[6] .

---

(١) انظر « معاهد التنصيص » (٢٠٨/١) .
(٢) انظر « معاهد التنصيص » (٢١٥/١) ، وعزاه لمحمد بن وهيب .
(٣) سورة الفتح : (٢٩) .
(٤) سورة الأحزاب : (٤٠) .
(٥) سورة آل عمران : (٥٢) .
(٦) سورة مريم : (٢٧) .

أو للتبرُّكِ ، أوِ التلذُّذِ ، أوِ التعظيمِ ، أوِ الإهانةِ ؛ كما في الألقابِ الصالحةِ لمدحٍ أو ذمٍّ ؛ نحوُ : أبو الخيرِ ، وأبو الفضلِ ؛ فتقولُ حيثُ تستحسنُ شعراً لأحمدَ بنِ الحسينِ المشهورِ بالمتنبي : قالَ أبو الطيبِ ؛ تلحظُ فيهِ الإشارةَ إلىٰ جودةِ ما تنشدُهُ لهُ وطيبِهِ ، كذٰلكَ تقولُ : قالَ حبيبُ بنُ أوسٍ ؛ تعني : أبا تمامٍ ، وحيثُ تنشدُ للبحتريِّ بعضَ ما لا تستحسنُ مِنْ كلامِهِ . . تقولُ : قالَ الوليدُ .

ومِنْ هٰذهِ الملاحظةِ ملاحظةُ أحمدَ بنِ سليمانَ المشهورِ بأبي العلاءِ المعريِّ ، حيثُ شرحَ دواوينَ هٰؤلاءِ الشعراءِ الثلاثةِ ، فسمَّىٰ شرحاً بـ « ذكرىٰ حبيبٍ » ، وشرحاً : بـ « عبثِ الوليدِ » ، والثالثَ بـ « معجزِ أحمدَ » .

❀ ❀ ❀

والضميرُ : لأغراضٍ تَتعلَّقُ بكلمةِ (أنا) و(أنتَ) مثلاً ؛ تقولُ : أنا رجوتُكَ في هٰذا الأمرِ ، وأنتَ كلمتَني فكيفَ أغفلُ ؟! وفلانٌ هوَ سعىٰ لكَ .

وسَوْقُ الضَّميرِ الذي يَتأخَّرُ مَرجِعُهُ لفظاً ورتبةً . . للتفخيمِ والتعظيمِ والإبهامِ والتفسيرِ ، **وأصلُ الخطابِ** : أن يكونَ معَ مُعيَّنٍ ، وقد يكونُ لنكتةٍ معَ غيرِ مُعيَّنٍ ، كما في قولِكَ : **اللئيمُ** : مَنْ إذا أحسنتَ إليهِ . . أساءَ إليكَ ، **والكريمُ** : مَنْ إذا أسأتَهُ . . أحسنَ بكَ ، واجتهدَ في إصلاحِكَ ؛ فتعميمُ الخطابِ ليصيرَ نفسُ الفعلِ هوَ المُحقِّقَ لحقيقةِ الكريمِ وحقيقةِ اللئيمِ .

وحيثُ يكونُ المُتكلِّمُ حاكياً عن نفسِهِ . . **فالمَقامُ لضميرِ المُتكلِّم** ، وحيثُ يكونُ الكلامُ مُلقىً إلىٰ مُخاطَبٍ . . **فالمَقامُ لضميرِ المُخاطَبِ** ، وحيثُ يُرادُ ذكرُ الشيءِ بعدَ تقديمِ ما يُشعِرُ بهِ . . **فالمَقامُ لضميرِ الغائبِ** ، وقد يُعدَلُ عن مقتضىٰ ظاهرِ المَقامِ والحالِ إلىٰ مُقتضى الحالِ ، فيُوضَعُ الظاهرُ موضعَ الضَّميرِ لغَرَضٍ يَتعلَّقُ بهِ ؛ كقولِ الأميرِ لتابعِهِ : أميرُكَ أمرَكَ بكذا ، دونَ أن

يقولَ : أنا أمرتُكَ بكذا ؛ تعييناً لجهةِ المَخافةِ المُوجِبةِ للتحرُّز بالامتثالِ ، والمسارعةِ إلى القيامِ بالوظائفِ .

وقالَ تعالىٰ : ﴿ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ﴾ (١) ؛ أي : هوَ اللهُ الذي مَنْ تَوكَّلَ عليهِ . . كفاهُ المُؤَنَ ، حيثُ لا مُعقِّبَ [لحُكْمِهِ] ، ولا تَنفَدُ خزائنُ إمدادِهِ ، وأمثلةُ وضعِ الظاهرِ موضعَ الضَّميرِ في القرآنِ . . كثيرةٌ .

يُحكىٰ : أنَّ بعضَ الناسِ حينَ سمعَ قولَ ابنِ الروميِّ بحضرةِ الصَّاحبِ ابنِ عبادٍ (٢) : [من الطويل]

بِجَهْلٍ كَجَهْلِ ٱلسَّيْفِ وَٱلسَّيْفُ مُنْتَضىً وَحِلْمٍ كَحِلْمِ ٱلسَّيْفِ وَٱلسَّيْفُ مُغْمَدُ

استهجنَهُ ؛ لِمَا فيهِ مِنَ التكريرِ ، فقالَ الصَّاحبُ : إنَّهُ لو قالَ : (وهوَ) لا أقولُ : إنَّهُ ينكسرُ البيتُ ، ولـٰكنْ أقولُ : إنَّهُ ينكسرُ القلبُ ؛ يعني : أنَّ حسنَ هـٰذهِ العبارةِ مِنَ الجهةِ التي منها الاستهجانُ ؛ فإنَّ الغَرَضَ تربيةُ الروعةِ ، وإبقاءُ الاستهالةِ متزايدةً في نفوسِ الأعداءِ ، ألا ترىٰ أنَّكَ في مَقامِ التهديدِ تُكثِرُ مِنْ ذكرِ المرهوباتِ ، كما أنَّكَ في مَقامِ التبشيرِ وبسطِ النفوسِ تُكثِرُ مِنْ ذكرِ المرغوباتِ ؟!

واسمُ الإشارةِ : للاحتياجِ إليهِ ، أو لكمالِ العنايةِ بالمَحكيِّ عنهُ ؛ كقولِ ابنِ الروميِّ (٣) : [من البسيط]

هَـٰذَا أَبُو ٱلصَّقْرِ فَرْداً فِي مَحَاسِنِهِ مِنْ نَسْلِ شَيْبَانَ بَيْنَ ٱلضَّالِ وَٱلسَّمُرِ

---

(١) سورة آل عمران : (١٥٩) .

(٢) انظر « ديوان ابن الرومي » (٢/٥٩٠) .

(٣) كذا أورد البيت في « معاهد التنصيص » (١/١٠٧) ، وفيه : (السلم) بدل (السمر) ، والبيت في « ديوان ابن الرومي » (٦/٢٤٢٥) :

أَضْحَىٰ أَبُو ٱلصَّقْرِ فَرْداً لَا نَظِيرَ لَهُ بَعْدَ ٱلنَّبِيِّ وَمَنْ وَالَتْ خُرَاسَانُ

أو لإظهارِ الاستغرابِ والتعجُّبِ ؛ كقولِ القائلِ [١] : [من البسيط]

كَمْ عَاقِلٍ عَاقِلٌ أَعْيَتْ مَذَاهِبُهُ وَجَاهِلٍ جَاهِلٌ تَلْقَاهُ مَرْزُوقَا
هَٰذَا ٱلَّذِي تَرَكَ ٱلْأَوْهَامَ حَائِرَةً وَصَيَّرَ ٱلْعَالِمَ ٱلنِّحْرِيرَ زِنْدِيقَا

أو لإيهامِ بَلادةِ المُخاطَبِ ، أو فطنتِهِ .

وتُوضَعُ إشارةُ القريبِ مكانَ إشارةِ البعيدِ وبالعكسِ ؛ لإظهارِ التعظيمِ أوِ التحقيرِ ، والإشارةُ للمُبصَراتِ الحاضرةِ ، ويُنزَّلُ المعقولُ منزلةَ المحسوسِ ، وغيرُ المُبصَرِ منزلةَ المُبصَرِ ، والغائبُ منزلةَ الحاضرِ ، لأمثالِ تلكَ الدواعي المذكورةِ ، قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ﴾ [٢] ، ﴿ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ﴾ [٣] ، ﴿ أَهَٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا ﴾ [٤] ، ﴿ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾ [٥] ، ﴿ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴾ [٦] ، ﴿ وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ﴾ [٧] .

❁ ❁ ❁

والموصولُ : لعدمِ العلمِ بما يخصُّه سوى الصلةِ ؛ نحوُ : مَنْ دخلَ هٰذا الحصنَ . . فلهُ كذا ، أو للإخفاءِ ، أو استهجانِ التصريحِ بالاسمِ ، أو التشويقِ إلىٰ ما يردُ لتمكُّنِهِ في الذهنِ ، وهٰذا إذا كانَ مضمونُ الصلةِ حكماً غريباً ؛ نحوُ [٨] : [من الخفيف]

وَٱلَّذِي حَارَتِ ٱلْبَرِيَّةُ . . . . (البيتَ) .

---

(١) البيتان لابن الراوندي كما في « معاهد التنصيص » (١/١٤٧) .
(٢) سورة البقرة : (٢٥٥) .
(٣) سورة البقرة : (٢٦) .
(٤) سورة الفرقان : (٤١) .
(٥) سورة البقرة : (٢) .
(٦) سورة الشورىٰ : (٤٣) .
(٧) سورة الأعراف : (٢٦) . (٨) تقدم قريباً (٢/٨٢) .

أو زيـادةِ التقريرِ ؛ نحوُ : ﴿ وَرَٰوَدَتۡهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيۡتِهَا ﴾[1] ؛ أي راودَتْ زَلِيخا يوسفَ عليهِ السلامُ ، والكلامُ مَسُوقٌ لنزاهةِ يوسفَ عليهِ السلامُ ، وكونُهُ في بيتِها أدلُّ علىٰ نزاهتِهِ ، فيكونُ تقريراً للغَرَضِ المَسُوقِ لهُ الكلامُ ، وقيلَ : لتقريرِ المراودةِ بدلالةِ كونِهِ في بيتِها علىٰ كثرةِ الخلطةِ وزيادةِ الألفةِ .

أوِ التفخيمِ ؛ نحوُ : ﴿ فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلۡيَمِّ مَا غَشِيَهُمۡ ﴾[2] ؛ أي : غطَّاهُم وسترَهُم موجٌ عظيمٌ لا يمكنُ وصفُهُ ، أو التحقيرِ ؛ نحوُ : ومَنْ لم يَدْرِ حقيقةَ الحالِ . . قالَ ما قالَ ؛ أي : قالَ قولاً لا يُعتَدُّ بهِ ، **وتحقيقُهُما** : أنَّ في التعبيرِ بالموصولِ إبهاماً ، والإبهامُ إمَّا للإشعارِ بأنَّهُ لا يُوصَفُ لعلوِّ مرتبتِهِ عنِ الفهمِ ، فيفيدُ التفخيمَ ، وإمَّا للإشعارِ بأنَّهُ لا يُوصَفُ لدُنُوِّ منزلتِهِ عن أن يُلتفَتَ إليهِ ، فيفيدُ التحقيرَ .

أوِ التنبيهِ على الخطأ ؛ نحوُ[3] : [من الكامل]

إِنَّ ٱلَّذِينَ تَرَوْنَهُمْ إِخْوَانَكُمْ   يَشْفِي غَلِيلَ صُدُورِهِمْ أَنْ تُصْرَعُوا

أو تحقيقِ الحُكْمِ ؛ نحوُ[4] : [من البسيط]

إِنَّ ٱلَّتِي ضَرَبَتْ بَيْتاً مُهَاجِرَةً   بِكُوفَةِ ٱلْجُنْدِ غَالَتْ وُدَّهَا غُولُ

أو تعظيمِ المحكومِ بهِ ؛ نحوُ[5] : [من الكامل]

إِنَّ ٱلَّذِي سَمَكَ ٱلسَّمَاءَ بَنَىٰ لَنَا   بَيْتاً دَعَائِمُهُ أَعَزُّ وَأَطْوَلُ

---

(١) سورة يوسف : (٢٣) .
(٢) سورة طه : (٧٨) .
(٣) البيت لعبدة بن الطبيب رضي الله عنه ، كما في « معاهد التنصيص » (١/١٠٠) .
(٤) البيت لعبدة بن الطبيب رضي الله عنه ، كما في « المفضليات » (ص ١٣٦) .
(٥) هو للفرزدق في « ديوانه » (٢/٣١٨) .

يريدُ : بيتَ العزِّ والشرفِ بالحسبِ والنسبِ ؛ أي : فهوَ في الرفعةِ وعلوِّ الشأنِ مِنْ جنسِ السماءِ .

أو تعليلِهِ ؛ نحوُ : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتۡ لَهُمۡ جَنَّٰتُ ٱلۡفِرۡدَوۡسِ نُزُلًا ﴾ [١] ، فإنَّ الإيمانَ وعملَ الصالحاتِ سببٌ للجنَّاتِ ورفعِ الدرجاتِ .

❀ ❀ ❀

وذو الأداةِ : حيثُ تكونُ الحكايةُ عن جنسٍ أو معهودٍ مِنْ أفرادِهِ أو جميعِ أفرادِهِ علىٰ ما سَلَفَ تقريرُهُ في النحوِ [٢] ، وحيثُ يكونُ ذو الأداةِ خبراً . . كانَ الكلامُ مِنْ عباراتِ التخصيصِ ؛ نحوُ : زيدٌ هوَ المنطلقُ ، والكرمُ التقوىٰ ، وذٰلكَ هوَ الرجلُ ؛ فالتخصيصُ : حقيقيٌّ أوِ ادِّعائيٌّ .

❀ ❀ ❀

والمُضافُ : لتعيينِهِ بالإضافةِ ، أو تخصيصِهِ ، أو تشريفِهِ ، أو تشريفِ المُضافِ إليهِ ، أوِ الاختصارِ ؛ نحوُ : ﴿ سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ ﴾ [٣] ، ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ﴾ [٤] ، ودينُنا الإسلامُ ، ونبيُّنا محمدٌ صلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ ، ونحوُ : أنتَ تَعرِفُ رغبةَ فلانٍ ، واعتمدتُ علىٰ هِمَّتِكَ .

التنكيرُ

للإفرادِ ؛ شخصاً أو نوعاً ؛ نحوُ : ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٖ مِّن مَّآءٖ ﴾ [٥] ؛ أي : كلَّ

---

(١) سورة الكهف : (١٠٧) .

(٢) انظر (١/١٢٢) .

(٣) سورة الإسراء : (١) .

(٤) سورة الفرقان : (٦٣) .

(٥) سورة النور : (٤٥) .

فردٍ أو نوعٍ منها ، مِنْ فردٍ أو نوعٍ منهُ ، أو لأنَّهُ لا يُعرَفُ منهُ إلَّا ذٰلكَ القَدْرُ ولوِ ادّعاءً ؛ كما تقولُ وقد أُسمِعتَ شعراً : هوَ كلامٌ ؛ أي : ليسَ إلَّا لفظاً مُركَّباً مفيداً بالوضعِ ، تُجرِّدُهُ عنِ الوزنِ والتقفيةِ والصناعةِ .

أو للإخفاءِ ، أوِ التكثيرِ ، أوِ التقليلِ ، أوِ التعظيمِ ، أوِ التحقيرِ ؛ نحوُ[١] : [من الطويل]

لَهُ حَاجِبٌ عَنْ كُلِّ أَمْرٍ يَشِينُهُ وَلَيْسَ لَهُ عَنْ طَالِبِ ٱلْعُرْفِ حَاجِبُ
فَتىً لَا يُبَالِي ٱلْمُدْلِجُونَ بِنَارِهِ إِلَىٰ بَابِهِ أَلَّا تُضِيءَ ٱلْكَوَاكِبُ
يَصَمُّ عَنِ ٱلْفَحْشَاءِ حَتَّىٰ كَأَنَّهُ إِذَا ذُكِرَتْ عَنْ مَجْلِسِ ٱلْقَوْمِ غَائِبُ

أي : لهُ حاجبٌ عظيمٌ ، وليسَ لهُ أدنىٰ حاجبٍ ، وهوَ فتىً أيُّ فتىً !! وفي الشعرِ ما يُذكِّرُكَ بكثيرٍ ممَّا مضىٰ ، ونحوُ[٢] : [من الطويل]

وَلِلهِ عِنْدِي جَانِبٌ لَا أُضِيعُهُ وَلِلَّهْوِ عِنْدِي وَٱلْخَلَاعَةِ جَانِبُ

[التقييدُ]

التقييدُ ببعضِ التوابعِ لما سلفَ تقريرُهُ في النحوِ . . لم يذكروا في هٰذا الفنِّ زيادةً عنهُ ، غيرَ أنَّ عطفَ البيانِ يكونُ كالنعتِ للمدحِ ؛ نحوُ : الكعبةُ البيتُ الحرامُ .

وإنَّ الفاءَ و(ثُمَّ) كما يكونُ معناهُما بحَسَبِ الزمانِ . . يكونُ بحَسَبِ المرتبةِ والتفاوتِ فيها ؛ مثلُ أنَّ التفسيرَ يناسبُ أن يعقبَ المُفسَّرَ ؛ نحوُ : ﴿ جَعَلْنَا فِيٓ أَعْنَٰقِهِمْ أَغْلَٰلًا فَهِيَ إِلَى ٱلْأَذْقَانِ ﴾[٣] .

---

(١) الأبيات لابن أبي السمط ، كما في « معاهد التنصيص » (١/١٢٧) .
(٢) انظر « معاهد التنصيص » (١/١٢٧) .
(٣) سورة يسٓ : (٨) .

والتراخي بحَسَبِ التفاوتِ والبعدِ بينَ الحالتَينِ تفهمُهُ مِنْ آيةِ خلقِ الإنسانِ : ﴿ ثُمَّ أَنشَأْنَهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ﴾ (١) .

الفصلُ بلفظِ (هوَ) للتخصيصِ ، أو لتأكيدِهِ حيثُ يُستفادُ مِنْ غيرِهِ .

القصرُ

ويُقالُ : **الحصرُ والتخصيصُ** : يكونُ بعطفِ (لا) قيلَ : ويَختصُّ بقصرِ القلبِ ، وبعطفِ (لٰكنْ) قيلَ : ويَختصُّ بالإفرادِ ، ويكون بأداة نفيٍ و(إلَّا) ، ويكون بـ (إنَّما) ولا يُعرَفُ المقصورُ معَها إلَّا بتأخيرِهِ ، فوجبَ ، ويكونُ بالتقديمِ اعتماداً على القرينةِ ، لا بالوضعِ كسابقِهِ ، ويكونُ بالفصلِ كما سبقَ (٢) ، وبقولِكَ : فقطْ ، أو وحدَهُ .

والقصرُ حقيقيٌّ وإضافيٌّ ؛ أي : بالنسبةِ إلىٰ صفةٍ أخرىٰ ، أو موصوفٍ آخَرَ ، والحقيقيُّ في قصرِ الموصوفِ على الصفةِ . . نادرٌ جدّاً ، حتىٰ قيلَ : إنَّهُ مُتعذِّرٌ ؛ نحوُ : إنَّما اللهُ كاملٌ ، فليسَ وراءَ الكمالِ صفةٌ .

❋ ❋ ❋

---

(١) سورة المؤمنون : (١٤) .

(٢) انظر (١/٤٠٩) .

الجملُ الإنشائيةُ

يَخُصُّها مِنَ الكلامِ أنَّها تَخرُجُ عن استعمالِها في معانيها الأصليَّةِ ـ التي عرفتَها[١] ـ لها في النحوِ إلىٰ مراداتٍ يَلزمُ تنبيهُكَ لها ، تَلحَظُها في كلامِ العامَّةِ فضلاً عن كلامِ الخاصَّةِ ؛ مثلُ كونِ الأمرِ والنهيِ يُرادُ بهما نحوُ **التهديدِ** : ﴿ ٱعۡمَلُواْ مَا شِئۡتُمۡ ﴾[٢] ، **والإهانةِ** : ﴿ كُونُواْ حِجَارَةً أَوۡ حَدِيدًا أَوۡ خَلۡقًا مِّمَّا يَكۡبُرُ فِي صُدُورِكُمۡ ﴾[٣] ، **والتعجيزِ** : ﴿ فَأۡتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثۡلِهِۦ ﴾[٤] ، **والتسويةِ** : ﴿ فَٱصۡبِرُوٓاْ أَوۡ لَا تَصۡبِرُواْ ﴾[٥] .

وإنَّ عباراتِ الاستفهامِ تكونُ لصِرْفِ الإنكارِ ، فتكونُ كعباراتِ النفيِ ؛ نحوُ : ﴿ هَلۡ جَزَآءُ ٱلۡإِحۡسَٰنِ إِلَّا ٱلۡإِحۡسَٰنُ ﴾[٦] ، ﴿ وَمَن يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾[٧] ، **وللتوبيخِ** ، **والتعجُّبِ** ، **والتعجيبِ** ، **والتقريرِ** ؛ أي : حملِ المُخاطَبِ على الإقرارِ . . . إلىٰ غيرِ ذٰلكَ ممَّا يُنبِّهُ المَقامُ وسياقُ الكلامِ على اعتبارِهِ .

والشيءُ الذي يَتعلَّقُ بهِ الاستفهامُ وما يَتولَّدُ منهُ يكونُ والياً للهمزةِ ؛ تقولُ : أماشياً جاءَ زيدٌ ؟ حيثُ يكونُ الاستفهامُ مُتعلِّقاً بالحالِ ، وهٰكذا كما سلفَ تقريرُهُ عندَ بيانِ كونِ الاستفهامِ لطلبِ التصديقِ أو طلبِ التصوُّرِ[٨] .

والكلامُ العامُّ في هٰذا الموضعِ : أنَّكَ إذا وجدتَ العبارةَ مدلولاً علىٰ أنَّها

---

(١) انظر (١/٥٢٢) وما بعدها .

(٢) سورة فصلت : (٤٠) .

(٣) سورة الإسراء : (١٧ ـ ١٨) .

(٤) سورة البقرة : (٢٣) .

(٥) سورة الطور : (١٦) .

(٦) سورة الرحمٰن : (٦٠) .

(٧) سورة آل عمران : (١٣٥) .

(٨) تقدم (١/١٣٢ ، ١٦٣) .

غيرُ مُستعمَلةٍ في معناها الأصليّ الذي عرفتَهُ لها . . طلبتَ المرادَ منها بإعانةِ القرائنِ وسياقِ الكلامِ مِنْ جنسِ تلكَ الدواعي التي عرفتَها ؛ حيثُ تَقرَّرَ عندَكَ أنَّ الدواعيَ المذكورةَ في هٰذا الفنِّ . . إنَّما هيَ أُنموذجٌ يُنبِّهُكَ على اعتبارِ ما يَحسُنُ في الذَّوقِ اعتبارُهُ .

وكلمةُ (ما) مِنْ أدواتِ الاستفهامِ . . يُطلَبُ بها **تفسيرُ اللفظِ** ؛ نحوُ : ما العنقاءُ ؟ **وشرحُ الماهيَّةِ** ؛ نحوُ : ما هوَ الهواءُ ؟ وما هيَ النارُ ؟ **والإعلامُ بحالِ المذكورِ معَها** ؛ نحوُ : ما أنتَ ؟ فتقولُ : رسولُ فلانٍ إليكَ في أمرِ كذا .

وكلمةُ (هل) إن كانَ الاستخبارُ بها عن وجودِ الشيءِ . . سُمِّيَتِ : **البسيطةَ** ، وإن كانَ عن غيرِهِ . . سُمِّيَتِ : **المُركَّبةَ** ، وعليهِ يقولُ أهلُ المَنطِقِ : الهَلِّيَّةُ البسيطةُ ، والهَلِّيَّةُ المُركَّبةُ .

وبقيةُ الأدواتِ سبقَ لكَ إبانةُ وظائفِها .

[إخراجُ الكلامِ علىٰ خلافِ مقتضى الظاهرِ]

هٰذا ؛ وإجراءُ الكلامِ علىٰ ما تقتضيهِ ظواهرُ الأحوالِ حَسَبَ المتعارفِ . . يُسمَّىٰ : **إخراجَ الكلامِ علىٰ مُقتضى الظاهرِ** ، وإجراؤُهُ علىٰ خلافِها يُسمَّىٰ : **إخراجَ الكلامِ علىٰ خلافِ مُقتضى الظاهرِ** .

مثلاً : إذا عرفتَ أنَّ إنساناً يَعرِفُ مضمونَ خبرٍ . . فمُقتضىٰ ظاهرِ الحالِ ألَّا تُخبِرَهُ بهِ ؛ حفظاً للوقتِ مِنَ الضَّياعِ ، بل تُخبِرُهُ بما تَعرِفُ جهلَهُ بهِ ؛ استزادةً في علمِهِ ، لٰكنْ إذا رأيتَهُ عاملاً علىٰ خلافِ علمِهِ . . حَسُنَ أن تُنزِلَهُ مَنزِلةَ الجاهلِ ؛ تأديباً لهُ ، وتنفيراً عن غيرِ الحسنِ ، فتُخبِرَهُ بالخبرِ كما هوَ مُقتضىٰ هٰذا الحالِ .

فمنهُ : **تنزيلُ العالِمِ مَنزِلةَ الجاهلِ وعكسِهِ** ، مثلاً : تقولُ لتلميذِكَ وأنتَ

تَعلَمُ أنَّهُ لم يكتبْ : أسمعْني ما كتبتَ ، كأنَّكَ تجهلُ عدمَ كتابتِهِ ؛ ليكونَ هوَ الذاكرَ لجنايتِهِ .

❊ ❊

ومنهُ : وضعُ الظاهرِ موضعَ الضَّميرِ ، والماضي موضعَ المضارعِ وعكسِهِ : لِمَا سلف .

ومنهُ : وضعُ الخبرِ موضعَ الإنشاءِ ؛ للتفاؤلِ في نحوِ : هداكَ اللهُ لمحاسنِ الأعمالِ ، **أو لإظهارِ الرغبةِ ، أو للتأدُّبِ معَ المُخاطَبِ بتركِ الأمرِ** ؛ كما تقولُ : يَنظُرُ مولايَ في هٰذهِ القضيةِ ، ويَتفضَّلُ عليَّ برأيِهِ فيها ، بدلَ : (انظرْ) وأشباهِ ذٰلكَ .

ومنهُ : تجاهلُ العارفِ إظهاراً لشِدَّةِ الوَلَهِ ؛ كقولِ أختِ ابنِ طريفٍ حينَ ترثي أخاها[1] : [من الطويل]

أَيَا شَجَرَ ٱلْخَابُورِ مَا لَكَ مُورِقاً كَأَنَّكَ لَمْ تَجْزَعْ عَلَى ٱبْنِ طَرِيفِ

أوِ الفخرِ بالمسارعةِ إلى الخيرِ ؛ نحوُ : أيُّنا كتبَ وحفظَ وفهمَ ؟

❊

ومنهُ : التغليبُ ، فيُعبَّرُ عنِ المغلوبِ بعبارةِ الغالبِ ؛ نحوُ : ﴿ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ ﴾[2] ، تغليباً للذُّكورِ ، ونحوُ : ﴿ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[3] ، تغليباً للعقلاءِ ، ونحوُ : ﴿ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ إِلَّآ إِبْلِيسَ ﴾[4] ، تغليباً

---

(١) انظر « معاهد التنصيص » (٣/١٥٩) .

(٢) سورة التحريم : (١٢) .

(٣) سورة الفاتحة : (٢) .

(٤) سورة الحجر : (٣٠) .

للكثيرِ ، ونحوُ : (العُمَرَانِ) لأبي بكرٍ وعمرَ ؛ تغليباً للأخفِّ ؛ كالحسنَينِ ، و(الأبوانِ) و(القمرانِ) تغليباً للمُذكَّرِ .

❁ ❁ ❁

ومنهُ : **الالتفاتُ** : كأن تكونَ في الإخبارِ عن شخصٍ بأمورٍ تَعُدُّها عليهِ وهوَ حاضرٌ ، ثمَّ تلتفتُ للكلامِ إلىٰ خطابِهِ بأن تقولَ شاكياً منهُ إلىٰ مَنْ معَهُ المكالمةُ : إنِّي دللتُهُ علىٰ رشادِهِ ، وأبنتُ لهُ وجوهَ المنفعةِ فيما أمرتُهُ بهِ ، وأريتُهُ جهاتِ الضَّررِ في خلافِهِ . تُظهِرُ أنَّهُ قدِ اشتدَّ بكَ الغضبُ ، وآلَتْ بكَ الحالُ إلىٰ تَبدُّلِ الرحمةِ بالقسوةِ ، كما قيلَ [١] : [من الكامل]

فَقَسَا لِيَزْدَجِرُوا وَمَنْ يَكُ حَازِماً فَلْيَقْسُ أَحْيَاناً عَلَىٰ مَنْ يَرْحَمُ

فتلتفتُ إلىٰ خطابِهِ قائلاً : فماذا أصنعُ بكَ ؟! أعاملُكَ معاملةَ البهائمِ ، أم أُخلِيكَ نقمةً علىٰ نفسِكَ وعاراً علىٰ بيتِكَ ؟!

فالالتفاتُ : أن تخالفَ الظاهرَ بالإخبارِ بعدَ الخطابِ ؛ نحوُ : ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمۡ فِي ٱلۡفُلۡكِ وَجَرَيۡنَ بِهِم ﴾ [٢] ، والخطابِ بعدَ الإخبارِ ؛ نحوُ : ﴿ إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ﴾ [٣] ، فلا بدَّ مِنْ عبارتَينِ تخالفُ الثانيةُ الأُولىٰ في التكلُّمِ والخِطابِ والغَيبةِ ، أوِ المَدارُ علىٰ مخالفةِ الظاهرِ ، رأيانِ .

فقولُ الشاعرِ [٤] : [من المتقارب]

تَطَاوَلَ لَيْلُكَ بِٱلْأَثْمُدِ

---

(١) انظر « نهاية الأرب » (٢٩١/٧) .
(٢) سورة يونس : (٢٢) .
(٣) سورة الفاتحة : (٥) .
(٤) هو لامرئ القيس في « ديوانه » (ص ١٨٥) ، والبيت بتمامه :
تَطَاوَلَ لَيْلُكَ بِٱلْأَثْمُدِ وَنَامَ ٱلْخَلِيُّ وَلَمْ تَرْقُدِ

خطاباً لنفسِهِ مِنَ الالتفاتِ علىٰ أحدِ الرأيَينِ ، كأنَّهُ نظرَ إلىٰ ما حقُّهُ أن يُعبَّرَ بهِ ، فأعرضَ عنهُ والتفتَ إلىٰ غيرِهِ .

والمَدارُ في نِكاتِ الالتفاتِ ما تستحسنُهُ الأذواقُ ، ويَصلُحُ أن يكونَ داعياً لتغييرِ الأسلوبِ ومخالفةِ الظاهرِ ، مثلاً : الالتفاتُ في ﴿ إِيَّاكَ نَعۡبُدُ ﴾[1] للتنبيهِ علىٰ أنَّ مرتبةَ التوجُّهِ إلىٰ شيءٍ بالعبادةِ وطلبِ المعونةِ . . إنَّما هيَ بعدَ معرفتِهِ بكونِهِ المُبدِعَ الحافظَ المُحسِنَ بتبليغِ العابدِ المستعينِ إلىٰ حالِ كمالِهِ ، مُقبلاً عليهِ بأتمِّ رحمةٍ وأسبغِ نعمةٍ ، وهوَ المُتصرِّفُ في جميعِ أحوالِهِ ، لا مُعقِّبَ لحُكْمِهِ ، فيَتضمَّنُ هـٰذا تعليمَ العبادِ أنَّهُ لا ينبغي الإقدامُ علىٰ طلبِ ثمرةٍ مِنْ شيءٍ إلَّا بعدَ معرفةِ الطريقِ الموصلةِ إليها ، وما يلزمُ مِنَ العملِ .

والنكتةُ في نحوِ ﴿ إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ ﴾[2] : التمكُّنُ مِنْ ذكرِ الجهةِ التي يَسهُلُ علىٰ كلِّ أحدٍ ملاحظتُها ، داعياً للشكرِ بامتثالِ ما أُمروا بهِ ، واجتنابِ ما نُهُوا عنهُ ؛ وهيَ التربيةُ ، وأنَّ الترتيبَ بهـٰذا العنوانِ يكونُ مُشتمِلاً علىٰ بسطِ نفسِ المُخاطَبِ بوعدِهِ التمكينَ مِنْ ثمرةِ الشجرةِ ، كأنَّهُ قالَ : أعطيناكَ وسنوصلُكَ إلىٰ جميعِ منافعِ ما لكَ أعطينا .

وعليكَ بالتأمُّلِ ؛ لتَستخرِجَ محاسنَ ما يَرِدُ عليكَ مِنَ الالتفاتاتِ بالقياسِ علىٰ هـٰذا .

[الأسلوبُ الحكيمُ وقصةُ سيِّدنا خالدٍ معَ حكيمِ الحيرةِ]

ومنهُ : **الأسلوبُ الحكيمُ** : وهوَ تلقِّي المُخاطَبِ بغيرِ ما هوَ يَترقَّبُهُ جواباً عن كلامِهِ لغرضٍ ؛ كالتنبيهِ علىٰ مَحَلِّهِ مِنَ المعرفةِ ، ودرجتِهِ مِنَ الاعتبارِ .

يُحكىٰ : أنَّ خالدَ بنَ الوليدِ رضيَ اللهُ عنهُ لمَّا وصلَ بجيشِ الجهادِ وهوَ

---

(١) سورة الفاتحة : (٥) .

(٢) سورة الكوثر : (١ ـ ٢) .

أميرُهُ إلى الحِيرةِ ، وتَحيَّرَ أهلُها . . كانَ فيهِم رجلٌ مُعمَّرٌ ذو رأيٍ وطُولِ تَجرِبةٍ يُقالُ لهُ : عبدُ المسيحِ ، فقالَ : يا أهلَ الحِيرةِ ؛ مكانَكُم حتىٰ آتيَ هـٰؤلاءِ ، فإن وجدتُهُم علىٰ حقٍّ . . فلا خيرَ في خلافِهِم ، وإن يكنْ غيرُ ذٰلكَ . . فهـٰأنذا قدِ استصحبتُ سُمّاً أتناولُهُ إذ ذاكَ ، وشأنَكُم وما ترونَ .

فلمَّا حضرَ عندَ خالدٍ . . كانَ مِنْ كلامِهِ لهُ : مِنْ أينَ ؟ فأجابَ : مِنْ صلبِ أبي ، فقالَ : فيمَ أنتَ ؟ قالَ : في ثيابي ، فقالَ : علامَ أنتَ ؟ قالَ : على الأرضِ ، فقالَ : كم سنُّكَ ؟ قالَ : اثنانِ وثلاثونَ ، فقالَ خالدٌ : أسألُكَ عنِ الشيءِ فتجيبُ بغيرِ جوابِهِ !! فقالَ : لم أفعلْ ، إنَّما أجبتُكَ جوابَ ما سألتَ ، فقالَ خالدٌ : دعْني مِنْ هـٰذا ، ما أنتَ ؟ فقالَ : أنا رسولُ مَنْ ورائي ، ونظرَ خالدٌ إلىٰ يدِهِ فوجدَهُ قد أطبقَها علىٰ شيءٍ ، فقالَ : ما بيدِكَ ؟ فأخبرَهُ أنَّهُ سُمٌّ وما جرىٰ بينَهُ وبينَ قومِهِ ، فتناولَ خالدٌ السُّمَّ مِنْ يدِهِ وابتلعَهُ ، فغابَ هُنيهةً وضَرَبَ بلحيتِهِ علىٰ صدرِهِ وتَصبَّبَ عرقاً ثمَّ أفاقَ وكَلَّمَ عبدَ المسيحِ ، فأسلمَ (١) ، وهـٰذهِ مِنْ معجزاتِ نبيِّنا صلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ ؛ فإنَّ كراماتِ الأولياءِ معجزاتٌ لأنبيائِهِم .

ويُحكىٰ : أنَّ شاعراً يُقالُ لهُ القَبَعْثرىٰ في أيامِ الحَجَّاجِ بنِ يوسفَ ، كانَ معَ بعضِ أصحابِهِ في بستانٍ ، فجرىٰ ذكرُ الحَجَّاجِ ؛ فقالَ : اللهمَّ ؛ سَوِّدْ وجهَهُ ، واقطعْ عنقَهُ ، واسقني مِنْ دمِهِ .

فبلغَ ذٰلكَ الحَجَّاجَ ، فأحضرَهُ وذكرَ لهُ ما كانَ منهُ ، فقالَ : إنَّما أردتُ العنبَ ، فأخذَ يَتهدَّدُهُ ، فكانَ مِنْ كلامِهِ : لَأحملنَّكَ على الأدهمِ ؛ يريدُ : القيدَ ، فقالَ القَبَعْثرىٰ : مثلُ الأميرِ مَنْ حملَ على الأدهمِ والأشهبِ ، فقالَ : أردتُ الحديدَ ، فقالَ : لأن يكونَ حديداً خيرٌ مِنْ أن يكونَ بليداً ، فقالَ :

---

(١) انظر « تاريخ دمشق » (٣٧/٣٦٤ ـ ٣٦٥) .

احملوهُ ، فتلا : ﴿ سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا ﴾ (١) ، فقالَ : اطرحوهُ ، فتلا : ﴿ مِنۡهَا خَلَقۡنَٰكُمۡ وَفِيهَا نُعِيدُكُمۡ ﴾ (٢) ، فصفحَ عنهُ (٣) ، وكانَتْ تلكَ عادةَ الحجَّاجِ ، يَهَبُ جناياتِ الشخصِ لآدابِهِ .

فالغَرَضُ تنبيهُ المُخاطَبِ علىٰ خطئِهِ ، وأنَّ الأليقَ بإمارتِهِ وقدرتِهِ أن يُصفِدَ ويعطيَ ، لا أن يَصفِدَ ويُقيّدَ (٤) .

والنورُ المبينُ في الأسلوبِ الحكيمِ : قولُهُ تعالىٰ : ﴿ يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡأَهِلَّةِۖ قُلۡ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلۡحَجِّ ﴾ (٥) ، فمطلوبُ السائلينَ : إبانةُ سببِ تشكُّلِ القمرِ في أشكالِهِ ، حيثُ كانَ سؤالُهم : ما بالُ الهلالِ يبدو دقيقاً ، ثمَّ يتزايدُ حتىٰ يصيرَ بدراً ، ثمَّ يتناقصُ حتىٰ يعودَ كما بدا ؟ فحُمِلَ سؤالُهُم علىٰ أنَّ مطلوبَهُم إبانةُ الحِكَمِ المُترتِّبةِ علىٰ ذٰلكَ ، فأُجيبوا علىٰ وَفْقِهِ ؛ تنبيهاً علىٰ أنَّهُ الأَولىٰ بهِم ؛ إذ كانَ هوَ الذي يُهِمُّهُم في أعمالِ دنياهُم وآخِرتِهم .

[القلبُ نوعٌ من خلافِ الظَّاهرِ]

ومِنْ خلافِ الظاهرِ : القلبُ ؛ كما في قولِهِم : عرضتُ الناقةَ على الحوضِ ، وأدخلتُ الخاتمَ في إصبَعي ، ووجهُ الكلامِ : عرضتُ الحوضَ ، وأدخلتُ إصبَعي ؛ فإنَّ العَرْضَ أن تُحضِرَ ما لا يَختارُ إلىٰ ما يَختارُ تنظرُ : هل يفعلُ ؛ تقولُ : عرضتُ الماءَ على الفرسِ غيرَ مَرَّةٍ فلم يشربْ ؛ كأنَّهُ جَزِئَ برَطْبِ الخَلاءِ عنِ الماءِ .

---

(١) سورة الزخرف : (١٣) .

(٢) سورة طه : (٥٥) .

(٣) انظر « خزانة الأدب » للحموي (٢/٢٧٠) .

(٤) يصفد الأولىٰ : بمعنىٰ : يعطي ، والثانية : بمعنىٰ : يقيد .

(٥) سورة البقرة : (١٨٩) .

وهلِ القلبُ مقبولٌ داخلٌ في بابِ البلاغةِ ؟ **ثالثُ الأقوالِ** : أنَّهُ إنِ اشتملَ علىٰ نكتةٍ تُحسِّنُهُ . . فهوَ مقبولٌ ، قالَ القطاميُّ في صفةِ ناقتِهِ (١) : [من الوافر]

فَلَمَّا أَنْ جَرَىٰ سِمَنٌ عَلَيْهَا   كَمَا طَيَّنْتَ بِٱلْفَدَنِ ٱلسِّيَاعَا

الفَدَنُ : القصرُ ، **والسِّياعُ** : هوَ الطينُ الذي يُبسَطُ علىٰ ظاهرِ الجُدرانِ لتسويتِها وتحصيلِ مَلاستِها ، **والسِّمنُ** : الشَّحمُ .

وترتيبُ **الحيوانِ** : العظمُ وغطاؤهُ اللحمُ ، وغطاءُ اللحمِ الشحمُ ، والغطاءُ الأخيرُ الجلدُ ، فالشحمُ بمنزلةِ السِّياعِ ، وفي المثلِ : قيلَ للشحمِ : أينَ تذهبُ ؟ فقالَ : أُسوِّي العِوَجَ ، فكانَ وجهُ الكلامِ : كما طَيَّنتَ الفَدَنَ بالسِّياعِ ، ولٰكنْ لمَّا أرادَ المبالغةَ ليفيدَ كثرةَ الشَّحمِ . . قَلَبَ في الكلامِ ؛ وذٰلكَ أنَّ العادةَ أن يكونَ الجِدارُ غليظاً ، والساترُ إنَّما هوَ طبقةٌ رقيقةٌ ، فجعلَ الساترَ مستوراً ، والمستورَ ساتراً ؛ نقلاً للغِلَظِ والرِّقَّةِ عن موضعَيهِما ، فجاءَتِ المبالغةُ .

ثُمَّ إنَّ القلبَ لم يَكثُرْ في كلامِ العربِ ، ولم يَرِدْ في أبلغِ الكلامِ ، فهٰذا هوَ سببُ الاختلافِ في قَبولِهِ ، ويُقبَلُ منهُ مثلُ أن تقولَ : ما زلتُ أعظُ لساني بهِ فلم ينفعْ ، ثمَّ ضربتُ هٰذهِ العِصابةَ حتىٰ تَكسَّرَتْ فلم يَنجَعْ ، فقلتُ : لا تهدي مَنْ أحببتَ .

* * *

(١) انظر « ديوان القطامي » (ص ٢٧٠) ، وفيه : (بطنت) بدل (طينت) .

[البابُ الثَّاني]

بابُ الجملتَينِ فأكثرَ

[الفصلُ والوصلُ]

وترجموا له بالفصلِ والوصلِ ، والمرادُ بالوصلِ : العطفُ ، وبالفصلِ : تركُهُ ، والمقصودُ بالبحثِ في هـٰذا البابِ : إنَّما هوَ العطفُ بالواوِ ؛ وذٰلكَ أنَّ الواوَ كما عرفتَ لا تفيدُ إلَّا مجرَّدَ الجمعِ بينَ شيئَينِ في حكمٍ إن كانَتْ في عطفِ المفرداتِ أوِ الواقعِ موقعَها مِنَ الجملِ ، وفي مُجرَّدِ الكونِ والحصولِ إذا كانَتْ في عطفِ الجملِ التي ليسَتْ واقعةً موقعَ المفرداتِ .

وإنَّكَ لا ترىٰ نفسَكَ تَقنَعُ بهـٰذهِ الفائدةِ للعطفِ ، فإنَّكَ تقولُ : لو ذُكِرَتِ الجملُ بدونِ عطفٍ . . فُهِمَ أنَّها مُشترَكةٌ في الكونِ والحصولِ .

وأمَّا بقيةُ حروفِ العطفِ . . فهيَ ظاهرةُ الفائدةِ بما لها مِنَ المعاني ، فوجبَ أن يمضيَ بكَ التعليمُ لتقفَ علىٰ أسرارِ البلاغةِ إلىٰ إبانةِ مواضعِ فصلِ الجملِ بعضِها عن بعضٍ ومواضعِ وصلِها .

❋ ❋ ❋

مواضعُ فصلِ الجملِ

الموضعُ الأوَّلُ : الجملُ المتباينةُ بالخبريةِ والإنشائيةِ معنىً ؛ نحوُ : (أكرمْ زيداً) و(زيدٌ رجلٌ عالمٌ) ، فإنَّكَ تجدُ مِنْ طبعِكَ نَفرةً عنِ الجمعِ بينَ هاتَينِ الجملتَينِ ؛ لخُلُوِّهِ عنِ الفائدةِ ، بخلافِ : أكرمْهُ فهوَ فاضلٌ ، ونحوِ : أكرمَني زيدٌ أكرمَهُ اللهُ .

لٰكنْ إذا كانَ الفصلُ لهٰذا السببِ مُوهِماً خلافَ المقصودِ . . وجبَ الوصلُ ؛ لتعارضِ المانعِ والمقتضي إذاً ، وليسَ وراءَ الفصلِ إلَّا الوصلُ .

يُحكىٰ : أنَّ الصِّدِّيقَ رضيَ اللهُ عنهُ كانَ في محاورةٍ معَ أعرابيٍّ ، فقالَ الأعرابيُّ أثناءَ كلامِهِ : لا ، رحمَكَ اللهُ ، فقالَ الصِّدِّيقُ : إنَّهُ لو حَسُنَ اعتقادُكُم . . لأنارَتْ عقولُكُم ، ألا قلتَ : لا ، ورحمَكَ اللهُ ؟!(١) .

فكلمةُ (لا) خبرٌ ، و(رحمَكَ اللهُ) إنشاءٌ ، والوصلُ يُعيِّنُ دعاءَ اللامِ ، والفصلُ يُوهِمُ دعاءَ (علىٰ) ، وكلامُ الصِّدِّيقِ يستدعي إبانةً ، فربَّ قاصدٍ يقولُ : ما لحسنِ الاعتقادِ وإنارةِ العقولِ ؛ فإنَّها بالمعارفِ ؟! فتقولُ لهُ : إنَّ حسنَ الاعتقادِ عبارةٌ عن كمالِ الإيمانِ المستدعي التخلُّقَ المأمورَ بهِ في قولِهِ : « تَخَلَّقُوا بِأَخْلَاقِ ٱللهِ »(٢) ، والتأدُّبَ بآدابِ أنبيائِهِ والراسخينَ في العلمِ ، وذٰلكَ إنَّما يكونُ بمعرفةِ ذٰلكَ ، ومَدخلُكَ إليها مِنْ قولِهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ : « أَدَّبَنِي رَبِّي فَأَحْسَنَ تَأْدِيبِي »(٣) .

---

(١) انظر « ربيع الأبرار » (٥/٢٦٣) .

(٢) أخرج ابن أبي الدنيا في « مكارم الأخلاق » (٢٧) عن سيدنا عثمان رضي الله عنه مرفوعاً : « لله مئةٌ وسبعةَ عشرَ خُلقاً ، من جاء بخُلقٍ منها . . أدخله الله الجنة » ، وقال سبحانه : ﴿ كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ ﴾ [آل عمران : ٧٩] .

(٣) أخرجه السمعاني في « أدب الإملاء والاستملاء » (١) عن سيدنا ابن مسعود رضي الله عنه .

ويُحكىٰ : أنَّ الصَّاحبَ ابنَ عبادٍ قالَ حينَ سمعَ مِنْ بعضِ مُخاطَبيهِ أوَّلَ ما سمعَ : لا ، وأيَّدَكَ اللهُ : هـٰذهِ الواوُ أحسنُ مِنْ واواتِ الأصداغِ ، علىٰ خدودِ المِلاحِ[1] .

الموضعُ الثاني : الجملُ التي فُقدَتِ المناسبةُ بينَها ، والجهةُ الجامعةُ التي سيردُ عليكَ شرحُها وتفصيلُها ؛ نحوُ : (زيدٌ فاضلٌ) و(الكلبُ نجسُ العينِ في رأيٍ) ، ومِنْ هنا أخذوا علىٰ أبي تمامٍ في قولِهِ[2] : [من الكامل]

زَعَمَتْ هَوَاكَ عَفَا ٱلْغَدَاةَ كَمَا عَفَتْ ... مِنْهَا [طُلُولٌ] بِٱللِّوَىٰ وَرُسُومُ
لَا وَٱلَّذِي هُوَ عَالِمٌ أَنَّ ٱلنَّوَىٰ ... صَبِرٌ وَأَنَّ أَبَا ٱلْحُسَيْنِ كَرِيمُ
مَا حِلْتُ عَنْ سَنَنِ ٱلْوِدَادِ وَلَا غَدَتْ ... نَفْسِي عَلَىٰ إِلْفٍ سِوَاكَ تَحُومُ

حيثُ عطفَ في واسطِ الأبياتِ دونَ مناسبةٍ بينَ الجملتَينِ ، وحاشى أبا تمامٍ أن يَشِذَّ عليهِ مثلُ هـٰذا وهوَ إمامُ البلاغةِ !!

وَكَمْ مِنْ عَائِبٍ قَوْلاً صَحِيحاً ... وَآفَتُهُ مِنَ ٱلْفَهْمِ ٱلسَّقِيمِ
وَلَـٰكِنْ تَأْخُذُ ٱلْآذَانُ مِنْهُ ... عَلَىٰ قَدْرِ ٱلْقَرَائِحِ وَٱلْفُهُومِ[3]

وبيانُ الجهةِ المُحسِّنةِ للوصلِ في قولِهِ بعدَ أن تَعلَمَ أنَّ هـٰؤلاءِ الشُّعراءَ كانَ تَعيُّشُهُم مِنْ جوائزِ مدحِ الأمراءِ إذ ذاكَ ، وكانَتِ الأمراءُ متباعدةَ الأمكنةِ في أقطارِ الدولةِ ، فكانَ الشاعرُ منهُم يَقصِدُ الأميرَ بمصرَ مِنْ بغدادَ ، والأميرَ بخراسانَ مِنَ الشامِ ، قالَ الحسنُ بنُ هانئٍ[4] : [من الطويل]

تَقُولُ ٱلَّتِي مِنْ بَيْتِهَا خَفَّ مَحْمِلِي ... عَزِيزٌ عَلَيْنَا أَنْ نَرَاكَ تَسِيرُ

---

(١) انظر « ربيع الأبرار » (٥/٢٦٤) .
(٢) انظر « ديوان أبي تمام » (٣/٢٨٩ ـ ٢٩٠) .
(٣) البيتان من الوافر ، وهما للمتنبي في « ديوانه » (ص ١٨٠) .
(٤) انظر « ديوان أبي نواس » (ص ٢٨٦) .

أَمَا دُونَ مِصْرَ لِلْغِنَىٰ مُتَطَلَّبٌ   بَلَىٰ إِنَّ أَسْبَابَ ٱلْغِنَىٰ لَكَثِيرُ
فَقُلْتُ لَهَا وَٱسْتَعْجَلَتْهَا بَوَادِرٌ   جَرَتْ فَجَرَىٰ فِي إِثْرِهِنَّ عَبِيرُ
دَعِينِي أُكَثِّرْ حَاسِدِيكِ بِرِحْلَةٍ   إِلَىٰ بَلَدٍ فِيهَا ٱلْخَصِيبُ أَمِيرُ
فَتىً يَشْتَرِي حُسْنَ ٱلثَّنَاءِ بِمَالِهِ   وَيَعْلَمُ أَنَّ ٱلدَّائِرَاتِ تَدُورُ
فَمَا جَازَهُ جُودٌ وَلَا حَلَّ دُونَهُ   وَلَٰكِنْ يَسِيرُ ٱلْجُودُ حَيْثُ يَسِيرُ

وهٰذهِ القصيدةُ هيَ التي يقولُ في براعةِ الانتهاءِ منها :

وَإِنِّي جَدِيرٌ إِذْ بَلَغْتُكَ بِٱلْمُنَىٰ   وَأَنْتَ بِمَا أَمَّلْتُ فِيكَ جَدِيرُ
فَإِنْ تُولِنِي مِنْكَ ٱلْجَمِيلَ فَأَهْلُهُ   وَإِلَّا فَإِنِّي عَاذِرٌ وَشَكُورُ

يُقالُ : إنَّ الخصيبَ لمَّا سمعَ هٰذهِ القصيدةَ . . تَحيَّرَ في جائزةِ الشاعرِ ، فرأىٰ في نومِهِ قائلاً : أجزِهِ بنبحةِ كلبٍ ، فأوَّلَها بلفظةِ (أَلْفٍ) ، وبعدَ الأَلْفِ حشا فمَهُ دُرّاً ، فكانَ الشاعرُ كما ترىٰ يَصِفُ بُعدَهُ عن وطنِهِ ، ومفارقتَهُ أهلَهُ وعشيرتَهُ وأحبابَهُ ومراتعَ أُنْسِهِ إيجاباً للحقِّ علىٰ مَنْ قصدَ ، فكأنَّهُ يقولُ لهُ : جُودُكَ يَرُدُّني إلىٰ وطني ، ويَجمعُ بيني وبينَ أحبَّتي في قرارِ عينٍ وسكونِ خاطرٍ .

وقد كشفَ هٰذا المعنىٰ أبو نُوَاسٍ في قولِهِ[١] :   [من الطويل]

سَأَشْكُو إِلَى ٱلْفَضْلِ بْنِ يَحْيَى بْنِ خَالِدٍ   هَوَاكِ لَعَلَّ ٱلْفَضْلَ يَجْمَعُ بَيْنَنَا

وأبو الطيِّبِ في قولِهِ[٢] :   [من البسيط]

عَلَّ ٱلْأَمِيرَ يَرَىٰ ذُلِّي فَيَشْفَعُ لِي   إِلَى ٱلَّتِي تَرَكَتْنِي فِي ٱلْهَوَىٰ مَثَلَا

---

(١) انظر « ديوان أبي نواس » (ص ٣٦٤) .
(٢) انظر « ديوان المتنبي » (ص ١١) .

وقد عِيبَ علىٰ هـٰذَينِ الشاعرَينِ مِنْ جهةِ المعنىٰ ، لا مِنْ جهةِ البلاغةِ الشعريَّةِ ، حيثُ كانَ طلبُ الجمعِ بتلكَ العبارةِ لِمَا فيها مِنْ ملاحظةِ القيادةِ ، فأرادَ أبو تمَّامٍ أن يذكرَ هـٰذا المعنىٰ بعبارةٍ سالمةٍ مِنْ ذٰلكَ النقدِ ؛ فمعنىٰ قولِهِ : إنَّ نوى الأحبَّةِ مُرٌّ كالصَّبِرِ ، وقربَهُم حُلْوٌ كالشَّهْدِ ، وإنَّ أبا الحسينِ قادرٌ عليهِ وإنَّهُ كريمٌ غيرُ بخيلٍ ، فهـٰذهِ الجملُ متناسقةٌ ، وصلُها حسنٌ كما ترىٰ .

ومِنْ شواهدِ الفصلِ لعدمِ المناسبةِ : قولُهُ تعالىٰ : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ﴾ [1] بعدَ : ﴿ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ ﴾ [2] ، فالجملةُ الأُولىٰ مَسُوقةٌ لمدحِ الكتابِ ، والجملةُ الثانيةُ مَسُوقةٌ لذمِّ الكَفَرةِ .

الموضعُ الثالثُ : جملةٌ سَبَقَتْها جملتانِ ؛ أُولاهما صالحةٌ للعطفِ عليها ، والثانيةُ في العطفِ عليها فسادٌ ، فلدفعِ الوَهْمِ يُنزَّلُ الوصلُ ، وشاهدُهُ : قولُهُ تعالىٰ : ﴿ ٱللَّهُ يَسۡتَهۡزِئُ بِهِمۡ وَيَمُدُّهُمۡ فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ ﴾ [3] ، يَصلُحُ عطفُها علىٰ قولِهِ : ﴿ وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا ﴾ [4] ، ولـٰكنْ يقومُ وَهْمُ أنَّها معطوفةٌ علىٰ قولِهِ : ﴿ إِنَّا مَعَكُمۡ ﴾ ، وليسَ مِنْ مقولِ قولِهِم ، أو علىٰ ﴿ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا ﴾ [5] ، وليسَ الاستهزاءُ بهِم مشروطاً .

ولبعضِ الشعراءِ [6] : [من الكامل]

وَتَظُنُّ سَلْمَىٰ أَنَّنِي أَبْغِي بِهَا ... بَدَلاً أَرَاهَا فِي ٱلضَّلَالِ تَهِيمُ

---

(١) سورة البقرة : (٦) .

(٢) سورة البقرة : (٢) .

(٣) سورة البقرة : (١٥) .

(٤) سورة البقرة : (١٤) .

(٥) سورة البقرة : (١٤) .

(٦) انظر « معاهد التنصيص » (١/٢٧٩) .

يَحسُنُ عطفُ (أراها) علىٰ (وتظنُّ) لـٰكنْ يُتوهَّمُ عطفُهُ علىٰ (أبغي بها) .

❁ ❁ ❁

الموضعُ الرابعُ : الجملُ المُتحِدةُ مقصوداً ؛ بأن تكونَ الثانيةُ مُؤكِّدةً للأُولىٰ ، أو بياناً لها ، أو بدلاً منها .

فالمُؤكِّدةُ : كقولِهِ تعالىٰ : ﴿ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾ ، وقولِهِ : ﴿ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ ، فهما مُؤكِّدتانِ لقولِهِ : ﴿ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ ﴾ (1) علىٰ وجهٍ مِنَ الإعرابِ ؛ بأن يكونَ ﴿ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ ﴾ مبتدأً وخبراً .

ومعناهُ : ذٰلكَ البعيدُ الرتبةِ ، العالي المنزلةِ هوَ الكتابُ الكاملُ في بابِ الهدايةِ ، فربَّما يُتوهَّمُ أنَّ هـٰذا الكلامَ لِمَا فيهِ مِنَ المبالغةِ ممَّا يُرمىٰ بهِ جُزافاً ، فتأكيدُهُ بـ ﴿ لَا رَيْبَ ﴾ فيهِ تأكيدٌ معنويٌّ ، وتأكيدُهُ بـ ﴿ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ تأكيدٌ لفظيٌّ ، فلا يَصِحُّ (ولا ريبَ فيهِ ، وهو هدىً) كما لا يَصِحُّ في قولِكَ : زيدٌ زيدٌ قصدَكَ ، وزارَكَ زيدٌ نفسُهُ : أن تقولَ : زيدٌ وزيدٌ ، وزيدٌ ونفسُهُ .

والبيانُ : كقولِهِ تعالىٰ : ﴿ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ ﴾ (2) .

وربَّما عُطِفَ ما يَصلُحُ بياناً لملحوظٍ آخَرَ ؛ كالإشارةِ إلىٰ كونِ الموصولِ جنساً آخَرَ مُنفرِداً لشِدَّةِ الفظاعةِ فيهِ ، كما في آيةِ (الحجرِ) : ﴿ وَيُذَبِّحُونَ ﴾ (3) .

والبدلُ : كقولِهِ تعالىٰ : ﴿ أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَٰمٍ وَبَنِينَ ﴾ (4) ،

---

(1) سورة البقرة : (٢) .

(2) سورة البقرة : (٤٩) .

(3) هي في سورة إبراهيم : (٦) .

(4) سورة الشعراء : (١٣٢ ـ ١٣٣) .

وهوَ بمنزلةِ بدلِ البعضِ في المفرداتِ ، ولبعضِهم[1] : [من الطويل]

أَقُولُ لَـهُ ٱرْحَـلْ لَا تُـقِيـمَـنَّ عِـنْـدَنَـا وَإِلَّا فَكُـنْ فِـي ٱلسِّرِّ وَٱلْجَهْرِ مُسْلِمَا

وهٰذا بمنزلةِ بدلِ الاشتمالِ ، فالأمرُ بالرحيلِ لا يُعيّنُ الكراهةَ والبغضَ ؛ فإنَّكَ تقولُ لصاحبِكَ : ارحلْ في طلبِ المجدِ والعلا ، وقولُهُ : (لا تقيمنَّ عندَنا) صريحٌ في إبانةِ المقصودِ ونصٌّ عليهِ .

الموضعُ الخامسُ : جملةٌ يُجابُ بها عن سؤالٍ يَنشأُ مِنْ جملةٍ سابقةٍ ، ويُسمَّىٰ هٰذا الفصلُ : استئنافاً ، واشتَهرَ **بالاستئنافِ البيانيِّ** .

والاستئنافُ النحويُّ أعمُّ منهُ ، وشاهدُهُ : قولُهُ تعالىٰ : ﴿ يُسَبَّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ رِجَالٌ ﴾[2] ، كأنَّهُ قيلَ : مَنْ يُسبّحُهُ ؟ فأجيبَ : يُسبّحُهُ رجالٌ كما سلف[3] .

ومِنْ هٰذا البابِ قولُهُ[4] : [من الطويل]

لِـيُـبْـكَ يَـزِيـدُ ضَـارِعٌ لِـخُـصُـومَـةٍ وَمُـخْـتَـبِـطٌ مِـمَّـا تُـطِـيـحُ ٱلـطَّـوَائِـحُ

وفي قولِهِ[5] : [من الخفيف]

قَـالَ لِـي كَـيْـفَ أَنْـتَ قُـلْـتُ عَـلِـيـلُ

كأنَّهُ قيلَ : ما سببُ ذٰلكَ ؟ فأُجيبَ : سببُهُ سهرٌ دائمٌ .

---

(١) انظر « معاهد التنصيص » (١/٢٧٨) .
(٢) سورة النور : (٣٦ ـ ٣٧) ، وهي قراءة ابن عامر .
(٣) تقدم (٢/٧٩) .
(٤) تقدم (١/٤٠٥) .
(٥) تقدم (٢/٧٩) .

وفي قولِهِ [1] : [من الكامل]

زَعَـمَ ٱلْـعَـوَاذِلُ أَنَّـنِـي فِـي غَـمْـرَةٍ صَـدَقُـوا وَلَـٰكِنْ غَـمْـرَتِـي لَا تَـنْـجَـلِـي

كأَنَّهُ قيلَ : هل صدقوا ؟

وتقولُ : أحسنتُ إلىٰ زيدٍ ، زيدٌ حقيقٌ بالإحسانِ ، وأحسنتُ إلىٰ خالدٍ صديقي ، الصدوقُ أَولىٰ بمعروفي .

❋ ❋ ❋

(١) انظر « معاهد التنصيص » (١/٢٨١) .

الوصلُ

له موضعانِ سبقَ أحدُهما (١) .

والآخَرُ : الجملُ المتفقةُ اسميةً وفعليةً ، ولا يَحسُنُ المخالفةُ بينَهُما إلَّا لنكتةٍ ؛ كأن يكونَ المَقامُ داعياً لجمعٍ مُستمرٍّ وغيرِهِ ؛ كقولِهِ تعالىٰ : ﴿ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنتُمْ صَامِتُونَ ﴾ (٢) .

ومعَ اتفاقِ الجملتَينِ مثلاً في الاسميةِ والفعليةِ لا بدَّ أن يتناسبا تناسباً تامّاً ؛ بحيثُ يَتولَّدُ مِنِ اجتماعِهِما معنىً واحدٌ يَجعَلُ الجملتَينِ جملةً واحدةً ، ولتُلفَتْ لذٰلكَ في عبارةٍ عاديةٍ أوردُها عليكَ ؛ مثلاً : إذا كنتَ في مجلسٍ نظمَكَ وبعضَ أصحابِكَ ، فطرأَ عليكُم مَنْ تكرهونَ حضورَهُ معَكُم ليأخذَ منكُم مَنْ لا يَتِمُّ إلَّا بهِ أُنسُكُم ، ولم يَجِدْ بُدّاً مِنَ الذهابِ معَهُ ، فإنَّهُ يَدخُلُ عليكُم لذٰلكَ مِنَ الوَجْدِ والأسفِ ما تألمُ لهُ نفوسُكُم ، فواحدٌ منكُم واقفٌ بالبابِ ؛ إذا بالمحبوبِ قد رجعَ ، فأسرعَ يُبشِّرُ الأصحابَ بقولِهِ : رجعَ زيدٌ وذهبَ عمرٌو ؛ أي : جاءَ الحبيبُ وذهبَ البغيضُ .

فأنتَ ترىٰ أنَّ التناسبَ قرنَ بينَ هاتَينِ الجملتَينِ حتىٰ تَولَّدَ منهُما معنىً واحدٌ جعلَ الجملتَينِ جملةً واحدةً ؛ وذٰلكَ المعنىٰ : هوَ الفرحُ والسُّرورُ بذهابِ البغيضِ ومجيءِ الحبيبِ ، فكأنَّ ذٰلك المُبشِّرَ يقولُ : ليذهبْ أسفُكُم ، وليراجعْكُم أُنْسُكُم وفرحُكُم .

وعليكَ بتأمُّلِ كلِّ وصلٍ في الكتابِ العزيزِ . . تجدِ العجبَ العجيبَ ،

---

(١) في الموضع الأول من مواضع الفصل . انظر (٢/١٠١) .

(٢) سورة الأعراف : (١٩٣) .

قالَ : ﴿ فَلْيَضْحَكُواْ قَلِيلًا وَلْيَبْكُواْ كَثِيرًا ﴾ (١) ، وقالَ : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ (٢) .

والمناسبةُ الجامعةُ للجملتَينِ عندَ مُفكِّرتِكَ بحيثُ يَحكُمُ عقلُكَ بحسنِ الجمعِ بينَهُما . . يُسمِّيها أهلُ المعاني : الجامعةَ بينَ الجملتَينِ فأكثرَ ؛ فإن كانَتِ المناسباتُ ملحوظةً للعقلِ بلا واسطةِ وَهْمٍ ولا خيالٍ ؛ كالجمعِ بينَ المتماثلاتِ والمتضايفاتِ . . يُسمَّى : **الجامعَ العقليَّ** ، وإن كانَ بواسطةِ الوَهْمِ . . يُسمَّى : **الوَهْميَّ** ، وإن كانَ بواسطةِ الخيالِ . . يُسمَّىٰ : **خياليّاً** ، فالوَهْمُ يَجعلُ الأشياءَ المُتشابِهةَ والأضدادَ متناسبةً متماثلةً .

[إتقانُ مواضعِ الفصلِ والوصلِ]

فعلىٰ مَنْ يحاولُ أن يَعرِفَ البلاغةَ لكلامٍ يُنشِئُهُ أو عباراتٍ بلاغيةٍ يَفهمُها : أن يُتقِنَ معرفةَ مواضعِ الفصلِ والوصلِ ، ويُمعِنَ النظرَ في الجهةِ الجامعةِ المُوجِبةِ لوصلِ الجملِ فيما يَرِدُ عليهِ مِنْ كلامِ اللهِ جلَّ ذكرُهُ ، وكلامِ بلغاءِ الناسِ ؛ مِنَ الشُّعراءِ والكُتَّابِ ، وليخصَّ الجامعَ الخياليَّ بفضلِ فكرٍ ؛ فإنَّهُ مُختلِفٌ باختلافِ عُرفِ طوائفِ الناسِ ، حتىٰ تجتليَ بصيرتُهُ حسنَ العروسِ المَجلُوَّةِ علىٰ أرفعِ مرتبةٍ مِنْ مراتبِ البلاغةِ في قولِهِ تعالىٰ في مقامِ الاستدلالِ وطلبِ النظرِ مِنْ خطابِ الأعرابِ : ﴿ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ۝ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ۝ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ۝ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴾ (٣) .

فإنَّ هٰذهِ الأشياءَ لا تزالُ حاضرةً مُتعانِقةً في خيالاتِ الأعرابِ ، فإنَّ سببَ حياتِهم وتمامِ تمتُّعِهم بها إنَّما هوَ المواشي ، وأعظمُ أنواعِها عندَهُمُ الإبلُ ، لا

---

(١) سورة التوبة : (٨٢) .

(٢) سورة الأنفال : (٢) .

(٣) سورة الغاشية : (١٧ ـ ٢٠) .

يَعُدُّونَ غيرَها مالاً ، حتىٰ إذا أُطلِقَ لفظُ المالِ عندَهُم . . لا يَنصرِفُ إلَّا إليها ، وهُم مُضطرُّونَ إلى الانتقالِ بها مِنْ موضعٍ إلىٰ موضعٍ حَسَبَ وجودِ المراعي التي سببُها الغيثُ النازلُ مِنَ السماءِ ، وحصونُهُم عندَ خوفِهِمُ الجبالُ ، فتلكَ الأشياءُ لا تَحضُرُ في ذهنِ الحَضَريِّ حضورَها في ذهنِ البدويِّ ولا قريباً منهُ .

فعليهِ أن ينظرَ إلىٰ أحوالِ الناسِ نظرَ تَعلُّمٍ وتَعرُّفٍ ، حتىٰ يمكنَهُ أن يراعيَ المناسباتِ في خطابِ كلِّ صنفٍ ، ومحاورةِ كلِّ فريقٍ .

وقد أوردَ صاحبُ « المفتاحِ » أمثلةً في معنىً واحدٍ علىٰ ألسنةِ أشخاصٍ اختلفَتْ حِرَفُهُم وآلاتُ صناعاتِهِم . . تُرشِدُكَ إلىٰ ما أنتَ بصددِهِ ، فقالَ : (**وصفُ جوهريٍّ لأحسنِ الكلامِ** : أحسنُ الكلامِ : ما ثقبَتْهُ الفِكرةُ ، ونظمَتْهُ الفِطنةُ ، وفُصِّلَ جوهرُ معانيهِ في سمطِ ألفاظِهِ ، فحملَتْهُ نُحورُ الرواةِ .

ووصفُ الصَّيْرَفيِّ : **خيرُ الكلامِ** : ما نقدَتْهُ يدُ البصيرةِ ، وجلَتْهُ عينُ الرويَّةِ ، ووزنَهُ مِعيارُ البلاغةِ ، فلا يُنطَقُ فيهِ [بزائفٍ] ، ولا يُسمَعُ فيهِ ببَهْرجٍ .

ووصفُ الصَّائغِ : **خيرُ الكلامِ** : ما أحميتَهُ بكِيرِ الفكرةِ ، وسبكتَهُ بمشاعلِ النظرِ ، وخَلَّصتَهُ مِنْ خَبَثِ الإطنابِ ، فبرزَ بروزَ الإبريزِ ، مُركَّباً في معنىً وجيزٍ .

ووصفُ الحَدَّادِ : أحسنُ **الكلامِ** : ما نصبتَ عليهِ مِنفاخَ الرويَّةِ ، وأشعلتَ فيهِ نارَ البصيرةِ ، ثمَّ أخرجتَهُ مِنْ فحمِ الإفحامِ ، [ورققتَهُ] بفِطِّيسِ الإفهامِ ؛ الفِطِّيسُ علىٰ وزنِ سِكِّينٍ : المِطرقةُ الكبيرةُ .

ووصفُ الخَمَّارِ : **أبلغُ الكلامِ** : ما طبخَتْهُ مَراجلُ العِلْمِ ، وضمَّتْهُ دِنانُ الحكمةِ ، وصَفَّاهُ [راوُوقُ][1] الفهمِ ، فتَمشَّتْ في المفاصلِ عذوبتُهُ ، وفي الأفكارِ رِقَّتُهُ ، وفي العقلِ [حِدَّتُهُ] .

(١) الراووق : المِصفاة .

ووصفُ البزَّازِ : أحسنُ الكلامِ : ما صدقَ رَقْمُ ألفاظِهِ ، وحَسُنَ رسمُ معانيهِ ، فلم يستعجمْ عندَ نشرٍ ، ولم يستبهمْ عندَ طيٍّ .

ووصفُ الكحَّالِ : كما أنَّ الرمدَ قذى العينِ . . كذا الشبهةُ قذى البصائرِ ، فاكحلْ عينَ اللُّكْنةِ بمِيلِ البلاغةِ ، واْجلُ رَمَصَ الغفلةِ بمرودِ اليقظةِ .

ولجمَّالٍ يصفُ بليغاً : البليغُ : مَنْ أخذَ بخِطامِ كلامِهِ ، فأناخَهُ في مَبْرَكِ المعنىٰ ، ثمَّ جعلَ الاختصارَ لهُ عِقالاً ، والإيجازَ لهُ مجالاً ، فلم يَنِدَّ عنِ الأذهانِ ، ولم يَشِذَّ عنِ الآذانِ)[1] .

[مِن محاسنِ الواوِ ومزيَّتِها]

هٰذا ؛ والكلامُ في أمرِ الواوِ يُنبّهُكَ علىٰ مزيَّتِها ، ويدعوكَ إلى اعتبارِ مواقعِها في نحوِ : كلٌ أمرَهُ وعملَهُ ، وفي نحوِ[2] : [من الكامل]

لَا تَنْهَ عَنْ خُلُقٍ وَتَأْتِيَ مِثْلَهُ عَارٌ عَلَيْكَ إِذَا فَعَلْتَ عَظِيمُ

وفي نحوِ : ما أنتَ ومطارحَ الأنظارِ ، وكيفَ زيدٌ ومسارحَ الأفكارِ ، وفي نحوِ : اطلبِ العلمَ ولو بالصِّينِ .

ومِنْ مواقعِها : بعضُ الجملِ التي تريدُ أن تَجعلَها حالاً علىٰ ما عرفتَ تفصيلَهُ في النحوِ ، فإنَّكَ إذا اعتبرتَ الجملَ بأنواعِها . . وجدتَ بعضَها آبياً عنِ الارتباطِ الحاليِّ ، مُتبادِراً إلىٰ ذهنِكَ استئنافُهُ ، مثلاً : إذا سمعتَ : عَثَرَ زيدٌ ، الشمسُ مضيئةٌ مواقعَ الأقدامِ . . تبادرَ إلىٰ فهمِكَ أنَّ الجملةَ مَسُوقةٌ علىٰ طريقِ الاستئنافِ ؛ لتوبيخِ زيدٍ بنفيِ عذرِهِ ، ونسبتِهِ لإهمالِ التحرُّزِ واستعمالِ

(١) مفتاح العلوم (ص ٣٦٤ ـ ٣٦٥) .

(٢) نُسِب لأبي الأسود الدؤلي في « ديوانه » (ص ٤٠٤) .

آلةِ الحفظِ ، ويَندفِعُ ذٰلكَ بالواوِ ، فتفهمُ : عَثَرَ في تلكَ الحالةِ ، فكيفَ بهِ في غيرِها ؟!

وأشدُّ الجملِ افتقاراً إلى الواوِ : الجملةُ الاسميةُ ، حتىٰ قيلَ بوجوبِها فيها ، وما وردَ بدونِها ضعيفٌ ساقطٌ ، إلَّا أنَّ بعضَ الجملِ الاسميةِ تكونُ في حكمِ المفردِ ، فلا يكونُ خُلُوُّها مِنَ الواوِ ضعيفاً ؛ كقولِهِم : كلَّمتُهُ فوهُ إلىٰ فِيَّ ؛ أي : متشافهَينِ ، وقولِهِ[1] : [من البسيط]

إِذَا أَتَـيْـتَ أَبَـا مَـرْوَانَ تَـسْـأَلُـهُ وَجَـدْتَـهُ حَـاضِـرَاهُ ٱلْـجُـودُ وَٱلْـكَـرَمُ

والماضي المثبتُ قريبٌ في الافتقارِ إلى الواوِ مِنَ الجملةِ الاسميَّةِ ، حتىٰ قيلَ : إنَّهُ لا تُجعَلُ جملتُهُ حالاً إلا بـ (قد) والواوِ ، ويَرُدُّهُ قولُهُ تعالىٰ : ﴿ جَآءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ ﴾[2] ، ولا معنىٰ لكونِهِ علىٰ تقديرِ الواوِ و(قد) ، فإنَّ ذٰلك ليسَ حُكْماً دينيّاً تجبُ المحافظةُ عليهِ ؛ فإنَّ الواوَ و(قد) لأجلِ أن تُقرِّبَ لفهمِكَ إرادةَ الحالِ ، فإنَّ الفعلَ الماضيَ بطبيعتِهِ يَصرِفُ ذهنَكَ إلىٰ أنَّ الغَرَضَ إفادةُ مضمونِ جملتِهِ ، لا أنَّها مبنيةٌ علىٰ غيرِها ، مُرتبِطةٌ بهِ قيداً لهُ ، فإذا سمعتَ : لقيتُ زيداً ركبَ فرسَهُ الشَّقراءَ . . ربَّما تَسارعَ لفهمِكَ أنَّ ذٰلكَ أمرٌ آخَرُ تريدُ أن تفيدَهُ بعدَما أنهيتَ ذٰلكَ وأعرضتَ عنهُ ، فإذا سمعتَ : لقيتُ زيداً وقد ركبَ . . فإنَّكَ لا يَختلِجُ في صدرِكَ إلَّا أنَّ المرادَ : ثابتاً ركوبُهُ مُتحقِّقاً ، فحاليَّةُ الجملةِ مُعتمِدةٌ على الواوِ ومعنىٰ (قد) ، وهٰذا مرادُ مَنْ قالَ مِنَ المُتقدِّمينَ : إنَّ (قد) تُقرِّبُ الماضيَ مِنَ الحالِ ، لا يريدُ الحالَ الزمانيَّ ، بل يريدُ الحالَ المُقيِّدةَ للفعلِ بما سمعتَ مِنَ التأويلِ وبيانِ المعنىٰ .

* * *

---

(١) هو الأخطل في « ديوانه » (ص ٢٣) ، وفيه : (والحسب) بدل (والكرم) .
(٢) سورة النساء : (٩٠) .

البابُ الثالثُ
فيما يتعلَّقُ بالجملةِ وجزئِها والجملِ
وهو الإيجازُ والإطنابُ والمساواةُ

فإنَّها عبارةٌ عن زيادةٍ في الألفاظِ ، وما يقابلُها ، والزائدُ مفردٌ أو جملةٌ أو أكثرُ ، وكذٰلك المحذوفُ .

[حدُّ المساواةِ ، والإيجازِ ، والإطنابِ]

أمَّا المُساواةُ . . فهيَ كونُ العبارةِ مساويةً لِمَا تريدُ أن تفيدَهُ ؛ كعباراتِ أوساطِ الناسِ ، الذين لم يرتقوا إلىٰ درجةِ البلغاءِ ، ولم يَنحطُّوا إلىٰ موضعِ أهلِ الحَصَرِ والعِيِّ .

والاعتمادُ في تحقيقِ المُساواةِ . . علىٰ عرفِهِم في المُحاوراتِ ؛ لتقاضي أغراضِهِم ، وتفهيمِ ضمائرِهِم ، لا علىٰ ما تقتضيهِ صناعةُ النحوِ ، ولذٰلكَ صحَّ التمثيلُ للمُساواةِ بقولِهِ جلَّ ذكرُهُ : ﴿ وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ ﴾ (١) ، فلا يُقالُ : قد حُذِفَ المُستثنىٰ منهُ ، ومِنْ وادي هٰذا المعنىٰ قولُ الناسِ : النيةُ الخبيثةُ ما تضرُّ إلَّا صاحبَها .

وبالقياسِ إلىٰ عباراتِ الأوساطِ يُعرَفُ الإيجازُ والإطنابُ ذاهبَينِ في مراتبِهِما .

فحدُّ الإيجازِ : كونُ العبارةِ أقلَّ مِنْ عبارةِ المُتعارَفِ مُتدرّجاً إلىٰ أن تكونَ العبارةُ لوِ اختُصِرَتْ . . لاختلَّتْ ولم تُفْهِمِ المرادَ .

---

(١) سورة فاطر : (٤٣) .

وحدُّ الإطنابِ : كونُها أكثرَ منها لفائدةٍ ، وإلَّا . . كانَ تطويلاً ؛ مثلُ [١] : [من الوافر]

وَأَلْفَىٰ قَوْلَهَا كَذِباً وَمَيْنَا

أو حشواً ؛ كقولِهِ [٢] : [من الطويل]

وَأَعْلَمُ عِلْمَ ٱلْيَوْمِ وَٱلْأَمْسِ قَبْلَهُ

قيلَ : ومنهُ قولُ أبي الطيبِ [٣] : [من الطويل]

وَلَا فَضْلَ فِيهَا لِلشَّجَاعَةِ وَٱلنَّدَىٰ ... وَصَبْرِ ٱلْفَتَىٰ لَوْلَا لِقَاءُ شَعُوبِ

فقيلَ : لفظُ (الندىٰ) حشوٌ مُفسِدٌ ، وبَيَّنَ ذٰلكَ بأنَّ الشجاعةَ لو لم يكنْ فيها تعريضُ الحياةِ للزوالِ وما يَقرُبُ منهُ . . لم تكنْ فضيلةً ، والصَّبرُ عنِ المحبوبِ أو على المكروهِ وفي مواطنِ البأسِ نوعٌ مِنَ الشجاعةِ ، وأمَّا الندىٰ ـ وهوَ الجودُ وبذلُ المالِ ـ . . فما لهُ ولشَعوبٍ ؟! بل يرىٰ أنَّ المرءَ لو عرفَ الخُلودَ . . كانَ بالمالِ أضنَّ ، وليسَ كما قيلَ ، فبالمالِ حفظُ الحياةِ وكمالُ الانتفاعِ بها .

حَيَاةٌ بِلَا مَالٍ حَيَاةٌ ذَمِيمَةٌ ... وَعِلْمٌ بِلَا جَاهٍ كَلَامٌ مُضَيَّعُ [٤]

فجودُ المرءِ بمالِهِ صدقةً أو فُتوَّةً لبقاءِ الذِّكرِ واغتنامِ الأجرِ ، عالِماً أنَّهُ لو فُقِدَ فُقِدَ . . بَيَّنَ التعلُّقَ بينَ الشجاعةِ والصَّبرِ .

---

(١) هو لعدي بن زيد العبادي في « ديوانه » (ص ١٨٣) ، والبيت بتمامه :

وَقَدَّمَتِ ٱلْأَدِيمَ لِرَاهِشَيْهِ ... وَأَلْفَىٰ قَوْلَهَا كَذِباً وَمَيْنَا

(٢) هو لزهير بن أبي سلمىٰ في « ديوانه » (ص ٣٥) ، والبيت بتمامه :

وَأَعْلَمُ عِلْمَ ٱلْيَوْمِ وَٱلْأَمْسِ قَبْلَهُ ... وَلَٰكِنَّنِي عَنْ عِلْمِ مَا فِي غَدٍ عَمِي

(٣) انظر « ديوان المتنبي » (ص ٢٤٦) .

(٤) أورده الدلجي في « الفلاكة والمفلوكون » (ص ٤٠) من غير عزو ، وهو من بحر الطويل .

[أنواعُ الإيجازِ]

ثمَّ الإيجازُ نوعانِ : إيجازُ قصرٍ ، وإيجازُ حذفٍ ، ويُسمَّى : اختصاراً .

والأوَّلُ هوَ كَدُّ البلغاءِ ، ومِحَكُّ الأذكياءِ ، ومنهُ قولُهُ تعالىٰ : ﴿ وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ ﴾ [1] ، فهـٰذا أوجزُ كلامٍ في هـٰذا المعنىٰ وأحكمُهُ وأسلسُهُ ، فإنَّكَ لو ذهبتَ تَشرحُهُ . . كنتَ تقولُ :

ولكُم في مشروعيةِ الحُكْمِ بأنَّ مُتعمِّدَ القتلِ يجبُ أن يُسلِّمَهُ السُّلطانُ بنفسِهِ أو نائبِهِ إلىٰ أولياءِ المقتولِ يَشُدُّون وَثاقَهُ بحضرةِ أحبابِهِ وأعدائِهِ ؛ فمِنْ باكٍ عليهِ راحمٍ لهُ باذلٍ عنهُ ديةً أو ديتَينِ إلىٰ عشرٍ ، كما وقعَ مِنْ أميرِ المؤمنينَ معاويةَ رضيَ اللّٰهُ عنهُ في بعضِ مَنْ تَوجَّهَ عليهِ الحُكْمُ بهِ ، ومِنْ شامتٍ مُوبِّخٍ ضاحكٍ . . . إلىٰ غيرِ ذٰلكَ ممَّا هوَ أشدُّ على النفوسِ ـ ولا سيَّما العربِ ـ مِنَ الموتِ ، فربَّما قتلَ بعضُ الناسِ نفسَهُ فِراراً مِنْ ذٰلكَ ، فارتدعَ الأقوياءُ عنِ الاجتراءِ ، وشيمَتِ السُّيوفُ إلَّا في جهادٍ ، فاستوى الناسُ ، وعمَّ الأمنُ ، وأقبلَ كلٌّ علىٰ عملِهِ ، وانتفعَ بعضُهُم ببعضٍ ، فطالَتِ الأعمارُ ، وكَثُرَتِ الذُّرِيَّةُ ، ونما المالُ ، فظهرَتْ حياةٌ كثيرةٌ عظيمةٌ آمنةٌ مطمئنةٌ يتزايدُ خيرُها .

ويزيدُكَ معرفةً بفضلِ هـٰذا الكلامِ : أنَّهُ لا يمكنُكَ أن توازنَهُ بما كانَتِ العربُ ترىٰ أنَّهُ أوجزُ كلامٍ في هـٰذا المعنىٰ ؛ وهوَ قولُهُم : القتلُ أنفىٰ للقتلِ ، لا في اللفظِ ولا في المعنىٰ .

ومِنَ « الكَلِمِ النوابغِ » للزمخشريِّ رحمَهُ اللّٰهُ تعالىٰ فيما يبني العاقلُ عليهِ أمرَهُ في معاشرةِ الناسِ : (استنِدْ أوِ استفِدْ) [2] ، فهاتانِ الجملتانِ المُنتسِقتانِ

---

(١) سورة البقرة : (١٧٩) .

(٢) الكلم النوابغ (ص ٢٣) .

ـ لا أذكرُ دُرّاً ولا جوهراً ولا ما كان مِنْ نفائس هٰذهِ الدنيا ـ يغنيانِكَ عن كتابٍ حافلٍ في النصائحِ والآدابِ ، وتأمَّلِ التفاوتَ بينَهُما باعتبارِ الوجازةِ والنزاهةِ ، وبينَ قولِ مَنْ قالَ شعراً(١) : [من السريع]

يَـا مَـعْـشَـرَ ٱلْإِخْـوَانِ أُوصِـيكُـمُ ... وَصِـيَّـةَ ٱلْـوَالِـدِ وَٱلْـوَالِـدَهْ
لَا تَـنْـقُـلُـوا ٱلْأَقْـدَامَ إِلَّا إِلَـىٰ ... مَـنْ تُـرْتَـجَـىٰ مِـنْ عِـنْـدِهِ فَـائِـدَهْ
إِمَّـا لِـعِـلْـمٍ تَـسْـتَـفِـيـدُونَـهُ ... أَوْ لِـكَـرِيـمٍ عِـنْـدَهُ مَـائِـدَهْ

ومِنْ **إيجازِ القصرِ في المفردِ** : مثلُ أن تقولَ : معقولٌ ، ومحسوسٌ ، ومجلودٌ ، ومكثورٌ ، بدلَ : مُدرَكٌ بالعقلِ ، ومُدرَكٌ بالحِسِّ ، ومضروبُ الجلدِ ، وكثيرةٌ أعداؤُهُ عليهِ .

❊

وإيجازُ الحذفِ : يكونُ بحذفِ مفردٍ ، أو جملةٍ ، أو أكثرَ ؛ مثلُ قولِهِ تعالىٰ : ﴿ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ ﴾(٢) فصبروا ؛ أي : فاصبرْ وتأسَّ ، وقولِهِم : ﴿ أَئِن ذُكِّرْتُم بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴾(٣) ؛ أي : أإن ذُكِّرتُم ترجمونَ ، ويَمسُّنا منكُم عذابٌ أليمٌ ، وهل يَصلُحُ ذٰلكَ داعياً فتكونوا مصيبينَ ؟ لا ، بل أنتُم قومٌ مسرفونَ ، وقولِهِ : ﴿ فَأَرْسِلُونِ يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ ﴾(٤) ؛ أي : فأرسلوهُ ، فجاءَهُ ، فبَلَّغَهُ عنهُم ، ثم حضرَ ، فقالوا : يا يوسفُ .

ومِنْ أمثلتِهِم لذٰلكَ قولُ أبي العلاءِ(٥) : [من الطويل]

طَـرِبْـنَ لِـضَـوْءِ ٱلْـبَـارِقِ ٱلْـمُـتَـعَـالِـي ... بِـبَـغْـدَادَ وَهْـنـاً مَـا لَـهُـنَّ وَمَـا لِـي

---

(١) انظر « حياة الحيوان » للدميري (٤/٧٦) .
(٢) سورة فاطر : (٤) .
(٣) سورة يسٓ : (١٩) .
(٤) سورة يوسف : (٤٥ ـ ٤٦) .
(٥) انظر « معجم الأدباء » (٥/٤١٩) .

أي : طربنَ ، فأخذتُ أُسكِّنُها وهيَ لا تسكنُ ، ثم أعاودُها وتدافعُني ، إلىٰ أن قضيتُ العَجَبَ مِنْ كثرةِ معاودتِي وشِدَّةِ مدافعتِها .

[دواعي الإيجاز]

والداعي إلى الإيجازِ : تسهيلُ الحفظِ ، وتقريبُ الفهمِ ، وضيقُ المَقامِ ، وإخفاءُ الأمرِ عمَّن لا تُحِبُّ إطلاعَهُ عليهِ ، وسآمةُ المحادثةِ ، والإشارةُ للنَّفرةِ . . . إلىٰ غيرِ ذٰلكَ ممَّا سبقَ تنبيهُكَ لبعضِهِ ، وليسَ يُعجِزُكَ بعدُ اعتبارُ الأمثالِ .

والإطنابُ : مثلُ قولِهِ تعالىٰ في مَقامِ الاستدلالِ : ﴿ إِنَّ فِى خَلۡقِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ . . . ﴾ الآية [1] ، فإيجازُهُ : إنَّ في الممكنِ معَ تساوي طرفيهِ آيةً .

وقولِهِ في مَقامِ الشَّكوىٰ وطلبِ الإشكاءِ : ﴿ رَبِّ إِنِّى وَهَنَ ٱلۡعَظۡمُ مِنِّى وَٱشۡتَعَلَ ٱلرَّأۡسُ شَيۡبًا ﴾ [2] ، وإيجازُهُ : شِخْتُ ، وبينَ العبارتَينِ عباراتٌ ؛ مثلُ : وهنَ عظمي ، وشابَ رأسي .

وقد يُعتبَرُ الإيجازُ والإطنابُ بتفاوتِ المَقاماتِ ؛ فقد يقتضي مَقامٌ كثرةَ الكلامِ لاستقصاءِ الصفةِ ؛ كالأُنْسِ علىٰ ذهابِ الشبابِ ، والتضجُّرِ مِنْ حُلولِ المَشيبِ ، ومِنْ هنا تَسمعُهُم يقولونَ : الخُطَبُ والفخرُ مَحَلُّ إطنابٍ ، وكانَ يُقالُ : المدحُ أيضاً مَحَلُّ إطنابٍ ، حتىٰ قالَ ابنُ الروميّ [3] : [من الكامل]

وَإِذَا ٱمْـرُؤٌ مَـدَحَ ٱمْـرَأً لِـنَـوَالِـهِ ... وَأَطَـالَ فِـيـهِ فَـقَـدْ أَرَادَ [هِـجَـاءَهُ]
لَوْ لَـمْ يُقَـدِّرْ فِـيهِ بُـعْـدَ ٱلْـمُـسْـتَقَىٰ ... عِـنْـدَ ٱلْـوُرُودِ لَـمَـا أَطَـالَ [رِشَـاءَهُ]

---

(١) سورة البقرة : (١٦٤) .
(٢) سورة مريم : (٤) .
(٣) انظر « ديوان ابن الرومي » (١١١/١) .

ومِنَ الإطنابِ : التخصيصُ بعدَ التعميمِ ؛ نحوُ : ﴿ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ ﴾ [١] ؛ أي : جبريلُ ، خَصَّهُ بالذِّكرِ معَ دخولِهِ تحتَ عمومِ الملائكةِ ؛ تكريماً لهُ ، كأنَّهُ جنسٌ آخرُ .

ومنهُ : التكريرُ ؛ نحوُ : ﴿ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴾ [٢] ؛ للدلالةِ بـ (ثمَّ) علىٰ أنَّ الإنذارَ الثانيَ أبلغُ .

ومنهُ أشياءُ خُصَّتْ بأسماءٍ ؛ كالإيغالِ ، والتتميمِ ، والتذييلِ ، والتكميلِ ، يأتي بيانُها في فنِّ البديعِ إن شاءَ اللهُ تعالىٰ [٣] .

❋ ❋ ❋

---

(١) سورة القدر : (٤) .

(٢) سورة النبأ : (٤ ـ ٥) .

(٣) انظر (٢/٢١٧ ، ٢١٨ ، ٢٢١) .

الفنّ الثّالث
فنّ البديع

[تمهيدٌ في ترتيبِ الفنونِ]

اعلمْ : أنَّ العملَ بهٰذا الفنِّ إنَّما هوَ بعدَ العملِ بسابقيهِ ، كما أنَّ العملَ بفنِّ البيانِ بعدَ العملِ بفنِّ المعاني .

وبيانُ ذٰلكَ : أنَّكَ تنظرُ أوَّلَ ما تنظرُ إلى المعنى الذي تريدُ أن تُعبِّرَ عنهُ ، وأينَ تضعُ العبارةَ ، فحافظُكَ إذاً مِنَ الخطأَ في تعيينِ العبارةِ حَسَبَ الموضعِ . . هوَ **فنُّ المعاني** .

ثمَّ إنَّكَ تنظرُ إلى الألفاظِ ، فتختارُ منها ما تَعرِفُ أنَّهُ يُبيِّنُ مُرادَكَ ، ويجلو صورةَ المعنى الذي شَخَّصتَهُ أولاً للبصائرِ ؛ كما تجلو المرآةُ الصقيلةُ صورةَ ما يقابلُها ، وحافظُكَ إذاً مِنَ الخطأَ . . **فنُّ البيانِ** .

ثمَّ إذ أردتَ أن تُزيِّنَ عبارتَكَ حتىٰ تكونَ بهيجةً مُفرِحةً كالصورةِ المنقوشةِ بنقوشٍ مُحكَمةٍ متناسبةٍ بعدَ أن أخذَتِ الأعضاءُ متانتَها وكمالَها كما يليقُ بنوعِها . . **جاءَ العملُ بهٰذا العلمِ** .

وليكنْ علىٰ ذُكْرِكَ تمثيلُ الكلامِ الذي تريدُ إنشاءَهُ بالبيتِ الذي تريدُ أن تَسكُنَهُ مِنْ أوَّلِ ما تريدُ أن تبنيَهُ .

❁ ❁ ❁

وقد أفردَ المُتأخِّرونَ هٰذا الفنَّ بالتأليفِ ، وأدخلوا فيهِ كثيراً مِنْ مباحثِ الفنَّينِ ؛ كأنَّهُم قَدَّروا كفايتَهُ لمعرفةِ مِنْ أينَ يَتميَّزُ كلامٌ عن كلامٍ ، وتَشرُفُ عبارةٌ عن عبارةٍ ، وفصَّلوهُ إلىٰ أنواعٍ يزيدُ المُتأخِّرُ فيها على المُتقدِّمِ ، حتىٰ بلغَتْ عدداً كثيراً .

ولم يزلِ المُشتغِلونَ بمعرفةِ المحاسنِ الكلاميَّةِ يَعثُرونَ علىٰ أمورٍ إذا

قِيسَتْ لِمَا ذكَرَهُ أهلُ هٰذا الفنِّ . . كانَتْ مُستحِقَّةً لنظمِها في سلكِهِ ، وتسميتِها بما يناسبُها .

هٰذا ؛ والأحوالُ المبحوثُ عنها في هٰذا الفنِّ تنقسمُ إلىٰ لفظيَّةٍ ، وإلىٰ معنويَّةٍ .

اللفظيُّ منها : ما يعودُ حسنُهُ على الألفاظِ ؛ كالجناسِ والطِّباقِ .

والمعنويُّ : ما يَتعلَّقُ بالمعنىٰ ؛ كالمبالغةِ والغُلُوِّ ، وها هي تلكَ أنواعُ البديعِ علىٰ ترتيبِ التآليفِ المُستقِلَّةِ .

* * *

حسنُ الابتداءِ

ويُقالُ : براعةُ المطلعِ .

قالَ العلماءُ : ينبغي للمُتكلِّمِ أن تزيدَ عنايتُهُ ويَكثُرَ اهتمامُهُ بأربعةِ مواضعَ مِنْ كلامِهِ ، وإن كانَ ينبغي أن يَتحرَّى الأجودَ في سائرِهِ : أوَّلُ الكلامِ ، وآخِرُهُ ، ومكانُ التخلُّصِ مِنْ فنٍّ إلىٰ فنٍّ ، وموضعُ الطَّلبِ .

فقالوا : براعةُ المطلعِ ، وحسنُ التخلُّصِ ، وحسنُ الطَّلَبِ ، وحسنُ الخِتامِ .

فبراعةُ المطلعِ : بأن تكونَ ألفاظُهُ مختارةً سالمةً عمَّا يَنفِرُ منهُ السامعُ ، أو يَتعلَّقُ بهِ نقدٌ ، وإذا كانَ الكلامُ شعراً أو نثراً مُسجَّعاً . . لزمَ أن يكونَ كلٌّ مِنَ الشطرَينِ أوِ القرينتَينِ مُستقِلّاً بالإفادةِ معَ شِدَّةِ التناسبِ بينَهُما .

[براعةُ الاستهلالِ]

وعلى المُتكلِّمِ أيضاً أن يكونَ أوَّلُ كلامِهِ مُشتمِلاً علىٰ إشارةٍ لطيفةٍ إلىٰ مقصودِهِ مِنَ الكلامِ ، وسمَّوا ذٰلكَ : براعةَ الاستهلالِ ، وسنوردُ عليكَ مطالعَ تُحذَرُ أمثالُها ، رمَتْ بأصحابِها إذ ذاكَ خلفَ الاعتبارِ ، علىٰ أنَّهُم مَنْ هُم .

قال غيلانُ ذو الرُّمةِ يمدحُ عبدَ الملكِ بنَ مروانَ وكانَ بعينَيهِ عِلَّةٌ (١) : [من البسيط]

مَا بَالُ عَيْنَيْكَ مِنْهَا ٱلْمَاءُ يَنْسَكِبُ ... كَأَنَّهُ مِنْ كُلىً مَفْرِيَّةٍ سَرَبُ

الكُلْيةُ ـ بضمّ فسكونٍ ـ هنا : رُقعةٌ تُخرَزُ في القِربةِ تحتَ العُروةِ ، فجرى الشاعرُ علىٰ عادتِهِم في ذكرِ العشقِ وأحوالِهِ ؛ مِنَ السَّهرِ والبكاءِ وحرارةِ القلبِ

---

(١) انظر « ديوان ذي الرمة » (١/٩) .

وانفطارِ الكبدِ . . . إلىٰ غيرِ ذٰلكَ ، ولم يَلتفِتْ إلىٰ حالِ مَنْ معَهُ الخطابُ ، فكانَ جزاؤُهُ أن قالَ لهُ : ما لكَ وهـٰذا يا بغيضُ ؟!

وافتتحَ جريرٌ بقولِ[1] : [من الوافر]

أَتَـصْـحُـو أَمْ فُـؤَادُكَ غَـيْـرُ صَـاحِ

فقالَ ممدوحُهُ : بل فؤادُكَ .

وقالَ إسحاقُ المَوْصليُّ في أوَّلِ تهنئةٍ بقصرٍ بناهُ مَلِكُهُ[2] : [من الكامل]

يَـا دَارُ غَـيَّـرَكِ ٱلْـبِـلَـىٰ وَمَـحَـاكِ   يَـا لَـيْـتَ شِـعْـرِي مَا ٱلَّـذِي أَبْـلَاكِ

فأمرَ بهدمِهِ لساعتِهِ .

ولبعضِهِم يُخاطِبُ عظيماً يرجو إثابتَهُ[3] : [من مشطور الرجز]

مَـوْعِـدُ أَحْـبَـابِـكَ بِـٱلْـفُـرْقَـةِ غَـدْ

فقالَ : [بل] أحبابُكَ ولكَ المثلُ السوءُ .

وقالَ مَرَّةً ثانيةً في تهنئةٍ بيومِ المِهْرَجانِ : [من الرمل]

لَا تَـقُـلْ بُـشْـرَىٰ وَلَـٰكِنْ بُـشْـرَيَـانْ   غُـرَّةُ ٱلـدَّاعِـي وَيَـوْمُ ٱلْـمِـهْـرَجَـانْ

فأمرَ بضربِهِ خمسينَ وقالَ : إصلاحُ أدبِهِ أحسنُ مِنْ إثابتِهِ .

وقالَ أبو تمامٍ[4] : [من الطويل]

عَـلَـىٰ مِـثْـلِـهَـا مِـنْ أَرْبُـعٍ وَمَـلَاعِـبِ

---

(١) انظر « ديوانه » (٨٧/١) ، والبيت بتمامه :

أَتَـصْـحُـو أَمْ فُـؤَادُكَ غَـيْـرُ صَـاحِ   عَـشِـيَّـةَ هَـمَّ صَـحْـبُـكَ بِـٱلـرَّوَاحِ

(٢) انظر « معاهد التنصيص » (٢٣٠/٤) .

(٣) انظر « معاهد التنصيص » (٢٢٩/٤) ، والرجز لابن مقاتل الضرير .

(٤) انظر « ديوان أبي تمام » (١٩٨/١) ، والبيت بتمامه :

عَـلَـىٰ مِـثْـلِـهَـا مِـنْ أَرْبُـعٍ وَمَـلَاعِـبِ   أُذِيـلَـتْ مَـصُـونَـاتُ ٱلـدُّمُـوعِ ٱلـسَّـوَاكِـبِ

فقالَ بعضُ الحاضرينَ : لعنةُ اللهِ والملائكةِ والناسِ أجمعينَ .

وقالَ بعضُهُم : مدحتُ السلطانَ بقصيدةٍ ، وقبلَ عَرْضِها عليهِ أطلعتُ كثيراً مِنْ حُذَّاقِ الأصحابِ عليها ، فما منهُم إلَّا مَنْ قدحَ فكرَهُ في نقدِها ولم يأخذْ عليَّ منها في شيءٍ ، ثمَّ عرضتُها على الممدوحِ ، فصادفَتْ قَبولاً ، وكانَ مَطلعُها : [من الرجز]

دَعْهَا وَلَا تَحْبِسْ زِمَامَ ٱلْمِقْوَدِ تَطْوِي بِأَيْدِيهَا بِسَاطَ ٱلْفَدْفَدِ

وكنتُ بها مُعجَباً ، فأسمعتُها يوماً لبعضِ شُبَّانِ أعيانِ العسكرِ ، فقالَ : (ما كانَ يُؤمِّنُكَ أن يقولَ حينَ يتناولُ درجَها فيجدَ في صدرِهِ « دَعْها » : قد فعلتُ ، ويرمي بها ، أَمَا كنتَ تَخجلُ ؟! فقلتُ : بلىٰ ، ولٰكنَّ اللهَ قد وقىٰ)[1] .

ويُحكىٰ : أنَّ صالحَ بنَ حسانَ قالَ يوماً للهيثمِ بنِ عديٍّ : أنشدْني بيتاً صدرُهُ أعرابيٌّ في شَمْلةٍ ، وعَجُزُهُ مُخنَّثٌ مِنْ مُخنَّثي المدينةِ ، فقالَ : لا أعرفُهُ ، فقالَ : أجَّلتُك حولاً ، فقالَ : ولو أجَّلتَني عَشراً ، فقالَ : كنتُ أحسَبُكَ أذكىٰ مِنْ هٰذا ، وأنشدَهُ بيتَ جميلٍ[2] : [من الطويل]

أَلَا أَيُّهَا ٱلنُّوَّامُ وَيْحَكُمُ هُبُّوا

هٰذا أعرابيٌّ في شَمْلةٍ .

أُسَائِلُكُمْ هَلْ يَقْتُلُ ٱلرَّجُلَ ٱلْحُبُّ[3]

ولمسلمِ بنِ الوليدِ[4] : [من الطويل]

أَدِيرَا عَلَيَّ ٱلرَّاحَ لَا تَشْرَبَا قَبْلِي وَلَا تَطْلُبَا مِنْ عِنْدِ قَاتِلَتِي ذَحْلِي

---

(١) انظر « أنوار الربيع » (١/٧٣ ـ ٧٤) .

(٢) ديوان جميل بثينة (ص ٢٥) .

(٣) انظر الخبر في « وفيات الأعيان » (١/٤٣٨) .

(٤) انظر « ديوان صريع الغواني » (ص ٣٣) .

فهٰذهِ المطالعُ كافيةٌ لإرشادِكَ إلىٰ ما يجبُ احتراسُكَ مِنْ مثلِهِ .

وأزيـدُكَ ما حُكِيَ : أنَّ شاعراً مَغربيّاً سمعَ شعرَ الصَّاحبِ بهاءِ الدينِ زهيرٍ المصريّ ، فحملَهُ ذٰلكَ علىٰ أن يَقصِدَ مصرَ ليتعلَّمَ رِقَّةَ الشعرِ مِنْ ذٰلكَ الوزيرِ ، فلمَّا لقيَهُ وعرَّفَهُ الحالَ . . قالَ لهُ الصَّاحبُ : إنَّ ذٰلكَ أمرٌ لا يُعرَفُ بطريقةِ تعليمٍ علميّ ، وإنَّما يَصرِفُ الشاعرُ فكرَهُ فيما يَرِدُ عليهِ مِنْ لطائفِ الأشعارِ ، ويَتأمَّلُ مِنْ جهاتِ اللطفِ فيها حتىٰ تأخذَ مِنْ طبعِهِ مكاناً ، وحينَئذٍ يَجهَدُ في محاكاتِها ، فعليكَ بإدمانِ قراءتِها علىٰ ذٰلكَ الحدِّ ، والآنَ ألقي عليكَ صدراً لتعملَ لهُ عَجُزاً وتطلعَني لأخبرَكَ بحالِهِ ، فأنشدَهُ : [من مجزوء الكامل]

يَـــا بَـــانَ وَادِي ٱلْأَجْـــرَعِ

فأخذَهُ المغربيُّ وانصرفَ يَكُدُّ فكرَهُ في تتميمِهِ ، ثمَّ جاءَ صبيحةَ ليلتِهِ إلى الصَّاحبِ فأنشدَهُ :

يَـــا بَـــانَ وَادِي ٱلْأَجْـــرَعِ سُـــقِـــيـــتَ غَـــيْـــثَ ٱلْأَدْمُـــعِ

فقالَ الصَّاحبُ : الصَّدرُ يَطلُبُ غيرَ هٰذا ، وأتمَّهُ بقولِهِ :

هَـــلْ مِـــلْـــتِ مِـــنْ طَـــرَبٍ مَـــعِـــي (١)

فأنتَ ترىٰ أنَّ الميلَ مأخوذٌ مِنَ البانِ ، وتعليلَهُ بطربِ المساعدةِ للعاشقِ ومجانستِهِ إيَّاهُ في العشقِ ، فمثلُ هٰذا ينبغي أن تكونَ المطالعُ ، ومِنْ جيادِ المطالعِ قولُ النابغةِ الذبيانيّ (٢) : [من الكامل]

رَحَلَتْ سُمَيَّةُ غُدْوَةً أَجْمَالَهَا غَضْبَىٰ عَلَيْكَ فَمَا تَقُولُ بَدَا لَهَا

---

(١) انظر « الوافي بالوفيات » (١٤/٢٣٥) .

(٢) ذكر البغدادي في « خزانة الأدب » (٤/٢٥٩) أنها للأعشى الكبير .

وقولُ القطاميّ [1] : [من الطويل]

أَلَا أَيُّهَا ٱللَّاحِي كَفَاكَ عِتَابَا وَنَفْسَكَ وَفِّقْ مَا ٱسْتَطَعْتَ صَوَابَا

ولأبي تمامٍ في استهلالِ مَرْثِيةٍ [2] : [من الطويل]

كَذَا فَلْيَجِلَّ ٱلْخَطْبُ وَلْيَفْدَحِ ٱلْأَمْرُ فَلَيْسَ لِعَيْنٍ لَمْ يَفِضْ مَاؤُهَا عُذْرُ

ولبعضِهِم في استهلالِ تهنئةٍ بمولودٍ [3] : [من البسيط]

بُشْرَىٰ فَقَدْ أَنْجَزَ ٱلْإِقْبَالُ مَا وَعَدَا وَكَوْكَبُ ٱلسَّعْدِ فِي أُفْقِ ٱلْعُلَا صَعَدَا

هٰذا في براعةِ الاستهلالِ ، وحَسُنَ قولُهُ فيها :

لَمْ يَتَّخِذْ وَلَداً إِلَّا مُبَالَغَةً فِي صِدْقِ تَوْحِيدِ مَنْ لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدَا

* * *

---

(١) انظر « ديوان القطامي » (ص ٣١٢) .

(٢) انظر « ديوان أبي تمام » (٧٩/٤) .

(٣) انظر « يتيمة الدهر » (٢٧٧/٣ ـ ٢٧٨) .

الجِناسُ والتجنيسُ ، والمجانسةُ والتجانسُ

ألفاظٌ يَستعمِلُها أهلُ هٰذا الفنِّ لنوعٍ لفظيٍّ ينبغي أن يُستعمَلَ علىٰ ما حَدَّهُ المُطَرِّزيُّ في « شرحِ المَقاماتِ » حيث يقولُ : (إنَّ أنواعَ الجِناسِ لا تُستحسَنُ حتىٰ يساعدَ اللفظُ المعنىٰ ، ولا تُستلَذُّ حتىٰ تكونَ عذبةَ الإصدارِ والإيرادِ ، سهلةً سلسلةَ المَقادِ ، ولا تَبرُعُ حتىٰ يساويَ مطلعُها مقطعَها ، ولا تَملُحُ حتىٰ يوازيَ مصنوعُها مطبوعَها ، معَ مراعاةِ النظيرِ ، وتمكُّنِ القرائنِ ، وإلَّا . . فما قَلِقَ في أماكنِهِ ، ونبا عن مواقعِهِ . . فبمعزلٍ عنِ الرِّضاءِ عندَ علماءِ البيانِ ، وبمكانٍ مِنَ البَشاعةِ لدىٰ أربابِ النثرِ وأصحابِ النظمِ .

فإذا أردتَ أن تستوفيَ أقسامَ المحاسنِ ، وتجتنِبَ أنواعَ المشاينِ . . فأرسلِ المعانيَ علىٰ سجيَّتِها ، ودعْها تطلبُ لأنفسِها الألفاظَ ؛ فإنَّها إذا تُرِكَتْ وما تريدُ . . لم تكتسِ إلَّا ما يليقُ بها ، ولم تَلبَسْ مِنَ المعارضِ إلَّا ما يزينُها ، فأمَّا أن تضعَ في نفسِكَ أنَّهُ لا بدَّ لكَ مِنْ تجنيسٍ وتسجيعٍ بلفظَينِ مخصوصَينِ . . فهوَ الذي أنتَ منهُ بمَعرِضِ الاستكراهِ علىٰ خَطَرٍ مِنَ الخطرِ ، فإن ساعدَكَ الجَدُّ كما ساعدَ طاهراً البصريَّ في قولِهِ(١) : [من الخفيف]

نَـاظِـرَاهُ فِـيـمَـا جَـنَـىٰ نَـاظِـرَاهُ   أَوْ دَعَـانِـي أَمُـتْ بِـمَـا أَوْدَعَـانِـي

وأبا تمامٍ في قولِهِ(٢) : [من الطويل]

وَأَنْـجَـدْتُـمُ مِـنْ بَـعْـدِ إِتْـهَـامِ دَارِكُـمْ   فَيَا دَمْعُ أَنْجِدْنِي عَلَىٰ سَاكِنِي نَجْدِ

. . فذاكَ ، وإلَّا . . أطلقتَ لسانَ العَتْبِ ، وأرخيتَ عَنانَ الذَّمِّ ، وأفضىٰ بكَ

---

(١) انظر « معاهد التنصيص » (٣/٢١١) .

(٢) انظر « ديوان أبي تمام » (٢/١١٠) .

طلبُ الإحسانِ مِنْ حيثُ لم تُحسِنْهُ إلىٰ أشنعِ القبحِ ، وأوقعَكَ الوُلوعُ بالثناءِ عليكَ في ورطةِ القدحِ ، وانقلبَ إحسانُكَ إساءةً ، وتَحوَّلَ سرورُكَ مَساءةً) انتهىٰ كلامُ المُطرِّزيِّ [١] .

وقالَ ابنُ رشيقٍ في الجِناسِ : (هوَ مِنْ أنواعِ [٢] الفراغِ ، وقِلَّةِ الفائدةِ ، وممَّا لا شكَّ في تَكلُّفِهِ ، وقد أكثرَ منهُ هـٰؤلاءِ السَّاقةُ المُتعقِّبونَ في نظمِهِم ونثرِهِم ، حتىٰ رَكَّ وبَرَدَ) [٣] .

وأقولُ : صدقَ ابنُ رشيقٍ ؛ فإنَّ الجِناسَ لا يخلو مِنْ أن يحيدَ بصاحبِهِ عنِ الجادَّةِ ، ولأهلِ دِقَّةِ النظرِ مِنَ الشعراءِ والكُتَّابِ نقدٌ ليسَ يُدرِكُهُ العلماءُ ؛ فالمُطرِّزيُّ رحمَهُ اللهُ يقولُ : إنَّ الجَدَّ ـ أي : الحَظَّ والبَخْتَ ـ ساعدَ طاهراً البصريَّ ، وذٰلكَ لا يقولُهُ أولـٰئكَ ؛ فإنَّ بيتَيْ طاهرٍ جائرانِ عن سبيلِ الإحسانِ وإن كانَ ظاهرُهُما خادعاً ، ألا ترىٰ أنَّ للشاعرِ أن يقولَ قولَهُ [٤] : [من الخفيف]

قُلْتُ لِلْقَلْبِ مَا دَهَاكَ أَجِبْنِي ... قَالَ لِي بَائِعُ ٱلْفَرَانِي فَرَانِي

لفظُ (فراني) كلمةٌ نازلةٌ ، ولأجلِها نَقَّصَ كلمةَ (الفراني) حقَّها ؛ وهيَ بتشديدِ الياءِ جمعُ فُرنيَّةٍ ، نسبةً إلى الفُرْنِ ؛ لنوعِ خبزٍ ، وقولُهُ : [من الخفيف]

نَاظِرَاهُ فِيمَا جَنَىٰ نَاظِرَاهُ ... أَوْ دَعَانِي أَمُتْ بِمَا أَوْدَعَانِي

فيهِ الرِّضاءُ بإدخالِ المحبوبِ تحتَ أسرِ الاحتجاجِ ، وتكلُّفِ الإجابةِ ، وليسَ هوَ الجانيَ ، وهبْ هما ناظراهُ . . أفكانَ يَسلَمُ ويعيشُ بعد أنِ انفرىٰ قلبُهُ ؟! ثمَّ الودائعُ مردودةٌ ، ثمَّ الكلامُ ينادي علىٰ نفسِهِ أنَّ إنشاءَهُ والقصدَ إليهِ

---

(١) انظر « أنوار الربيع » (١/٢٢٢ ـ ٢٢٣) .
(٢) في « العمدة » (١/٥٤٥) : (أبواب) .
(٣) العمدة (١/٥٤٥) .
(٤) هو لشمسويه المصري ، كما في « معاهد التنصيص » (٣/٢١٠) .

إنَّما هوَ قرنُ تلكَ الألفاظِ ، ولذٰلكَ لا ترى الجِناسَ في بليغِ الكلامِ إلَّا نادراً ، وحيثُ كانَ رأيتَهُ ثابتاً في موضعِهِ ، مُتمكّناً منهُ ، أوجبَهُ المعنىٰ ، مثلاً : قولُهُ تعالىٰ : ﴿ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْـَٔوْنَ ﴾ (١) ، ربَّما تقولُ : إنَّ لفظَ (ينأونَ) أتىٰ بهِ لأجلِ الجِناسِ ، وإلَّا . . فلفظُ (يَبعُدونَ) يقومُ مَقامَهُ ، لٰكنْ إذا أعطيتَ الألفاظَ حقَّها مِنَ النظرِ . . رأيتَكَ لا تقولُ لشيءٍ : (بَعُدَ) إلَّا حينَ يجاوزُ مواضعَ القربِ ، وأمَّا النَّأْيُ . . فهوَ الانفصالُ عنِ الشيءِ لقصدِ البعدِ منهُ والنَّفرةِ عنهُ ، فمخالفتُهُم مُتصِلةٌ بفعلِهِم ، والمَذَمَّةُ لاحقةٌ بهِم مِنْ حيثُ ينهونَ .

وبعدُ : فقد قيلَ في فائدةِ الجِناسِ : إنَّهُ يستدعي ميلَ السامعِ وإصغاءَهُ إلى الكلامِ حيثُ تعودُ اللفظةُ التي سمعَها ، فيأخذُهُ ضربٌ مِنَ الاستغرابِ ، ويَستحسِنُ المُكرَّرَ معَ اختلافِ المعنىٰ .

[أنواعُ الجناسِ]

وهوَ أنواعٌ :

التامُّ

ويكونُ بإيرادِ الألفاظِ المشتركةِ للمعاني المختلفةِ وغيرِ ذٰلكَ ، وردَ في موضعَينِ مِنَ القرآنِ : ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا۟ غَيْرَ سَاعَةٍ ﴾ (٢) ، ﴿ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِۦ يَذْهَبُ بِٱلْأَبْصَٰرِ ۝ يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴾ (٣) ، ويَحسُنُ منهُ مثلُ قولِ بعضِهِم (٤) : [من السريع]

إِذَا رَمَاكَ ٱلدَّهْرُ فِي مَعْشَرٍ ... قَدْ أَجْمَعَ ٱلنَّاسُ عَلَىٰ بُغْضِهِمْ

(١) سورة الأنعام : (٢٦) .

(٢) سورة الروم : (٥٥) .

(٣) سورة النور : (٤٤ ـ ٤٥) .

(٤) انظر « معاهد التنصيص » (٣/٢١٠) ، وعزاه لابن فضالة المجاشعي .

فَـدَارِهِـمْ مَـا دُمْـتَ فِـي دَارِهِـمْ وَأَرْضِـهِـمْ مَـا دُمْـتَ فِـي أَرْضِـهِـمْ

وقولِ آخَرَ[١] : [من الكامل]

وَخْـزُ ٱلْأَسِـنَّـةِ وَٱلْـخُـضُـوعُ لِـنَـاقِـصٍ أَمْـرَانِ فِـي رَأْيِ ٱلْـنُّـهَـىٰ مُـرَّانِ

وَٱلـرَّأْيُ فِـيـمَـا دُونَـهُ ٱلْأَمْـرَانِ أَنْ تَـخْـتَـارَ وَقْـعَ أَسِـنَّـةِ ٱلْـمُـرَّانِ

وهٰذا الجِناسُ إذا كانَ ركناهُ مِنْ جنسٍ واحدٍ ؛ كفعلَينِ أوِ اسمَينِ . . سُمِّيَ : متماثلاً ، وإنِ اختلفا . . سُمِّيَ : مستوفىً .

الجِناسُ المُطلقُ

يكونُ بتوافقِ ركنَيهِ في الحروفِ وترتيبِها دونَ أن يَجمعَهُما اشتقاقٌ ؛ كقولِهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ : « أَسْلَمُ سَالَمَهَا ٱللهُ ، وَغِفَارُ غَفَرَ ٱللهُ لَهَا ، وَعُصَيَّةُ عَصَتِ ٱللهَ وَرَسُولَهُ »[٢] .

فإن جمعَهُما اشتقاقٌ ؛ مثلُ : ﴿ لَآ أَعۡبُدُ مَا تَعۡبُدُونَ وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ ﴾[٣] . . فقيلَ : يُسمَّىٰ : جِناسَ اشتقاقٍ ، وقيلَ : هوَ غيرُ جناسٍ .

الجِناسُ المُذيَّلُ ، والجِناسُ المُطرَّفُ

يكونُ الأوَّلُ بزيادةِ أحدِ ركنَيهِ في آخِرِهِ ، والثاني بها في أوَّلِهِ ؛ مثلُ قولِ أبي تمامٍ[٤] : [من الطويل]

يَـمُـدُّونَ مِـنْ أَيْـدٍ عَـوَاصٍ عَـوَاصِـمٍ تَـصُـولُ بِـأَسْـيَـافٍ قَـوَاضٍ قَـوَاضِـبِ

(١) هما لإبراهيم الغزي ، كما في « وفيات الأعيان » (١/٥٩) .
(٢) أخرجه البخاري (٣٥١٣) ، ومسلم (٢٥١٨) عن سيدنا ابن عمر رضي الله عنهما .
(٣) سورة الكافرون : (٢ ـ ٣) .
(٤) انظر « ديوان أبي تمام » (١/٢٠٦) .

وقولِ الخنساءِ[1] : [من مجزوء الكامل]

إِنَّ ٱلْبُكَاءَ هُوَ ٱلشِّفَا ءُ مِنَ ٱلْجَوَىٰ بَيْنَ ٱلْجَوَانِحْ

وقولِ الشيخِ عبدِ القاهرِ[2] : [من الطويل]

وَكَمْ سَبَقَتْ مِنْهُ إِلَيَّ عَوَارِفٌ ثَنَائِي عَلَىٰ تِلْكَ ٱلْعَوَارِفِ وَارِفُ

وَكَمْ غُرَرٍ مِنْ بِرِّهِ وَلَطَائِفٍ لِشُكْرِي عَلَىٰ تِلْكَ ٱللَّطَائِفِ طَائِفُ

الجِناسُ المُضارعُ ، والجناسُ اللَّاحقُ

يكونُ الأوَّلُ باختلافِ ركنَيهِ في حرفَينِ لم يتباعدا مَخرجاً ؛ مثلُ : ينهونَ وينأونَ ، والثاني في متباعدَينِ ؛ مثلُ : ﴿ وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴾[3] .

الجِناسُ اللفظيُّ

يكونُ باختلافِ ركنَيهِ بالضَّادِ والظَّاءِ ، أوِ التاءِ والهاءِ ، أوِ التنوينِ والنونِ ؛ مثلُ : ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾[4] .

ومثلُ قولِ بعضِهم[5] : [من البسيط]

إِذَا جَلَسْتَ إِلَىٰ قَوْمٍ لِتُؤْنِسَهُمْ بِمَا تُحَدِّثُ مِنْ مَاضٍ وَمِنْ آتِ

فَلَا تُعِيدَنْ حَدِيثاً إِنَّ طَبْعَهُمُ مُوَكَّلٌ بِمُعَادَاةِ ٱلْمُعَادَاتِ

---

(١) انظر « ديوان الخنساء » رضي الله عنها (ص ٣٢٩) .

(٢) كذا في « أنوار الربيع » (١/١٧٦) .

(٣) سورة العاديات : (٧ ـ ٨) .

(٤) سورة القيامة : (٢٢ ـ ٢٣) .

(٥) هما لأبي الفتح البستي في « ديوانه » (ص ٥٢) .

وقولِ آخَرَ [1] : [من الرجز]

أَحْسَنُ خَلْقِ ٱللهِ وَجْهاً وَفَماً إِنْ لَمْ يَكُنْ أَحَقَّ بِٱلْحُسْنِ فَمَنْ
حَكَى ٱلْغَزَالَ مُقْلَةً وَلَفْتَةً مَنْ ذَا رَآهُ مُقْبِلاً وَلَا ٱفْتَتَنْ

الجِناسُ المُحرَّفُ

يكونُ باختلافِهما في حركةٍ ؛ مثلُ الضَّلالِ والظِّلالِ ، والكَلِمِ والكَلْمِ ، ومنهُ : جُبَّةُ البُرْدِ . . جُنَّةُ البَرْدِ .

الجِناسُ المُصحَّفُ

يكونُ بكلماتٍ لو زالَ إعجامُها . . لم تَتميَّزْ ؛ كقولِ بعضِهم : (غَرَّكَ عِزُّكَ ، فصارَ قَصَارُ ذٰلكَ ذُلَّكَ ، فاخشَ فاحشَ فعلِكَ ، فعَلَّكَ بهٰذا تُهدىٰ) [2] .

الجِناسُ المُركَّبُ ، والجِناسُ المُلفَّقُ

يكونُ الأَوَّلُ باختلافِ ركنَيهِ إفراداً وتركيباً ، فإن كانَ مِنْ كلمةٍ وبعضِ أخرىٰ . . سُمِّيَ : مرفوّاً ؛ كقولِ الحريريِّ [3] : [من الطويل]

وَلَا تَلْهَ عَنْ تَذْكَارِ ذَنْبِكَ وَٱبْكِهِ بِدَمْعٍ يُحَاكِي ٱلْمُزْنَ عِنْدَ مَصَابِهِ
وَمَثِّلْ لِعَيْنَيْكَ ٱلْحِمَامَ وَوَقْعَهُ وَرَوْعَةَ مَلْقَاهُ وَمَطْعَمَ صَابِهِ

وإن كانَ مِنْ كلمتَينِ ؛ فإنِ اتفقَ الركنانِ خطّاً . . سُمِّي : مقروناً ؛ كقولِهِ [4] :

إِذَا مَلِكٌ لَمْ يَكُنْ ذَا هِبَهْ فَدَعْهُ فَدَوْلَتُهُ ذَاهِبَهْ

---

(١) هما للشاب الظريف في « ديوانه » (ص ٢٣٣) .
(٢) انظر « تاج العروس » (٤٣٣/١٣) مادة (ق ص ر) .
(٣) مقامات الحريري (ص ١٤٦) .
(٤) هو أبو الفتح البستي في « ديوانه » (ص ٤٠) ، والبيت من المتقارب .

وإلَّا . . سُمِّيَ : مَفروقاً ؛ كقولِهِ[1] : [من الكامل]

لَا تَعْرِضَنَّ عَلَى ٱلرُّوَاةِ قَصِيدَةً ... مَا لَمْ تَكُنْ بَالَغْتَ فِي تَهْذِيبِهَا
فَإِذَا عَرَضْتَ ٱلشِّعْرَ غَيْرَ مُهَذَّبٍ ... عَدُّوهُ مِنْكَ وَسَاوِساً تَهْذِي بِهَا

ويكونُ المُلفَّقُ بتركيبِ الركنَينِ جميعاً ؛ كقولِ بعضِهِم[2] : [من الوافر]

وَلِيتُ ٱلْحُكْمَ خَمْساً وَهْيَ خَمْسٌ ... لَعَمْرِي وَٱلصِّبَا فِي ٱلْعُنْفُوَانِ
فَلَمْ تَضَعِ ٱلْأَعَادِي قَدْرَ شَانِي ... وَلَا قَالُوا فُلَانٌ قَدْ رَشَانِي

وقولِ آخَرَ[3] : [من الطويل]

أَرَىٰ مَجْلِسَ ٱلسُّلْطَانِ تُفْضِي عُفَاتُهُ ... إِلَىٰ رَوْضِ جُودٍ بِٱلْعَطَاءِ مُجَوَّدِ
فَكَمْ لِجِبَاهِ ٱلرَّاغِبِينَ لَدَيْهِ مِنْ ... مَجَالِ سُجُودٍ فِي مَجَالِسِ جُودِ

جِناسُ القلبِ

يكونُ باختلافِ ركنَيهِ في ترتيبِ الحروفِ ؛ كقولِهِ : اللهمَّ ؛ استرْ عوراتِنا ، وآمنْ روعاتِنا .

الجِناسُ المعنويُّ

نوعانِ : جِناسُ إضمارٍ ، وجِناسُ إشارةٍ .

الأوَّلُ : أن تأتيَ بلفظٍ يُحضِرُ في ذهنِكَ لفظاً آخَرَ بمرادفةٍ أو بطريقٍ أخرىٰ ، وذٰلكَ اللفظُ المُحضَرُ يُرادُ بهِ غيرُ معناهُ بدلالةِ سياقِ الكلامِ ؛ كقولِ الشريفِ ابنِ طباطبا العلويِّ[4] : [من البسيط]

مُنَعَّمُ ٱلْجِسْمِ تَحْكِي ٱلْمَاءَ رِقَّتُهُ ... وَقَلْبُهُ قَسْوَةً يَحْكِي أَبَا أَوْسِ

---

(١) هو للمطوعي ، كما في « معاهد التنصيص » (٣/٢٢٢) .
(٢) هو القاضي عبد الباقي بن أبي حصين ، كما في « معاهد التنصيص » (٣/٢٤٠) .
(٣) هو أبو القاسم عبد الصمد الطبري ، كما في « يتيمة الدهر » (٥/١٩٣) .
(٤) انظر « الصناعتين » (ص ٣٨٣) .

أوسٌ : شاعرٌ مشهورٌ مِنْ شعراءِ العربِ ، واسمُ أبيهِ : حَجَرٌ ، فلفظُ (أبي أوسٍ) يُحضِرُ في ذهنِكَ اسمَهُ ؛ وهوَ لفظُ (حَجَرٍ) ، والمرادُ بهِ بدلالةِ قولِهِ : (وقلبُهُ قسوةً) : الحَجَرُ المعروفُ .

وحينَ ظهرَ استعمالُ هٰذا النوعِ . . استنكرَهُ الأدباءُ ، حتىٰ قالَ مسلمُ بنُ بحرٍ يُخاطِبُ الشريفَ المذكورَ (١) : [من الطويل]

أَبَا حَسَنٍ حَاوَلْتَ إِيرَادَ قَافِيَهْ مُصَلَّبَةِ ٱلْمَعْنَىٰ فَجَاءَتْكَ وَاهِيَهْ

وَقُلْتَ أَبَا أَوْسٍ تُرِيدُ كِنَايَةً عَنِ ٱلْحَجَرِ ٱلْقَاسِي فَأَوْرَدْتَ دَاهِيَهْ

فَإِنْ جَازَ هَٰذَا فَٱكْسِرَنْ غَيْرَ صَاغِرٍ فَمِي بِأَبِي ٱلْقَرْمِ ٱلْهُمَامِ مُعَاوِيَهْ

ثمَّ استحسنَهُ المُتأخِّرونَ وأكثروا منهُ ، فمنهُ قولُ بعضِهِم (٢) : [من الطويل]

أَلَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهْوِ كَأْسُ مُدَامَةٍ أَتَتْنَا بِطَعْمٍ عَهْدُهُ غَيْرُ ثَابِتِ

حَكَتْ بِنْتَ بِسْطَامَ بْنِ قَيْسٍ صَبِيحَةً وَأَمْسَتْ كَجِسْمِ ٱلشَّنْفَرَىٰ بَعْدَ ثَابِتِ

بنتُ بِسطامَ : اسمُها صهباءُ ، وقولُهُ : (كجسم الشنفرىٰ) يشيرُ إلىٰ قولِهِ (٣) : [من المديد]

فَٱسْقِنِيهَا يَا سَوَادَ بْنَ عَمْرٍو إِنَّ جِسْمِي بَعْدَ خَالِي لَخَلُّ

يقولُ : أصبحَتْ خمراً ، وأمسَتْ خلّاً ، ولبهاءِ الدينِ زهيرٍ (٤) : [من الرجز]

وَجَاهِلٍ طَالَ بِهِ عَنَائِي

لَازَمَنِي وَذَاكَ مِنْ شَقَائِي

---

(١) انظر « الصناعتين » (ص ٣٨٣) .

(٢) انظر « أنوار الربيع » (١/٢٠٩) .

(٣) انظر « ديوان الشنفرىٰ » (ص ١٢٠) .

(٤) انظر « ديوان بهاء الدين زهير » (ص ١٨) .

أَبْــغَــضُ لِــلْــعَــيْــنِ مِــنَ ٱلْأَقْــذَاءِ
أَثْــقَــلُ مِــنْ شَــمَــاتَــةِ ٱلْأَعْــدَاءِ
فَــهْــوَ إِذَا رَأَتْــهُ عَــيْــنُ ٱلــرَّائِــي
أَبُــو مُــعَــاذٍ وَأَخُــو ٱلْــخَــنْــسَــاءِ (١)

ويكونُ جناسُ الإشارةِ بذكرِ أحدِ الركنَينِ والإشارةِ للآخَرِ بما يَدُلُّ عليه ؛ وذلكَ حيثُ يمنعُ الشعرُ مِنَ التصريحِ بهِ ، فلا يكونُ في المنثورِ ، وأصلُهُ : قولُ امرأةٍ عربيةٍ مِنْ عقيلٍ (٢) : [من الطويل]

فَمَا مُكْثُنَا دَامَ ٱلْجَمَالُ عَلَيْكُمَا بِثَهْلَانَ إِلَّا أَنْ تُشَدَّ ٱلْأَبَاعِرُ

كأنَّها أرادَتْ أن تقولَ : (تُشَدُّ الجمالُ) لتُجانسَ (الجَمالَ) جِناسَ التحريفِ ، فأبَتْ عليها القافيةُ .

وأكثرَ المُتأخِّرونَ مِنِ استعمالِهِ ؛ كقولِ بعضِهِم : [من المتقارب]

وَتَحْتَ ٱلْبَرَاقِعِ مَقْلُوبُهَا تَدِبُّ عَلَىٰ وَرْدِ خَدٍّ نَدِيٍّ

❋ ❋ ❋

---

(١) أراد : جبلاً وصخراً .

(٢) انظر « أنوار الربيع » (١/٢١٩) .

الاستطرادُ

هوَ أن يَخرُجَ المُتكلِّمُ مِنَ الفنِّ الذي هوَ مُترسِّلٌ فيهِ إلىٰ معنىً يَذكرُهُ باستدعاءِ مناسبةٍ قويَّةٍ ، ثمَّ يرجعُ إلىٰ تتميمِ ما كانَ فيهِ ؛ كقولِ السموءلِ[1] : [من الطويل]

وَإِنَّا أُنَاسٌ لَا نَرَى ٱلْقَتْلَ سُبَّةً إِذَا مَا رَأَتْهُ عَامِرٌ وَسَلُولُ
يُقَرِّبُ حُبُّ ٱلْمَوْتِ آجَالَنَا لَنَا وَتَكْرَهُهُ آجَالُهُمْ فَتَطُولُ
وَمَا مَاتَ مِنَّا وَاحِدٌ حَتْفَ أَنْفِهِ وَلَا طُلَّ مِنَّا حَيْثُ كَانَ قَتِيلُ

فسياقُ القصيدةِ للفخرِ ، وتنسيقِ المآثرِ ، استطردَ منهُ إلىٰ هجاءِ عامرٍ وسلولَ ، ثمَّ عادَ إليهِ .

والاستطرادُ كثيرٌ في القرآنِ ، وفي أشعارِ العربِ ، ترى الشاعرَ ماضياً في سننٍ ، فيَعترِضُهُ شيءٌ يستدعي الصِّفةَ ، فيَصِفُهُ ، فإذا أتمَّ . . عادَ .

[أصلُ معنى الاستطرادِ]

وأصلُ معنى الكلمةِ : أنَّ الفارسَ يكونُ بينَ يديْ قرنِهِ ، فيُظهِرُ أنَّهُ انهزمَ ويَفِرُّ ، فيَطلُبُهُ عادياً خلفَهُ ، حتىٰ إذا استشعرَ صاحبُ المكيدةِ أنَّ تابعَهُ قد أفرغَ قُوَّتَهُ ، وبطلَ استعدادُهُ ، وصارَ في أسرِ ميلِ الطَّلبِ . . عطفَ عليهِ المطلوبُ ، فكانَ الطالبُ قاتلَ نفسِهِ .

۞ ۞ ۞

---

(١) انظر « ديوان السموءل » (ص ١٢ ـ ١٣) .

وِمِنْ شواهدِ النوعِ : قولُ البحتريِّ في صفةِ فرسٍ (1) : [من الكامل]

يَهْوِي كَمَا هَوَتِ ٱلْعُقَابُ وَقَدْ رَأَتْ صَيْداً وَيَنْتَصِبُ ٱنْتِصَابَ ٱلْأَجْدَلِ
مَا إِنْ يَعَافُ قَذىً وَلَوْ أَوْرَدْتَهُ يَوْماً خَلَائِقَ حَمْدَوَيْهِ ٱلْأَحْوَلِ
جَذْلَانَ يَنْفُضُ عُذْرَةً فِي غُرَّةٍ يَقَقٍ تَسِيلُ حُجُولُهَا فِي جَنْدَلِ

* * *

(1) انظر « ديوان البحتري » (٣/١٧٤٥) .

المقابلةُ

هيَ أن تذكرَ معنيَينِ فأكثرَ ، ثمَّ تقابلَ كلّاً بضدِّهِ .

وأكرمُ شاهدٍ لها : قولُهُ تعالىٰ : ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ۝ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ۝ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ۝ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ ﴾ [1] .

ومَنِ استغنىٰ . . فقد عصىٰ ولم يَتَّقِ ، وقولُهُ : ﴿ فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا ﴾ [2] .

ثمَّ قولُهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ : « لَمْ يَكُنِ الرِّفْقُ فِي شَيْءٍ إِلَّا [زَانَهُ] ، وَلَمْ يَكُنِ الْخُرْقُ فِي شَيْءٍ إِلَّا [شَانَهُ] » [3] .

ومِنَ الشعرِ : قولُ بعضِهِم [4] : [من الطويل]

عَلَىٰ رَأْسِ عَبْدٍ تَاجُ عِزٍّ يَزِينُهُ ... وَفِي رِجْلِ حُرٍّ قَيْدُ ذُلٍّ يَشِينُهُ

وقولُ الطُّغرائيِّ [5] : [من البسيط]

حُلْوُ الْفُكَاهَةِ مُرُّ الْجِدِّ قَدْ مُزِجَتْ ... بِشِدَّةِ الْبَأْسِ مِنْهُ رِقَّةُ الْغَزَلِ

ولأبي الطيبِ [6] : [من البسيط]

أَزُورُهُمْ وَسَوَادُ اللَّيْلِ يَشْفَعُ لِي ... وَأَنْثَنِي وَبَيَاضُ الصُّبْحِ يُغْرِي بِي

---

(١) سورة الليل : (٥ ـ ١٠) .

(٢) سورة التوبة : (٨٢) .

(٣) أخرجه البيهقي في « شعب الإيمان » (٧٣٢٦) عن السيدة عائشة رضي الله عنها .

(٤) انظر « معاهد التنصيص » (٢/٢١٠) .

(٥) انظر « ديوان الطغرائي » (ص ٣٠٣) .

(٦) انظر « ديوان المتنبي » (ص ٣٣٩) .

وأخذهُ منهُ بعضُهُم فقالَ[1] : [من الكامل]

أَقْلِـي ٱلـنَّـهَـارَ إِذَا أَضَـاءَ صَـبَـاحُـهُ وَأَظَـلُّ أَنْـتَـظِـرُ ٱلـظَّـلَامَ ٱلـدَّامِـسَـا
فَٱلصُّبْحُ يَشْمَتُ بِي فَيُقْبِلُ ضَاحِكاً وَٱلـلَّـيْـلُ يَـرْثِـي لِـي فَـيُـدْبِـرُ عَـابِـسَـا

❋ ❋ ❋

(١) انظر « معاهد التنصيص » (٢٠٩/٢) .

الاستخدامُ

هوَ أن تَذكرَ لفظاً وتعيدَ عليهِ ضميراً تريدُ بهِ معنىً آخَرَ لذٰلكَ اللفظِ ، أو تعيدَ عليهِ ضميرَينِ تريدُ بثانيهِما غيرَ ما أردتَ بأوَّلِهِما .

فمِنَ الأوَّلِ : قولُهُ(١) : [من الوافر]

إِذَا نَـزَلَ ٱلسَّـمَـاءُ بِـأَرْضِ قَـوْمٍ　　رَعَـيْـنَـاهُ وَإِنْ كَـانُـوا غِـضَـابَـا

ولابنِ نباتةَ المصريِّ(٢) : [من الطويل]

إِذَا لَمْ تَفِضْ عَيْنِي ٱلْعَقِيقَ فَلَا رَأَتْ　　مَنَازِلَهُ بِٱلسَّفْحِ تُزْهَىٰ وَتُزْهَرُ

وَإِنْ لَمْ تُوَاصِلْ عَادَةَ ٱلسَّفْحِ مُقْلَتِي　　فَلَا عَادَهَا عَيْشٌ بِمَغْنَاهُ أَخْضَرُ

❋ ❋ ❋

ومِنَ الثاني : قولُ البحتريِّ(٣) : [من الكامل]

فَسَقَى ٱلْغَضَا وَٱلسَّاكِنِيهِ [وَإِنْ هُمُ]　　شَبُّوهُ بَيْنَ جَوَانِحٍ وَقُلُوبِ

الغضا : اسمٌ لمكانَينِ معروفَينِ ، واسمُ شجرٍ نارُهُ شديدةٌ لصلابتِهِ ؛ يُقالُ : إنَّ نارَهُ تَمكُثُ تحتَ الترابِ المُطفِئِ عادةً للنارِ ستةَ أشهرٍ .

[نوعٌ آخر مِنَ الاستخدامِ]

وثَمَّ استخدامٌ آخَرُ أثبتَهُ بعضُهُم ؛ وهوَ أن تذكرَ كلمةً ذاتَ معنيَينِ وتريدَهُما

---

(١) تقدم (٢/١٦) .

(٢) انظر « معاهد التنصيص » (٢/٢٧١) .

(٣) انظر « ديوان البحتري » (١/٢٤٦) .

جميعاً ، ناصباً في الكلامِ لكلٍّ منهُما دليلاً ؛ كقولِ بعضِهِم[1] : [من السريع]

دَعِ ٱلْهُوَيْنَىٰ وَٱنْتَصِبْ وَٱكْتَسِبْ ... وَٱكْدَحْ فَنَفْسُ ٱلْحُرِّ كَدَّاحَهْ

وَكُنْ عَنِ ٱلرَّاحَةِ فِي مَعْزِلٍ ... فَٱلصَّفْحُ مَوْجُودٌ مَعَ ٱلرَّاحَهْ

ومنهُ في الكتابِ العزيزِ : ﴿ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ ﴾[2] .

ومِنَ الاستخدامِ الأوَّلِ فيهِ قولُهُ : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً ﴾[3] في أحدِ التفسيرَينِ .

* * *

(١) انظر « معاهد التنصيص » (٢/٢٧١) ، وعزاهما للسراج الوراق .

(٢) سورة الرعد : (٣٨ ـ ٣٩) .

(٣) سورة المؤمنون : (١٢ ـ ١٣) .

الافتنانُ

هوَ أن يَجمعَ المُتكلِّمُ بينَ فنَّينِ مِنَ المعاني ؛ مثلُ الغزلِ والحماسةِ ، والمدحِ والهجاءِ ، والتهنئةِ والتعزيةِ ، قالَ تعالىٰ : ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ۝ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴾(١) ، صدرُ الآيةِ تسليةٌ لعامَّةِ الناسِ وتعزيةٌ ، وبيانُ موضعِ التأسِّي ؛ فإنَّ الأمرَ متىٰ عمَّ . . هانَ ، وعَجُزُها تَمدُّحٌ بالانفرادِ بالبقاءِ والجلالِ ؛ أيِ : العظمةِ ، والإكرامِ ؛ أيِ : الإعظامِ ، فهُما لهُ لذاتِهِ ، وما كانَ منهُما لغيرِهِ . . فبإحسانِهِ وإفضالِهِ .

[تعزيةٌ وتهنئةٌ]

ويُحكىٰ : أنَّهُ لمَّا أجابَ أميرُ المؤمنينَ معاويةُ رضيَ اللهُ عنهُ داعيَ ربِّهِ ، وخَلَفَهُ ابنُهُ يزيدُ . . دخلَ عليهِ الناسُ يومَ جلوسِهِ لهُم ، فلم يَتكلَّمْ أحدٌ بشيءٍ ؛ حَيرةً بينَ المصيبةِ السالفةِ والنعمةِ الخالفةِ ، حتىٰ دخلَ عبدُ اللهِ بنُ همامٍ السَّلوليُّ ، فقالَ : آجرَكَ اللهُ على الرزيَّةِ ، وبارَكَ لكَ في العطيَّةِ ، وأعانَكَ على الرعيَّةِ ، فقد رُزِئتَ عظيماً ، وأُعطيتَ جسيماً ، فاشكرِ اللهَ علىٰ ما أُعطِيتَ ، واصبرْ علىٰ ما رُزِيتَ ؛ فقد فقدتَ الخليفةَ ، وأُعطِيتَ الخلافةَ ، ففارقتَ خليلاً ، ووُهِبتَ جليلاً ، ثمَّ أنشدَ : [من البسيط]

اِصْبِرْ يَزِيدُ فَقَدْ فَارَقْتَ ذَا ثِقَةٍ ... وَٱشْكُرْ حِبَاءَ ٱلَّذِي بِٱلْمُلْكِ أَصْفَاكَا
لَا رُزْءَ أَصْبَحَ فِي ٱلْأَقْوَامِ نَعْلَمُهُ ... كَمَا رُزِئْتَ وَلَا عُقْبَىٰ كَعُقْبَاكَا(٢)

ذٰلك فضلُ اللهِ يؤتيهِ مَنْ يشاءُ .

---

(١) سورة الرحمـٰن : (٢٦ ـ ٢٧) .

(٢) انظر « أنوار الربيع » (١/٣٢١) .

كما يُحكىٰ : أنَّ أعرابيَّةً لقيَتْ أبا جعفرٍ المنصورَ - ثانيَ خلفاءِ بني العباسِ - في طريقِ الحجازِ وقد حجَّ بالناسِ أوَّلَ حِجَّةٍ بعدَ موتِ أخيهِ السَّفَّاحِ أوَّلِهِم ، فقالَتْ لهُ : يا أميرَ المؤمنينَ ؛ قد أحسنَ اللهُ إليكَ في الحالتَينِ ، وأعظمَ النعمةَ عليكَ في المنزلتَينِ ، سلبَكَ خليفةَ اللهِ ، وأفادَكَ خلافةَ اللهِ ، فاحتسِبْ عندَ اللهِ ما سلبَكَ ، واشكرْ لهُ ما وهَبَكَ ، وتَجاوزَ اللهُ عن أميرِ المؤمنينَ ، وباركَ لكَ في إمرةِ المؤمنينَ .

ثُمَّ دخلَ الناسُ بعدُ مِنْ هٰذا البابِ ، فقالوا وأحسنوا ؛ كأبي نُوَاسٍ وأبي تمامٍ ومَنْ جاءَ بعدَهُم[1] .

ومِنَ الافتنانِ بالجمعِ بينَ الغزلِ والحماسةِ : قولُ ذي اليمينَينِ عبدِ اللهِ بنِ طاهرٍ[2] : [من الخفيف]

نَحْنُ قَوْمٌ تُذِيبُنَا ٱلْأَعْيُنُ ٱلنُّجْـ ... ـلُ عَلَىٰ أَنَّنَا نُذِيبُ ٱلْحَدِيدَا

طَوْعُ أَيْدِي ٱلْغَرَامِ تَقْتَادُنَا ٱلْغِيـ ... ـدُ وَنَقْتَادُ بِٱلطِّعَانِ ٱلْأُسُودَا

نَمْلِكُ ٱلصَّيْدَ ثُمَّ تَمْلِكُنَا ٱلْبِيـ ... ـضُ ٱلْمَصُونَاتُ أَعْيُناً وَخُدُودَا

تَتَّقِي سُخْطَنَا ٱلْأُسُودُ وَنَخْشَىٰ ... سَخْطَةَ ٱلْخِشْفِ حِينَ يُبْدِي ٱلصُّدُودَا

فَتَرَانَا يَوْمَ ٱلْكَرِيهَةِ أَحْرَا ... راً وَفِي ٱلسِّلْمِ لِلْحِسَانِ عَبِيدَا

وإذا جمعَ المُتكلِّمُ بينَ معانٍ كثيرةٍ . . خُصَّ مِنْ بينِ الافتنانِ باسمِ التمريجِ ؛ أي : جعلِ الكلامِ مثلَ المَرجِ يَشتمِلُ علىٰ أنواعِ النباتاتِ المختلفةِ .

* * *

---

(١) انظر « ربيع الأبرار » (٤١٣/٤) .

(٢) كذا في « أنوار الربيع » (٣٢٤/١) .

اللفُّ والنشرُ

هوَ أن تَذكُرَ مُتعدِّداً بلفظٍ واحدٍ ، ثمَّ تَذكُرَ مُتعدِّداً آخرَ مُفصّلاً بألفاظٍ ؛ لكلِّ واحدٍ مِنَ الأوَّلِ واحدٌ مِنَ الثاني ، مُعتمِداً في ذلكَ علىٰ فهمِ المُخاطَبِ ، أو تَذكُرَ مُتعدِّداً بألفاظٍ ، ثمَّ تعقبَهُ بمثلِهِ علىٰ ذلكَ .

فمِنَ الأوَّلِ : قولُهُ تعالىٰ : ﴿ وَقَالُواْ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ﴾[1] ، فالواوُ في (وقالوا) عبارةٌ عنِ اليهودِ والنصارىٰ ؛ فالمعنىٰ : قالَ اليهودُ : لن يَدخُلَ الجنَّةَ إلَّا مَنْ كانَ هوداً ، وقالَتِ النصارىٰ : لن يَدخُلَ الجنَّةَ إلَّا مَنْ كانَ نصارىٰ ، وتَفهمُ ذلكَ بعلمِكَ أنَّ كلّاً مِنَ الأُمَّتَينِ تُكفِّرُ صاحبتَها .

ومنهُ : قولُ ابنِ حَيُّوسٍ[2] : [من الطويل]

ثَمَانِيَةٌ لَمْ تَفْتَرِقْ مُذْ جَمَعْتَهَا ... فَلَا ٱفْتَرَقَتْ مَا ذَبَّ عَنْ نَاظِرٍ شُفْرُ
يَقِينُكَ وَٱلتَّقْوَىٰ وَجُودُكَ وَٱلْغِنَىٰ ... وَلَفْظُكَ وَٱلْمَعْنَىٰ وَعَزْمُكَ وَٱلنَّصْرُ

❁ ❁ ❁

ومِنَ الثاني : قولُهُ تعالىٰ : ﴿ وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُواْ فِيهِ وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِۦ ﴾[3] ، ومنهُ : قولُ عليِّ ابنِ الروميِّ في المدحِ[4] : [من الكامل]

آرَاؤُكُمْ وَوُجُوهُكُمْ وَسُيُوفُكُمْ ... فِي ٱلْحَادِثَاتِ إِذَا دَجَوْنَ نُجُومُ
مِنْهَا مَعَالِمُ لِلْهُدَىٰ وَمَصَابِحٌ ... تَجْلُو ٱلدُّجَىٰ وَٱلْأُخْرَيَاتُ رُجُومُ

---

(١) سورة البقرة : (١١١) .
(٢) انظر « ديوان ابن حيُّوس الغنوي » (٢٤٢/١) .
(٣) سورة القصص : (٧٣) .
(٤) انظر « ديوان ابن الرومي » (٢٣٤٥/٦) .

ومنهُ في الغراميّ : قولُ حَمْدُونةَ الأندلسيَّةِ[1] : [من الطويل]

وَلَـمَّـا أَبَى ٱلْـوَاشُـونَ إِلَّا فِـرَاقَـنَـا ... وَلَيْسَ لَهُمْ عِنْدِي وَعِنْدَكَ مِنْ ثَارِ

وَشَنُّوا عَلَىٰ أَسْمَاعِنَا كُلَّ غَارَةٍ ... وَقَلَّ حُمَاتِي عِنْدَ ذَاكَ وَأَنْصَارِي

غَزَوْتُهُمُ مِنْ مُقْلَتَيْكَ وَأَدْمُعِي ... وَمِنْ نَفَسِي بِٱلسَّيْفِ وَٱلسَّيْلِ وَٱلنَّارِ

وحمدونةُ هٰذهِ مِنْ كُبْرَيَاتِ الأدباءِ ، وكانَ يُقالُ لها : خنساءُ المَغرِبِ ، وهيَ صاحبةُ الأبياتِ المنسوبةِ غلطاً لأبي نصرٍ المنازي ، وقد ذُكِرَتْ في ترجمتِها لمعاصريها قبلَ مولدِ المَنَازِيّ بحينٍ ، وهيَ قولُها[2] : [من الوافر]

وَقَانَا لَفْحَةَ ٱلرَّمْضَاءِ وَادٍ ... سَقَاهُ مُضَاعَفُ ٱلْغَيْثِ ٱلْعَمِيمِ

نَزَلْنَا دَوْحَهُ فَحَنَا عَلَيْنَا ... حُنُوَّ ٱلْمُرْضِعَاتِ عَلَى ٱلْفَطِيمِ

وَأَرْشَفَنَا عَلَىٰ ظَمَأٍ زُلَالاً ... أَلَذَّ مِنَ ٱلْمُدَامَةِ لِلنَّدِيمِ

يَصُدُّ ٱلشَّمْسَ أَنَّىٰ وَاجَهَتْنَا ... فَيَحْجُبُهَا وَيَأْذَنُ لِلنَّسِيمِ

تَرُوعُ حَصَاهُ حَالِيَةَ ٱلْعَذَارَىٰ ... فَتَلْمِسُ جَانِبَ ٱلْعِقْدِ ٱلنَّظِيمِ

وقد أخبرَتْ في شعرِها عن شعبِها حيثُ قالَتْ : (وقلَّ حُماتي عندَ ذاكَ) ، فتلكَ مِنْ عباراتِ النساءِ ، وحديثُ الرَّضاعِ والفِطامِ والحَلْيِ أليقُ شيءٍ بشعرِ امرأةٍ .

[أمثلةٌ مِن محاسنِ الأدبِ]

ومِنْ محاسنِ الأدبِ : أن يشيرَ المُتكلِّمُ في شعرِهِ أو نثرِهِ بحالِهِ ، ومنهُ : قولُ عليّ بنِ بشرٍ الكاتبِ مِنْ شعراءِ « اليتيمةِ »[3] : [من مجزوء الكامل]

يَـا مَـنْ يَـمُـرُّ وَلَا تَـمُـرُّ ... بِـهِ ٱلْـقُـلُـوبُ مِـنَ ٱلْـفَـرَقْ

---

(١) انظر « نفح الطيب » (٤/٢٨٧) .

(٢) انظر « نفح الطيب » (٤/٢٨٨) .

(٣) انظر « أنوار الربيع » (١/٣٥٠ ـ ٣٥١) .

بِـــعِـــمَـــامَـــةٍ مِـــنْ خَـــدِّهِ ... أَوْ خَـــدُّهُ مِـــنْـــهَـــا ٱسْـــتَـــرَقْ
فَـــكَـــأَنَّـــهُ وَكَـــأَنَّـــهَـــا ... قَـــمَـــرٌ تَـــعَـــمَّـــمَ بِـــٱلـــشَّـــفَـــقْ
فَـــإِذَا بَـــدَا وَإِذَا ٱنْـــثَـــنَـــىٰ ... [وَإِذَا] شَـــدَا وَإِذَا نَـــطَـــقْ
شَـــغَـــلَ ٱلْـــخَـــوَاطِـــرَ وَٱلْـــجَـــوَا ... رِحَ وَٱلْـــمَـــسَـــامِـــعَ وَٱلْـــحَـــدَقْ

وعارضَهُ ابنُ خفاجةَ الأندلسيُّ بقولِهِ[1] : [من مجزوء الكامل]

وَمُـــهَـــفْـــهَـــفٍ طَـــاوِي ٱلْـــحَـــشَـــا ... خَـــنِـــثِ ٱلْـــمَـــعَـــاطِـــفِ وَٱلـــنَّـــظَـــرْ
مَـــلَأَ ٱلْـــعُـــيُـــونَ بِـــصُـــورَةٍ ... تُـــلِـــيَـــتْ مَـــحَـــاسِـــنُـــهَـــا سُـــوَرْ
فَـــإِذَا رَنَـــا وَإِذَا مَـــشَـــىٰ ... وَإِذَا شَـــدَا وَإِذَا سَـــفَـــرْ
فَـــضَـــحَ ٱلْـــغَـــزَالَـــةَ وَٱلْـــغَـــمَـــا ... مَـــةَ وَٱلْـــحَـــمَـــامَـــةَ وَٱلْـــقَـــمَـــرْ

ويكونُ النشرُ علىٰ ترتيبِ اللَّفِّ ، الأوَّلُ للأوَّلِ وهٰكذا ، ويكونُ غيرَ ذٰلكَ ، وحسنُ هٰذا النوعِ إذا سلمَ مِنَ العقادةِ ، ولم يَتبيَّنْ كونُ القصدِ إليهِ فقطْ ، وما كانَ مِنْ بعضِ الشعراءِ مِنَ القصدِ إليهِ بتكثيرِ العددِ . . إنَّما هوَ لاختبارِ القُوَّةِ ، وتقييدِ النكتةِ ؛ كقولِ بعضِهِم[2] : [من الطويل]

يُقَطِّعُ بِٱلسِّكِّينِ بِطِّيخَةً ضُحىً ... عَلَىٰ طَبَقٍ فِي مَجْلِسٍ لِأَصَاحِبِهْ
كَبَدْرٍ بِبَرْقٍ قَدَّ شَمْساً أَهِلَّةً ... لَدَىٰ هَالَةٍ فِي ٱلْأُفْقِ بَيْنَ كَوَاكِبِهْ

* * *

(١) انظر « أنوار الربيع » (١/٣٥٠) .
(٢) هو نجم الدين البارزي ، كما في « معاهد التنصيص » (٢/٢٧٦) .

الاستدراكُ

هوَ ـ كما عرفتَ ـ رفعُ وَهْمٍ يَنشأُ مِنَ الكلامِ بـ (لٰكنْ) وما بعدَها ، خلا أنَّـهُ لا يُعَدُّ مِنَ البديعِ إلَّا إذا اشتملَ علىٰ نكتةٍ زائدةٍ يَعترِفُ بها الذَّوقُ ؛ كقولِ أبي دويدةَ يُخاطِبُ رجلاً أَودعَ قاضياً [وديعةً][1] فادَّعىٰ ضَياعَها[2] : [من الكامل]

إنْ قَالَ قَدْ ضَاعَتْ فَيَصْدُقُ أَنَّهَا ضَاعَتْ وَلَٰكِنْ مِنْكَ يَعْنِي لَوْ تَعِي
أَوْ قَالَ قَدْ وَقَعَتْ فَيَصْدُقُ أَنَّهَا وَقَعَتْ وَلَٰكِنْ مِنْهُ أَحْسَنَ مَوْقِعِ

ولصدرِ الدينِ بنِ الوكيلِ[3] : [من الطويل]

وَبِي مَنْ قَسَا قَلْباً وَلَانَ مَعَاطِفاً إِذَا قُلْتُ أَدْنَانِي يُضَاعِفُ تَبْعِيدِي
أُقِرُّ بِرِقٍّ إِذْ أَقُولُ أَنَا لَهُ وَكَمْ قَالَهَا يَوْماً وَلَٰكِنْ لِتَهْدِيدِي

ولبعضِهِم : [من الطويل]

يَحُجُّونَ بِٱلْمَالِ ٱلَّذِي يَجْمَعُونَهُ حَرَاماً إِلَى ٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ٱلْمُحَرَّمِ
وَيَزْعُمُ كُلٌّ أَنْ تُحَطَّ ذُنُوبُهُمْ تُحَطُّ وَلَٰكِنْ فَوْقَهُمْ فِي جَهَنَّمِ

* * *

(١) ليست في الأصل .
(٢) كذا في « أنوار الربيع » (٣٨٩/١) ، وفي « معاهد التنصيص » (١٨٥/٣) : (ابن الدويدة) بدل (أبي الدويدة) .
(٣) انظر « معاهد التنصيص » (١٨٢/٣) .

الإبهامُ

هوَ أن تأتيَ بعبارةٍ تَحتمِلُ مقصدَينِ على السَّواءِ ؛ كهجاءٍ ومديحٍ ؛ لتبلغَ مِنْ غَرَضِكَ بما لا يُمسَكُ عليكَ .

قالَ محمدُ بنُ حزمٍ يُخاطِبُ المأمونَ حينَ تَزوَّجَ بابنةِ الحسنِ بنِ سهلٍ بُورانَ التي تُنسَبُ إليها الأَطبِخةُ البُورانيَّةُ (١) : [من مجزوء الخفيف]

بَارَكَ ٱللَّهُ لِلْحَسَنْ وَلِبُورَانَ فِي ٱلْخَتَنْ

يَا إِمَامَ ٱلْهُدَىٰ ظَفِرْ تَ وَلَٰكِنْ بِبِنْتِ مَنْ

فهٰذا يَحتمِلُ التعظيمَ والتحقيرَ ؛ أي : ببنتِ مَنْ بلغَ فِي العِظَمِ إلىٰ حدٍّ خرجَ عنِ التصوُّرِ ، أو في الحَقارةِ .

[فطنةُ ابنِ الجوزيّ رحمَهُ اللهُ]

ومنهُ : ما يُحكىٰ : أنَّ سائلاً عجميّاً سألَ ابنَ الجوزيّ الواعظَ : أيُّ الرجلَينِ أفضلُ : أبو بكرٍ أم عليٌّ ؟ فقالَ : مَنْ كانَتِ ابنتُهُ تحتَهُ ، فالضَّميرُ الأوَّلُ إن عادَ علىٰ (مَنْ) . . فهوَ تفضيلٌ لأبي بكرٍ ، وابنتُهُ عائشةُ رضيَ اللهُ عنها ، فالضَّميرُ الثاني يَرجِعُ للنبيّ صلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ ، وإن عادَ الضَّميرُ الثاني علىٰ (مَنْ) . . فهوَ تفضيلٌ لعليّ ، وهٰذا النوعُ هوَ ما يُسمّيهِ النحويونَ إجمالاً حيثُ يَتكلَّمونَ على الإلباسِ .

❋ ❋ ❋

---

(١) انظر « معاهد التنصيص » (٣/١٣٩) .

المُطابقةُ

هيَ الجمعُ بينَ ضدَّينِ ؛ فإن كانَ أحدُ اللفظَينِ مَجازاً . . سُمِّيَتِ : **المُطابقةَ الإيهاميَّةَ** ، وإن كانتِ الألفاظُ مِنْ ألفاظِ الألوانِ . . سُمِّيَتْ : **تدبيجاً** .

وقد تكونُ المُطابقةُ بحَسَبِ **المعنىٰ أوِ الاستلزامِ** ؛ كقولِهِ تعالىٰ : ﴿ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ ﴾ معَ قولِهِ : ﴿ إِنَّآ إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ ﴾ (١) ؛ معناهُ : إنَّا صادقونَ ، وقولِهِ : ﴿ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ ﴾ (٢) ، فالرحمةُ تستلزمُ اللِّينَ .

فمِنَ المُطابقةِ : مثلُ قولِهِ تعالىٰ : ﴿ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ﴾ (٣) .

ومِنَ المُطابقةِ : الجمعُ بينَ إثباتِ شيءٍ ونفيِهِ ؛ مثلُ : ﴿ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ۝ يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا ﴾ (٤) .

وأحسنُ المُطابقةِ : ما صحبَها نوعٌ آخَرُ مِنَ البديعِ يكسوها جمالاً ؛ كقولِ فخرِ الدينِ ابن مَكَانِسَ (٥) : [من الخفيف]

يَـا بْـنَ عَـمِّ ٱلـنَّـبِـيِّ إِنَّ أُنَـاسـاً ... قَـدْ تَـوَلَّـوْكَ بِـٱلـسَّـعَـادَةِ فَـازُوا

أَنْـتَ لِـلْـعِـلْـمِ فِـي ٱلْـحَـقِـيـقَـةِ بَـابٌ ... يَـا إِمَـامِـي وَمَـنْ سِـوَاكَ مَـجَـازُ

* * *

(١) سورة يسٓ : (١٥ ـ ١٦) .

(٢) سورة الفتح : (٢٩) .

(٣) سورة آل عمران : (٢٦) .

(٤) سورة الروم : (٦ ـ ٧) .

(٥) انظر « أنوار الربيع » (٢/٥٣) .

إرسالُ المثلِ والكلامُ الجامعُ

هما نوعانِ ، فَرَّقَ بينَهُما أهلُ البديعِ بكونِ الأوَّلِ بعضَ بيتٍ ، والثاني بيتاً كاملاً ؛ كقولِ أبي الطيبِ في **إرسالِ المثلِ**[١] : [من البسيط]

فَـإِنَّ حِـلْـمَـكَ حِـلْـمٌ لَا تَـكَـلَّـفُـهُ ... لَيْسَ ٱلتَّكَحُّلُ فِي ٱلْعَيْنَيْنِ كَٱلْكَحَلِ

وقولِ امرئِ القيسِ في **الكلامِ الجامعِ**[٢] : [من الطويل]

إِذَا ٱلْـمَـرْءُ لَـمْ يَـخْـزُنْ عَـلَـيْـهِ لِسَـانَـهُ ... فَـلَـيْـسَ عَـلَـىٰ شَـيْءٍ سِـوَاهُ بِـخَـزَّانِ

وحيثُ كانَ المقصودُ منهُما واحداً . . **فالأحسنُ** : جعلُهُما نوعاً واحداً ، **والضَّابطُ** : أن يكونَ الكلامُ صالحاً لأن يُتمثَّلَ بهِ في مواطنَ كثيرةٍ لغَرَضٍ ؛ كتسلِّي المحزونِ ، وتشجيعِ الجبانِ ، وتخميدِ الفتنةِ ، وتسكينِ سَورةِ الغضبِ ، وتبكيتِ الخصمِ ، وتحليةِ العتابِ ، وتحسينِ الشكرِ ، وتصبيرِ الجازعِ . . . إلىٰ غيرِ ذٰلكَ مِنَ المقاصدِ .

وأهلُ الحماساتِ يترجمونَ للشعرِ المُشتمِلِ علىٰ مثلِ هٰذا بـ (بابِ الآدابِ) ، ومثلُ هٰذا الكلامِ هوَ المعنيُّ بقولِهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ : « وَأُعْطِيتُ جَوَامِعَ ٱلْكَلِمِ »[٣] ؛ يعني : الكلامَ القليلَ الألفاظِ الكثيرَ المعنى ، الذي يُؤثِّرُ في النفوسِ ؛ بما فيهِ مِنَ الحِكَمِ المُعرِّفةِ المنافعَ التي تَطلُبُها النفوسُ ، والمَضارَّ التي تهربُ منها .

وقد أكثرَ الناسُ مِنَ التآليفِ في الأمثالِ العربيةِ وغيرِها مِنَ الشعرِ وغيرِهِ ،

---

(١) انظر « ديوان المتنبي » (ص ٢٥٩) .

(٢) انظر « ديوان امرئ القيس » (ص ٩٠) .

(٣) أخرجه مسلم (٥٢٣) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

وللطِّباعِ استراحةٌ إلى الأمثالِ ؛ فإنَّكَ تجدُها في سائرِ أجناسِ الناسِ يَجعلونَها في أحاديثِهِم منتهى الحُجَّةِ ، وموضعَ الحِكَمِ ، وذريعةَ الإذعانِ والاعترافِ .

قالَ الزمخشريُّ : (ولضربِ العربِ الأمثالَ واستحضارِهِمُ المثلَ والنظائرَ . . شأنٌ ليسَ بالخفيِّ في إبرازِ خبيئاتِ المعاني ، ورفعِ الأستارِ عنِ الحقائقِ ، حتىٰ تريكَ المَخِيلَ في صورةِ المُحقَّقِ ، والمُتوهَّمَ في مَعرِضِ المُتيقَّنِ ، والغائبَ كأنَّهُ مشاهدٌ ، وفيهِ تبكيتٌ للخصمِ الألدِّ ، وقمعٌ لسَورةِ الجامحِ الأبيِّ ، ولأمرٍ ما أكثرَ اللهُ تعالىٰ في كتابِهِ المبينِ وفي سائرِ كتبِهِ الأمثالَ ، وفشتْ في كلامِ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وآلِهِ وسلَّمَ ، وكلامِ الأنبياءِ عليهِمُ السلامُ ، والحكماءِ ، قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴾ [(١)] ، ومِنْ سُوَرِ الإنجيلِ سورةُ الأمثالِ .

ولـم يضربوا مثلاً ولا رأَوهُ أهلاً للتسييرِ ولا جديراً بالقَبولِ . . إلَّا قولاً فيهِ غرابةٌ مِنْ بعضِ الوجوهِ ، ومِنْ ثَمَّ حُوفِظَ عليهِ ، وحُمِيَ عن التغييرِ) انتهىٰ [(٢)] .

[أمثالٌ مِنَ القرآنِ الكريمِ]

وقد عقدَ جعفرُ ابنُ شمسِ الخلافةِ في كتاب « الآداب » باباً في ألفاظٍ مِنَ القرآنِ جاريةٍ مَجرى الأمثالِ ، وأوردَ مِنْ ذٰلكَ قولَهُ تعالىٰ :

ـ ﴿ لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ ﴾ [(٣)] .

ـ ﴿ ٱلْـَٰٔنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ ﴾ [(٤)] .

---

(١) سورة العنكبوت : (٤٣) .

(٢) تفسير الكشاف : (١/١٠٩) .

(٣) سورة آل عمران : (٩٢) .

(٤) سورة يوسف : (٥١) .

- ﴿ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ ﴾[1] .

- ﴿ قُضِيَ ٱلْأَمْرُ ٱلَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ﴾[2] .

- ﴿ أَلَيْسَ ٱلصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴾[3] .

- ﴿ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ ﴾[4] .

- ﴿ لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ ﴾[5] .

- ﴿ وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ ﴾[6] .

- ﴿ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِ ﴾[7] .

- ﴿ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾[8] .

- ﴿ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴾[9] .

- ﴿ مَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ﴾[10] .

- ﴿ مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ ﴾[11] .

- ﴿ هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴾[12] .

---

(١) سورة الحج : (١٠) .
(٢) سورة يوسف : (٤١) .
(٣) سورة هود : (٨١) .
(٤) سورة سبأ : (٥٤) .
(٥) سورة الأنعام : (٦٧) .
(٦) سورة فاطر : (٤٣) .
(٧) سورة الإسراء : (٨٤) .
(٨) سورة البقرة : (٢١٦) .
(٩) سورة المدثر : (٣٨) .
(١٠) سورة المائدة : (٩٩) .
(١١) سورة التوبة : (٩١) .
(١٢) سورة الرحمـٰن : (٦٠) .

- ﴿ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً ﴾ (١) .

- ﴿ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ﴾ (٢) .

- ﴿ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴾ (٣) .

- ﴿ كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴾ (٤) .

- ﴿ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ ﴾ (٥) .

- ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ (٦) .

- ﴿ لَا يَسْتَوِي ٱلْخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ ﴾ (٧) .

- ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾ (٨) . انتهى (٩) .

قالَ الماورديُّ : (سمعت أبا إسحاقَ إبراهيمَ بنَ مضاربِ بنِ إبراهيمَ يقولُ : سمعتُ أبي يقولُ : سألتُ الحسينَ بنَ الفضلِ فقلتُ : إنَّكَ تُخرِجُ أمثالَ العربِ والعَجَمِ مِنَ القرآنِ ، فهل تَجِدُ في كلامِ اللهِ : « خيرُ الأمورِ أوسطُها » ؟ قالَ : نعم ، في أربعةِ مواضعَ :

قولُهُ : ﴿ لَا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَٰلِكَ ﴾ (١٠) .

---

(١) سورة البقرة : (٢٤٩) .

(٢) سورة الحشر : (١٤) .

(٣) سورة فاطر : (١٤) .

(٤) سورة المؤمنون : (٥٣) .

(٥) سورة سبأ : (١٣) .

(٦) سورة البقرة : (٢٨٦) .

(٧) سورة المائدة : (١٠٠) .

(٨) سورة الأنعام : (١٦٤) .

(٩) الآداب النافعة بالألفاظ المختارة الجامعة (ص ٦١ ـ ٦٣) .

(١٠) سورة البقرة : (٦٨) .

وقولُهُ : ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمۡ يُسۡرِفُواْ وَلَمۡ يَقۡتُرُواْ وَكَانَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ قَوَامٗا ﴾ (١) .

وقولُهُ : ﴿ وَلَا تَجۡعَلۡ يَدَكَ مَغۡلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبۡسُطۡهَا كُلَّ ٱلۡبَسۡطِ ﴾ (٢) .

﴿ وَلَا تَجۡهَرۡ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتۡ بِهَا وَٱبۡتَغِ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلٗا ﴾ (٣) .

قلتُ : فهل تجدُ في كتابِ اللهِ : « احذرْ شرَّ مَنْ أحسنتَ إليهِ » ؟ **قالَ** : نعم ، ﴿ وَمَا نَقَمُوٓاْ إِلَّآ أَنۡ أَغۡنَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ مِن فَضۡلِهِۦ ﴾ (٤) .

قلتُ : فهل تجدُ في كتابِ اللهِ : « مَنْ جهلَ شيئاً . . عاداهُ » ؟ **قالَ** : نعم ، في موضعَينِ :

﴿ بَلۡ كَذَّبُواْ بِمَا لَمۡ يُحِيطُواْ بِعِلۡمِهِۦ ﴾ (٥) .

﴿ وَإِذۡ لَمۡ يَهۡتَدُواْ بِهِۦ فَسَيَقُولُونَ هَٰذَآ إِفۡكٞ قَدِيمٞ ﴾ (٦) .

قلتُ : فهل تجدُ : « ليسَ الخبرُ كالعِيانِ » ؟ **قالَ** : في قولِهِ : ﴿ أَوَلَمۡ تُؤۡمِنۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطۡمَئِنَّ قَلۡبِي ﴾ (٧) .

قلتُ : فهل تجدُ : « في الحركاتِ بركاتٌ » ؟ **قالَ** : في قولِهِ : ﴿ وَمَن يُهَاجِرۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُرَٰغَمٗا كَثِيرٗا وَسَعَةٗ ﴾ (٨) .

قلتُ : فهل تجدُ : « كما تدينُ تُدانُ » ؟ **قالَ** : في قولِهِ : ﴿ مَن يَعۡمَلۡ سُوٓءٗا يُجۡزَ بِهِۦ ﴾ (٩) .

---

(١) سورة الفرقان : (٦٧) .

(٢) سورة الإسراء : (٢٩) .

(٣) سورة الإسراء : (١١٠) .

(٤) سورة التوبة : (٧٤) .

(٥) سورة يونس : (٣٩) .

(٦) سورة الأحقاف : (١١) .

(٧) سورة البقرة : (٢٦٠) .

(٨) سورة النساء : (١٠٠) .

(٩) سورة النساء : (١٢٣) .

قلتُ : فهل تجدُ فيهِ : « لا يُلدَغُ المؤمنُ مِنْ جُحْرٍ مرَّتَينِ » ؟ قالَ : ﴿ هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَآ أَمِنتُكُمْ عَلَىٰٓ أَخِيهِ مِن قَبْلُ ﴾ (١) .

قلتُ : فهل تجدُ : « مَنْ أعانَ ظالماً . . سُلِّطَ عليهِ » ؟ قالَ : ﴿ كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُۥ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُۥ يُضِلُّهُۥ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴾ (٢) .

قلتُ : فهل تجدُ فيهِ قولَهُم : « لا تلدُ الحيَّةُ إلَّا الحيَّةَ » ؟ قالَ : ﴿ وَلَا يَلِدُوٓاْ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴾ (٣) .

قلتُ : فهل تجدُ فيهِ : « للحِيطانِ آذانٌ » ؟ قالَ : ﴿ وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ لَهُمْ ﴾ (٤) .

قلتُ : فهل تجدُ فيهِ : « الجاهلُ مرزوقٌ ، والعالمُ محرومٌ » ؟ قالَ : ﴿ مَن كَانَ فِي ٱلضَّلَٰلَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ مَدًّا ﴾ (٥) .

قلتُ : فهل تجدُ فيهِ : « الحلالُ لا يأتيكَ إلَّا قُوتاً ، والحرامُ يأتيكَ جِزافاً » ؟ قالَ : ﴿ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ ﴾) انتهىٰ (٦) .

ويُقالُ لهٰذهِ الأمثالِ : كوامنُ القرآنِ ، تَتمثَّلُ بالمثلِ منها وتُتبِعُهُ بأن تقولَ : وتصديقُ ذٰلكَ في كتابِ اللهِ تعالىٰ حيثُ يقولُ كذا .

مثلاً : يقتضي الحالُ أن تَتمثَّلَ بـ (خيرُ الأمورِ أوسطُها) ، فتقولُ : خيرُ

---

(١) سورة يوسف : (٦٤) .

(٢) سورة الحج : (٤) .

(٣) سورة نوح : (٢٧) .

(٤) سورة التوبة : (٤٧) .

(٥) سورة مريم : (٧٥) .

(٦) أورده الإمام السيوطي في « الإتقان » (١٩٣٩/٥ ـ ١٩٤١) ، والآية من سورة (الأعراف) : (١٦٣) .

الأمورِ أوسطُها ، وتصديقُ ذٰلكَ في قولِهِ تعالىٰ : ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمْ يُسْرِفُواْ وَلَمْ يَقْتُرُواْ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴾ (١) ، وهٰكذا .

* * *

واعلمْ : أنَّهُ يجبُ الحذرُ مِنَ التمسُّكِ ببعضِ الأمثالِ كما قالَ فخرُ الدينِ ابنُ مَكَانِسَ في أرجوزةٍ نصيحةً في فصلٍ منها يُبيِّنُ بهِ آدابَ زيارةِ الأصحابِ (٢) : [من مجزوء الرجز]

وَلَا تُطَفِّلْ ذَقْنَكَا ... وَلَا تَزُرْهُمْ وَٱبْنَكَا

وَلَا تَقُلْ لِمَنْ تُحِبّْ ... ضَيْفُ ٱلْكِرَامِ يَصْطَحِبْ

فَهَٰذِهِ أَمْثَالُ ... غَالِبُهَا مُحَالُ

الأصحابُ المؤتلفونَ : الذينَ ارتفعَتْ مِنْ بينِهِم كُلفةُ الاحتشامِ ، يجدونَ في اجتماعِهِم راحةَ نفوسِهِم ، وسرورَ قلوبِهِم ؛ حيثُ يرسلونَ أنفسَهُم علىٰ سجاياها ، يقولونَ ما يقولونَ ، ويفعلونَ ما يفعلونَ ؛ استراحةً مِنْ كَدِّ الجِدِّ إلىٰ فراغِ الهزلِ وقتاً ما مِنْ أوقاتِهِم ، كما قالَ بعضُهُم (٣) : [من المنسرح]

فِيَّ ٱنْقِبَاضٌ وَحِشْمَةٌ فَإِذَا ... لَاقَيْتُ أَهْلَ ٱلْوَفَاءِ وَٱلْكَرَمِ

أَرْسَلْتُ نَفْسِي عَلَىٰ سَجِيَّتِهَا ... وَقُلْتُ مَا قُلْتُ غَيْرَ مُحْتَشِمِ

فإذا طرأَ عليهِم مَنْ لا يَعرِفونَ . . كَدَّرَ عليهِم صفاءَ وقتِهِم ، وألزمَهُمُ العَودَ إلىٰ وضعِ أنفسِهِم في أصفادِ الوَقارِ والحِشمةِ ، كما هوَ مقتضى الاحتراسِ اللَّازمِ للمحافظةِ علىٰ أسبابِ الأمنِ وتوفيرِ الأعراضِ وتزكيةِ

---

(١) سورة الفرقان : (٦٧) .

(٢) انظر « مطالع البدور في منازل السرور » (١/١٧٠) للأديب علاء الدين الغزولي .

(٣) هو ابن كناسة ، كما في « أنوار الربيع » (٤/٦٥) .

الناموسِ ، فلا يَسوغُ لصاحبٍ أن يَعتمِدَ على المثلِ القائلِ : (ضيفُ الكرامِ يَصْطَحِبُ) .

كما أنَّ ما يُقالُ مِنْ بعضِ الناسِ في بابِ التشكِّي : (الجاهلُ مرزوقٌ ، والعالمُ محرومٌ) وهوَ بابٌ واسعٌ أكثرَ الناسُ فيه مِنَ الكلامِ شعراً وغيرَ شعرٍ ، وهوَ كلامٌ غيرُ صحيحِ المعنىٰ ، ولا يقولُهُ عالمٌ حقيقيٌّ ، فإنَّ اللهَ سبحانَهُ وتعالىٰ قسمَ المعيشةَ علىٰ حَسَبِ أسبابِها التي عَيَّنَها لها ، وحاصلُ الأسبابِ : التجارةُ ، والزراعةُ ، والصناعةُ ؛ فالتاجرُ يُرزَقُ رزقَ تجارتِهِ علىٰ حَسَبِها ، فمتىٰ كانَتْ في الأمورِ التي تُشَدُّ حاجةُ الناسِ إليها . . كانَ كثيرَ المبادلةِ سريعَها ؛ فتظهرُ أرباحُهُ ، ويكثرُ مالُهُ ، وإذا كانَتْ في أمورٍ مستغنىً عنها ، أوِ الحاجةُ إليها نادرةٌ . . كانَتْ علىٰ خلافِ ذٰلكَ ، والطمعُ والحرصُ يوجبُ شكايةَ هٰذا مِنْ عدمِ بلوغِهِ حالَ ذٰلكَ ، ولو نظرَ . . وجدَ نفسَهُ إنَّما أُتِيَتْ مِنْ قِبَلِها ؛ حيثُ لم يَسْعَ سعيَ ذٰلكَ ، فكانَتْ شكواهُ مِنْ جهلِهِ ؛ فإذاً يُقالُ : (الجاهلُ محرومٌ) ، وهٰكذا القولُ في سائرِ الأسبابِ على اختلافِ أنواعِها ، وما فيها مِنَ المنافعِ المطلوبةِ .

فإذاً ؛ يَتبيَّنُ لكَ أنَّ مَنْ صرفَ جميعَ أوقاتِهِ في تحصيلِ المعارفِ . . لم يكنْ لهُ وقتٌ يَصرِفُهُ في استعمالِ سببٍ مِنْ أسبابِ الدنيا ، فلم يكنْ في أوقاتِ تحصيلِهِ كاسباً ، ثمَّ إذا حصلَتْ لهُ معارفُهُ ، وبلغَ كمالَها الذي لمثلِها ؛ بحيثُ تَمكَّنَ مِنِ استعمالِها في أغراضِها وغاياتِها ، فإذا كانَتْ مِنَ الأمورِ التي يَحتاجُها الناسُ ، فبعدَ كونِها تُكسِبُهُ الجاهَ والشرفَ وعِظَمَ الرتبةِ التي تكونُ دونَها رتبةُ الملكِ ؛ فإنَّ المعارفَ تَجعلُ صاحبَها في رتبةِ الأنبياءِ . . تُكسِبُهُ مِنَ الدنيا ما يعطيهِ راحةَ نفسِهِ ، ورَفاهةَ سرِّهِ معَ الاحترامِ والإجلالِ مِنَ الكافَّةِ .

وخُلاصةُ الكلامِ : أنَّ الناسَ لا ينفعونَ إنساناً إلَّا بقدرِ انتفاعِهِم بهِ ،

فعليكَ أن تَتحقَّقَ بأنَّهُ لا دَخْلَ للعلمِ في الحرمانِ أصلاً ، وإنَّما ذٰلكَ سببُهُ الجهلُ .

[أمثالٌ مِنَ الحديثِ الشريفِ]

هٰذا ؛ ولنعدْ للكلامِ في إرسالِ المثلِ والكلامِ الجامعِ مِنْ كلامِهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ :

ـ « آفَةُ ٱلْعِلْمِ ٱلنِّسْيَانُ ، وَإِضَاعَتُهُ أَنْ تُحَدِّثَ بِهِ غَيْرَ أَهْلِهِ »(١) .

ـ « ٱلْحَزْمُ سُوءُ ٱلظَّنِّ »(٢) .

ـ « ٱلْحَيَاءُ مِنَ ٱلْإِيمَانِ »(٣) .

ـ « لَا ضَرَرَ وَلَا ضِرَارَ فِي ٱلْإِسْلَامِ »(٤) .

ـ « ٱلظُّلْمُ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ »(٥) .

ـ « طَائِرُ كُلِّ إِنْسَانٍ فِي عُنُقِهِ »(٦) .

ـ « ذُو ٱلْوَجْهَيْنِ لَا يَكُونُ عِنْدَ ٱللهِ وَجِيهاً »(٧) .

ـ « ٱلْحِكْمَةُ ضَالَّةُ ٱلْمُؤْمِنِ »(٨) .

ـ « ٱلْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ »(٩) .

---

(١) أخرجه الدارمي في « سننه » (٦٤٨) عن الأعمش رحمه الله تعالىٰ يرفعه .

(٢) أخرجه القضاعي في « مسند الشهاب » (٢٤) عن عبد الرحمٰن بن عائذ رحمه الله تعالىٰ يرفعه .

(٣) أخرجه البخاري (٢٤) ، ومسلم (٣٦) عن سيدنا ابن عمر رضي الله عنهما .

(٤) أخرجه الطبراني في « المعجم الأوسط » (٥١٨٩) عن سيدنا جابر رضي الله عنه .

(٥) أخرجه البخاري (٢٤٤٧) ، ومسلم (٢٥٧٩) عن سيدنا ابن عمر رضي الله عنهما .

(٦) أخرجه أحمد (٣/٣٦٠) عن سيدنا أبي سعيد الخدري رضي الله عنه .

(٧) أخرجه البخاري (٦٠٥٨) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه بلفظ : « تجد من شر الناس يوم القيامة عند الله ذا الوجهين » .

(٨) أخرجه الترمذي (٢٦٨٧) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

(٩) أخرجه البخاري (٦١٦٨) ، ومسلم (٢٦٤٠) عن سيدنا ابن مسعود رضي الله عنه .

ـ « ٱلصَّبْرُ عِنْدَ ٱلصَّدْمَةِ ٱلْأُولَىٰ »[١] .

ـ « ٱلشَّاهِدُ يَرَىٰ مَا لَا يَرَى ٱلْغَائِبُ »[٢] .

ـ « ٱلْبَلَاءُ مُوَكَّلٌ بِٱلْقَوْلِ »[٣] .

ـ « حَلِيفُ ٱلْقَوْمِ مِنْهُمْ »[٤] .

ـ « ٱلْآمِرُ بِٱلْمَعْرُوفِ كَفَاعِلِهِ »[٥] .

[أمثال من كلام سيدنا علي كرم الله وجهه]

ومِنْ كلامِ عليٍّ كَرَّمَ اللهُ وجهَهُ ، وكلامُهُ في هـٰذا البحرُ الزخَّارُ[٦] :

ـ لا يَعدَمُ الصَّبورُ الظَّفَرَ وإن طالَ بهِ الزمانُ .

ـ لكلِّ أمرٍ عاقبةٌ ؛ حُلوةٌ أو مُرَّةٌ .

ـ المنيةُ ولا الدنيةُ .

ـ صحةُ الجسدِ . . مِنْ قِلَّةِ الحسدِ .

ـ قد أضاءَ الصُّبحُ لذي عينَينِ .

ـ كم أكلةٍ تمنعُ أكَلاتٍ .

ـ المرءُ مخبوءٌ تحتَ لسانِهِ .

ـ قِلَّةُ العِيالِ أحدُ اليسارَينِ .

---

(١) أخرجه البخاري (١٢٨٣) ، ومسلم (٩٢٦) عن سيدنا أنس رضي الله عنه .

(٢) أخرجه أحمد (٨٣/١) عن سيدنا علي رضي الله عنه .

(٣) أخرجه البيهقي في « شعب الإيمان » (٤٥٩٧) عن سيدنا أنس رضي الله عنه .

(٤) أخرجه الدارمي في « سننه » (٢٥٧٠) عن سيدنا عمرو بن عوف رضي الله عنه .

(٥) انظر « فيض القدير » (١٦٦/٣) .

(٦) انظرها مجموعةً في « أنوار الربيع » (٦١/٢) .

ـ الهمُّ نصفُ الهرمِ .

ـ إضاعةُ الفُرْصةِ غُصَّةٌ .

ـ قيمةُ كلِّ امرئٍ . . ما يُحسِنُ .

ـ فَقْدُ الأحبَّةِ . . غُربةٌ .

ـ مَنْ حَذَّرَكَ . . كمَنْ بَشَّرَكَ .

ـ مَنْ أطالَ الأملَ . . أساءَ العملَ .

ـ رُبَّ قولٍ . . أنفذُ مِنْ صَوْلٍ .

ـ الغِيبةُ . . جهْدُ العاجزِ .

ـ مَنْ لم يعطِ قاعداً . . لم يعطِ قائماً .

ـ مَنْ طلبَ شيئاً . . نالَهُ أو بعضَهُ .

[أمثالٌ مِنْ شعرِ المتنبي]

هٰذا ؛ وأمَّا الكلامُ الذي يُتمثَّلُ بهِ مِنَ الأشعارِ أبياتاً وأبعاضَ أبياتٍ . . فلنوردْ لكَ منهُ جملةً تكونُ حِليةً لأدبِكَ .

فمِنْ ذٰلكَ : أبياتُ أبي الطيِّبِ المُتنبِّي .

وقدِ استخرجَها الوزيرُ إسماعيلُ بنُ عبَّادٍ المشهورُ بالصَّاحبِ ، لسلطانِهِ فخرِ الدولةِ ابنِ بويهِ .

وحينَ اطلعَ السلطانُ علىٰ تلكَ الرسالةِ التي ضمَّنَها ذٰلكَ الوزيرُ تلكَ الأمثالَ . . وضعَ فوقَ بعضِ الأبياتِ خاءً يشيرُ بها إلى انتخابِ ما وقعَ مِنِ استحسانِهِ موقعاً .

وهٰذا لفظُ الرسالةِ بما فيها مِنَ العلامةِ(١) :

الحمدُ للهِ الذي ضربَ الأمثالَ للناسِ ، لا يستحيي أن يضربَ مثلاً ما بعوضةً فما فوقَها ، وصلَّى اللهُ علىٰ أفصحِ العربِ ، وسِرِّ عبدِ المُطَّلبِ ، صلَّى اللهُ عليهِ وعلىٰ آلِهِ أخيارِ الأممِ ، وأنوارِ الظُّلَمِ .

كم مَثَلٍ ضُرِبَ !! فيهِ الحُجَّةُ البالغةُ ، والحكمةُ الواضحةُ .

ثمَّ إنَّ اللهَ تعالىٰ قد أحيا بالأميرِ السيدِ شاهِنْشاه فخرِ الدولةِ وملكِ الأمَّةِ ـ أطالَ اللهُ بقاءَهُ ونصرَ لواءَهُ ـ داثرَ العلومِ والآدابِ ، وأقامَ برأيِهِ ورايتِهِ أسواقَهُما وكانَتْ في يدِ الكسادِ بلِ الذهابِ ، فهوَ يُقدِّمُ على المعرفةِ ، ويُقرِّبُ على التبصرةِ ، لا كالملوكِ الذينَ يُقالُ لهُم(٢) : [من البسيط]

دَعِ ٱلْمَكَارِمَ لَا تَنْهَضْ لِبُغْيَتِهَا وَٱقْعُدْ فَإِنَّكَ أَنْتَ ٱلطَّاعِمُ ٱلْكَاسِي

ومِنْ نعمِ اللهِ عليهِ ، أدامَ اللهُ النعمَ لديهِ : أنَّ اللهَ قَرَنَ ألفاظَهُ بفَصْلِ المَقالِ ، ووَشَّحَ كلامَهُ بضربِ الأمثالِ ، وسمعتُهُ ـ أعزَّ اللهُ نصرَهُ ـ يَتمثَّلُ كثيراً بفصوصٍ مِنْ شعرِ المُتنبِّي ، هيَ لُبُّ اللُّبِّ ، يضعُ فيها الهِناءَ موضعَ النَّقْبِ ، وهٰذا الشاعرُ معَ تمييزِهِ وبراعتِهِ وتبريزِهِ في صناعتِهِ لهُ في الأمثالِ خصوصاً مذهبٌ سبقَ بهِ أمثالَهُ ، فأمليتُ ما صدرَ عن « ديوانِهِ » مِنْ مَثَلٍ واقعٍ في فنِّهِ ، بارعٍ في معناهُ ولفظِهِ ، يكونُ تذكرةً في المجلسِ العالي ، تَلحظُها العينُ العاليةُ ، وتعيَها الأذنُ الواعيةُ .

ثمَّ إن أمرَ ـ أعلى اللهُ أمرَهُ ـ أمليتُ بمشيئةِ اللهِ ما وقعَ مِنَ الأمثالِ في كلِّ ديوانٍ جاهليٍّ أو مخضرمٍ أو إسلاميٍّ ، فما أجدُ مِنَ الأدباءِ مَنْ عَمِلَ في ذٰلكَ

---

(١) انظر « الأمثال السائرة من شعر المتنبي » للصاحب ابن عباد (ص ٢١ ـ ٧٦) .

(٢) تقدم (١/٦٥ ـ ٦٦) .

كتاباً مُقنِعاً ، وجمعاً مُشبِعاً ، قَرَنَ اللهُ السعادةَ بأيامِهِ ، والمناجحَ بأعلامِهِ ، إنَّهُ فعَّالٌ لِمَا يريدُ .

فَـعُـدْ بِـهَـا لَا عَـدِمْـتُـهَـا أَبَـداً ... خَـيْـرُ صِـلَاتِ ٱلْـكَـرِيـمِ أَعْـوَدُهَـا (١)

❁ ❁

صَـبْـراً بَـنِـي إِسْـحَـاقَ عَـنْـهُ تَـكَـرُّماً ... إِنَّ ٱلْـعَـظِـيـمَ عَـلَـى ٱلْـعَـظِـيـمِ صَـبُـورُ

يَـمَّـمْـتُ شَـاسِـعَ دَارِهِـمْ عَـنْ نِـيَّـةٍ ... إِنَّ ٱلْـمُـحِـبَّ عَـلَـى ٱلْـبِـعَـادِ يَـزُورُ (٢)

❁ ❁

فَـمَـوْتِـي فِـي ٱلْـوَغَـىٰ عَـيْـشِـي لِأَنِّـي ... رَأَيْـتُ ٱلْـعَـيْـشَ فِـي أَرَبِ ٱلـنُّـفُـوسِ (٣)

❁ ❁ ❁

خ أَهْـوِنْ بِـطُـولِ ٱلـثَّـوَاءِ وَٱلـتَّـلَـفِ ... وَٱلـسِّـجْـنِ وَٱلْـقَـيْـدِ يَـا أَبَـا دُلَـفِ

خ لَـوْ كَـانَ سُـكْـنَـايَ فِـيـهِ مَـنْـقَـصَـةً ... لَـمْ يَـكُـنِ ٱلـدُّرُّ سَـاكِـنَ ٱلـصَّـدَفِ

خ غَـيْـرَ ٱخْـتِـيَـارٍ قَـبِـلْـتُ بِـرَّكَ بِـي ... وَٱلْـجُـوعُ يُـرْضِـي ٱلْأُسُـودَ بِـٱلْـجِـيَـفِ (٤)

❁ ❁ ❁

خ إِذَا قِـيـلَ رِفْـقـاً قَـالَ لِـلْـحِـلْـمِ مَـوْضِـعٌ ... وَحِـلْـمُ ٱلْـفَـتَـىٰ فِـي غَـيْـرِ مَـوْضِـعِـهِ جَـهْـلُ (٥)

❁ ❁ ❁

---

(١) ديوان المتنبي (ص ٧) ، وهو من المنسرح .
(٢) ديوان المتنبي (ص ٥١) ، وهما من الكامل .
(٣) ديوان المتنبي (ص ٣٨) ، وهو من الوافر .
(٤) ديوان المتنبي (ص ٣٥) ، والأبيات من المنسرح .
(٥) ديوان المتنبي (ص ٣١) ، وهو من الطويل .

يَفْنَى ٱلْكَلَامُ وَلَا يُحِيطُ بِوَصْفِكُمْ أَيُحِيطُ مَا يَفْنَىٰ بِمَا لَا يَنْفَدُ (١)

يَفْدِي بَنِيكَ عُبَيْدَ ٱللهِ حَاسِدُهُمْ بِجَبْهَةِ ٱلْعَيْرِ يُفْدَىٰ حَافِرُ ٱلْفَرَسِ (٢)

خَيْرُ ٱلطُّيُورِ عَلَى ٱلْقُصُورِ وَشَرُّهَا يَأْوِي ٱلْخَرَابَ وَيَسْكُنُ ٱلنَّاوُوسَا (٣)

وَمَا ٱلْغَضَبُ ٱلطَّرِيفُ وَإِنْ تَقَوَّىٰ بِمُنْتَصِفٍ مِنَ ٱلْكَرَمِ ٱلتِّلَادِ
وَإِنَّ ٱلْجُرْحَ يَنْفُثُ بَعْدَ حِينٍ إِذَا كَانَ ٱلْبِنَاءُ عَلَىٰ فَسَادِ (٤)

❊

يَجْنِي ٱلْغِنَىٰ لِلِّئَامِ لَوْ عَقَلُوا مَا لَيْسَ يَجْنِي عَلَيْهِمُ ٱلْعَدَمُ
هُمُ لِأَمْوَالِهِمْ وَلَسْنَ لَهُمْ وَٱلْعَارُ يَبْقَىٰ وَٱلْجُرْحُ يَلْتَئِمُ (٥)

وَدَهْرٌ نَاسُهُ نَاسٌ صِغَارٌ وَإِنْ كَانَتْ لَهُمْ جُثَثٌ ضِخَامُ
وَمَا أَنَا مِنْهُمُ بِٱلْعَيْشِ فِيهِمْ وَلَٰكِنْ مَعْدِنُ ٱلذَّهَبِ ٱلرَّغَامُ
خَلِيلُكَ أَنْتَ لَا مَنْ قُلْتَ خِلِّي وَإِنْ كَثُرَ ٱلتَّجَمُّلُ وَٱلْكَلَامُ
وَلَوْ حِيزَ ٱلْحِفَاظُ بِغَيْرِ عَقْلٍ تَجَنَّبَ عُنْقَ صَيْقَلِهِ ٱلْحُسَامُ

---

(١) ديوان المتنبي (ص ٣٥) ، وهو من الكامل .
(٢) ديوان المتنبي (ص ١٦) ، وهو من البسيط .
(٣) ديوان المتنبي (ص ٤٢) ، وهو من الكامل .
(٤) ديوان المتنبي (ص ٦٢) ، وهما من الوافر .
(٥) ديوان المتنبي (ص ٦٧) ، وهما من المنسرح .

وَشِبْـهُ ٱلـشَّـيْءِ مُـنْـجَـذِبٌ إِلَـيْـهِ وَأَشْـبَـهُـنَـا بِـدُنْـيَـانَـا ٱلـطَّـغَـامُ
وَلَــوْ لَــمْ يَـعْــلُ إِلَّا ذُو مَــحَــلٍّ تَـعَـالَى ٱلْـجَـيْشُ وَٱنْـحَـطَّ ٱلْـقَـتَـامُ
وَمَـنْ خَـبَـرَ ٱلْـغَـوَانِـيَ فَـٱلْـغَـوَانِـي ضِـيَـاءٌ فِـي بَـوَاطِـنِـهِ ظَـلَامُ
وَمَـا كُـلٌّ بِـمَـعْـذُورٍ بِـبُـخْـلٍ وَلَا كُـلٌّ عَـلَـىٰ بُـخْـلٍ يُـلَامُ
تَـلَـذُّ لَـهُ ٱلْـمُـرُوءَةُ وَهْـيَ تُـؤْذِي وَمَـنْ يَـعْـشَـقْ يَـلَـذُّ لَـهُ ٱلْـغَـرَامُ
وَقَـبْـضُ نَـوَالِـهِ شَـرَفٌ وَعِـزٌّ وَقَـبْـضُ نَـوَالِ بَـعْـضِ ٱلْـقَـوْمِ ذَامُ
أَقَـامَـتْ فِـي ٱلـرِّقَـابِ لَـهُ أَيَـادٍ هِـيَ ٱلْأَطْـوَاقُ وَٱلـنَّـاسُ ٱلْـحَـمَـامُ (١)

❊ ❊ ❊

وَزَارَكَ بِـي دُونَ ٱلْـمُـلُـوكِ تَـحَـرُّجٌ إِذَا عَـنَّ بَـحْـرٌ لَـمْ يَـجُـزْ لِـي ٱلتَّـيَـمُّـمُ (٢)

❊ ❊

وَلِـكُـلِّ عَـيْـنٍ قُـرَّةٌ فِـي قُـرْبِـهِ حَـتَّـىٰ كَـأَنَّ مَـغِـيـبَـهُ ٱلْأَقْـذَاءُ (٣)

❊

وَلَـٰكِنَّ حُبّاً خَامَرَ ٱلْقَلْبَ فِي ٱلصَّفَا خ يَـزِيـدُ عَـلَـىٰ مَرِّ ٱلـزَّمَـانِ وَيَـشْـتَـدُّ
وَأَصْبَحَ شِعْرِي مِنْهُمَا فِي مَكَانِهِ خ وَفِي عُنُقِ ٱلْحَسْنَاءِ يُسْتَحْسَنُ ٱلْعِقْدُ (٤)

فِـي سَـعَـةِ ٱلْـخَـافِـقَـيْـنِ مُـضْـطَـرَبٌ وَفِـي بِـلَادٍ مِـنْ أُخْـتِـهَـا بَـدَلُ

(١) ديوان المتنبي (ص ٧٣) ، والأبيات من الوافر .
(٢) ديوان المتنبي (ص ٨٦) ، وهو من الطويل .
(٣) ديوان المتنبي (ص ٩٤) ، وهو من الكامل .
(٤) ديوان المتنبي (ص ١٦٢) ، وفيه (الصبا) بدل (الصفا) ، وهما من الطويل .

أَبْلَغُ مَا يُطْلَبُ ٱلنَّجَاحُ بِهِ ٱلطَّـ ـبْعُ وَعِـنْـدَ ٱلـتَّـعَـمُّـقِ ٱلـزَّلَـلُ[1]

وَمَـنْ يَـكُ ذَا فَـمٍ مُـرٍّ مَـرِيـضٍ يَـجِـدْ مُـرّاً بِـهِ ٱلْـمَـاءَ ٱلـزُّلَالَا[2]

مَا كُلُّ مَنْ طَلَبَ ٱلْمَعَالِيَ نَافِذاً فِـيـهَـا وَلَا كُـلُّ ٱلـرِّجَـالِ فُـحُـولَا[3]

اَلْـحُـبُّ مَـا مَـنَـعَ ٱلْـكَـلَامَ ٱلْأَلْـسُـنَـا وَأَلَـذُّ شَـكْـوَىٰ عَـاشِـقٍ مَـا أَعْـلَـنَـا خ

وَأْنَـهَ ٱلْـمُـشِـيرَ عَـلَـيْـكَ فِـيَّ بِـضِـلَّـةٍ وَٱلْـحُـرُّ مُـمْـتَـحَـنٌ بِـأَوْلَادِ ٱلـزِّنَـا خ

وَمَـكَـايِـدُ ٱلـسُّـفَـهَـاءِ وَاقِـعَـةٌ بِـهِـمْ وَعَـدَاوَةُ ٱلـشُّـعَـرَاءِ بِـئْـسَ ٱلْـمُـقْـتَـنَـىٰ خ

لُـعِـنَـتْ مُـقَـارَنَـةُ ٱلـلَّـئِـيـمِ فَـإِنَّـهَـا ضَـيْـفٌ يَـجُـرُّ مِـنَ ٱلـنَّـدَامَـةِ ضَـيْـفَـنَـا[4]

وَأَنْـفَـسُ مَـا لِـلْـفَـتَـىٰ لُـبُّـهُ وَذُو ٱلـلُّـبِّ يَـكْـرَهُ إِنْـفَـاقَـهُ[5]

لَا ٱفْـتِـخَـارَ إِلَّا لِـمَـنْ لَا يُـضَـامُ مُـدْرِكٍ أَوْ مُـحَـارِبٍ لَا يَـنَـامُ

ذَلَّ مَـنْ يَـغْـبِـطُ ٱلـذَّلِـيـلَ بِـعَـيْـشٍ رُبَّ عَـيْـشٍ أَخَـفُّ مِـنْـهُ ٱلْـحِـمَـامُ خ

---

(١) ديوان المتنبي (ص ١٠٣) ، وهما من المنسرح .

(٢) ديوان المتنبي (ص ١٠٩) ، وهو من الوافر .

(٣) ديوان المتنبي (ص ١١٥) ، وهو من الكامل .

(٤) ديوان المتنبي (ص ١١٦) ، والأبيات من الكامل .

(٥) ديوان المتنبي (ص ١٢٣) ، وهو من المتقارب .

خ

كُـلُّ حِـلْـمٍ أَتَـىٰ بِـغَـيْـرِ ٱقْـتِـدَارٍ حُـجَّـةٌ لَاجِـئٌ إِلَـيْـهَـا ٱلـلِّـئَـامُ
مَـنْ يَـهُـنْ يَـسْـهُـلِ ٱلْـهَـوَانُ عَـلَـيْـهِ مَـا لِـجُـرْحٍ بِـمَـيِّـتٍ إِيـلَامُ
إِنَّ بَـعْـضـاً مِـنَ ٱلْـقَـرِيـضِ هُـرَاءٌ لَـيْـسَ شَـيْـئـاً وَبَـعْـضَـهُ أَحْـكَـامُ (١)

❀ ❀ ❀

وَرُبَّـمَـا فَـارَقَ ٱلْإِنْـسَـانُ مُـهْـجَـتَـهُ يَـوْمَ ٱلْـوَغَـىٰ غَـيْـرَ قَـالٍ خَـشْـيَـةَ ٱلْـعَـارِ (٢)

❀ ❀

أَفَاضِلُ ٱلنَّاسِ أَغْرَاضٌ لِذَا ٱلزَّمَنِ يَخْلُو مِنَ ٱلْهَمِّ أَخْلَاهُمْ مِنَ ٱلْفِطَنِ
فَـقْـرُ ٱلْـجَـهُـولِ بِـلَا عَـقْـلٍ إِلَـىٰ أَدَبٍ فَـقْـرُ ٱلْـحِـمَـارِ بِـلَا رَأْسٍ إِلَـىٰ رَسَـنِ
لَا تُـعْـجِـبَـنَّ مَـضِـيـماً حُـسْـنُ بِـزَّتِـهِ وَهَـلْ يَـرُوقُ دَفِـيـنـاً جُـودَةُ ٱلْـكَـفَـنِ (٣)

❀ ❀

اِنْـعَـمْ وَلَـذَّ فَـلِـلْأُمُـورِ أَوَاخِـرٌ أَبَـداً كَـمَـا كَـانَـتْ لَـهُـنَّ أَوَائِـلُ
وَإِذَا أَتَـتْـكَ مَـذَمَّـتِـي مِـنْ نَـاقِـصٍ فَـهِـيَ ٱلـشَّـهَـادَةُ لِـي بِـأَنِّـيَ كَـامِـلُ (٤)

❀ ❀ ❀

خ

فِـي ٱلـنَّـاسِ أَمْـثِـلَـةٌ تَـدُورُ حَـيَـاتُـهَـا كَـمَـمَـاتِـهَـا وَمَـمَـاتُـهَـا كَـحَـيَـاتِـهَـا (٥)

❀ ❀

---

(١) ديوان المتنبي (ص ١٢٥) ، والأبيات من الخفيف .
(٢) ديوان المتنبي (ص ١٢٩) ، وهو من البسيط .
(٣) ديوان المتنبي (ص ١٣١) ، والأبيات من البسيط .
(٤) ديوان المتنبي (ص ١٣٨) ، وهما من الكامل .
(٥) ديوان المتنبي (ص ١٤٧) ، وهو من الكامل .

خ

وَمَنْ يُنْفِقِ ٱلسَّاعَاتِ فِي جَمْعِ مَالِهِ مَخَافَةَ فَقْرٍ فَٱلَّذِي فَعَلَ ٱلْفَقْرُ

خ

وَلَا يَنْفَعُ ٱلْإِمْكَانُ لَوْلَا سَخَاؤُهُ وَهَلْ نَافِعٌ لَوْلَا ٱلْأَكُفُّ ٱلْقَنَا ٱلسُّمْرُ (١)

❁ ❁

ضُرُوبُ ٱلنَّاسِ عُشَّاقٌ ضُرُوبَا فَأَعْذَرُهُمْ أَشَفُّهُمُ حَبِيبَا (٢)

خ

وَمِنْ نَكَدِ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْحُرِّ أَنْ يَرَىٰ عَدُوّاً لَهُ مَا مِنْ صَدَاقَتِهِ بُدُّ

وَأُكْبِرُ نَفْسِي عَنْ جَزَاءٍ بِغِيبَةٍ وَكُلُّ ٱغْتِيَابٍ جُهْدُ مَنْ لَا لَهُ جُهْدُ

فَمَا فِي سَجَايَاكُمْ مُنَازَعَةُ ٱلْعُلَا وَلَا فِي طِبَاعِ ٱلتُّرْبَةِ ٱلْمِسْكُ وَٱلنَّدُّ (٣)

❁

خ

مِنَ ٱلْحِلْمِ أَنْ تَسْتَعْمِلَ ٱلْجَهْلَ دُونَهُ إِذَا ٱتَّسَعَتْ فِي ٱلْحِلْمِ طُرْقُ ٱلْمَظَالِمِ (٤)

❁

خ

إِذَا لَمْ تَكُنْ نَفْسُ ٱلنَّسِيبِ كَأَصْلِهِ فَمَاذَا ٱلَّذِي تُغْنِي كِرَامُ ٱلْمَنَاصِبِ (٥)

❁

وَٱلْهَمُّ يَخْتَرِمُ ٱلْجَسِيمَ نَحَافَةً وَيُشِيبُ نَاصِيَةَ ٱلصَّبِيِّ وَيُهْرِمُ

---

(١) ديوان المتنبي (ص ١٤٨) ، وهما من البسيط .

(٢) ديوان المتنبي (ص ١٥١) ، والبيت من الوافر .

(٣) ديوان المتنبي (ص ١٥٥) ، والأبيات من الطويل .

(٤) ديوان المتنبي (ص ١٦٥) ، وهو من الطويل .

(٥) ديوان المتنبي (ص ١٧٦) ، وهو من الطويل .

ذُو ٱلْعَقْلِ يَشْقَىٰ فِي ٱلنَّعِيمِ بِعَقْلِهِ		وَأَخُو ٱلْجَهَالَةِ فِي ٱلشَّقَاوَةِ يَنْعَمُ
وَٱلنَّاسُ قَدْ نَبَذُوا ٱلْحِفَاظَ فَمُطْلَقٌ		يَنْسَى ٱلَّذِي يُولَىٰ وَعَافٍ يَنْدَمُ
لَا تَخْدَعَنَّكَ مِنْ عَدُوٍّ دَمْعَةٌ		وَٱرْحَمْ شَبَابَكَ مِنْ عَدُوٍّ تُرْحَمُ
لَا يَسْلَمُ ٱلشَّرَفُ ٱلرَّفِيعُ مِنَ ٱلْأَذَىٰ	خ	حَتَّىٰ يُرَاقَ عَلَىٰ جَوَانِبِهِ ٱلدَّمُ
وَٱلظُّلْمُ مِنْ شِيَمِ ٱلنُّفُوسِ فَإِنْ تَجِدْ		ذَا عِفَّةٍ فَلِعِلَّةٍ لَا يَظْلِمُ
وَمِنَ ٱلْبَلِيَّةِ عَذْلُ مَنْ لَا يَرْعَوِي		عَنْ جَهْلِهِ وَخِطَابُ مَنْ لَا يَفْهَمُ
وَٱلذُّلُّ يُظْهِرُ فِي ٱلذَّلِيلِ مَوَدَّةً		وَأَوَدُّ مِنْهُ لِمَنْ يَوَدُّ ٱلْأَرْقَمُ
وَمِنَ ٱلْعَدَاوَةِ مَا يَنَالُكَ نَفْعُهُ	خ	وَمِنَ ٱلصَّدَاقَةِ مَا يَضُرُّ وَيُؤْلِمُ
أَفْعَالُ مَنْ تَلِدُ ٱلْكِرَامُ كَرِيمَةٌ		وَفِعَالُ مَنْ تَلِدُ ٱلْأَعَاجِمُ أَعْجَمُ (١)

۞ ۞ ۞

وَلَٰكِنَّ ٱلْغُيُوثَ إِذَا تَوَالَتْ	خ	بِأَرْضِ مُسَافِرٍ كَرِهَ ٱلْغَمَامَا (٢)

۞ ۞ ۞

فَطَعْمُ ٱلْمَوْتِ فِي أَمْرٍ حَقِيرٍ	خ	كَطَعْمِ ٱلْمَوْتِ فِي أَمْرٍ عَظِيمِ
يَرَى ٱلْجُبَنَاءُ أَنَّ ٱلْعَجْزَ عَقْلٌ	خ	وَتِلْكَ خَدِيعَةُ ٱلطَّبْعِ ٱللَّئِيمِ
وَكُلُّ شَجَاعَةٍ فِي ٱلْمَرْءِ [تُغْنِي]	خ	وَلَا مِثْلَ ٱلشَّجَاعَةِ فِي حَكِيمِ
وَكَمْ مِنْ عَائِبٍ قَوْلاً صَحِيحاً	خ	وَآفَتُهُ مِنَ ٱلْفَهْمِ ٱلسَّقِيمِ

---

(١) ديوان المتنبي (ص ٤٢٨) ، والأبيات من الكامل .

(٢) ديوان المتنبي (ص ١٨٢) ، وهو من الوافر .

وَلَـٰكِنْ تَـأْخُـذُ ٱلْأَذْهَـانُ مِـنْـهُ ... عَـلَـىٰ قَـدْرِ ٱلْـقَـرَائِـحِ وَٱلْـفُـهُـومِ (١)

❊

كَـلَامُ أَكْـثَـرِ مَـنْ تَـلْـقَـىٰ وَمَـنْـظَـرُهُ ... مِـمَّـا يَـشِـقُّ عَـلَـى ٱلْآذَانِ وَٱلْـحَـدَقِ (٢)

إِلْـفُ هَـٰذَا ٱلْـهَـوَاءِ أَوْقَـعَ فِـي ٱلْأَنْـ ... ـفُـسِ أَنَّ ٱلْـحِـمَـامَ مُـرُّ ٱلْـمَـذَاقِ

وَٱلْأَسَـىٰ قَـبْـلَ فُـرْقَـةِ ٱلـرُّوحِ عَـجْـزٌ ... وَٱلْأَسَـىٰ لَا يَـكُـونُ بَـعْـدَ ٱلْـفِـرَاقِ

وَٱلْـغِـنَـىٰ فِـي يَـدِ ٱلـلَّـئِـيـمِ قَـبِـيـحٌ ... قَـدْرَ قُـبْـحِ ٱلْـكَـرِيـمِ فِـي ٱلْإِمْـلَاقِ (٣)

❊

خ

وَيُـظْـهِـرُ ٱلْـجَـهْـلَ بِـي وَأَعْـرِفُـهُ ... وَٱلـدُّرُّ دُرٌّ بِـرَغْـمِ مَـنْ جَـهِـلَـهْ

فَـصِـرْتُ كَـٱلـسَّـيْـفِ حَـامِـداً يَـدَهُ ... مَـا يَـحْـمَـدُ ٱلسَّـيْـفُ كُـلَّ مَـنْ حَـمَـلَـهْ (٤)

وَقَـدْ يَـتَـزَيَّـا بِـٱلْـهَـوَىٰ غَـيْـرُ أَهْـلِـهِ ... وَيَـصْـطَـحِـبُ ٱلْإِنْـسَـانُ مَـنْ لَا يُـلَائِـمُـهْ (٥)

خ

وَإِذَا كَـانَـتِ ٱلـنُّـفُـوسُ كِـبَـاراً ... تَـعِـبَـتْ فِـي مُـرَادِهَـا ٱلْأَجْـسَـامُ

فَـكَـثِـيـرٌ مِـنَ ٱلـشُّـجَـاعِ ٱلـتَّـوَقِّـي ... وَكَـثِـيـرٌ مِـنَ ٱلْـبَـلِـيـغِ ٱلـسَّـلَامُ (٦)

---

(١) ديوان المتنبي (ص ١٨٠) ، والأبيات من الوافر .

(٢) ديوان المتنبي (ص ١٨١) ، وهو من البسيط .

(٣) ديوان المتنبي (ص ١٨٤) ، والأبيات من الخفيف .

(٤) ديوان المتنبي (ص ١٩٢) ، وهما من المنسرح .

(٥) ديوان المتنبي (ص ١٩٧) ، وهو من الطويل .

(٦) ديوان المتنبي (ص ٢٠١) ، وهما من الخفيف .

وَلَوْ جَازَ ٱلْخُلُودُ خَلَدْتَ فَرْداً خ وَلَٰكِنْ لَيْسَ لِلدُّنْيَا خَلِيلُ[1]

﷽ ﷽ ﷽

وَمَنْ لَمْ يَعْشَقِ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ خ وَلَٰكِنْ لَا سَبِيلَ إِلَىٰ وِصَالِ
نَصِيبُكَ فِي حَيَاتِكَ مِنْ حَبِيبٍ خ نَصِيبُكَ فِي مَنَامِكَ مِنْ خَيَالِ
وَلَوْ كَانَ ٱلنِّسَاءُ كَمَنْ فَقَدْنَا خ لَفُضِّلَتِ ٱلنِّسَاءُ عَلَى ٱلرِّجَالِ
وَمَا ٱلتَّأْنِيثُ لِٱسْمِ ٱلشَّمْسِ عَيْبٌ خ وَلَا ٱلتَّذْكِيرُ فَخْرٌ لِلْهِلَالِ
فَإِنْ تَفُقِ ٱلْأَنَامَ وَأَنْتَ مِنْهُمْ خ فَإِنَّ ٱلْمِسْكَ بَعْضُ دَمِ ٱلْغَزَالِ[2]

﷽ ﷽

إِلَامَ طَمَاعِيَةُ ٱلْعَاذِلِ وَلَا رَأْيَ فِي ٱلْحُبِّ لِلْعَاقِلِ
يُرَادُ مِنَ ٱلْقَلْبِ نِسْيَانُكُمْ خ وَتَأْبَى ٱلطِّبَاعُ عَلَى ٱلنَّاقِلِ
خُذُوا مَا أَتَاكُمْ بِهِ وَٱغْنَمُوا فَإِنَّ ٱلْغَنِيمَةَ فِي ٱلْعَاجِلِ[3]

﷽ ﷽ ﷽

أَعْلَى ٱلْمَمَالِكِ مَا يُبْنَىٰ عَلَى ٱلْأَسَلِ خ وَٱلطَّعْنُ عِنْدَ مُحِبِّيهِنَّ كَٱلْقُبَلِ
وَلَا يُجِيرُ عَلَيْهِ ٱلدَّهْرُ بُغْيَتَهُ وَلَا تُحَصِّنُ دِرْعٌ مُهْجَةَ ٱلْبَطَلِ

---

(١) ديوان المتنبي (ص ٢٠٤) ، وهو من الوافر .
(٢) ديوان المتنبي (ص ٢٠٤) ، والأبيات من الوافر .
(٣) ديوان المتنبي (ص ٢٠٧) ، والأبيات من المتقارب .

بِذِي ٱلْغَبَاوَةِ مِنْ إِنْشَادِهَا ضَرَرٌ   كَمَا تَضُرُّ رِيَاحُ ٱلْوَرْدِ بِٱلْجُعَلِ [1]

إِذَا مَا تَأَمَّلْتَ ٱلزَّمَانَ وَصَرْفَهُ   تَيَقَّنْتَ أَنَّ ٱلْمَوْتَ ضَرْبٌ مِنَ ٱلْقَتْلِ
هَلِ ٱلْوَلَدُ ٱلْمَحْبُوبُ إِلَّا تَعِلَّةٌ   وَهَلْ خَلْوَةُ ٱلْحَسْنَاءِ إِلَّا أَذَى ٱلْبَعْلِ
وَمَا ٱلدَّهْرُ أَهْلٌ أَنْ يُؤَمَّلَ عِنْدَهُ   حَيَاةٌ وَأَنْ يُشْتَاقَ فِيهِ إِلَى ٱلنَّسْلِ [2]

وَرُبَّمَا قَالَتِ ٱلْعُيُونُ وَقَدْ   يَصْدُقُ فِيهَا وَيَكْذِبُ ٱلنَّظَرُ
أَعَاذَكَ ٱللهُ مِنْ سِهَامِهِمِ   وَمُخْطِئٌ مَنْ رَمِيُّهُ ٱلْقَمَرُ [3]

وَإِذَا وَكَلْتَ إِلَىٰ كَرِيمٍ رَأْيَهُ   فِي ٱلْجُودِ بَانَ مَذِيقُهُ مِنْ [مَحْضِهِ] [4]

دُونَ ٱلْحَلَاوَةِ فِي ٱلزَّمَانِ مَرَارَةٌ   لَا تُخْتَطَىٰ إِلَّا عَلَىٰ أَهْوَالِهِ [5]

وَهَلْ تُغْنِي ٱلرَّسَائِلُ فِي عَدُوٍّ   إِذَا مَا لَمْ يَكُنَّ ظُبىً رِقَاقَا [6]

---

(١) ديوان المتنبي (ص ٢١٢) ، والأبيات من البسيط .
(٢) ديوان المتنبي (ص ٢١٧) ، والأبيات من الطويل .
(٣) ديوان المتنبي (ص ٢١٨) ، والبيتان من المنسرح .
(٤) ديوان المتنبي (ص ٢١٨) ، وهو من الكامل .
(٥) ديوان المتنبي (ص ٢٢٢) ، وهو من الكامل .
(٦) ديوان المتنبي (ص ٢٢٥) ، وهو من الوافر .

فَمَا تَرَجَّى ٱلنُّفُوسُ مِنْ زَمَنٍ ... أَحْمَدُ حَالَيْهِ غَيْرُ مَحْمُودِ [1]

❊ ❊ ❊

مَنْ يَعْرِفِ ٱلشَّمْسَ لَا يُنْكِرْ مَطَالِعَهَا ... أَوْ يُبْصِرِ ٱلْخَيْلَ لَا يَسْتَكْرِمِ ٱلرَّمَكَا [2]

❊ ❊ ❊

وَمَا ذَاكَ بُخْلٌ بِٱلنُّفُوسِ عَلَى ٱلْقَنَا ... خ ... وَلَٰكِنَّ صَدْمَ ٱلشَّرِّ بِٱلشَّرِّ أَحْزَمُ [3]

❊ ❊

أَهْلُ ٱلْحَفِيظَةِ إِلَّا أَنْ تُجَرِّبَهُمْ ... وَفِي ٱلتَّجَارِبِ بَعْدَ [ٱلْغَيِّ] مَا يَزَعُ

لَا تَحْسَبُوا مَنْ أَسَرْتُمْ كَانَ ذَا رَمَقٍ ... خ ... فَلَيْسَ تَأْكُلُ إِلَّا ٱلْمَيِّتَ ٱلضَّبُعُ

مَنْ كَانَ فَوْقَ مَحَلِّ ٱلشَّمْسِ مَوْضِعُهُ ... خ ... فَلَيْسَ يَرْفَعُهُ شَيْءٌ وَلَا يَضَعُ

فَقَدْ يُظَنُّ شُجَاعاً مَنْ بِهِ خَرَقٌ ... خ ... وَقَدْ يُظَنُّ جَبَاناً مَنْ بِهِ زَمَعُ

إِنَّ ٱلسِّلَاحَ جَمِيعُ ٱلنَّاسِ يَحْمِلُهُ ... وَلَيْسَ كُلُّ ذَوَاتِ ٱلْمِخْلَبِ ٱلسَّبُعُ [4]

❊ ❊

وَمَا ٱلْخَوْفُ إِلَّا مَا تَخَوَّفَهُ ٱلْفَتَىٰ ... وَلَا ٱلْأَمْنُ إِلَّا مَا رَآهُ ٱلْفَتَىٰ أَمْنَا [5]

❊ ❊ ❊

وَحِيدٌ مِنَ ٱلْخُلَّانِ فِي كُلِّ بَلْدَةٍ ... خ ... إِذَا عَظُمَ ٱلْمَطْلُوبُ قَلَّ ٱلْمُسَاعِدُ

---

(١) ديوان المتنبي (ص ٢٢٦) ، وهو من المنسرح .

(٢) ديوان المتنبي (ص ٢٢٨) ، وهو من البسيط .

(٣) ديوان المتنبي (ص ٢٣٣) ، وهو من الطويل .

(٤) ديوان المتنبي (ص ٢٣٧) ، والأبيات من البسيط .

(٥) ديوان المتنبي (ص ٢٤٢) ، وهو من الطويل .

بِذَا قَضَتِ ٱلْأَيَّامُ مَا بَيْنَ أَهْلِهَا ... مَصَائِبُ قَوْمٍ عِنْدَ قَوْمٍ فَوَائِدُ
وَكُلٌّ يَرَىٰ طُرْقَ ٱلشَّجَاعَةِ وَٱلنَّدَىٰ ... وَلَٰكِنَّ طَبْعَ ٱلنَّفْسِ لِلنَّفْسِ قَائِدُ
فَإِنَّ قَلِيلَ ٱلْحُبِّ بِٱلْعَقْلِ صَالِحٌ ... وَإِنَّ كَثِيرَ ٱلْحُبِّ بِٱلْجَهْلِ فَاسِدُ (١)

❊

وَقَدْ فَارَقَ ٱلنَّاسَ ٱلْأَحِبَّةُ قَبْلَنَا ... وَأَعْيَا دَوَاءُ ٱلْمَوْتِ كُلَّ طَبِيبِ
وَفِي تَعَبٍ مَنْ يَحْسُدُ ٱلشَّمْسَ ضَوْءَهَا ... وَيَجْهَدُ أَنْ يَأْتِيْ لَهَا بِضَرِيبِ (٢)

❊

وَمَنْ صَحِبَ ٱلدُّنْيَا قَلِيلاً تَقَلَّبَتْ ... عَلَىٰ عَيْنِهِ حَتَّىٰ يَرَىٰ صِدْقَهَا كِذْبَا
وَمَنْ تَكُنِ ٱلْأُسْدُ ٱلضَّوَارِي جُدُودَهُ ... يَكُنْ لَيْلُهُ صُبْحاً وَمَطْعَمُهُ غَصْبَا (٣)

أُعِيذُهَا نَظَرَاتٍ مِنْكَ صَادِقَةً ... خ ... أَنْ تَحْسَبَ ٱلشَّحْمَ فِيمَنْ شَحْمُهُ وَرَمُ
وَمَا ٱنْتِفَاعُ أَخِي ٱلدُّنْيَا بِنَاظِرِهِ ... خ ... إِذَا ٱسْتَوَتْ عِنْدَهُ ٱلْأَنْوَارُ وَٱلظُّلَمُ
إِذَا رَأَيْتَ نُيُوبَ ٱللَّيْثِ بَارِزَةً ... خ ... فَلَا تَظُنَّنَّ أَنَّ ٱللَّيْثَ يَبْتَسِمُ
إِنْ كَانَ سَرَّكُمُ مَا قَالَ حَاسِدُنَا ... فَمَا لِجُرْحٍ إِذَا أَرْضَاكُمُ أَلَمُ
وَبَيْنَنَا لَوْ رَعَيْتُمْ ذَاكَ مَعْرِفَةٌ ... إِنَّ ٱلْمَعَارِفَ فِي أَهْلِ ٱلنُّهَىٰ ذِمَمُ
شَرُّ ٱلْبِلَادِ مَكَانٌ لَا صَدِيقَ بِهِ ... وَشَرُّ مَا يَكْسِبُ ٱلْإِنْسَانُ مَا يَصِمُ

---

(١) ديوان المتنبي (ص ٢٤٢) ، والأبيات من الطويل .
(٢) ديوان المتنبي (ص ٢٤٥) ، وهما من الطويل .
(٣) ديوان المتنبي (ص ٢٤٨) ، وهما من الطويل .

وَشَرُّ مَا قَنَصَتْهُ رَاحَتِي قَنَصٌ   شُهْبُ ٱلْبُزَاةِ سَوَاءٌ فِيهِ وَٱلرَّخَمُ (١)

❊ ❊

وَإِنْ كَانَ ذَنْبِي كُلَّ ذَنْبٍ فَإِنَّهُ   مَحَا ٱلذَّنْبَ كُلَّ [ٱلْمَحْوِ] مَنْ جَاءَ تَائِبَا (٢)

❊ ❊ ❊

وَمَا صَبَابَةُ مُشْتَاقٍ عَلَىٰ أَمَلٍ   مِنَ ٱللِّقَاءِ كَمُشْتَاقٍ بِلَا أَمَلِ

وَٱلْهَجْرُ أَقْتَلُ لِي مِمَّا أُرَاقِبُهُ   أَنَا ٱلْغَرِيقُ فَمَا خَوْفِي مِنَ ٱلْبَلَلِ

خُذْ مَا تَرَاهُ وَدَعْ شَيْئاً سَمِعْتَ بِهِ   فِي طَلْعَةِ ٱلشَّمْسِ مَا يُغْنِيكَ عَنْ زُحَلِ

إِنْ كُنْتَ تَرْضَىٰ بِأَنْ يُعْطُوا ٱلْجِزَىٰ بَذَلُوا   مِنْهَا رِضَاكَ وَمَنْ لِلْعُورِ بِٱلْحَوَلِ

لَعَلَّ عَتْبَكَ مَحْمُودٌ عَوَاقِبُهُ   وَرُبَّمَا صَحَّتِ ٱلْأَجْسَامُ بِٱلْعِلَلِ

لِأَنَّ حِلْمَكَ حِلْمٌ لَا تَكَلَّفُهُ   لَيْسَ ٱلتَّكَحُّلُ فِي ٱلْعَيْنَيْنِ كَٱلْكَحَلِ

وَمَا ثَنَاكَ كَلَامُ ٱلنَّاسِ عَنْ كَرَمٍ   وَمَنْ يَسُدُّ طَرِيقَ ٱلْعَارِضِ ٱلْهَطِلِ (٣)

❊ ❊

وَلَيْسَ يَصِحُّ فِي ٱلْأَفْهَامِ شَيْءٌ   خ   إِذَا ٱحْتَاجَ ٱلنَّهَارُ إِلَىٰ دَلِيلِ (٤)

❊ ❊

وَمَا كَمَدُ ٱلْحُسَّادِ شَيْءٌ قَصَدْتُهُ   خ   وَلَـٰكِنَّهُ مَنْ يَزْحَمِ ٱلْبَحْرَ يَغْرَقِ

---

(١) ديوان المتنبي (ص ٢٥٣) ، والأبيات من البسيط .

(٢) ديوان المتنبي (ص ٢٥٦) ، وهو من الطويل .

(٣) ديوان المتنبي (ص ٢٥٦) ، والأبيات من البسيط .

(٤) ديوان المتنبي (ص ٢٦١) ، وهو من الوافر .

خ

وَإِطْرَاقُ طَرْفِ ٱلْعَيْنِ لَيْسَ بِنَافِعٍ إِذَا كَانَ طَرْفُ ٱلْقَلْبِ لَيْسَ بِمُطْرِقِ (١)

❁ ❁

خ

وَمَنْ كُنْتَ بَحْراً لَهُ يَا عَلِيُّ لَا يَقْبَلُ ٱلدُّرَّ إِلَّا كِبَارَا (٢)

❁

لَيَالِيَّ بَعْدَ ٱلظَّاعِنِينَ شُكُولُ طِوَالٌ وَلَيْلُ ٱلْعَاشِقِينَ طَوِيلُ (٣)

أَيَدْرِي مَا أَرَابَكَ مَنْ يُرِيبُ وَهَلْ تَرْقَىٰ إِلَى ٱلْفَلَكِ ٱلْخُطُوبُ (٤)

❁ ❁

خ

وَمَا قَتَلَ ٱلْأَحْرَارَ كَٱلْعَفْوِ عَنْهُمُ (٥) وَمَنْ لَكَ بِٱلْحُرِّ ٱلَّذِي يَحْفَظُ ٱلْيَدَا

إِذَا أَنْتَ أَكْرَمْتَ ٱلْكَرِيمَ مَلَكْتَهُ وَإِنْ أَنْتَ أَكْرَمْتَ ٱللَّئِيمَ تَمَرَّدَا

وَوَضْعُ ٱلنَّدَىٰ فِي مَوْضِعِ ٱلسَّيْفِ بِٱلْعُلَا مُضِرٌّ كَوَضْعِ ٱلسَّيْفِ فِي مَوْضِعِ ٱلنَّدَىٰ

وَقَيَّدْتُ نَفْسِي فِي ذَرَاكَ مَحَبَّةً وَمَنْ وَجَدَ ٱلْإِحْسَانَ قَيْداً تَقَيَّدَا (٦)

❁

---

(١) ديوان المتنبي (ص ٢٦٤) ، وهما من الطويل .

(٢) ديوان المتنبي (ص ٢٧٨) ، وهو من المتقارب .

(٣) ديوان المتنبي (ص ٢٦٩) ، وهو من الطويل .

(٤) ديوان المتنبي (ص ٢٧٥) ، وهو من الوافر .

(٥) المعنىٰ : من عفا عن حرٍّ . . صار كأنه قتله ؛ لأنه يسترقه بالعفو ، قال بعضهم : غلَّ يداً مطلقها ، واسترق رقبةً معتقها !!

(٦) ديوان المتنبي (ص ٢٨١) ، والأبيات من الطويل .

وَأَتْعَبُ مَنْ نَادَاكَ مَنْ لَا تُجِيبُهُ وَأَغْيَظُ مَنْ عَادَاكَ مَنْ لَا تُشَاكِلُ (١)

❁ ❁ ❁

وَمَا تَرْكُوكَ مَعْصِيَةً وَلَٰكِنْ يُعَافُ ٱلْوِرْدُ وَٱلْمَوْتُ ٱلشَّرَابُ

تَرَفَّقْ أَيُّهَا ٱلْمَوْلَىٰ عَلَيْهِمْ فَإِنَّ ٱلرِّفْقَ بِٱلْجَانِي عِتَابُ

خ

وَمَا جَهِلَتْ أَيَادِيكَ ٱلْبَوَادِي وَلَٰكِنْ رُبَّمَا خَفِيَ ٱلصَّوَابُ

خ

وَكَمْ ذَنْبٍ مُوَلِّدُهُ دَلَالٌ وَكَمْ بُعْدٍ مُوَلِّدُهُ ٱقْتِرَابُ

خ

وَجُرْمٍ جَرَّهُ سُفَهَاءُ قَوْمٍ وَحَلَّ بِغَيْرِ جَارِمِهِ ٱلْعَذَابُ (٢)

❁ ❁ ❁

عَلَىٰ قَدْرِ أَهْلِ ٱلْعَزْمِ تَأْتِي ٱلْعَزَائِمُ وَتَأْتِي عَلَىٰ قَدْرِ ٱلْكِرَامِ ٱلْمَكَارِمُ

تُفِيتُ ٱللَّيَالِي كُلَّ شَيْءٍ [أَخَذْتَهُ] وَهُنَّ لِمَا يَأْخُذْنَ مِنْكَ غَوَارِمُ

وَمَنْ طَلَبَ ٱلْفَتْحَ ٱلْجَلِيلَ فَإِنَّمَا مَفَاتِيحُهُ ٱلْبِيضُ ٱلْخِفَافُ ٱلصَّوَارِمُ

أَيُنْكِرُ رِيحَ ٱللَّيْثِ حَتَّىٰ يَذُوقَهُ وَقَدْ عَرَفَتْ رِيحَ ٱللُّيُوثِ ٱلْبَهَائِمُ (٣)

❁ ❁ ❁

وَمَا تَنْفَعُ ٱلْخَيْلُ ٱلْكِرَامُ وَلَا ٱلْقَنَا إِذَا لَمْ يَكُنْ فَوْقَ ٱلْكِرَامِ كِرَامُ

فَإِنْ كُنْتَ لَا تُعْطِي ٱلذِّمَامَ طَوَاعَةً فَعَوْذُ ٱلْأَعَادِي بِٱلْكَرِيمِ ذِمَامُ

وَشَرُّ ٱلْحِمَامَيْنِ ٱلزُّؤَامَيْنِ عِيشَةٌ يَذِلُّ ٱلَّذِي يَخْتَارُهَا وَيُضَامُ (٤)

---

(١) ديوان المتنبي (ص ٢٨٥) ، وهو من الطويل .

(٢) ديوان المتنبي (ص ٢٨٧) ، والأبيات من الوافر .

(٣) ديوان المتنبي (ص ٢٩٠) ، والأبيات من الطويل .

(٤) ديوان المتنبي (ص ٢٩٤) ، والأبيات من الطويل .

وَمَا ٱلْحُسْنُ فِي وَجْهِ ٱلْفَتَىٰ شَرَفٌ لَهُ   إِذَا لَمْ يَكُنْ فِي فِعْلِهِ وَٱلْخَلَائِقِ
وَمَا بَلَدُ ٱلْإِنْسَانِ غَيْرُ ٱلْمُوَافِقِ   وَلَا أَهْلُهُ ٱلْأَدْنَوْنَ غَيْرُ ٱلْأَصَادِقِ
وَمَا يُوجِعُ ٱلْحِرْمَانُ مِنْ كَفِّ حَارِمٍ   كَمَا يُوجِعُ ٱلْحِرْمَانُ مِنْ كَفِّ رَازِقِ (١)

إِنَّ خَيْرَ ٱلدُّمُوعِ عَيْناً لَدَمْعٌ   بَعَثَتْهُ رِعَايَةٌ فَٱسْتَهَلَّا
وَإِذَا لَمْ تَجِدْ مِنَ ٱلنَّاسِ كُفْئاً   ذَاتُ خِدْرٍ تَمَنَّتِ ٱلْمَوْتَ بَعْلَا
وَلَذِيذُ ٱلْحَيَاةِ أَنْفَسُ لِلنَّفْـ   ـسِ وَأَشْهَىٰ مِنْ أَنْ يُمَلَّ وَأَحْلَىٰ
وَإِذَا ٱلشَّيْخُ قَالَ أُفٍّ فَمَا مَلَّ   حَيَاةً وَإِنَّمَا ٱلضَّعْفَ مَلَّا
آلَةُ ٱلْعَيْشِ صِحَّةٌ وَشَبَابٌ   فَإِذَا وَلَّيَا عَنِ ٱلْمَرْءِ وَلَّىٰ
أَبَداً تَسْتَرِدُّ مَا تَهَبُ ٱلدُّنْـ خ ـيَا فَيَا لَيْتَ جُودَهَا كَانَ بُخْلَا
وَهْيَ مَعْشُوقَةٌ عَلَى ٱلْغَدْرِ لَا تَحْـ خ ـفَظُ عَهْداً وَلَا تُتَمِّمُ وَصْلَا (٢)

❊

وَٱلْعِيَانُ ٱلْجَلِيُّ يُحْدِثُ لِلظَّنِّ   زَوَالاً وَلِلْمُرَادِ ٱنْتِقَالَا
وَإِذَا مَا خَلَا ٱلْجَبَانُ بِأَرْضٍ   طَلَبَ ٱلطَّعْنَ وَحْدَهُ وَٱلنِّزَالَا
أَقْسَمُوا لَا رَأَوْكَ إِلَّا بِقَلْبٍ   طَالَمَا غَرَّتِ ٱلْعُيُونُ ٱلرِّجَالَا
إِنَّمَا آنَسَ ٱلْأَنِيسَ سِبَاعٌ (٣)   يَتَفَارَسْنَ جَهْرَةً وَٱغْتِيَالَا

---

(١) ديوان المتنبي (ص ٢٩٦) ، والأبيات من الطويل .
(٢) ديوان المتنبي (ص ٣٠٦) ، والأبيات من الخفيف .
(٣) في « ديوان المتنبي » (ص ٣١٢) : (إنما أنفسُ . . .) .

مَـنْ أَرَادَ ٱلْـتِـمَـاسَ شَـيْءٍ غِـلَابـاً ... وَٱغْـتِـصَـابـاً لَـمْ يَـلْـتَـمِـسْـهُ سُـؤَالَا
كُـلُّ غَـادٍ لِـحَـاجَـةٍ يَـتَـمَـنَّـىٰ ... أَنْ يَـكُـونَ ٱلْـغَـضَـنْـفَـرَ ٱلـرِّئْـبَـالَا (١)

❁ ❁ ❁

وَرَفَـلْـتَ فِـي حُـلَـلِ ٱلـثَّـنَـاءِ وَإِنَّـمَـا ... عَـدَمُ ٱلـثَّـنَـاءِ نِـهَـايَـةُ ٱلْإِعْـدَامِ (٢)

❁

خ اَلـرَّأْيُ قَـبْـلَ شَـجَـاعَـةِ ٱلـشُّـجْـعَـانِ ... هُـوَ أَوَّلٌ وَهِـيَ ٱلْـمَـحَـلُّ ٱلـثَّـانِـي
خ وَلَـرُبَّـمَـا طَـعَـنَ ٱلْـفَـتَـىٰ أَقْـرَانَـهُ ... بِـٱلـرَّأْيِ قَـبْـلَ تَـطَـاعُـنِ ٱلْأَقْـرَانِ
لَـوْلَا ٱلْـعُـقُـولُ لَـكَـانَ أَدْنَـىٰ ضَـيْـغَـمٍ ... أَدْنَـىٰ إِلَـىٰ شَـرَفٍ مِـنَ ٱلْإِنْـسَـانِ
وَتَوَهَّمُوا ٱللَّعِبَ ٱلْوَغَىٰ وَٱلطَّعْنُ فِي ٱلْـ ... ـهَيْجَاءِ غَيْرُ ٱلطَّعْنِ فِي ٱلْمَيْدَانِ (٣)

❁ ❁

عُقْبَى ٱلْيَمِينِ عَلَىٰ [عُقْبَى] ٱلْوَغَىٰ نَدَمُ ... مَاذَا يَزِيدُكَ فِي إِقْدَامِكَ ٱلْقَسَمُ (٤)

❁ ❁

وَإِذَا خَـامَـرَ ٱلْـهَـوَىٰ قَـلْـبَ صَـبٍّ ... فَـعَـلَـيْـهِ لِـكُـلِّ عَـيْـنٍ دَلِـيـلُ (٥)

❁

وَإِنْ تَكُنْ تَغْلِبُ [ٱلْغَلْبَاءُ] عُنْصُرَهَا ... فَإِنَّ فِي ٱلْخَمْرِ مَعْنىً لَيْسَ فِي ٱلْعِنَبِ

(١) ديوان المتنبي (ص ٣١١) ، والأبيات من الخفيف .
(٢) ديوان المتنبي (ص ٣٢٢) ، وهو من الكامل .
(٣) ديوان المتنبي (ص ٣١٣) ، والأبيات من الكامل .
(٤) ديوان المتنبي (ص ٣١٦) ، وهو من البسيط .
(٥) ديوان المتنبي (ص ٣٢٤) ، وهو من الخفيف .

وَعَـادَ فِـي طَـلَـبِ ٱلْـمَـتْـرُوكِ تَـارِكُـهُ　　إِنَّـا لَـنَـغْـفُـلُ وَٱلْأَيَّـامُ فِـي ٱلـطَّـلَـبِ
فَـلَا تَـنَـلْـكَ ٱلـلَّـيَـالِـي إِنَّ أَيْـدِيَـهَـا　　إِذَا ضَـرَبْـنَ كَـسَـرْنَ ٱلنَّـبْـعَ بِـٱلْـغَـرَبِ
وَلَا [تُـعِـنَّ] عَـدُوّاً أَنْـتَ قَـاهِـرُهُ　　فَـإِنَّـهُـنَّ يَـصِـدْنَ ٱلـصَّـقْـرَ بِـٱلْـخَـرَبِ
وَإِنْ [سَرَرْنَ] بِمَحْبُوبٍ فَجَعْنَ بِهِ　　وَقَدْ أَتَيْنَكَ فِي ٱلْحَالَيْنِ بِٱلْعَجَبِ
وَمَـا قَـضَـىٰ أَحَـدٌ مِـنْـهَـا لُـبَـانَـتَـهُ　　وَلَا ٱنْـتَـهَـىٰ أَرَبٌ إِلَّا إِلَـىٰ أَرَبِ
وَمَـنْ تَـفَـكَّـرَ فِـي ٱلـدُّنْـيَـا وَمُـهْـجَـتِـهِ　　أَقَامَهُ ٱلْفِكْرُ بَيْنَ ٱلْعَجْزِ وَٱلتَّعَبِ (١)

إِذَا كُـنْـتَ تَـرْضَـىٰ أَنْ تَـعِـيشَ بِـذِلَّـةٍ　　فَـلَا تَـسْـتَـعِـدَّنَّ ٱلْـحُـسَـامَ ٱلْـيَـمَـانِـيَـا
فَـمَـا يَـنْـفَـعُ ٱلْأُسْـدَ ٱلْـحَـيَـاءُ مِـنَ ٱلـطَّـوَىٰ　　وَلَا تُـتَّـقَـىٰ حَـتَّـىٰ تَـكُـونَ ضَـوَارِيَـا
فَـإِنَّ دُمُـوعَ ٱلْـعَـيْـنِ غُـدْرٌ بِـرَبِّـهَـا　　إِذَا كُـنَّ إِثْـرَ ٱلْـغَـادِرِيـنَ جَـوَارِيَـا
إِذَا ٱلْجُودُ لَمْ يُرْزَقْ خَلَاصاً مِنَ ٱلْأَذَىٰ　　فَلَا ٱلْحَمْدُ مَكْسُوباً وَلَا ٱلْمَالُ بَاقِيَا
وَلِلنَّفْسِ أَخْلَاقٌ تَدُلُّ عَلَى ٱلْفَتَىٰ　　أَكَـانَ سَـخَـاءً مَـا أَتَـىٰ أَمْ تَـسَـاخِـيَـا
خُلِقْتُ أَلُوفاً لَوْ رَحَلْتُ إِلَى ٱلصِّبَا　　لَفَارَقْتُ شَيْبِي مُوجَعَ ٱلْقَلْبِ بَاكِيَا (٢)

* *

حُسْنُ ٱلْحِضَارَةِ مَجْلُوبٌ بِتَطْرِيَةٍ　　وَفِي ٱلْبَدَاوَةِ حُسْنٌ غَيْرُ مَجْلُوبِ
فَـمَـا ٱلْـحَـدَاثَـةُ عَـنْ حِـلْـمٍ بِـمَـانِـعَـةٍ　　قَدْ يُوجَدُ ٱلْحِلْمُ فِي ٱلشُّبَّانِ وَٱلشِّيبِ (٣)

---

(١) ديوان المتنبي (ص ٣٢٨) ، والأبيات من البسيط .
(٢) ديوان المتنبي (ص ٣٣٤) ، والأبيات من الطويل .
(٣) ديوان المتنبي (ص ٣٤٠) ، وهما من البسيط .

أَبَىٰ خُلُقُ ٱلدُّنْيَا حَبِيباً تُدِيمُهُ   فَمَا طَلَبِي مِنْهَا حَبِيباً تَرُدُّهُ
وَأَسْرَعُ مَفْعُولٍ فَعَلْتَ تَغَيُّراً   تَكَلُّفُ شَيْءٍ فِي طِبَاعِكَ ضِدُّهُ
وَأَتْعَبُ خَلْقِ ٱللهِ مَنْ زَادَ هَمُّهُ   وَقَصَّرَ عَمَّا تَشْتَهِي ٱلنَّفْسُ وَجْدُهُ
فَلَا مَجْدَ فِي ٱلدُّنْيَا لِمَنْ قَلَّ مَالُهُ   وَلَا مَالَ فِي ٱلدُّنْيَا لِمَنْ قَلَّ [مَجْدُهُ]
وَفِي ٱلنَّاسِ مَنْ يَرْضَىٰ بِمَيْسُورِ عَيْشِهِ   وَمَرْكُوبُهُ رِجْلَاهُ وَٱلثَّوْبُ جِلْدُهُ
وَمَا ٱلصَّارِمُ ٱلْهِنْدِيُّ إِلَّا كَغَيْرِهِ   إِذَا لَمْ يُفَارِقْهُ ٱلنِّجَادُ وَغِمْدُهُ (١)

۞ ۞ ۞

وَمَا مَنْزِلُ ٱللَّذَّاتِ عِنْدِي بِمَنْزِلٍ   إِذَا لَمْ أُبَجَّلْ عِنْدَهُ وَأُكَرَّمِ
إِذَا سَاءَ فِعْلُ ٱلْمَرْءِ سَاءَتْ ظُنُونُهُ   وَصَدَّقَ مَا يَعْتَادُهُ مِنْ تَوَهُّمِ
أُصَادِقُ نَفْسَ ٱلْمَرْءِ مِنْ قَبْلِ جِسْمِهِ   وَأَعْرِفُهَا فِي فِعْلِهِ وَٱلتَّكَلُّمِ
وَأَحْلُمُ عَنْ خِلِّي وَأَعْلَمُ أَنَّهُ   مَتَىٰ أَجْزِهِ حِلْماً عَلَى ٱلْجَهْلِ يَنْدَمِ
وَمَا كُلُّ هَاوٍ لِلْجَمِيلِ بِفَاعِلٍ   وَلَا كُلُّ فَعَّالٍ لَهُ بِمُتَمِّمِ
وَلَمْ أَرْجُ إِلَّا أَهْلَ ذَاكَ وَمَنْ يُرِدْ   مَوَاطِرَ مِنْ غَيْرِ ٱلسَّحَائِبِ يُظْلَمِ
فَأَحْسَنُ وَجْهٍ فِي ٱلْوَرَىٰ وَجْهُ مُحْسِنٍ   وَأَيْمَنُ كَفٍّ فِي ٱلْوَرَىٰ كَفُّ مُنْعِمِ
وَأَشْرَفُهُمْ مَنْ كَانَ أَشْرَفَ هِمَّةً   خ   وَأَكْثَرَ إِقْدَاماً عَلَىٰ كُلِّ مُعْظَمِ
لِمَنْ تَطْلُبُ ٱلدُّنْيَا إِذَا لَمْ تُرِدْ بِهَا   خ   سُرُورَ مُحِبٍّ أَوْ إِسَاءَةَ مُجْرِمِ (٢)

۞ ۞ ۞

---

(١) ديوان المتنبي (ص ٣٤٢) ، والأبيات من الطويل .
(٢) ديوان المتنبي (ص ٣٤٦) ، والأبيات من الطويل .

إِنَّمَا تُنْجِحُ ٱلْمَقَالَةُ فِي ٱلْمَرْ ... ءِ إِذَا وَافَقَتْ هَوىً فِي ٱلْفُؤَادِ
قَدْ يُصِيبُ ٱلْفَتَى ٱلْمُشِيرُ وَلَمْ يَجْ ... هَدْ وَيُشْوِي ٱلصَّوَابَ بَعْدَ ٱجْتِهَادِ
وَإِذَا ٱلْحِلْمُ لَمْ يَكُنْ فِي طِبَاعٍ ... لَمْ يُحَلِّمْ تَقَدُّمُ ٱلْمِيلَادِ
وَأَطَاعَتْكَ أُسْدُ دَهْرِكَ وَٱلطَّا ... عَةُ لَيْسَتْ خَلَائِقَ ٱلْآسَادِ
وَإِذَا كَانَ فِي ٱلْأَنَابِيبِ خُلْفٌ ... وَقَعَ ٱلطَّيْشُ فِي صُدُورِ ٱلصِّعَادِ
كَيْفَ لَا يُتْرَكُ ٱلطَّرِيقُ لِسَيْلٍ ... ضَيِّقٍ عَنْ أَتِيِّهِ كُلُّ وَادِ (١)

خ

وَمَا ٱلْخَيْلُ إِلَّا كَٱلصَّدِيقِ قَلِيلَةٌ ... وَإِنْ كَثُرَتْ فِي عَيْنِ مَنْ لَا يُجَرِّبُ
إِذَا لَمْ تُشَاهِدْ غَيْرَ حُسْنِ شِيَاتِهَا ... وَلَبَّاتِهَا فَٱلْحُسْنُ عَنْكَ مُغَيَّبُ
لَحَى ٱللهُ ذِي ٱلدُّنْيَا مُنَاخاً لِرَاكِبٍ ... فَكُلُّ بَعِيدِ ٱلْهَمِّ فِيهَا مُعَذَّبُ
وَكُلُّ ٱمْرِئٍ يُولِي ٱلْجَمِيلَ مُحَبَّبٌ ... وَكُلُّ مَكَانٍ يُنْبِتُ ٱلْعِزَّ طَيِّبُ
وَلَوْ جَازَ أَنْ يَحْوُوا عُلَاكَ وَهَبْتَهَا ... وَلَٰكِنْ مِنَ ٱلْأَشْيَاءِ مَا لَيْسَ يُوهَبُ
وَأَظْلَمُ أَهْلِ ٱلظُّلْمِ مَنْ بَاتَ حَاسِداً ... لِمَنْ بَاتَ فِي نَعْمَائِهِ يَتَقَلَّبُ
وَقَدْ يَتْرُكُ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي لَا تَهَابُهُ ... وَيَخْتَرِمُ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي تَتَهَيَّبُ (٢)

فَمَا يَدُومُ سُرُورٌ مَا سُرِرْتَ بِهِ ... وَلَا يَرُدُّ عَلَيْكَ ٱلْفَائِتَ ٱلْحَزَنُ
يَا مَنْ نُعِيتُ عَلَىٰ بُعْدٍ بِمَجْلِسِهِ ... كُلٌّ بِمَا زَعَمَ ٱلنَّاعُونَ مُرْتَهَنُ

---

(١) ديوان المتنبي (ص ٣٥٠) ، والأبيات من الخفيف .

(٢) ديوان المتنبي (ص ٣٥٣) ، والأبيات من الطويل .

مَا كُلُّ مَا يَتَمَنَّى ٱلْمَرْءُ يُدْرِكُهُ ... تَجْرِي ٱلرِّيَاحُ بِمَا لَا تَشْتَهِي ٱلسُّفُنُ (١)

❁ ❁ ❁

غَيْرَ أَنَّ ٱلْفَتَىٰ يُلَاقِي ٱلْمَنَايَا ... كَالِحَاتٍ وَلَا يُلَاقِي ٱلْهَوَانَا
وَلَوَ ٱنَّ ٱلْحَيَاةَ تَبْقَىٰ لِحَيٍّ ... لَعَدَدْنَا أَضَلَّنَا ٱلشُّجْعَانَا
خ
وَإِذَا لَمْ يَكُنْ مِنَ ٱلْمَوْتِ بُدٌّ ... فَمِنَ ٱلْعَجْزِ أَنْ تَكُونَ جَبَانَا
كُلُّ مَا لَمْ يَكُنْ مِنَ ٱلصَّعْبِ فِي ٱلْأَنْـ ... ـفُسِ سَهْلٌ فِيهَا إِذَا هُوَ كَانَا (٢)

❁ ❁ ❁

فَإِنْ يَكُ إِنْسَاناً مَضَىٰ لِسَبِيلِهِ ... فَإِنَّ ٱلْمَنَايَا غَايَةُ ٱلْحَيَوَانِ (٣)

❁ ❁ ❁

قَالَ ٱلزَّمَانُ لَهُ قَوْلاً فَأَسْمَعَهُ ... إِنَّ ٱلزَّمَانَ عَلَى ٱلْإِمْسَاكِ عَذَّالُ
اَلْقَاتِلِ ٱلسَّيْفَ فِي جِسْمِ ٱلْقَتِيلِ بِهِ ... وَلِلسُّيُوفِ كَمَا لِلنَّاسِ آجَالُ
يَرُوعُهُمْ مِنْهُ دَهْرٌ صَرْفُهُ أَبَداً ... مُجَاهِرٌ وَصُرُوفُ ٱلدَّهْرِ تَغْتَالُ
لَطَّفْتَ رَأْيَكَ فِي وَصْلِي وَتَكْرِمَتِي ... إِنَّ ٱلْكَرِيمَ عَلَى ٱلْعَلْيَاءِ يَحْتَالُ
لَوْلَا ٱلْمَشَقَّةُ سَادَ ٱلنَّاسُ كُلُّهُمُ ... اَلْجُودُ يُفْقِرُ وَٱلْإِقْدَامُ قَتَّالُ
وَإِنَّمَا يَبْلُغُ ٱلْإِنْسَانُ طَاقَتَهُ ... مَا كُلُّ مَاشِيَةٍ بِٱلرَّحْلِ شِمْلَالُ
إِنَّا لَفِي زَمَنٍ تَرْكُ ٱلْقَبِيحِ بِهِ ... مِنْ أَكْثَرِ ٱلنَّاسِ إِحْسَانٌ وَإِجْمَالُ

---

(١) ديوان المتنبي (ص ٣٥٦) ، والأبيات من البسيط .
(٢) ديوان المتنبي (ص ٣٥٨) ، والأبيات من الخفيف .
(٣) ديوان المتنبي (ص ٣٥٩) ، وهو من الطويل .

ذِكْرُ ٱلْفَتَىٰ عُمْرُهُ ٱلثَّانِي وَحَاجَتُهُ   مَا فَاتَهُ وَفُضُولُ ٱلْعَيْشِ أَشْغَالُ(١)

❊

وَلَمَّا صَارَ وُدُّ ٱلنَّاسِ خِبّاً   جَزَيْتُ عَلَى ٱبْتِسَامٍ بِٱبْتِسَامِ
وَصِرْتُ أَشُكُّ فِيمَنْ أَصْطَفِيهِ   لِعِلْمِي أَنَّهُ بَعْضُ ٱلْأَنَامِ
وَآنَفُ مِنْ أَخِي لِأَبِي وَأُمِّي   إِذَا مَا لَمْ أَجِدْهُ مِنَ ٱلْكِرَامِ
أَرَى ٱلْأَجْدَادَ تَغْلِبُهَا كَثِيراً   عَلَى ٱلْأَوْلَادِ أَخْلَاقُ ٱللِّئَامِ
وَمَنْ يَجِدِ ٱلطَّرِيقَ إِلَى ٱلْمَعَالِي   فَلَا يَذَرُ ٱلْمَطِيَّ بِلَا سَنَامِ
وَلَمْ أَرَ فِي عُيُوبِ ٱلنَّاسِ شَيْئاً   كَنَقْصِ ٱلْقَادِرِينَ عَلَى ٱلتَّمَامِ
وَيَصْدُقُ وَعْدُهَا وَٱلصِّدْقُ شَيْنٌ   إِذَا أَلْقَاكَ فِي ٱلْكَرْبِ ٱلْعِظَامِ(٢)

وَلِلسِّرِّ مِنِّي مَوْضِعٌ لَا يَنَالُهُ   نَدِيمٌ وَلَا يُفْضِي إِلَيْهِ شَرَابُ
وَمَا ٱلْعِشْقُ إِلَّا غِرَّةٌ وَطَمَاعَةٌ   يُعَرِّضُ قَلْبٌ نَفْسَهُ فَيُصَابُ
وَغَيْرُ فُؤَادِي لِلْغَوَانِي رَمِيَّةٌ   وَغَيْرُ بَنَانِي لِلزُّجَاجِ رِكَابُ
خ
أَعَزُّ مَكَانٍ فِي ٱلدُّنَا ظَهْرُ سَابِحٍ   وَخَيْرُ جَلِيسٍ فِي ٱلزَّمَانِ كِتَابُ
خ
أَيَا أَسَداً فِي جِسْمِهِ رُوحُ ضَيْغَمٍ   وَكَمْ أَسَدٍ أَرْوَاحُهُنَّ كِلَابُ
وَقَدْ تُحْدِثُ ٱلْأَيَّامُ عِنْدَكَ شِيمَةً   وَتَنْعَمِرُ ٱلْأَوْقَاتُ وَهْيَ يَبَابُ
إِذَا نِلْتُ مِنْكَ ٱلْوُدَّ فَٱلْمَالُ هَيِّنٌ   وَكُلُّ ٱلَّذِي فَوْقَ ٱلتُّرَابِ تُرَابُ

---

(١) ديوان المتنبي (ص ٣٦٧) ، والأبيات من البسيط .
(٢) ديوان المتنبي (ص ٣٦٤) ، والأبيات من الوافر .

وَلَٰكِنَّكَ ٱلدُّنْيَا إِلَيَّ حَبِيبَةٌ ... فَمَا عَنْكَ لِي إِلَّا إِلَيْكَ ذَهَابُ [1]

❁ ❁ ❁

خ

لَا شَيْءَ أَقْبَحُ مِنْ فَحْلٍ لَهُ ذَكَرٌ ... تَقُودُهُ أَمَةٌ لَيْسَتْ لَهَا رَحِمُ [2]

❁ ❁ ❁

إِذَا أَتَتِ ٱلْإِسَاءَةُ مِنْ وَضِيعٍ ... وَلَمْ أَلُمِ ٱلْمُسِيءَ فَمَنْ أَلُومُ [3]

❁ ❁ ❁

خ

مَاذَا لَقِيتُ مِنَ ٱلدُّنْيَا وَأَعْجَبُهَا ... أَنِّي بِمَا أَنَا بَاكٍ مِنْهُ مَحْسُودُ

جُودُ ٱلرِّجَالِ مِنَ ٱلْأَيْدِي وَجُودُهُمُ ... مِنَ ٱللِّسَانِ فَلَا كَانُوا وَلَا ٱلْجُودُ

اَلْعَبْدُ لَيْسَ لِحُرٍّ صَالِحٍ بِأَخٍ ... لَوْ أَنَّهُ فِي ثِيَابِ ٱلْخَزِّ مَوْلُودُ

لَا [تَشْتَرِ] ٱلْعَبْدَ إِلَّا وَٱلْعَصَا مَعَهُ ... إِنَّ ٱلْعَبِيدَ لَأَنْجَاسٌ مَنَاكِيدُ

إِنَّ ٱمْرَأً أَمَةٌ حُبْلَىٰ تُدَبِّرُهُ ... لَمُسْتَضَامٌ سَخِينُ ٱلْعَيْنِ مَفْؤُودُ

خ

مَنْ عَلَّمَ ٱلْأَسْوَدَ ٱلْمَخْصِيَّ مَكْرُمَةً ... أَقَوْمُهُ ٱلْبِيضُ أَمْ آبَاؤُهُ ٱلصِّيدُ

خ

أَمْ أُذْنُهُ فِي يَدِ ٱلنَّخَّاسِ دَامِيَةٌ ... أَمْ قَدْرُهُ وَهْوَ بِٱلْفَلْسَيْنِ مَرْدُودُ

خ

وَذَاكَ أَنَّ ٱلْفُحُولَ ٱلْبِيضَ عَاجِزَةٌ ... عَنِ ٱلْجَمِيلِ فَكَيْفَ ٱلْخِصْيَةُ ٱلسُّودُ [4]

❁

(١) ديوان المتنبي (ص ٣٦١) ، والأبيات من الطويل .

(٢) انظر « معجز أحمد » (١٦٠/٤) ، وهو من البسيط .

(٣) ديوان المتنبي (ص ٣٧٩) ، وهو من الوافر .

(٤) ديوان المتنبي (ص ٣٨١) ، ومعجز أحمد (١٧٤/٤) ، والأبيات من البسيط .

وَمَـا كُـلُّ مَــنْ قَــالَ قَــوْلاً وَفَــىٰ … وَمَـا كُـلُّ مَـنْ سِـيمَ خَـسْـفـاً أَبَـىٰ

وَلَا بُــدَّ لِــلْــقَــلْــبِ مِــنْ آلَــةٍ … وَرَأْيٍ يُـصَـدِّعُ صُـمَّ ٱلـصَّـفَـا

وَكُــلُّ طَــرِيــقٍ أَتَــاهُ ٱلْـفَـتَـىٰ … عَـلَـىٰ قَـدَرِ ٱلـرِّجْـلِ فِـيـهِ ٱلْـخُـطَـا

لَقَدْ كُنْتُ أَحْسَبُ قَبْلَ ٱلْخَصِيِّ … خ … أَنَّ ٱلــرُّؤُوسَ مَـحَـلُّ ٱلـنُّـهَـىٰ

فَـلَـمَّـا نَـظَـرْتُ إِلَـىٰ عَـقْـلِـهِ … خ … رَأَيْتُ ٱلنُّهَىٰ كُلَّهَا فِي ٱلْخُصَىٰ

وَمَــنْ جَـهِـلَـتْ نَـفْـسُـهُ قَـدْرَهُ … رَأَىٰ غَـيْـرُهُ مِـنْـهُ مَـا لَا يَـرَىٰ (١)

اَلْـحُـزْنُ يُـقْـلِـقُ وَٱلـتَّـجَـمُّـلُ يَـرْدَعُ … وَٱلـدَّمْـعُ بَـيْـنَـهُـمَـا عَـصِـيٌّ طَـيِّـعُ

إِنِّـي لَأَجْـبُـنُ مِـنْ فِـرَاقِ أَحِـبَّـتِـي … خ … وَتُـحِسُّ نَـفْـسِـي بِـٱلْـحِـمَامِ فَأَشْجُعُ

وَيَـزِيـدُنِـي غَـضَـبُ ٱلْأَعَـادِي قَـسْـوَةً … خ … وَيُـلِـمُّ بِـي عَـتْـبُ ٱلـصَّـدِيـقِ فَـأَجْـزَعُ

تَـصْـفُـو ٱلْـحَـيَـاةُ لِـجَـاهِـلٍ أَوْ غَـافِـلٍ … عَـمَّـا مَـضَـىٰ مِـنْـهَـا وَمَـا يُـتَـوَقَّـعُ

وَلِـمَـنْ يُـغَـالِـطُ فِـي ٱلْـحَـقِـيـقَـةِ نَـفْـسَـهُ … وَيَـسُـومُـهَـا طَـلَـبَ ٱلْـمُـحَـالِ فَـتَـطْـمَـعُ

وَإِذَا حَـصَـلْـتَ مِـنَ ٱلـسِّـلَاحِ عَـلَـى ٱلْـبُـكَـا … فَـحَـشَـاكَ رُعْـتَ بِـهِ وَخَـدَّكَ تَـقْـرَعُ

أَيْـنَ ٱلَّـذِي ٱلْـهَـرَمَـانِ مِـنْ بُـنْـيَـانِـهِ … مَـا قَـوْمُـهُ مَـا يَـوْمُـهُ مَـا ٱلْـمَـصْـرَعُ

تَـتَـخَـلَّـفُ ٱلْآثَـارُ عَـنْ أَصْـحَـابِـهَـا … حِـيـنـاً وَيُـدْرِكُـهَـا ٱلْـفَـنَـاءُ فَـتَـتْـبَـعُ (٢)

* *

(١) ديوان المتنبي (ص ٣٨٤) ، ومعجز أحمد (١٩٨/٤) ، والأبيات من المتقارب .

(٢) ديوان المتنبي (ص ٣٧٠) ، والأبيات من الكامل .

تُسَوِّدُ ٱلشَّمْسُ مِنَّا بِيضَ أَوْجُهِنَا ... وَلَا تُسَوِّدُ بِيضَ ٱلْعُذْرِ وَٱللِّمَمِ
وَكَانَ حَالُهُمَا فِي ٱلْحُكْمِ وَاحِدَةً ... لَوِ ٱحْتَكَمْنَا مِنَ ٱلدُّنْيَا إِلَىٰ حَكَمِ
خ
حَتَّىٰ رَجَعْتُ وَأَقْلَامِي قَوَائِلُ لِي ... اَلْمَجْدُ لِلسَّيْفِ لَيْسَ ٱلْمَجْدُ لِلْقَلَمِ
وَلَمْ تَزَلْ قِلَّةُ ٱلْإِنْصَافِ قَاطِعَةً ... بَيْنَ ٱلْأَنَامِ وَلَوْ كَانُوا ذَوِي رَحِمِ
هَوِّنْ عَلَىٰ بَصَرٍ مَا شَقَّ مَنْظَرُهُ ... فَإِنَّمَا يَقَظَاتُ ٱلْعَيْنِ كَٱلْحُلُمِ
وَلَا تَشَكَّ إِلَىٰ خَلْقٍ فَتُشْمِتَهُ ... شَكْوَى ٱلْجَرِيحِ إِلَى ٱلْعُقْبَانِ وَٱلرَّخَمِ
وَكُنْ عَلَىٰ حَذَرٍ لِلنَّاسِ تَسْتُرُهُ ... وَلَا يَغُرَّكَ مِنْهُمْ ثَغْرُ مُبْتَسِمِ
غَاضَ ٱلْوَفَاءُ فَمَا تَلْقَاهُ فِي عِدَةٍ ... وَأَعْوَزَ ٱلصِّدْقُ فِي ٱلْإِخْبَارِ وَٱلْقَسَمِ (١)

❊

ذَرِينِي أَنَلْ مَا لَا يُنَالُ مِنَ ٱلْعُلَا ... فَصَعْبُ ٱلْعُلَا فِي ٱلصَّعْبِ وَٱلسَّهْلُ فِي ٱلسَّهْلِ
تُرِيدِينَ لُقْيَانَ ٱلْمَعَالِي رَخِيصَةً ... وَلَا بُدَّ دُونَ ٱلشَّهْدِ مِنْ إِبَرِ ٱلنَّحْلِ
وَلَيْسَ ٱلَّذِي يَتَّبَّعُ ٱلْوَبْلَ رَائِداً ... كَمَنْ جَاءَهُ فِي دَارِهِ رَائِدُ ٱلْوَبْلِ
وَمَا أَنَا مِمَّنْ يَدَّعِي ٱلشَّوْقَ قَلْبُهُ ... وَيَحْتَجُّ فِي تَرْكِ ٱلزِّيَارَةِ بِٱلشُّغْلِ (٢)

❊ ❊

إِنَّ فِي ٱلْمَوْجِ لِلْغَرِيقِ لَعُذْراً ... وَاضِحاً أَنْ يَفُوتَهُ تَعْدَادُهُ
مَا سَمِعْنَا بِمَنْ أَحَبَّ ٱلْعَطَايَا ... وَٱشْتَهَىٰ أَنْ يَكُونَ فِيهَا فُؤَادُهُ (٣)

❊

---

(١) ديوان المتنبي (ص ٣٧٣) ، والأبيات من البسيط .
(٢) ديوان المتنبي (ص ٣٨٨) ، ومعجز أحمد (٤/٢٦٨) ، والأبيات من الطويل .
(٣) ديوان المتنبي (ص ٣٩٦) ، والبيتان من الخفيف .

وَغَيْظٌ عَلَى ٱلْأَيَّامِ كَٱلنَّارِ فِي ٱلْحَشَا   خ   وَلَـٰكِنَّهُ غَـيْـظُ ٱلْأَسِيـرِ عَـلَى ٱلْـقِـدِّ
وَلَيْسَ حَيَاءُ ٱلْوَجْهِ فِي ٱلذِّئْبِ شِيمَةً   خ   وَلَـٰكِنَّهُ مِـنْ شِـيـمَـةِ ٱلْأَسَـدِ ٱلْـوَرْدِ [1]

لَـوْ أَفْـكَـرَ ٱلْـعَـاشِـقُ فِـي مُـنْـتَـهَـىٰ   حُـسْـنِ ٱلَّـذِي يَـسْـبِـيـهِ لَـمْ يَـسْـبِـهِ [2]

هـٰذهِ أكثرُ أمثالِ شعرِ أبي الطيبِ المتنبي ، وكانَ للناسِ بها وَلَعٌ عظيمٌ ؛ لِمَا وجدوهُ مِنْ نفعِها في تحليةِ رسائلِهِم المُنشأَةِ في مُختلِفاتِ أغراضِهِم ، وتفصيلِ أحاديثِهِم في مجالسِهِم ، كما قالَ أبو منصورٍ الثعالبيُّ في كتابِهِ المُلقَّبِ « يتيمةَ الدَّهرِ في محاسنِ أهلِ العصرِ » عندَ ترجمةِ المتنبي : (ليسَ اليومَ مجالسُ الدرسِ أعمرَ بشعرِ أبي الطيبِ مِنْ مجالسِ الأنسِ ، ولا أقلامُ كُتَّابِ الرسائلِ أجرىٰ بهِ مِنْ ألسنِ الخُطباءِ في المحافلِ ، ولا لحونُ القوَّالينَ والمُغنِّينَ أشغلَ بهِ مِنْ كتبِ المُؤلِّفينَ والمُصنِّفينَ) انتهىٰ [3] .

[أمثالٌ لشعراءَ آخرينَ]

ولطرفةَ بنِ العبدِ [4] :   [من الطويل]

وَأَعْـلَـمُ عِـلْـمـاً لَـيْـسَ بِـٱلـظَّـنِّ أَنَّـهُ   إِذَا ذَلَّ مَـوْلَى ٱلْـقَـوْمِ فَـهْـوَ ذَلِـيـلُ
وَإِنَّ لِـسَـانَ ٱلْـمَـرْءِ مَـا لَـمْ تَـكُـنْ لَـهُ   حَـصَـاةٌ عَـلَـىٰ عَـوْرَاتِـهِ لَـدَلِـيـلُ

(١) ديوان المتنبي (ص ٣٩٨) ، وهما من الطويل .
(٢) ديوان المتنبي (ص ٤١٧) ، وهو من السريع .
(٣) يتيمة الدهر (١/١٤٠) .
(٤) انظر « ديوان طرفة بن العبد » (ص ٨٤ ـ ٨٥) .

ولـجـريـرِ بـنِ عـبـدِ الـمـسيـحِ الـمُـلـقَّـبِ بـالـمُـتـلـمِّـسِ مِـنْ شـعـراءِ الجاهليَّةِ (١) : [من الوافر]

قَلِيلُ ٱلْمَالِ تُصْلِحُهُ فَيَبْقَىٰ وَلَا يَبْقَى ٱلْكَثِيرُ مَعَ ٱلْفَسَادِ
وَحِفْظُ ٱلْمَالِ خَيْرٌ مِنْ فَنَاهُ وَجَوْلٍ فِي ٱلْبِلَادِ بِغَيْرِ زَادِ

وللبيدٍ (٢) : [من الرمل]

اِكْذِبِ ٱلنَّفْسَ إِذَا حَدَّثْتَهَا إِنَّ صِدْقَ ٱلنَّفْسِ يُزْرِي بِٱلْأَمَلْ
وَإِذَا رُمْتَ رَحِيلاً فَٱرْتَحِلْ وَٱعْصِ مَا يَأْمُرُ تَوْصِيمُ ٱلْكَسَلْ

ولكعبِ بنِ زهيرٍ (٣) : [من الطويل]

إِذَا أَنْتَ لَمْ تُعْرِضْ عَنِ ٱلْجَهْلِ وَٱلْخَنَا أَصَبْتَ حَلِيماً أَوْ أَصَابَكَ جَاهِلُ

ولحسانِ بنِ ثابتٍ رضيَ اللهُ عنهُ (٤) : [من الخفيف]

رُبَّ حِلْمٍ أَضَاعَهُ عَدَمُ ٱلْمَا لِ وَجَهْلٍ غَطَّىٰ عَلَيْهِ ٱلنَّعِيمُ
مَا أُبَالِي أَنَبَّ بِٱلْحُزْنِ تَيْسٌ أَمْ لَحَانِي بِظَهْرِ غَيْبٍ لَئِيمُ

وللنجاشيِّ الحارثيِّ (٥) : [من البسيط]

إِنِّي ٱمْرُؤٌ قَلَّمَا أُثْنِي عَلَىٰ أَحَدٍ حَتَّىٰ أَرَىٰ بَعْضَ مَا يَأْتِي وَمَا يَذَرُ
لَا تَمْدَحَنَّ ٱمْرَأً حَتَّىٰ تُجَرِّبَهُ وَلَا تَذُمَّنَّ مَنْ لَمْ [يَبْلُهُ] ٱلْخَبَرُ

---

(١) انظر « ديوان المتلمّس الضبعي » (ص ١٧٢ ـ ١٧٣) .
(٢) انظر « ديوان لبيد » رضي الله عنه (ص ١٨٠) .
(٣) انظر « ديوان كعب بن زهير » رضي الله عنه (ص ٢٥٧) .
(٤) انظر « ديوان حسان بن ثابت » رضي الله عنه (١/ ٤٠) .
(٥) انظر « أنوار الربيع » (٢/ ٨١) .

وللكميتِ بنِ زيدٍ [١] : [من الطويل]

فَيَا مُوقِداً نَاراً لِغَيْرِكَ ضَوْءُهَا وَيَا حَاطِباً فِي غَيْرِ حَبْلِكَ تَحْطِبُ

ولهُ أيضاً [٢] : [من الطويل]

إِذَا لَمْ يَكُنْ غَيْرُ ٱلْأَسِنَّةِ مَرْكَباً فَلَا رَأْيَ لِلْمُضْطَرِّ إِلَّا رُكُوبُهَا

ولعديِّ بنِ الرقاعِ العامليِّ [٣] : [من الكامل]

وَإِذَا نَظَرْتُ إِلَىٰ أَمِيرِي زَادَنِي ضَنّاً بِهِ نَظَرِي إِلَى ٱلْأُمَرَاءِ

وَٱلْقَوْمُ أَشْبَاهٌ وَبَيْنَ حُلُومِهِمْ بَوْنٌ كَذَاكَ تَفَاضُلُ ٱلْأَشْيَاءِ

بَلْ مَا رَأَيْتُ جِبَالَ أَرْضٍ تَسْتَوِي فِيمَا غَشِيتُ وَلَا نُجُومَ سَمَاءِ

وَٱلْبَرْقُ مِنْهُ وَابِلٌ مُتَتَابِعٌ جَوْدٌ وَآخَرُ لَا يَجُودُ بِمَاءِ

ولكُثَيِّرِ عَزَّةَ [٤] : [من الطويل]

وَمَنْ لَا يُغَمِّضْ عَيْنَهُ عَنْ صَدِيقِهِ وَعَنْ بَعْضِ مَا فِيهِ يَمُتْ وَهْوَ عَاتِبُ

وَمَنْ يَتَتَبَّعْ جَاهِداً كُلَّ عَثْرَةٍ يَجِدْهَا وَلَا يَسْلَمْ لَهُ ٱلدَّهْرَ صَاحِبُ

ولإبراهيمَ الصُّوليِّ [٥] : [من البسيط]

أَوْلَى ٱلْبَرِيَّةِ طُرّاً أَنْ تُوَاسِيَهُ عِنْدَ ٱلسُّرُورِ ٱلَّذِي وَافَاكَ فِي ٱلْحَزَنِ

إِنَّ ٱلْكِرَامَ إِذَا مَا أَسْهَلُوا ذَكَرُوا مَنْ كَانَ يَأْلَفُهُمْ فِي ٱلْمَنْزِلِ ٱلْخَشِنِ

---

(١) انظر « ديوان الكميت بن زيد الأسدي » (ص ٥٣٥) .

(٢) انظر « أنوار الربيع » (ص ٢/٩٢) .

(٣) انظر « أنوار الربيع » (٢/٩٢) .

(٤) انظر « ديوان كثير عزة » (ص ١٥٤) .

(٥) انظر « الطرائف الأدبية » (ص ١٧٧) المشتمل علىٰ « ديوان الصولي » ومختارات أخرىٰ ، وانظر « وفيات الأعيان » (١/٤٦) .

يُحكىٰ : أنَّ تاجراً كانَ لهُ مملوكٌ نبيهٌ ، وكانَ معَهُ في سعةٍ مِنَ العيشِ ، فلم تزلْ بهِ الأيامُ حتى افتقرَ ، فعَرَضَ عليهِ ذٰلكَ المملوكُ أن يَبيعَهُ ويَنتفِعَ بثمنِهِ ، فبعدَ طولِ امتناعٍ مِنْ ذٰلكَ . . لم يجدْ بُدّاً منهُ .

ثمَّ إنَّهُ بعدَ حينٍ مِنَ الزمانِ رجعَ إلى المدينةِ التي باعَ فيها ذٰلكَ المملوكَ ، فوجدَهُ قدِ ارتقَتْ بهِ الأحوالُ حتىٰ صارَ أميراً كبيراً ، ولم يَتمكَّنْ مِنْ لقائِهِ ، فكتبَ لهُ بيتَينِ وهُما : [من البسيط]

كُنَّا جَمِيعَيْنِ فِي بُؤْسٍ نُكَابِدُهُ وَٱلْقَلْبُ وَٱلطَّرْفُ مِنَّا فِي أَذىً وَقَذَىٰ
وَٱلْآنَ أَقْبَلَتِ ٱلدُّنْيَا عَلَيْكَ بِمَا تَهْوَىٰ فَلَا تَنْسَنِي إِنَّ ٱلْكِرَامَ إِذَا

ولعليِّ بنِ الجهمِ (١) : [من الطويل]

هِيَ ٱلنَّفْسُ مَا حَمَّلْتَهَا تَتَحَمَّلُ وَلِلدَّهْرِ أَيَّامٌ تَجُورُ وَتَعْدِلُ
وَعَاقِبَةُ ٱلصَّبْرِ ٱلْجَمِيلِ جَمِيلَةٌ وَأَفْضَلُ أَخْلَاقِ ٱلرِّجَالِ ٱلتَّفَضُّلُ
وَلَا عَارَ أَنْ زَلَّتْ عَنِ ٱلْحُرِّ نِعْمَةٌ وَلَٰكِنَّ عَاراً أَنْ يَزُولَ ٱلتَّجَمُّلُ

ولابنِ شبلٍ البغداديِّ (٢) : [من الخفيف]

صِحَّةُ ٱلْمَرْءِ لِلسَّقَامِ طَرِيقٌ وَطَرِيقُ ٱلْفَنَاءِ هَٰذَا ٱلْبَقَاءُ
بِٱلَّذِي نَغْتَذِي نَمُوتُ وَنَحْيَا أَقْتَلُ ٱلدَّاءِ لِلنُّفُوسِ ٱلدَّوَاءُ
مَا لَقِينَا مِنْ غَدْرِ دُنْيَا فَلَا كَا نَتْ وَلَا كَانَ أَخْذُهَا وَٱلْعَطَاءُ
رَاجِعٌ جُودُهَا إِلَيْهَا فَمَهْمَا يَهَبِ ٱلصُّبْحُ يَسْتَرِدَّ ٱلْمَسَاءُ
صَلَفٌ تَحْتَ رَاعِدٍ وَشَرَابٌ كَرَعَتْ فِيهِ مُومِسٌ خَرْقَاءُ

---

(١) تقدم (١/٣٣٤) .

(٢) انظر « معجم الأدباء » (٤/٢٣) ، و« مختصر شرح لامية العجم » للدميري (ص ٢٣٠) .

لَيْتَ شِعْرِي حُلْماً تَغُرُّ بِهِ ٱلْأَيَّـ ـامُ أَمْ لَيْسَ تُعْقَلُ ٱلْأَشْيَاءُ

مِنْ فَسَادٍ يَكُونُ فِي عَالَمِ ٱلْكَوْ نِ فَمَا لِلنُّفُوسِ مِنْهُ ٱتِّقَاءُ

وَقَلِيلاً مَا تَصْحَبُ ٱلْمُهْجَةُ ٱلْجِسْـ ـمَ فَفِيمَ ٱلشَّقَا وَفِيمَ ٱلْعَنَاءُ

قَبَّحَ ٱللهُ لَذَّةً لِشَقَانَا نَالَهَا ٱلْأُمَّهَاتُ وَٱلْآبَاءُ

نَحْنُ لَوْلَا ٱلْوُجُودُ لَمْ نَأْلَمِ ٱلْفَقْـ ـدَ فَإِيجَادُنَا عَلَيْنَا بَلَاءُ

وفي هٰذا القَدْرِ كفايةٌ ، وطالبُ الأدبِ لا يهدأُ مِنَ الاطِّلاعِ والبحثِ في كلامِ أسلافِهِ ؛ حتىٰ يصيرَ هلالُهُ بدراً ، وهنالِكَ يَكمُلُ جمالُهُ ، ويَعُمُّ الناسَ فضلُهُ وأفضالُهُ .

* * *

التخييرُ

تقفيةُ البيتِ بأمكنِ قوافٍ ممكنةٍ أن تُتمِّمَ البيتَ دونَ خَلَلٍ ؛ كقولِ الحريريِّ[1] : [من البسيط]

إِنَّ ٱلْغَرِيبَ ٱلطَّوِيلَ ٱلذَّيْلِ مُمْتَهَنٌ … فَكَيْفَ حَالُ غَرِيبٍ مَا لَهُ قُوتُ

يمكنُ أن يَتِمَّ البيتُ : ما لهُ مالٌ ، أو نَشَبٌ ، ولٰكنْ : ما لهُ قُوتٌ . . أمكنُ ؛ رعايةً لغَرَضِ الشَّكوىٰ وصفةِ الفاقةِ .

والمشهورُ في التمثيلِ لهٰذا النوعِ قولُ عبدِ السلامِ الحمصيّ المعروفِ بديكِ الجنِّ[2] : [من مجزوء الكامل]

قُولِي لِطَيْفِكِ يَنْثَنِي … عَنْ مَضْجَعِي عِنْدَ ٱلْمَنَامْ
عِنْدَ ٱلرُّقَادْ عِنْدَ ٱلْهُجُوعْ … عِنْدَ ٱلْهُجُودْ عِنْدَ ٱلْوَسَنْ
فَعَسَىٰ أَنَامُ فَتَنْطَفِي … نَارٌ تَأَجَّجُ فِي ٱلْعِظَامْ
فِي ٱلْفُؤَادْ فِي ٱلضُّلُوعْ … فِي ٱلْكُبُودْ فِي ٱلْبَدَنْ
جَسَدٌ تُقَلِّبُهُ ٱلْأَكُفُّ … عَلَىٰ فِرَاشٍ مِنْ سَقَامْ
مِنْ قَتَادْ مِنْ دُمُوعْ … مِنْ وُقُودْ مِنْ حَزَنْ
أَمَّا أَنَا فَكَمَا عَلِمْـ … ـتِ فَهَلْ لِوَصْلِكِ مِنْ دَوَامْ
مِنْ مَعَادْ مِنْ رُجُوعْ … مِنْ وُجُودْ مِنْ ثَمَنْ

❋ ❋ ❋

---

(١) انظر « مقامات الحريري » (ص ٣٨١) .

(٢) انظر « ديوان ديك الجن الحمصي » (ص ٢٠٤) .

النزاهةُ

البعدُ عمَّا تَنفِرُ منهُ النفوسُ ، وأرادَ بهِ أهلُ البديعِ : أن يَسلَمَ شعرُ الهِجاءِ مِنَ الإفحاشِ ، والأحسنُ : أن تُفسَّرَ بسلامةِ الكلامِ في أيِّ معنىً كانَ مِنَ الألفاظِ المُستكرَهةِ .

قالَ أبو عمرِو بنُ العلاءِ : (خيرُ الهِجاءِ : ما تُنشَدُهُ العذراءُ في خِدرِها فلا تستحي منهُ)(1) ، واستشهدوا لذلكَ بقولِ أوسٍ(2) : [من الطويل]

إِذَا نَاقَةٌ شُدَّتْ بِرَحْلٍ وَنُمْرُقٍ … إِلَىٰ حَسَنٍ بَعْدِي فَضَلَّ ضَلَالُهَا

وقولِ جريرٍ(3) : [من الوافر]

فَغُضَّ ٱلطَّرْفَ إِنَّكَ مِنْ نُمَيْرٍ … فَلَا كَعْباً بَلَغْتَ وَلَا كِلَابَا

[أقسامُ الهجاءِ]

وقالَ ابنُ بسَّامٍ في « الذَّخيرةِ » ـ وكانَ عفا اللهُ عنهُ هَجَّاءً ـ : (الهِجاءُ ينقسمُ قسمَينِ :

فقسمٌ يُسمُّونَهُ هِجاءَ الأشرافِ ؛ وهوَ ما لم يبلغْ أن يكونَ سِباباً مُقذِعاً ، وهجواً مُستبشَعاً ؛ وهوَ طأطأَ قديماً مِنَ الأوائلِ ، وثَلَّ عُروشَ القبائلِ ، إنَّما هوَ توبيخٌ وتعييرٌ ، وتقديمٌ وتأخيرٌ .

والقسمُ الثاني أكثرَ منهُ جريرٌ وطبقتُهُ ، وتبعَهُ الناسُ فيهِ بعدُ ، وكانَ يقولُ :

---

(1) انظر « أنوار الربيع » (٢/١٥٩) .

(2) انظر « ديوان أوس بن حجر » (ص ١٠٠) .

(3) تقدم (١/٦٧) .

إذا هجوتُم . . فأضحكوا ، وهـٰذا النوعُ لمْ يَهدِمْ قطُّ بيتاً ، ولا عُيِّرَتْ بهِ قبيلةٌ) انتهىٰ[1] .

مثالُ الأوَّلِ : قولُ الحطيئةِ[2] : [من البسيط]

دَعِ ٱلْـمَـكَـارِمَ لَا تَـرْحَـلْ لِبُـغْـيَـتِـهَـا وَٱقْعُدْ فَإِنَّكَ أَنْتَ ٱلطَّاعِمُ ٱلْكَاسِي

ومثالُ الثاني : قولُ جريرٍ[3] : [من الكامل]

وَٱلـتَّـغْـلِـبِـيُّ إِذَا تَـنَـحْـنَـحَ لِـلْـقِـرَىٰ حَـكَّ ٱسْـتَـهُ وَتَـمَـثَّـلَ ٱلْأَمْـثَـالَا

ولجريرٍ مِنَ القسمَينِ[4] : [من الوافر]

وَيُقْـضَى ٱلْأَمْـرُ حِيـنَ تَـغِيـبُ تَـيْمٌ وَلَا يُـسْـتَـأْمَـرُونَ وَهُـمْ شُـهُـودُ
وَإِنَّـكَ إِنْ لَـقِـيـتَ عَـبِـيـدَ تَـيْـمٍ وَتَـيْـمـاً قُـلْـتَ أَيُّـهُـمُ ٱلْـعَـبِـيـدُ

وذمَّ أعرابيٌّ قوماً فقالَ : هُم أقلُّ الناسِ ذُنوباً إلىٰ أعدائِهِم ، وأكثرُهُم جُرْماً إلىٰ أصدقائِهِم ، يصومونَ عنِ المعروفِ ، ويُفطِرونَ على المُنكَرِ ، ألسنةٌ مملوءةٌ بالوعدِ ، وقلوبٌ خَرِبةٌ مِنَ المجدِ .

❋ ❋ ❋

---

(١) الذخيرة في محاسن الجزيرة (٤٢٠/١) ، وانظر « أنوار الربيع » (١٦٢/٢) .
(٢) تقدم (٦٥/١ ـ ٦٦) .
(٣) انظر « ديوان جرير » (٥٢/١) .
(٤) انظر « ديوان جرير » (٣٣٢/١) .

التهكُّمُ والهزلُ الذي يُرادُ بهِ الجِدُّ

هٰذانِ النوعانِ متشابهانِ ، والفرقُ بينَهُما : أنَّ الأوَّلَ ظاهرُهُ الجِدُّ ، وباطنُهُ الاستهزاءُ ، والثانيَ عكسُهُ .

فمِنَ الأوَّلِ : مثلُ قولِهِ تعالىٰ : ﴿ لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٞ مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِ ﴾[1] .

وقولِهِ : ﴿ ذُقۡ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡكَرِيمُ ﴾[2] .

وقولِهِ : ﴿ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾[3] .

وحاصلُ تعريفِهِ : أنَّهُ ذكرُ الألفاظِ الدالَّةِ علىٰ ما يلائمُ النفوسَ ؛ مِنَ الإجلالِ والتعظيمِ والتبشيرِ والتهنئةِ علىٰ سبيلِ السُّخريةِ ، مدلولاً علىٰ ذٰلكَ بقرينةٍ .

ومِنَ الثاني : مثلُ قولِهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ علىٰ سبيلِ المُداعبةِ ـ وكان صلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ يداعبُ ؛ أي : يمازحُ ولا يقولُ إلَّا حقّاً ـ لعجوزٍ : « إِنَّهُ لَنْ يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ عَجُوزٌ » ، فضاقَتْ لذٰلكَ ، فتبسَّمَ عليهِ الصلاةُ والسلامُ وأخبرَها أنَّ المرادَ كونُ أهلِ الجنَّةِ يدخلونَها شباباً[4] .

وقدِ اشتملَ علىٰ ما يصلحُ للنوعَينِ شعرُ أبي نواسٍ حينَ حبسَهُ الفضلُ بنُ الربيعِ يستتيبُهُ[5] ؛ وهوَ : [من الخفيف]

أَنْتَ يَا بْنَ ٱلرَّبِيعِ عَلَّمْتَنِي ٱلْخَيْـ ... ـرَ وَعَوَّدْتَنِيهِ وَٱلْخَيْرُ عَادَهْ

---

(١) سورة الرعد : (١١) .

(٢) سورة الدخان : (٤٩) .

(٣) سورة آل عمران : (٢١) .

(٤) أخرجه الترمذي في « الشمائل » (٢٤٦) عن الحسن رحمه الله تعالىٰ مرسلاً .

(٥) ديوان أبي نواس (ص ٢٦٢ ـ ٢٦٣) .

فَٱرْعَوَىٰ بَاطِلِي وَرَاجَعَنِي ٱلْحِلْـ ـمُ وَأَحْدَثْتُ تَوْبَةً وَزَهَادَهْ

مِنْ خُشُوعٍ أَزِينُهُ بِنُحُولٍ وَٱصْفِرَارٍ مِثْلِ ٱصْفِرَارِ ٱلْجَرَادَهْ

اَلتَّسَابِيحُ فِي ذِرَاعِيَ وَٱلْمُصْـ ـحَفُ فِي لَبَّتِي مَكَانَ ٱلْقِلَادَهْ

فَٱدْعُ بِي لَا عَدِمْتَ تَقْوِيمَ مِثْلِي وَتَأَمَّلْ بِعَيْنِكَ ٱلسَّجَّادَهْ

تَرَ أَثْراً مِنَ ٱلصَّلَاةِ بِوَجْهِي تُوقِنُ ٱلنَّفْسُ أَنَّهُ مِنْ عِبَادَهْ

لَوْ رَآهَا بَعْضُ ٱلْمُرَائِينَ يَوْماً لَٱشْتَرَاهَا يُعِدُّهَا لِلشَّهَادَهْ

وَلَقَدْ طَالَ مَا أَبَيْتُ وَلَٰكِنْ أَدْرَكَتْنِي عَلَىٰ يَدَيْكَ ٱلسَّعَادَهْ

❋ ❋ ❋

القولُ بالمُوجَبِ

هوَ نوعانِ : أحدُهُما : أن يقعَ في كلامِ أحدٍ إثباتُ صفةٍ لشيءٍ ، وترتيبُ حكمٍ عليها ، فيَنقلَ السامعُ تلكَ الصفةَ إلىٰ غيرِ ذٰلكَ الشيءِ ساكتاً عنِ الحكمِ ؛ كقولِهِ تعالىٰ : ﴿ يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ ۚ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (١) .

أثبتَ المنافقونَ لأنفسِهِم صفةَ الأعزيَّةِ ، وللمؤمنينَ صفةَ الأذلِّيَّةِ ، ورتَّبُوا علىٰ ذٰلكَ الإخراجَ مِنَ المدينةِ ، فنُقِلَتْ صفةُ العِزِّ للمؤمنينَ ، وأُبقِيَتْ للمنافقينَ صفةُ الذُّلِّ .

وثانيهِما : أن يُثبِتَ المُتكلِّمُ أمراً ، فيُوافِقَهُ المُخاطَبُ ، ولٰكنْ يَصرِفُهُ إلىٰ غيرِ مقصودِهِ ؛ كقولِهِ تعالىٰ : ﴿ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ ۚ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ ﴾ (٢) .

يُقالُ : فلانٌ أُذُنٌ ؛ أي : يَسمعُ كلَّ ما يُقالُ ، ويَعملُ علىٰ مُوجَبِهِ دونَ فكرٍ ورَويَّةٍ وتمييزِ المقبولِ مِنْ غيرِهِ ، فوافقَهُم في إثباتِ أنَّهُ أُذُنٌ ، وصرفَهُ عنْ مقصودِهِم ؛ أي : هوَ أُذُنٌ لٰكنْ ليسَ أُذُنَ سَوءٍ كما قصدتُم ، بل هوَ أُذُنُ خيرٍ .

ومِنْ شواهدِهِ : قولُ بعضِهِم (٣) : [من المجتث]

لَقَّنْتُهُ ٱلْعُذْرَ عَنْ تَرْ ... كِ حَاجَتِي لَوْ تَصَوَّرْ

فَقُلْتُ أُنْسِيتَهَا وَٱلنِّـ ... ـسْيَانُ أَمْرٌ مُقَدَّرْ

---

(١) سورة المنافقون : (٨) .

(٢) سورة التوبة : (٦١) .

(٣) انظر « معاهد التنصيص » (٣/١٨٣) ، وعزى الأبيات للسراج الوراق .

فَــقَـــالَ لَـــسْـــتُ بِـــنَـــاسٍ   فَـــقُـــلْـــتُ مَـــوْلَايَ أَخْـــبَـــرْ

[الأسلوبُ الحكيمُ]

وقولُ آخَرَ (١) :   [من الخفيف]

قُلْتُ لِلْأَهْيَفِ ٱلَّذِي فَضَحَ ٱلْغُصْـ   ـنَ كَـلَامُ ٱلْـوُشَـاةِ مَـا يَـنْـبَـغِـي لَـكْ

قَـالَ قَـوْلُ ٱلْـوُشَـاةِ عِـنْـدِيَ رِيـحٌ   قُلْتُ أَخْشَىٰ يَا غُصْنُ أَنْ يَسْتَمِيلَكْ

وهـٰذا النوعُ إذا كانَ الغرضُ منهُ التنبيهَ علىٰ ما هوَ الأَولىٰ والأليقُ . . سُمِّيَ : الأسلوبَ الحكيمَ .

* * *

(١) انظر « معاهد التنصيص » (١٨٣/٣) .

التسليمُ

هـوَ أن تنفيَ شيئاً ، ثـمَّ تَفـرِضَ ثبـوتَـهُ ، وتُبـيِّـنَ أنَّـهُ لا فـائـدةَ فيـهِ ؛ كقولِهِ[1] : [من الطويل]

إِذَا أَنَـا عَـاتَـبْـتُ ٱلْـمَـلُـولَ فَـإِنَّـمَـا ... أَخُـطُّ بِـأَقْلَامِـي عَلَـى ٱلْـمَـاءِ أَحْـرُفَـا

وَهَبْهُ ٱرْعَوَىٰ بَعْدَ ٱلْعِتَابِ أَلَـمْ تَكُنْ ... مَـوَدَّتُـهُ طَـبْـعـاً فَـصَـارَتْ تَـكَـلُّـفَـا

فـإنَّ معناهُ : أنَّ المَلولَ النافرَ عنِ المودَّةِ لا يَعطِفُهُ العِتابُ إليها ، ولو عطفَهُ . . لم يكنْ مفيداً .

* * *

(١) هو أبو الحسن الناشئ الأصغر ، كما في « التذكرة الحمدونية » (٥٢/٥) .

الاقتباسُ

هوَ أن يُزيّنَ المُتكلِّمُ كلامَهُ بعبارةٍ مِنَ القرآنِ يظهرُ أنَّها منهُ ، وإنَّما يَحسُنُ ويكونُ مقبولاً إذا وَطَّنَ لها في الكلامِ ؛ بحيثُ تكونُ مندرجةً فيهِ داخلةً في سياقِهِ دخولاً تامّاً ، وكانَ ذٰلكَ في المَقاماتِ الشريفةِ ؛ كالوعظِ والتذكيرِ والزهدِ والمدائحِ النبويَّةِ وما والىٰ ذٰلكَ .

وأمَّا الاقتباسُ في المواضعِ الخسيسةِ . . فبعدَ كونِهِ مِنْ إساءةِ الأدبِ فلا يَبعُدُ أن يكونَ مُجمَعاً علىٰ حرمتِهِ وإن لم يَنُصَّ عليهِ إلَّا بعضُ المالكيَّةِ ؛ كقولِ القائلِ(١) : [من مجزوء الرمل]

رُبَّ فَلَّاحٍ مَلِيحٍ ... قَالَ يَا أَهْلَ ٱلْفُتُوَّهْ
كَفَلِي أَضْعَفَ خَصْرِي ... فَأَعِينُونِي بِقُوَّهْ

وإنَّما يكونُ اقتباساً إذا لم يكنْ إيرادُ ما يُورَدُ علىٰ سبيلِ الحكايةِ ، وإلَّا . . كانَ استدلالاً واستشهاداً ، كما يُقالُ بعدَ حكايةِ كلامٍ : فاللهُ يقولُ كذا ، أو قالَ كذا ، أوِ اقرؤوا إن شئتُم كذا .

[أمثلةٌ منَ الاقتباسِ الحسَنِ]

فمِنَ الاقتباسِ الحسنِ : ما وقعَ لعبدِ المؤمنِ الأصبهانيِّ فِي مقالاتِهِ التي سمَّاها : « أطباقَ الذهبِ » كقولِهِ مِنْ مقالةٍ(٢) : (واعلمْ : أنَّ الدنيا والآخرةَ ضَرَّتانِ ، لكَ إليهما كَرَّتانِ ، إحداهُما حُرَّةٌ خريدةٌ ، والأخرىٰ أَمةٌ مَريدةٌ ، فاجعلْ للحُرَّةِ يومَينِ ؛ فإنَّ لها قَسْمَينِ ، وللأَمةِ قَسْماً ؛ فإنَّ لها في كتابِكَ

---

(١) انظر « معاهد التنصيص » (١٤٣/٤) .

(٢) انظر « أنوار الربيع » (٢٢٧/٢) .

اسماً ، وأَضعِفْ نصيبَ العُقبىٰ ، ولا تنسَ نصيبَكَ مِنَ الدنيا ، واحفظِ القسمةَ العادلةَ ، ولا تكنْ ممَّنْ يُحبُّونَ العاجلةَ ، فالويلُ كلُّ الويلِ ، أن تميلوا كلَّ الميلِ ، واتقِ الميلَ بالقلبِ ، فكلُّ أولـٰئكَ كانَ عنهُ مسؤولاً ، وإن كانَ ولا بدَّ . . فلَلآخرةُ خيرٌ لكَ مِنَ الأُولىٰ ، فإن نفيتَ الزَّيغَ . . فطَلِّقِ الدُّنيا ؛ فإنَّها زائدةٌ ، وإن خفتُم ألَّا تَعدِلوا . . فواحدةٌ) .

ولابنِ معصومٍ في التذكيرِ والوعظِ : (انتبهْ يا نائمُ ، فقد هَبَّتِ النَّسائمُ ، ودعِ المَنامَ ، فقدِ انقشعَ الظلامُ ، هـٰذا الصُّبحُ قد لاحَتْ تباشيرُهُ ، وهـٰذا النُّجْحُ قد وافاكَ بشيرُهُ ، فإلامَ هـٰذهِ الغفلةُ والغِرَّةُ ؟! وحتَّامَ هـٰذهِ الفضيحةُ والمَعرَّةُ ؟! أرُكوناً إلى الدنيا الدنيَّةِ ، واشتغالاً عنِ المَنيَّةِ بالأُمنيَّةِ ؟! وما أُراكَ إلَّا قد تورَّطتَ ، فبادرْ نفسَكَ قبلَ أن تقولَ : يا حسرتا علىٰ ما فَرَّطتُ ، وذَرِ الكِبْرَ والزَّهوَ ، فما الحياةُ الدنيا إلَّا لعبٌ ولهوٌ ، فتبّاً لِمَنْ نسيَ وفاتَهُ ، حتىٰ ذهبَ أمرُهُ وفاتَهُ ، وطُوبىٰ لِمَنْ عملَ لغدِهِ ، ولم يرضَ مِنَ العيشِ برغدِهِ ، فكم هـٰذا التسويفُ يا ماطلُ ، والحقُّ لا يُدرَكُ بالباطلِ ؟! فلا يَغُرَّنَّكَ قومٌ أعرضوا عنِ العلمِ والعملِ ، ذَرْهُم يأكلوا ويَتمتَّعوا ويُلهِهِمُ الأملُ ، إنَّ الذين آمنوا لا يُسوِّفونَ مِنْ يومٍ إلىٰ يومٍ ، ومِنْ عامٍ إلىٰ عامٍ ، والذينَ كفروا يَتمتَّعونَ ويأكلونَ كما تأكلُ الأنعامُ)[1] .

ولهُ : (مِنْ عجيبِ أمرِ الإنسانِ وكلُّ أمرِهِ عجيبٌ : أن يدعوَ فيرجوَ الإجابةَ ويُدعىٰ فلا يجيبَ !! أليسَ كما يدينُ يُدانُ ؟! وهل يُجزىٰ إلَّا بما دانَ ؟! عقلٌ في قِفارِ الجَهالةِ هائمٌ ، وقلبٌ في تَيَّارِ الضَّلالةِ عائمٌ ، يرجو ولا يخافُ ، إيمانٌ ظاهرٌ وكفرٌ خافٍ ، والخوفُ والرجاءُ للمؤمنِ كالجناحَينِ للطَّيرِ ، متىٰ قُصَّ أحدُهُما . . هوىٰ في هُوَّةِ الضَّيرِ .

(١) أنوار الربيع (٢/٢٢٧ ـ ٢٢٨) .

فيا أيُّها المغرورُ بأملِهِ ، المسرورُ بعملِهِ ؛ إنَّكَ في حبائلِ الشيطانِ واقعٌ ، ألمَّا تَصْحُ والشَّيبُ وازعٌ ؟! فانظرْ لحالِكَ ، قبلَ تَرحالِكَ ، واعملْ في يومِكَ لغدِكَ ، قبلَ فواتِ الأمرِ مِنْ يدِكَ ، ولا تكنْ عنِ الآخرةِ باللَّاهِ ، وإمَّا يَنزغنَّكَ مِنَ الشيطانِ نزغٌ . . فاستعذْ باللهِ ، ولا يُعجِبَنَّكَ أمرُ قومٍ رضُوا مِنَ الدنيا الدنيَّةِ بالدُّونِ ، إنَّهُمُ اتخذوا الشياطينَ أولياءَ مِنْ دونِ اللهِ ويَحسَبونَ أنَّهُم مهتدونَ)[١] .

ولهُ : (للهِ دَرُّ عصابةٍ ، هُم أهلُ الإصابةِ ، ذاقوا شهْدَ الدَّهرِ وصابَهُ ، وقاسوا مِحَنَهُ وأوصابَهُ ، فنبذوا الدنيا وراءَهُم ظهريّاً ، وامتطَوا مِنْ عزمِهِم جملاً مَهْرِيّاً ، يرونَ ببصائرِهِم ما لا يرونَ بأبصارِهِم ، وينتصرونَ باللهِ سبحانَهُ لا بأنصارِهِم ، هُم أعلامُ الهدىٰ ومعالمُهُ ، وأركانُ التوحيدِ ودعائمُهُ ، أنفسُهُم في عالمِ الملكوتِ سائحةٌ ، وقلوبُهُم في غِمارِ الرَّهبوتِ سابحةٌ ، نطقُهُم حكمةٌ وذكرٌ ، وصَمتُهُم عِبرةٌ وفكرٌ ، إذا خُوطبوا . . أحسنوا السمعَ ، وإذا سمعوا ما أُنزِلَ إلى الرسولِ . . ترىٰ أعينَهُم تفيضُ مِنَ الدمعِ ، أكفُّهُم بالبذلِ مبسوطةٌ ، وأوصافُهُم بالفضلِ منوطةٌ ، يبذلونَ مِنَ المالِ خلاصَهُ ، ويؤثرونَ علىٰ أنفسِهِم ولو كانَ بِهِم خَصاصةٌ ، يَهدونَ بالحقِّ وبهِ يَعدِلونَ ، ويَصدُّونَ عنِ الباطلِ وعنهُ يَعدِلونَ ، يأمرونَ بالصُّلحِ وهُم المصلحونَ ، أولـٰئكَ علىٰ هدىً مِنْ ربِّهِم وأولـٰئكَ هُمُ المفلحونَ)[٢]

[الاقتباسُ منَ الحديثِ الشريفِ]

ثمَّ إنَّ الاقتباسَ كما يكونُ مِنَ القرآنِ . . يكونُ مِنَ الحديثِ الشريفِ ، ومِنْ

---

(١) أنوار الربيع (٢/٢٢٨ ـ ٢٢٩) .

(٢) أنوار الربيع (٢/٢٢٩) .

سائرِ الفنونِ [العلميَّةِ] ؛ كقولِ الصَّاحبِ في الحديثِ (١) : [من مجزوء الرمل]

قَالَ لِي إِنَّ رَقِيبِي سَيِّئُ ٱلْخُلْقِ فَدَارِهْ
قُلْتُ دَعْنِي وَجْهُكَ ٱلْجَنَّـ ـةُ حُفَّتْ بِٱلْمَكَارِهْ

ولفظُ الحديثِ : « حُفَّتِ ٱلْجَنَّةُ بِٱلْمَكَارِهِ ، وَحُفَّتِ ٱلنَّارُ بِٱلشَّهَوَاتِ » (٢) .

وكقولِ تقيّ الدينِ بنِ دقيقِ العيدِ مِنْ أصولِ الفقهِ (٣) : [من السريع]

قَالُوا فُلَانٌ رَجُلٌ عَالِمٌ فَأَكْرِمُوهُ مِثْلَ مَا يَرْتَضِي
فَقُلْتُ لَمَّا لَمْ يَكُنْ عَالِماً تَعَارَضَ ٱلْمَانِعُ وَٱلْمُقْتَضِي

وقولِ ابنِ العفيفِ (٤) : [من الوافر]

قُضَاةَ ٱلْحُسْنِ مَا صُنْعِي بِطَرْفٍ تَمَنَّىٰ مِثْلَهُ ٱلرَّشَأُ ٱلرَّبِيبُ
رَمَىٰ فَأَصَابَ قَلْبِي بِٱجْتِهَادٍ صَدَقْتُمْ كُلُّ مُجْتَهِدٍ مُصِيبُ

ولابنِ العفيفِ مِنَ المَنطِقِ (٥) : [من المنسرح]

لِلْمَنْطِقِيِّينَ أَشْتَكِي أَبَداً عَيْنَ رَقِيبٍ فَلَيْتَهُ هَجَعَا
رَاقَبَهَا مَنْ أُحِبُّهُ فَأَبَىٰ أَنْ نَخْتَلِي سَاعَةً وَنَجْتَمِعَا
كَيْفَ غَدَتْ دَائِماً وَمَا ٱنْفَصَلَتْ مَانِعَةُ ٱلْجَمْعِ وَٱلْخُلُوِّ مَعَا

---

(١) انظر « أنوار الربيع » (٢/٢٥٢) .
(٢) أخرجه بلفظه هنا مسلم (٢٨٢٢) عن سيدنا أنس رضي الله عنه .
(٣) انظر « طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٩/٢١٤) ، وفيها : (لم يكن ذا تقىً) بدل (لم يكن عالماً) .
(٤) انظر « ديوان ابن العفيف التلمساني » (ص ٣٣) .
(٥) انظر « ديوان ابن العفيف التلمساني » (ص ١٤٧) .

ولبعضِهم[1] : [من الكامل]

تَـٱللهِ مَـا لِـمُـعَـذِّبِي فِـي حُـسْـنِـهِ شَـبَـهٌ فَـأَيُّ حَـشاً عَـلَـيْـهِ لَـمْ يَـهِـمْ
لَامُ ٱلْـعِـذَارِ وَمِـيـمُ مَـبْـسِـمِـهِ عَـلَـىٰ مَـا أَدَّعِـي مِـنْ حُـسْـنِـهِ بُـرْهَـانُ لِـمْ

ولأبي المحاسنِ الشوَّاءِ مِنَ النحوِ[2] : [من السريع]

هَـاتِـيـكَ يَـا صَـاحِ رُبَـا لَـعْـلَـعِ نَـاشَـدْتُـكَ ٱللهَ فَـعَـرِّجْ مَـعِـي
وَٱنْـزِلْ بِـنَـا بَـيْـنَ بُـيُـوتِ ٱلـنَّـقَـا فَـقَـدْ غَـدَتْ آهِـلَـةَ ٱلْـمَـرْبَـعِ
حَـتَّـىٰ نُـطِـيـلَ ٱلْـيَـوْمَ وَقْـفـاً عَـلَـى ٱلسَّـ ـاكِـنِ أَوْ عَـطْـفـاً عَـلَـى ٱلْـمَـوْضِـعِ

ولبعضِهِم مِنَ البيانِ[3] : [من الكامل]

قَـدْ قُـلْـتُ لِـلْـبَـدْرِ ٱلـتَّـمَـامِ مُـنَـزِّهـاً عَـنْـهُ مُـعَـذِّبَ مُـهْـجَـتِـي تَـنْـزِيـهَـا
أَشْـبَـهْـتَـهُ لَـمَّـا ٱسْـتَـعَـرْتَ جَـمَـالَـهُ وَٱلْإِسْـتِـعَـارَةُ تَـقْـتَـضِـي ٱلـتَّـشْـبِـيـهَـا

ولصاحبِ هٰذَينِ البيتَينِ ـ واسمُهُ عبدُ عليّ بنُ رحمةَ ـ مِنَ البديعِ : [من الوافر]

وَحَـوْرَاءُ ٱلْـعُـيُـونِ إِذَا تَـجَـلَّـتْ لِـجَـيْـشِ ٱلْـهَـمِّ آذَنَ بِـٱلـشَّـتَـاتِ
إِذَا ٱلْـتَـفَـتَـتْ أَفَـادَتْـنِـي نَـشَـاطـاً وَذَٰلِكَ وَجْـهُ حُـسْـنِ ٱلْإِلْـتِـفَـاتِ

ولأبي إسحاقَ الغزيّ مِنْ علمِ الهيئةِ : [من الرمل]

لَسْتُ أَنْسَىٰ قَوْلَ سَلْمَىٰ ذَاتَ يَوْمٍ مَا لِهَٰذَا ٱلْمُنْحَنِي ٱلظَّهْرِ وَمَا لِي
أَنَا شَمْسٌ فِي ٱلضُّحَىٰ وَهْوَ هِلَالٌ وَكُسُوفُ ٱلشَّمْسِ مِنْ قُرْبِ ٱلْهِلَالِ

***

(١) انظر « أنوار الربيع » (٢/٢٧٧) .
(٢) انظر « أنوار الربيع » (٢/٢٧٩ ـ ٢٨٠) .
(٣) انظر « أنوار الربيع » (٢/٢٨٩) .

الموارِبةُ

هيَ أن يَجعلَ المُتكلِّمُ كلامَهُ بحيثُ يمكنُهُ أن يُغيِّرَ معناهُ بتحريفٍ أو تصحيفٍ ؛ ليَسلَمَ مِنَ المؤاخذةِ ، فيكونَ قد وصلَ إلىٰ غرضِهِ معَ سلامةِ العاقبةِ .

[قصةُ أبي المنهالِ معَ عبدِ الملكِ]

يُحكىٰ : أنَّ أبا منهالٍ عِتْبانَ ابنَ وصيلةَ وكانَ مِنْ قومٍ خرجوا في أيامِ عبدِ الملكِ بنِ مروانَ ، ثمَّ انقادوا ، فوفدَ عليهِ بعدَ أن بلغَهُ عنهُ قولُهُ : [من الطويل]

وَأَبْلِغْ أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِسَالَةً ... وَذُو ٱلنُّصْحِ لَوْ يُدْعَىٰ إِلَيْهِ قَرِيبُ

فَلَا نُصْحَ مَا دَامَتْ مَنَابِرُ أَرْضِنَا ... يَقُومُ عَلَيْهَا مِنْ ثَقِيفَ خَطِيبُ

وَإِنَّكَ إِلَّا تُرْضِ بَكْرَ بْنَ وَائِلٍ ... يَكُنْ لَكَ يَوْمٌ بِٱلْعِرَاقِ عَصِيبُ

فَإِنْ يَكُ مِنْكُمْ كَانَ مَرْوَانُ وَٱبْنُهُ ... وَعَمْرٌو وَمِنْكُمْ هَاشِمٌ وَحَبِيبُ

فَمِنَّا حُصَيْنٌ وَٱلْبَطِينُ وَقَعْنَبٌ ... وَمِنَّا أَمِيرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ شَبِيبُ

فقالَ : ألستَ القائلَ يا عدوَّ اللهِ : ومنَّا أميرُ المؤمنينَ . . . ؟! فقالَ : إنَّما قلتُ : أميرَ المؤمنينَ ، فنصبَ ما كانَ مرفوعاً ، فأفردَهُ بالإمارةِ بعدَ أن أشركَ فيها شبيباً ، أو خَصَّهُ بها ، وإثباتُها أوّلاً لعبدِ الملكِ يكونُ علىٰ زعمِهِ (١) .

[القاضي وقاضي القضاةِ والأُترجَّةِ]

ودخلَ الخطيرُ أسعدُ بنُ مَمَّاتي القاضي علىٰ عبدِ الرحيمِ الفاضلِ وكانَ

---

(١) انظر « وفيات الأعيان » (٢/٤٥٦) .

في عصرِهِ قاضيَ القضاةِ وصاحبَ الكلمةِ ، لا يُصدِرُ سلطانُهُ يوسفُ صلاحُ الدينِ أمراً إلَّا عن رأيِهِ ، فكانَ مَهيباً جدّاً مَخشيّاً ، فوجدَهُ جالساً وبينَ يدَيهِ أُترُجَّةٌ كبيرةٌ مساويةٌ لرأسِهِ ، وكانَ الفاضلُ أحدبَ ، فأخذَ يُندِّرُ علىٰ نفسِهِ بمقارنةِ تلكَ الأُترُجَّةِ مسابقةً بما يَخطُرُ في أنفسِ المشاهدينَ لتلكَ الحالةِ وهوَ يقولُ لأسعدَ : كأنَّ هـٰذا يَمُرُّ بفكرِكَ ؟! فقالَ لهُ : لا يا سيِّدي أعزَّكَ اللهُ ، وإنَّما حضرَني وأنشدَ : [من السريع]

لِلّٰهِ بَـلْ لِلْحُسْنِ أُتْرُجَّةٌ ... تُذَكِّرُ ٱلنَّاسَ بِأَمْرِ ٱلنَّعِيمْ

كَأَنَّهَا قَدْ جَمَعَتْ نَفْسَهَا ... مِنْ هَيْبَةِ ٱلْفَاضِلِ عَبْدِ ٱلرَّحِيمْ

فلمَّا خرجَ . . قالَ لهُ بعضُ مَنْ كانَ حاضراً : أَمَا خشيتَ أن يَتنبَّهَ الرجلُ لقولِكَ : (مِنْ هيبةِ) التي تصحيفُها (مِنْ هيئةِ) أي : بإبدالِ الباءِ همزةً ، فيكونَ الكلامُ تنديراً ؟! فقالَ أسعدُ : ما قصدتُ ذٰلكَ ، وسَلَّمَ اللهُ (١) .

فمِنَ الواجبِ علىٰ مَنْ يخافُ الانتقادَ في خطابٍ : أن يُفتِّشَ ألفاظَهُ ؛ حذراً مِنْ مثلِ ذٰلكَ .

[المواربةُ بغيرِ التصحيفِ والتحريفِ]

وتكونُ المواربةُ بغيرِ التصحيفِ والتحريفِ ، والمدارُ فيها علىٰ تأويلٍ قريبٍ يَصرِفُ الكلامَ عنِ المعنى المكروهِ .

يُحكىٰ : أنَّ المُتوكِّلَ رمىٰ عُصفوراً فأخطأَ ، فقالَ بعضُ حاضريهِ : أحسنتَ يا سيِّدي ، فغضبَ ، فقالَ [لهُ] : إلى العُصفورِ ، فسُرِّيَ عنهُ وضحكَ (٢) .

❋ ❋ ❋

(١) انظر « أنوار الربيع » (٢/١٩١ ـ ١٩٢) .
(٢) انظر « أنوار الربيع » (٢/٣٠٣) .

ويُحكىٰ : أنَّ رافضيّاً وقعَ في أيدي سُنِّيِّينَ ، فقالَ : إنَّ أبا بكرٍ وعمرَ وعثمانَ وعلياً مَنْ أبغضَ واحداً منهم . . فهوَ كافرٌ ، وامرأتُهُ طالقٌ ، فخلصَ منهُم ، ومرادُهُ بالواحدِ عليٌّ[1] .

* * *

(١) انظر « أنوار الربيع » (٢/٣٠٣) .

التفويفُ

هوَ أن يأتيَ الشاعرُ بجُمَلٍ متناسقةٍ متتابعةٍ ، وحسنُهُ : إذا سَلِمَ مِنَ الرَّكاكةِ المُؤدِّيةِ لثقلِ النطقِ ؛ كقولِ ابنِ زيدونَ (١) : [من البسيط]

بَيْنِي وَبَيْنَكَ مَا لَوْ شِئْتَ لَمْ يَضِعِ ... سِرٌّ إِذَا ذَاعَتِ ٱلْأَسْرَارُ لَمْ يَذِعِ
يَا بَائِعاً حَظَّهُ مِنِّي وَلَوْ بُذِلَتْ ... لِيَ ٱلْحَيَاةُ بِحَظِّي مِنْهُ لَمْ أَبِعِ
يَكْفِيكَ أَنَّكَ إِنْ حَمَّلْتَ قَلْبِيَ مَا ... لَا يَسْتَطِيعُ قُلُوبُ ٱلنَّاسِ يَسْتَطِعِ
تِهْ أَحْتَمِلْ وَٱسْتَطِلْ أَصْبِرْ وَعِزَّ أَهُنْ ... وَوَلِّ أُقْبِلْ وَمُرْ أَسْمَعْ وَقُلْ أُطِعِ

وهـٰذا يُقالُ لهُ : **التفويفُ بالجُمَلِ المُتوسِّطةِ** ، وهنالكَ **تفويفٌ بالجملِ الطويلةِ** ، **وتفويفٌ بالجملِ القصيرةِ** ، وذٰلكَ أحسنُها ، وليسَ يخلو الثالثُ مِنْ تَعسُّفٍ وإن تهافتَ عليهِ بعضُ الشُّعراءِ كأنَّهُم يُظهِرونَ بهِ الاقتدارَ ؛ كقولِ المُتنبي (٢) : [من البسيط]

أَقِلْ أَنِلْ أَقْطِعِ ٱحْمِلْ عَلِّ سَلِّ أَعِدْ ... زِدْ هِشَّ بِشَّ تَفَضَّلْ أَدْنِ سُرَّ صِلِ

مِنْ : **أقالَ عثرتَهُ** ؛ أي : سامحَهُ ، **وأنالَهُ** ؛ أي : أعطاهُ ، **وأقطعَهُ** : مَلَّكَهُ قطعةَ أرضٍ يَنتفِعُ بها ، **وحملَهُ** : أعطاهُ فرساً ، **وعلَّىٰ قدرَهُ** ؛ أي : رفعَ شأنَهُ ، **وسلَّاهُ** ؛ أي : أفادَهُ السلاوةَ عن فائتٍ لنفسِهِ بهِ تَعلُّقٌ ، **وأعادَ** ؛ أي : كَرَّرَ لهُ مسؤولَهُ وزادَهُ خيراً ، **وهَشَّ وبَشَّ** ؛ أي : أظهرَ البِشرَ وتَفضَّلَ عليهِ ، **وأدناهُ** : قَرَّبَهُ ، **وسراهُ** ؛ أي : أعطاهُ جاريةً للفراشِ ، فأنتَ ترىٰ أنَّ بعضَ هـٰذهِ الألفاظِ ليسَتْ إلَّا تكميلاً للعددِ .

---

(١) انظر « ديوان ابن زيدون » (ص ١٨٨) ، وفيه : (وقل أسمع وقل أطع) .

(٢) انظر « ديوان المتنبي » (ص ٢٥٩) .

المراجعةُ

حكايةُ ما جرىٰ بينَ مُتخاطِبَينِ بـ (قالَ) و(قلتُ) مثلاً ، ومِلاحتُها : إذا كانَتِ العبارةُ رشيقةً ، والنَّسَقُ مُستغرَباً ؛ كقولِ البحتريّ[1] : [من الخفيف]

وَنَـدِيـمٍ حُـلْـوِ ٱلـشَّـمَـائِـلِ كَـٱلـدِّيـ ... ـنَارِ مَحْضِ ٱلنِّجَارِ عَذْبِ ٱلْمُصَفَّىٰ
بِـتُّ أَسْـقِـيـهِ صَـفْـوَةَ ٱلـرَّاحِ حَـتَّـىٰ ... وَضَـعَ ٱلْـكَـأْسَ مَـائِـلاً يَـتَـكَـفَّـا
قُلْتُ عَبْدَ ٱلْعَزِيزِ تَفْدِيكَ نَفْسِي ... قَـالَ لَـبَّـيْـكَ قُـلْـتُ لَـبَّـيْـكَ أَلْـفَـا
هَـاكَـهَـا قَـالَ هَـاتِـهَـا قُـلْـتُ خُـذْهَـا ... قَـالَ لَا أَسْـتَـطِـيـعُـهَـا ثُـمَّ أَغْـفَـىٰ

وكقولِ بعضِ أجوادِ العربِ[2] : [من السريع]

قَـالَـتْ أَمَـا تَـرْحَـلُ تَـبْـغِـي ٱلْـغِـنَـىٰ ... قُـلْـتُ فَـمَـنْ لِـلـطَّـارِقِ ٱلْـمُـعْـتِـمِ
قَـالَـتْ فَـهَـلْ عِـنْـدَكَ شَـيْءٌ لَـهُ ... قُـلْـتُ نَـعَـمْ جَـهْـدُ ٱلْـفَـتَـى ٱلْـمُـعْـدِمِ
فَـكَـمْ وَحَـقِّ ٱللهِ مِـنْ لَـيْـلَـةٍ ... قَـدْ طَـعِـمَ ٱلـضَّـيْـفُ وَلَـمْ أَطْـعَـمِ
إِنَّ ٱلْـغِـنَـىٰ بِـٱلـنَّـفْـسِ يَـا هَـٰذِهِ ... لَـيْـسَ ٱلْـغِـنَـىٰ بِـٱلـثَّـوْبِ وَٱلـدِّرْهَـمِ

وشرطُ حسنِ هـٰذا النوعِ : أن يَتِمَّ المعنى الذي فيهِ المحاورةُ .

❋ ❋ ❋

---

(١) انظر « ديوان البحتري » (٣/١٤٢٨) .

(٢) انظر « المستطرف » (١/٥٦١) .

المناقضةُ

هيَ تعليقُ الشيءِ علىٰ ممكنٍ يُقدَّمُ ، وغيرِ ممكنٍ يُؤخَّرُ ؛ كقولِ النابغةِ في الهجاءِ [١] : [من الوافر]

وَإِنَّـكَ سَـوْفَ تَـحْـلُـمُ أَوْ تَـنَـاهَـىٰ إِذَا مَـا شِـبْـتَ أَوْ شَـابَ ٱلْـغُـرَابُ

أي : سوفَ يكونُ لكَ حلمٌ ؛ أي : عقلٌ ، أو تتظاهرُ بالنُّهىٰ إدراكاً لفضيلةِ العقلِ ، فكثيراً ما يَتعاقلُ غيرُ العاقلِ ، وهـٰذا النوعُ حسنُهُ لِمَا فيهِ مِنَ الهزلِ أوِ الإطماعِ والتيئيسِ .

* * *

(١) انظر « ديوان النابغة الذبياني » (ص ١٠٩) .

المغايرةُ

هيَ مدحُ الشيءِ بعدَ ذمِّهِ وعكسُهُ ، وفيهِ الإبانةُ عن نَباهةِ المُتكلِّمِ وقُوَّةِ حفظِهِ وفهمِهِ ؛ إذ يكونُ أدركَ مِنَ الشيءِ محاسنَهُ ومساويَهُ .

[مِن أدبِ الخليلِ وهوَ غلامٌ]

يُحكىٰ : أنَّ الخليلَ بنَ أحمدَ قالَ للنظَّامِ يوماً وقد أحضرَهُ أبوهُ لهُ في صغرِهِ ليُعلِّمَهُ ، وكانَ بحضرتِهما قَدَحُ زجاجٍ : يا بنيَّ ؛ صِفْ لي هـٰذا القَدَحَ ، فقالَ : مدحاً أو ذمّاً ؟ قالَ : مدحاً ، فقالَ : يريكَ القذىٰ ، ولا يقبلُ الأذىٰ ، ولا يسترُ ما ورا ، قالَ : فذُمَّهُ ، قالَ : سريعُ الكسرِ ، بطيءُ الجبرِ .

وكانَ هناكَ نخلةٌ ، فقالَ : صِفْ هـٰذهِ مدحاً وذمّاً ، فقالَ : حُلْوٌ مجتناها ، باسقٌ منتهاها ، ناضرٌ أعلاها ، صعبةُ المرتقىٰ ، بعيدةُ المجتنىٰ ، محفوفةٌ بالأذىٰ ، فقالَ الخليلُ : يا بنيَّ ؛ نحنُ أحوجُ إلى التعلُّمِ منكَ (١) .

[غيلانُ ونهرُ الكوفةِ]

ويُحكىٰ : أنَّ عبدَ اللهِ بنَ عامرٍ أيامَ إمارتِهِ على الكوفةِ حفرَ نهراً ظهرَتْ منافعُهُ لأهلِ تلكَ الناحيةِ ، فاتفقَ أن مرَّ ذاكَ الأميرُ يوماً ومعَهُ غيلانُ الضَّبيُّ ، فقالَ : ما أنفعَ هـٰذا النهرَ يا غيلانُ !! فقالَ : نعم ؛ هوَ سُقيا البلدِ ، وفيهِ تَصِلُ إليهِم مِيرتُهُم ، وتَتعلَّمُ السباحةَ صبيانُهُم .

ثمَّ زالَتْ عنِ الكوفةِ إمارتُهُ وخلفَهُ زيادٌ ، وتَولَّعَ بإزالةِ آثارِهِ ، ولم يَتمكَّنْ مِنْ طمِّ النهرِ وكانَ بغيتَهُ ، فمَرَّ يوماً معَ غيلانَ المذكورِ ، فقالَ : ما أضرَّ هـٰذا

---

(١) انظر « التذكرة الحمدونية » (٥/٣٦٣ ـ ٣٦٤) .

النهرَ يا غيلانُ !! فقالَ : نعم ، أصلحَ اللهُ الأميرَ ؛ إنَّهُ مُخِلٌّ بأساسِ الدُّورِ ، وبهِ يكثرُ البعوضُ في البلدِ ، وفيهِ تَغرَقُ الوِلدانُ (١) .

[المغايرةُ في الهلالِ لبعضِ الظُّرفاءِ]

قيلَ لبعضِ ظُرفاءِ الكُتَّابِ وكانَ ساكناً في دارٍ كِراءً : انظرْ للهلالِ ، فقالَ : لا أنظرُهُ ؛ لبغضي لهُ ، قيلَ : ولِمَهْ ؟ فقالَ : لعيوبٍ لو كانَتْ في حمارٍ . . لرُدَّ ، فسُئِلَ بيانَها ، فقالَ : إنَّهُ يَهدِمُ العمرَ ، ويُقرِّبُ الأجلَ ، ويُحِلُّ الدَّينَ ، ويُوجِبُ كِراءَ المنزلِ ، ويَقرِضُ الكُتَّابَ ، ويُشحِبُ الألوانَ ، ويُسخِّنُ الماءَ ، ويفسدُ اللحمَ ، ويعينُ السارقَ ، ويَفضحُ العاشقَ الطارقَ (٢) .

وإذا وصلتَ مِنْ « مَقاماتِ الحريريِّ » إلىٰ صفةِ الدينارِ ، ونعتِ الكاتبَينِ كاتبِ الحسابِ وكاتبِ الإنشاءِ ، وذكرِ البِكرِ والثيبِ . . رأيتَ الغريبَ مِنْ هٰذا النوعِ .

[المغايرةُ في الشِّعرِ]

وقالَ أبو تمامٍ (٣) : [من الكامل]

نَقِّلْ فُؤَادَكَ مَا ٱسْتَطَعْتَ مِنَ ٱلْهَوَىٰ ... مَا ٱلْحُبُّ إِلَّا لِلْحَبِيبِ ٱلْأَوَّلِ
كَمْ مَنْزِلٍ فِي ٱلْأَرْضِ يَأْلَفُهُ ٱلْفَتَىٰ ... وَحَنِينُهُ أَبَداً لِأَوَّلِ مَنْزِلِ

فغايرَهُ آخرُ فقالَ (٤) : [من الكامل]

نَقِّلْ فُؤَادَكَ حَيْثُ شِئْتَ فَلَنْ تَرَىٰ ... كَهَوىً جَدِيدٍ أَوْ كَوَصْلٍ مُقْبِلِ

---

(١) انظر « أنوار الربيع » (٣/٢٠) .
(٢) انظر « أنوار الربيع » (٣/٢١) .
(٣) انظر « ديوان أبي تمام » (٤/٢٥٣) .
(٤) هو ديك الجن في « ديوانه » (ص ١٩٦) .

مَـا لِـي أَحِـنُّ إِلَـىٰ خَـرَابٍ مُـقْـفِـرٍ دَرَسَـتْ مَـعَـالِـمُـهُ كَـأَنْ لَـمْ يُـؤْهَـلِ

وراعىٰ آخَرُ الجهتَينِ فقالَ[1] : [من الكامل]

أَنَـا مُـبْـتَـلـىً بِـبَـلِـيَّـتَـيْـنِ مِـنَ ٱلْـهَـوَىٰ شَـوْقِـي إِلَى ٱلـثَّـانِـي وَذِكْـرُ ٱلْأَوَّلِ
قُـسِـمَ ٱلْـفُـؤَادُ لِـحُـرْمَـةٍ وَلِـلَـذَّةٍ فِـي ٱلْحُبِّ مِنْ مَاضٍ وَمِنْ مُسْتَقْبَلِ

يشيرُ إلى المثلِ المشهورِ : لكلِّ جديدٍ لذَّةٌ ، ولكلِّ قديمٍ حرمةٌ .

وَعَيْنُ ٱلرِّضَا عَنْ كُلِّ عَيْبٍ كَلِيلَةٌ كَمَا أَنَّ عَيْنَ ٱلسُّخْطِ تُبْدِي ٱلْمَسَاوِيَا[2]

كانَ الناسُ لساناً واحداً في تقريظِ بني بَرْمَكَ ، والثناءِ عليهِم في كلامِهِم وأشعارِهِم ، حيثُ كانوا إذ ذاكَ غايةً في جلالِ المَحَلِّ وكرمِ الفِعالِ .

وهُم يحيى بنُ خالدٍ ؛ وهوَ الذي ربَّى الرشيدَ ، وكانَ يُسمِّيهِ أباهُ ، وابناهُ : الفضلُ ، وجعفرٌ أصغرُهُما وأحظاهُما عندَ الرشيدِ ، حتىٰ كانَ أيامَ إقبالِ الأيامِ عليهِ وشغفِهِ بهِم يَحلِفُ باللهِ أنَّ جعفراً أفصحُ مِنْ قُسِّ بنِ ساعدةَ ، وأشجعُ مِنْ عامرِ بنِ الطفيلِ ، وأَسوَسُ مِنْ عمرَ بنِ الخطابِ ، وأَكتَبُ مِنْ عبدِ الحميدِ بنِ يحيىٰ ، وأَعفُّ مِنْ يوسفَ بنِ يعقوبَ .

فلمَّا تَحوَّلَتْ بهِمُ الأحوالُ ، وآلَ أمرُهُم إلىٰ ما آلَ إليهِ ، حتىٰ قالَ قائلُهُم : [من الخفيف]

سَـأَلُـونَـا عَـنْ حَـالِـنَـا كَـيْـفَ أَنْـتُـمْ مَـنْ هَـوَىٰ عَـرْشُـهُ فَـكَـيْـفَ يَـكُـونُ
نَـحْـنُ قَـوْمٌ أَصَـابَـنَـا عَـنَـتُ ٱلـدَّهْـ ـرِ فَـظَـلْـنَـا لِـحُـكْـمِـهِ نَـسْـتَـكِـيـنُ

---

(١) انظر « الصناعتين » (ص ٤٣٧) .
(٢) البيت من الطويل ، وهو لعبد الله بن معاوية ، كما في « عيون الأخبار » (٣/٧٦) .

.. غايرَ الناسُ فيهِمُ القولَ ، وطلبوا لهُمُ المثالبَ ، قالَ أبو نُواسٍ [1] : [من البسيط]

قَالُوا ٱمْتَدَحْتَ فَمَا أُعْطِيتَ قُلْتُ لَهُمْ ... خَرْقُ ٱلنِّعَالِ وَأَخْلَاقُ ٱلسَّرَاوِيلِ

قَالُوا فَسَمِّ لَنَا هَٰذَا فَقُلْتُ لَهُمْ ... نَعْتِي لَهُ يَعْدِلُ ٱلتَّفْسِيرَ فِي ٱلْقِيلِ

ذَاكَ ٱلْأَمِيرُ ٱلَّذِي طَالَتْ عَلَاوَتُهُ ... كَأَنَّهُ نَاظِرٌ فِي ٱلسَّيْفِ بِٱلطُّولِ

فندعوكَ ربَّنا بما دعاكَ بهِ نبيُّكَ عليهِ أفضلُ صلواتِكَ وأشرفُ تسليماتِكَ : « ٱللَّهُمَّ ؛ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنَ ٱلْحَوْرِ بَعْدَ ٱلْكَوْرِ » [2] .

* * *

(١) انظر « ديوان أبي نواس » (ص ٤٥٨) .

(٢) أخرجه مسلم (١٣٤٣) عن سيدنا عبد الله بن سرجس رضي الله عنه .

التوشيحُ

هوَ كونُ فاتحةِ الكلامِ دالَّةً بمعناها علىٰ خاتمتِهِ .

وشاهدُهُ : قولُهُ تعالىٰ : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[1] ، وجميعُ القرآنِ شواهدُ لذٰلكَ .

وهـٰذا النوعُ يرشدُكَ إلىٰ أنَّهُ ينبغي أن يكونَ الكلامُ مِنْ قُوَّةِ التلاؤمِ وشِدَّةِ الائتلافِ يبعثُ بعضُهُ الفهمَ إلىٰ بعضٍ ، وذٰلكَ يستدعي صفاءَ فكرٍ ، وقُوَّةَ ذوقٍ ، ولطفَ رعايةٍ .

ومِنْ أمثلتِهِ : قولُ أبي فراسٍ الحارثِ بنِ حمدانَ فِي ابنِ عمِّهِ سيفِ الدولةِ عليٍّ : [من الوافر]

فَلَمَّا ثَارَ سَيْفُ ٱلدِّينِ ثُرْنَا ... كَمَا هَيَّجْتَ آسَاداً غِضَابَا

أَسِنَّتُهُ إِذَا لَاقَىٰ طِعَاناً ... صَوَارِمُهُ إِذَا لَاقَىٰ ضِرَابَا

دَعَانَا وَٱلْأَسِنَّةُ مُشْرَعَاتٌ ... فَكُنَّا عِنْدَ دَعْوَتِهِ ٱلْجَوَابَا

❋ ❋ ❋

---

(١) سورة آل عمران : (٣٣) .

التذييلُ

وهوَ بعضُ أنواعِ الإطنابِ المُلقَّبةِ التي سبقَ بها الوعدُ[1] ؛ وهوَ تعقيبُ جملةٍ تامَّةٍ بجملةٍ تَشتمِلُ علىٰ معناها منطوقاً أو مفهوماً ؛ لتقريرِهِ وتمكينِهِ مِنْ قلوبِ السامعينَ .

[أقسامُ التذييلِ]

وهوَ إمَّا أن يكونَ مُستقِلّاً خارجاً مَخرجَ المثلِ ، ومِنْ شواهدِهِ : قولُهُ تعالىٰ : ﴿ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾[2] .

ومِنْ أمثلتِهِ : قولُ النابغةِ[3] : [من الطويل]

وَلَسْتَ بِمُسْتَبْقٍ أَخاً لَا تَلُمُّهُ ... عَلَىٰ شَعَثٍ أَيُّ ٱلرِّجَالِ ٱلْمُهَذَّبُ

وقولُ جَرْوَلٍ[4] : [من الطويل]

تَزُورُ فَتىً يُعْطِي عَلَى ٱلْحَمْدِ مَالَهُ ... وَمَنْ يُعْطِ أَثْمَانَ ٱلْمَحَامِدِ يُحْمَدِ

❁ ❁ ❁

ومِنْ غيرِ المُستقِلِّ : مثلُ قولِ الحماسيِّ[5] : [من الكامل]

وَدَعَوْا نَزَالِ فَكُنْتُ أَوَّلَ نَازِلٍ ... وَعَلَامَ أَرْكَبُهُ إِذَا لَمْ أَنْزِلِ

---

(١) انظر (٢/١١٨) .

(٢) سورة الإسراء : (٨١) .

(٣) انظر « ديوان النابغة الذبياني » (ص ٧٤) .

(٤) انظر « ديوان الحطيئة » (ص ٨٠) ، وجرول : هو جرول بن أوس العبسي .

(٥) هو ربيعة بن مقروم الضبي ، كما في « شرح الحماسة » للتبريزي (١/٣٣) .

وقولِ ابنِ نباتةَ السعديِّ[(١)] : [من البسيط]

قَدْ جُدْتَ لِي بِٱللُّهَا حَتَّىٰ ضَجِرْتُ بِهَا وَكِدْتُ مِنْ ضَجَرِي أُثْنِي عَلَى ٱلْبُخْلِ
لَمْ يُبْقِ جُودُكَ لِي شَيْئاً أُؤَمِّلُهُ تَرَكْتَنِي أَصْحَبُ ٱلدُّنْيَا بِلَا أَمَلِ

[التكميلُ مِن ضروبِ الإطنابِ]

ومِنْ ضروبِ الإطنابِ المذكورةِ : **التكميلُ** ، ويكونُ بجملةٍ وبغيرِ جملةٍ ؛ لرفعِ وَهْمٍ فيما يَسبِقُهُ مِنَ الكلامِ .

والسابقُ علىٰ موضعِ الوَهْمِ لدفعِهِ قبلَ حصولِهِ . . يُسمَّى : **احتراساً** ؛ كقولِهِ[(٢)] : [من الكامل]

فَسَقَىٰ دِيَارَكَ غَيْرَ مُفْسِدِهَا صَوْبُ ٱلرَّبِيعِ وَدِيمَةٌ تَهْمِي

وأوجزَ هٰذا مِهْيارٌ في قولِهِ[(٣)] : [من الرمل]

بَكَرَ ٱلْعَارِضُ تَحْدُوهُ ٱلنُّعَامَىٰ فَسَقَاكِ ٱلرِّيَّ يَا دَارَ أُمَامَا

[الإيغالُ]

والإيغالُ : ويكونُ في الفواصلِ والقوافي بكلمةٍ أو جملةٍ لغرضِ التحقيقِ والتوكيدِ والمبالغةِ في المعنىٰ ؛ كقولِ الخنساءِ[(٤)] : [من البسيط]

وَإِنَّ صَخْراً لَتَأْتَمُّ ٱلْهُدَاةُ بِهِ كَأَنَّهُ عَلَمٌ فِي رَأْسِهِ نَارُ

---

(١) انظر « ديوان ابن نباتة السعدي » (١/٢٠٧ ـ ٢٠٨) ، واللُّها : العطايا الجزيلة .

(٢) هو طرفة بن العبد في « ديوانه » (ص ٩٧) .

(٣) انظر « ديوان مهيار الديلمي » (٢/٣٤٣) .

(٤) انظر « ديوان الخنساء » رضي الله عنها (ص ٣٨٦) .

وقولِها وقدِ استنشدَها أميرُ المؤمنينَ عمرُ[1] : [من البسيط]

تُـرَى ٱلْأُمُـورُ سَـوَاءً وَهْـيَ مُـقْـبِـلَـةٌ وَفِـي عَـوَاقِـبِـهَـا تِـبْـيَـانُ مَـا ٱلْـتَـبَـسَـا
تَرَى ٱلْجَلِيسَ يَقُولُ ٱلْقَوْلَ تَحْسَبُهُ نُصْحاً وَهَيْهَاتَ مَا نُصْحاً بِهِ ٱلْتَمَسَا
فَـٱسْـمَـعْ مَـقَـالَـتَـهُ وَٱحْـذَرْ عَـدَاوَتَـهُ وَٱلْبَسْ لَهُ ثَوْبَ شَكٍّ مِثْلَ مَا لَبِسَا

❋ ❋ ❋

(١) انظر « زهر الأكم » (١٨٧/٣) .

تشابهُ الأطرافِ

هوَ جعْلُ عَجُزِ جملةٍ صدرَ تاليتِها ، أو قافيةَ بيتٍ صدرَ ما يليهِ ؛ كقولِهِ تعالىٰ : ﴿ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ ﴾ [1] .

وقولِهِ : ﴿ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝ يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ [2] .

وفي مديحِ ليلى الأخيليَّةِ للحجَّاجِ بنِ يوسفَ [3] : [من الطويل]

إِذَا نَزَلَ ٱلْحَجَّاجُ أَرْضاً مَرِيضَةً ... تَتَبَّعَ أَقْصَىٰ دَائِهَا فَشَفَاهَا

شَفَاهَا مِنَ ٱلدَّاءِ ٱلْعُضَالِ ٱلَّذِي بِهَا ... غُلَامٌ إِذَا هَزَّ ٱلْقَنَاةَ سَقَاهَا

سَقَاهَا دِمَاءَ ٱلْمَارِقِينَ وَعَلَّهَا ... إِذَا جَمَحَتْ يَوْماً وَحَفَّ أَذَاهَا

* * *

(١) سورة النور : (٣٥) .

(٢) سورة الروم : (٦ ـ ٧) .

(٣) انظر « ديوان ليلى الأخيلية » (ص ١٢١) ، وفيه : (وخيف) بدل (وحفَّ) .

التتميمُ

هوَ زيادةُ كلمةٍ أو أكثرَ تزيدُ المعنىٰ تماماً ، وتفيدُ الكلامَ حُسْناً ؛ بحيثُ تراهُ لو طُرِحَتْ منهُ . . لصارَ مُبتذَلاً ، قالَ ابنُ المُعتزِّ[1] : [من الطويل]

وَخَيْلٍ طَوَاهَا ٱلْقَوْدُ حَتَّىٰ كَأَنَّهَا أَنَابِيبُ سُمْرٌ مِنْ قَنَا ٱلْخَطِّ ذُبَّلُ

صَبَبْنَا عَلَيْهَا ظَالِمِينَ سِيَاطَنَا فَطَارَتْ بِهَا أَيْدٍ سِرَاعٌ وَأَرْجُلُ

وقالَ زهيرٌ[2] : [من البسيط]

مَنْ يَلْقَ يَوْماً عَلَىٰ عِلَّاتِهِ هَرِماً يَلْقَ ٱلسَّمَاحَةَ مِنْهُ وَٱلنَّدَىٰ خُلُقَا

وقالَ أبو العلاءِ في مدحِ عربٍ بالباديةِ[3] : [من البسيط]

اَلْمُوقِدُونَ بِنَجْدٍ نَارَ بَادِيَةٍ لَا يَحْضُرُونَ وَفَقْدُ ٱلْعِزِّ فِي ٱلْحَضَرِ

إِذَا هَمَى ٱلْقَطْرُ شَبَّتْهَا عَبِيدُهُمُ تَحْتَ ٱلْغَمَائِمِ لِلسَّارِينَ بِٱلْقُطُرِ

❋ ❋ ❋

---

(١) انظر « ديوان ابن المعتز » (١/٩٦) .

(٢) انظر « ديوان زهير بن أبي سلمىٰ » (ص ٥٠) .

(٣) انظر « شروح سقط الزند » (١/١٤٢) .

الهجوُ في مَعرِضِ المدحِ

هوَ أن يكونَ الهجوُ بالعباراتِ التي تُستعمَلُ في المدحِ مقرونةً بما يَصرِفُها إلى الهِجاءِ ؛ كقولِ الحماسيِّ (١) : [من البسيط]

لَوْ كُنْتُ مِنْ مَازِنٍ لَمْ تَسْتَبِحْ إِبِلِي ... بَنُو ٱللَّقِيطَةِ مِنْ ذُهْلِ بْنِ شَيْبَانَا
إِذاً لَقَامَ بِنَصْرِي مَعْشَرٌ خُشُنٌ ... عِنْدَ ٱلْحَفِيظَةِ إِنْ ذُو لُوثَةٍ لَانَا
لَا يَسْأَلُونَ أَخَاهُمْ حِينَ يَنْدُبُهُمْ ... فِي ٱلنَّائِبَاتِ عَلَىٰ مَا قَالَ بُرْهَانَا
لَكِنَّ قَوْمِي وَإِنْ كَانُوا ذَوِي عَدَدٍ ... لَيْسُوا مِنَ ٱلشَّرِّ فِي شَيْءٍ وَإِنْ هَانَا
يَجْزُونَ مِنْ ظُلْمِ أَهْلِ ٱلظُّلْمِ مَغْفِرَةً ... وَمِنْ إِسَاءَةِ أَهْلِ ٱلسُّوءِ إِحْسَانَا
كَأَنَّ رَبَّكَ لَمْ يَخْلُقْ لِخَشْيَتِهِ ... سِوَاهُمُ مِنْ جَمِيعِ ٱلنَّاسِ إِنْسَانَا
فَلَيْتَ لِي بِهِمُ قَوْماً إِذَا رَكِبُوا ... شَنُّوا ٱلْإِغَارَةَ رُكْبَاناً وَفُرْسَانَا

وقولِ النجاشيِّ (٢) : [من الطويل]

إِذَا ٱللهُ جَازَىٰ أَهْلَ لُؤْمٍ بِذِمَّةٍ ... فَجَازَىٰ بَنِي ٱلْعَجْلَانِ رَهْطَ ٱبْنِ مُقْبِلِ
قُبَيِّلَةٌ لَا يَغْدِرُونَ بِذِمَّةٍ ... وَلَا يَظْلِمُونَ ٱلنَّاسَ حَبَّةَ خَرْدَلِ
وَلَا يَرِدُونَ ٱلْمَاءَ إِلَّا عَشِيَّةً ... إِذَا صَدَرَ ٱلْوُرَّادُ عَنْ كُلِّ مَنْهَلِ
وَمَا سُمِّيَ ٱلْعَجْلَانَ إِلَّا لِقَوْلِهِمْ ... خُذِ ٱلْقَعْبَ وَٱحْلِبْ أَيُّهَا ٱلْعَبْدُ وَٱعْجَلِ
أُولَـٰئِكَ أَبْنَاءُ ٱلْهَجِينِ وَأُسْرَةُ ٱللَّـ ... ـئِيمِ وَرَهْطُ ٱلْعَاجِزِ ٱلْمُتَذَلِّلِ

---

(١) انظر « شرح الحماسة » للتبريزي (١/٥) ، وهو قريط بن أنيف .
(٢) انظر « أنوار الربيع » (٣/٦١ ـ ٦٢) .

تَعَافُ ٱلسِّبَاعُ ٱلضَّارِيَاتُ لُحُومَهُمْ   وَتَأْكُلُ مِنْ أَشْلَاءِ كَعْبٍ وَنَهْشَلِ

ولبعضِهِم[1] :   [من الوافر]

لَهُ حَقٌّ وَلَيْسَ عَلَيْهِ حَقٌّ   وَمَهْمَا قَالَ فَٱلْحَسَنُ ٱلْجَمِيلُ
وَقَدْ كَانَ ٱلرَّسُولُ يَرَىٰ حُقُوقاً   عَلَيْهِ لِغَيْرِهِ وَهُوَ ٱلرَّسُولُ

وللسَّريِّ الرَّفَّاءِ[2] :   [من الوافر]

وَشَيْخٍ طَابَ أَخْلَاقاً فَأَضْحَىٰ   أَحَبَّ إِلَى ٱلشَّبَابِ مِنَ ٱلشَّبَابِ
لَهُ دَارٌ إِذَا ٱسْتَخْفَيْتَ فِيهَا   أَمِنْتَ فَلَمْ تَنَلْكَ يَدُ ٱلطِّلَابِ
طَرَقْنَاهُ وَقِنْدِيلُ ٱلثُّرَيَّا   يَحُطُّ وَفَارِسُ ٱلظَّلْمَاءِ كَابِي
فَرَحَّبَ وَٱسْتَمَالَ وَقَالَ حُطَّتْ   رِحَالُكُمُ بِأَفْنِيَةٍ رِحَابِ
وَحَضَّ عَلَى ٱلْمُنَاهَدَةِ ٱلنَّدَامَىٰ   بِأَلْفَاظٍ مُهَذَّبَةٍ عِذَابِ
وَقَالَ تَيَمَّمُوا ٱلْأَبْوَابَ مِنْهَا   فَكُلٌّ جَاءَ مِنْ تِلْقَاءِ بَابِ
فَهَٰذَا قَالَ قِدْرٌ مِنْ طَعَامٍ   وَهَٰذَا قَالَ دَنٌّ مِنْ شَرَابِ
وَهَٰذَا قَالَ رَيْحَانٌ وَنَقْلٌ   وَثَلْجٌ مِثْلُ رَقْرَاقِ ٱلسَّرَابِ
وَسَمْحُ ٱلْقَوْمِ مَنْ سَمَحَتْ يَدَاهُ   بِخَدِّ غَرِيرَةٍ بِكْرٍ كَعَابِ
فَتَمَّ لَهُمْ بِذَٰلِكَ يَوْمُ لَهْوٍ   غَرِيبِ ٱلْحُسْنِ عَذْبٍ مُسْتَطَابِ
إِذَا ٱلْعِبْءُ ٱلثَّقِيلُ تَوَزَّعَتْهُ   رِقَابُ ٱلْقَوْمِ خَفَّ عَلَى ٱلرِّقَابِ

❋ ❋ ❋

---

(١) هو محمد بن حمزة السلمي ، كما في « أنوار الربيع » (٣/٦٣) .
(٢) انظر « ديوان السري الرفاء » (ص ٧٥) .

الاكتفاءُ

هوَ الاقتصارُ مِنْ كلمةٍ علىٰ بعضِها ، أو مِنْ كلامٍ علىٰ جزءٍ منهُ ، اقتصاراً يشبهُ الاقتصارَ علىٰ بعضِ الكلمةِ .

ونقلَ أهلُ هٰذا الفنِّ ندرةَ وقوعِهِ في كلامِ العربِ ، ورَوَوا فيهِ قولَهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « كَفَىٰ بِٱلسَّيْفِ شَا »[1] ؛ أي : شاهداً ، وأكثرَ منهُ المُتأخِّرونَ ؛ كابنِ نباتةَ المصريِّ وأهلِ عصرِهِ ومَنْ قبلَهُ بقليلٍ ، ولم يَستعمِلْهُ مَنْ تَقدَّمَهُم مِنَ الشُّعراءِ .

وأحسنُ الاكتفاءِ : ما كانَ فيهِ بعضُ الكلمةِ المُقتصَرُ عليهِ كلمةً تامَّةً ، فيكونُ الكلامُ بذٰلكَ مُشتمِلاً على التوريةِ ؛ [كقولِ] بعضِهم[2] : [من مجزوء الخفيف]

نَزَلَ ٱلطَّلُّ بُكْرَةً ... وَسُرُورِي تَجَدَّدَا
وَٱلنَّدَامَىٰ تَجَمَّعُوا ... فَأَجْلُ كَأْسِي عَلَى ٱلنَّدَا

فلفظُ (النَّدا) مِنَ (الندامىٰ) ، ورشحَ للتوريةِ بقولِهِ : (نزلَ الطلُّ) .

وشاهدُ النوعِ الآخَرِ : قولُ بعضِهِم : [من الكامل]

لَا أَنْتَهِي لَا أَرْعَوِي لَا أَنْثَنِي ... مَا دُمْتُ فِي قَيْدِ ٱلْحَيَاةِ وَلَا إِذَا

❋ ❋ ❋

---

(١) أخرجه عبد الرزاق في « المصنف » (١٧٩١٨) عن الحسن رحمه الله تعالىٰ مرسلاً ، وانظر « البدر المنير » (٩/١٠) .

(٢) هو ابن مكانس ، كما في « أنوار الربيع » (٣/٨٨ ـ ٨٩) .

الاحتباكُ

هوَ نوعٌ مِنَ الاختصارِ ، ولخصوصِ هيئتِهِ عُدَّ مِنَ المُحسِّناتِ وأُفرِدَ بالاسمِ .

وضابطُهُ : أن يُجعَلَ الكلامُ شطرَينِ ، ويُحذَفَ مِنْ كلٍّ منهُما نظيرُ ما يَثبُتُ في الآخَرِ .

وشاهدُهُ مِنَ القرآنِ : ﴿ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ﴾ [1] ؛ أي : إن شاءَ فلا يتوبَ عليهِم ، أو يتوبَ عليهِم فلا يُعذِّبَهُم .

ومِنْ قولِ بعضِ العربِ [2] : [من الطويل]

وَإِنِّـي لَـتَـعْـرُونِـي لِـذِكْـرَاكِ هِـزَّةٌ ... كَمَا ٱنْتَفَضَ ٱلْعُصْفُورُ بَلَّلَهُ ٱلْقَطْرُ

أي : هِزَّةٌ وانتفاضٌ كما اهتزَّ وانتفضَ .

ومِنَ القرآنِ أيضاً : ﴿ قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ فَعَلَىَّ إِجْرَامِى وَأَنَا۠ بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُجْرِمُونَ ﴾ [3] ، ﴿ وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ ﴾ [4] ، وهوَ فيهِ كثيرٌ .

❊ ❊ ❊

(١) سورة الأحزاب : (٢٤) .

(٢) انظر « خزانة الأدب » (٣/٢٥٤) .

(٣) سورة هود : (٣٥) .

(٤) سورة النمل : (١٢) .

اتصالُ النتائجِ

هوَ مثلُ قولِهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « مَنْ كَثُرَ كَلَامُهُ . . كَثُرَ سَقَطُهُ ، وَمَنْ كَثُرَ سَقَطُهُ . . كَثُرَتْ ذُنُوبُهُ ، وَمَنْ كَثُرَتْ ذُنُوبُهُ . . كَانَتِ ٱلنَّارُ أَوْلَىٰ بِهِ »[1] .

وقولِ عليٍّ كَرَّمَ اللهُ وجهَهُ : (مَنْ كَثُرَ كلامُهُ . . كَثُرَ خطؤُهُ ، ومَنْ كَثُرَ خطؤُهُ . . قَلَّ حياؤُهُ ، ومَنْ قلَّ حياؤُهُ . . قلَّ ورعُهُ ، ومَنْ قلَّ ورعُهُ . . ماتَ قلبُهُ ، ومَنْ ماتَ قلبُهُ . . دخلَ النارَ)[2] .

ولبعضِهِم : [من المتقارب]

تَأَمَّلْ بِعَيْنَيْكَ كَيْفَ ٱلذَّهَابُ ... فَإِنَّ لِكُلِّ حَيَاةٍ مَمَاتَا
فَمَنْ عَاشَ شَبَّ وَمَنْ شَبَّ شَابَ ... وَمَنْ شَابَ شَاخَ وَمَنْ شَاخَ مَاتَا

ولبعضِهِم[3] : [من المتقارب]

قُرَيْشٌ خِيَارُ بَنِي آدَمٍ ... وَخَيْرُ قُرَيْشٍ بَنُو هَاشِمِ
وَخَيْرُ بَنِي هَاشِمٍ أَحْمَدٌ ... رَسُولُ ٱلْإِلَـٰهِ إِلَى ٱلْعَالَمِ

❋ ❋ ❋

---

(١) أخرجه الطبراني في « المعجم الأوسط » (٦٥٣٧) عن سيدنا ابن عمر رضي الله عنهما .
(٢) أخرجه الطبراني في « المعجم الأوسط » (٢٢٨٠) عن سيدنا عمر رضي الله عنه .
(٣) انظر « أنوار الربيع » (٣/٤٩) .

ردُّ العَجُزِ على الصَّدرِ

هوَ تكريرُ كلمةٍ في الشَّطرَينِ مِنَ الشعرِ أوِ الفقرتَينِ مِنَ السَّجعِ ؛ كقولِ بعضِهِم[1] :   [من الطويل]

سَرِيعٌ إِلَى ٱبْنِ ٱلْعَمِّ يَلْطِمُ وَجْهَهُ   وَلَيْسَ إِلَىٰ دَاعِي ٱلنَّدَىٰ بِسَرِيعِ

وما أشبهَ ذٰلكَ .

❋ ❋ ❋

---

(١) هو للأقشير ، كما في « خزانة الأدب » (٤/٤٨٨) .

الاستثناءُ

هوَ المعروفُ ، وإنَّما يُعَدُّ مِنَ البديعِ إذا كانَ مثلَ قولِ النُّمَيريِّ حيثُ يُخاطِبُ الحَجَّاجَ وكانَ فَرَّ خائفاً منهُ ولم يجدْ فِرارَهُ نافعاً[1] : [من الطويل]

فَهَاكَ يَدِي ضَاقَتْ بِيَ ٱلْأَرْضُ رَحْبُهَا وَإِنْ كُنْتُ قَدْ طَوَّفْتُ كُلَّ مَكَانِ

فَلَوْ كُنْتُ كَٱلْعَنْقَاءِ أَوْ فِي أُطُومِهَا لَخِلْتُكَ إِلَّا أَنْ تَصُدَّ تَرَانِي

فإنَّهُ مُشتمِلٌ علىٰ تأكيدِ المبالغةِ في صفتِهِ ؛ بزيادةِ القدرةِ ، وقُوَّةِ السلطانِ ، وشِدَّةِ الضَّبطِ ؛ يقولُ : إنَّهُ لا يَفوتُهُ فائِتٌ ، ولا يَنجو منهُ إلَّا مَنِ اختارَ نجاتَهُ ، فلا بدَّ أن يَشتمِلَ الاستثناءُ علىٰ مَزيَّةٍ مِنْ جنسِ ما يُذكَرُ في علمِ البلاغةِ مِنْ دواعي صُوَرِ التراكيبِ .

❋ ❋ ❋

(١) انظر « أنوار الربيع » (٣/١١٠) .

مُراعاةُ النظيرِ

هيَ أن يُذكَرَ الشيءُ وما هوَ مِنْ واديهِ ؛ كقولِ البحتريِّ في صفةِ إبلٍ أنحلَها السَّيرُ[1] : [من الخفيف]

يَتَرَقْرَقْنَ كَٱلسَّرَابِ وَقَدْ خُضْـ ـنَ غِمَاراً مِنَ ٱلسَّرَابِ ٱلْجَارِي

كَٱلْقِسِيِّ ٱلْمُعَطَّفَاتِ بَلِ ٱلْأَسْـ ـهُمِ مَبْرِيَّةً بَلِ ٱلْأَوْتَارِ

فلمَّا أرادَ أن يَترقَّىٰ في تصويرِ نُحولِها . . لم يَخرجْ عن وادي القَوسِ .

وللشَّريفِ الرَّضيِّ[2] : [من الكامل]

هُنَّ ٱلْقِسِيُّ مِنَ ٱلنُّحُولِ فَإِنْ سَمَا طَلَبٌ فَهُنَّ مِنَ ٱلنَّجَاءِ ٱلْأَسْهُمُ

ولأبي العلاءِ[3] : [من الطويل]

إِذَا صَدَقَ ٱلْجَدُّ ٱفْتَرَى ٱلْعَمُّ لِلْفَتَىٰ مَكَارِمَ لَا تُكْرَىٰ وَإِنْ كَذَبَ ٱلْخَالُ

المُرادُ بالجَدِّ : الحظُّ والبَخْتُ ، **وبالعمِّ** : جماعةُ الناسِ ، **وبالخالِ** : الظنُّ .

ومتىٰ سلكَ هٰذا الطريقَ في العبارةِ . . فالانحرافُ عنهُ بكلمةٍ أجنبيةٍ يُعَدُّ عيباً ؛ كما وقعَ لأبي نُواسٍ في قولِهِ[4] : [من المجتث]

وَقَدْ حَلَفْتُ يَمِيناً مَبْرُورَةً لَا تُكَذَّبْ

بِرَبِّ زَمْزَمَ وَٱلْحَوْ ضِ وَٱلصَّفَا وَٱلْمُحَصَّبْ

ولو قالَ : (والبيتِ) . . لسَلِمَ مِنْ ذٰلكَ .

---

(١) انظر « ديوان البحتري » (٢/٩٨٧) .

(٢) انظر « ديوان الشريف الرضي » (٢/٣٤٢) .

(٣) انظر « شروح سقط الزند » (٣/١٢٦٢) .

(٤) انظر « ديوان أبي نواس » (ص ٣٨٤) .

التوجيهُ

هـوَ أن يُـعـبِّـرَ بـألـفـاظٍ هـيَ أسـمـاءٌ لـنـاسٍ أو غـيـرِهـم ، مـثـلُ قـولِ بعضِهِم[1] : [من المتقارب]

وَمَـا حُـسْـنُ بَـيْـتٍ لَـهُ زُخْـرُفٌ ... تَـرَاهُ إِذَا زُلْـزِلَـتْ لَـمْ يَـكُـنْ

وقولِ الوداعيّ[2] : [من البسيط]

مَـنْ أَمَّ بَـابَـكَ لَـمْ تَـبْـرَحْ جَـوَارِحُـهُ ... تَرْوِي أَحَادِيثَ مَا أَوْلَيْتَ مِنْ مِنَنِ

فَٱلْعَيْنُ عَنْ قُرَّةٍ وَٱلْكَفُّ عَنْ صِلَةٍ ... وَٱلْقَلْبُ عَنْ جَابِرٍ وَٱلْأُذْنُ عَنْ حَسَنِ

❋ ❋ ❋

(١) هو الشريف تقي الدين الحسيني ، كما في « أنوار الربيع » (٣/١٥١) .

(٢) انظر « أنوار الربيع » (٣/١٤٤ ـ ١٤٥) .

التمثيلُ

هوَ تقريرُ المعنىٰ بذكرِ نظائرِهِ ، وفيهِ تشبيهٌ ضمنيٌّ ؛ كقولِهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ لشخصٍ رآهُ قد أنهكَ نفسَهُ بالعبادةِ : « إِنَّ هَـٰذَا ٱلدِّينَ مَتِينٌ ، فَأَوْغِلْ فِيهِ بِرِفْقٍ ؛ فَإِنَّ ٱلْمُنْبَتَّ لَا أَرْضاً قَطَعَ ، وَلَا [ظَهْراً] أَبْقَىٰ »[1] ، مَثَّلَ حالَ ذٰلكَ العابدِ بحالِ مسافرٍ قدِ استجادَ دابتَهُ ، فتركَ الرفاقَ ، واشتدَّ في السيرِ ، حتىٰ كَلَّتْ راحلتُهُ ، فلا هوَ وصلَ المَقصِدَ ، ولا أبقىٰ راحلتَهُ .

وكقولِ حبيبٍ[2] : [من البسيط]

أَخْرَجْتُمُوهُ بِكُرْهٍ عَنْ سَجِيَّتِهِ ... وَٱلنَّارُ قَدْ تُنْتَضَىٰ مِنْ نَاضِرِ ٱلسَّلَمِ

أَوْطَأْتُمُوهُ عَلَىٰ جَمْرِ ٱلْعُقُوقِ وَلَوْ ... لَمْ يُحْرَجِ ٱللَّيْثُ لَمْ يَخْرُجْ مِنَ ٱلْأَجَمِ

يُخاطِبُ بهـٰذا الكلامِ قوماً أغضبوا رئيسَهُم بالتورُّطِ في مخالفاتِهِ ، حتى اضطرُّوهُ إلىٰ مفارقةِ سجاياهُ ؛ مِنَ العطفِ عليهم ، والرأفةِ بهِم ، وإصلاحِ أحوالِهِم ؛ إلىٰ تأديبِهِم بما يعيدُهُم إلىٰ ما هوَ لهُم صلاحٌ .

* * *

---

(١) أخرجه البيهقي في « شعب الإيمان » (٣٦٠٢) عن سيدتنا أم المؤمنين عائشة رضي الله تعالىٰ عنها .

(٢) انظر « ديوان أبي تمام » (٣/١٨٩) وحبيب : هو أبو تمام ، حبيب بن أوس الطائي .

القَسَمُ

هوَ مِنَ المُؤكِّداتِ كما عرفتَ في المعاني [1] ، ويكونُ القَسَمُ بعباراتٍ كثيرةٍ ، وأحسنُهُ : ما كانَ موافقاً للغَرَضِ المَسُوقِ لهُ الكلامُ ، وتَعرِفُ ذٰلكَ في أقسامِ الكتابِ العزيزِ ؛ فإنَّها في حَيِّزِ الاستدلالِ لإثباتِ عقائدِ الإسلامِ ، وتراها مُتضمِّنةً ذٰلكَ .

ومِنَ المُنبغي أن يُتجنَّبَ : القَسَمُ بما يَنفِرُ عنهُ سمعُ المسلمِ ؛ مثلُ : برئتُ مِنَ الإسلامِ ، وانحرفتُ عنِ الهدىٰ ، كما وقعَ لبعضِ المُستهتَرينَ ، وليكنْ مثلَ قولِ الأشترِ النَّخَعيِّ الذي يقولُ فيهِ عليٌّ كرَّمَ اللهُ وجهَهُ : (الأشترُ لي كما كنتُ لرسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ) [2] : [من الكامل]

بَقَّيْتُ وَفْرِي وَٱنْحَرَفْتُ عَنِ ٱلْعُلَا ... وَلَقِيتُ أَضْيَافِي بِوَجْهِ عَبُوسِ

إِنْ لَمْ أَشُنَّ عَلَى ٱبْنِ هِنْدٍ غَارَةً ... لَمْ تَخْلُ يَوْماً مِنْ نِهَابِ نُفُوسِ

خَيْلاً كَأَمْثَالِ ٱلسَّعَالِي شُزَّباً ... تَعْدُو بِبِيضٍ فِي ٱلْكَرِيهَةِ شُوسِ

حَمِيَ ٱلْحَدِيدُ عَلَيْهِمُ فَكَأَنَّهُمْ ... وَمَضَانُ بَرْقٍ أَوْ شُعَاعُ شُمُوسِ

[قصيدتانِ مشتملتانِ على القَسَمِ]

ولقد أحسنَ بعضُ أصحابِ البديعيَّاتِ عندَ التمثيلِ للقَسَمِ بما صدرَ عن أحمدَ بنِ المنيرِ المشهورِ بمُهذَّبِ الدِّينِ الشيعيِّ في إيرادِ قصيدتَيهِ المُشتملتَينِ على القَسَمِ ، فلا بأسَ باتِّباعِهِ في ذٰلكَ .

---

(١) انظر (٢/٧٤) .

(٢) انظر « شرح الحماسة » للتبريزي (١/٧٥) .

وسببُ القصيدةِ الأُولىٰ[1] : أنَّهُ كان أهدىٰ لنقيبِ الأشرافِ في عصرِهِ ببغدادَ مِنْ بلدِهِ طرابلسِ الشامِ عبداً أسودَ ، فكتبَ لهُ الشريفُ : لو رأيتَ عدداً أقلَّ مِنَ الواحدِ ولوناً شرّاً مِنَ السَّوادِ . . لأهديتَهُ ، يُداعِبُهُ بذٰلكَ ، فخَجِلَ ابنُ المنيرِ مِنْ ذٰلكَ ، وجَهَّزَ لهُ هديةً وأرسلَها معَ مملوكٍ لهُ كانَ شقيقَ روحِهِ ، واسمُهُ : تترُ ، فظنَّهُ الشَّريفُ بعضَ الهديةِ ، وطلبَهُ ابنُ منيرٍ ، وعلمَ الشريفُ شِدَّةَ شغفِهِ بهِ ، فتوانىٰ عن إرسالِهِ علىٰ سبيلِ المزحِ ، فكتبَ لهُ بهٰذهِ القصيدةِ : [من مجزوء الكامل]

عَــذَّبْــتَ طَــرْفِــي بِــٱلــسَّــهَــرْ وَأَذَبْــتَ قَــلْــبِــي بِــٱلْــفِــكَــرْ
وَمَــزَجْــتَ صَــفْــوَ مَــوَدَّتِــي مِــنْ بَــعْــدِ بُــعْــدِكَ بِــٱلْــكَــدَرْ
وَمَــنَــحْــتَ جُــثْــمَــانِــي ٱلــضَّــنَــىٰ وَكَــحَــلْــتَ عَــيْــنِــي بِــٱلــسَّــهَــرْ
وَجَــفَــوْتَ صَــبّــاً مَــا لَــهُ عَــنْ حُــسْــنِ وَجْــهِــكَ مُــصْــطَــبَــرْ
يَــا قَــلْــبُ وَيْــحَــكَ كَــمْ تُــخَــا دِعُ بِــٱلْــغُــرُورِ وَكَــمْ تَــغُــرّْ
وَإِلَامَ تَــكْــلَــفُ بِــٱلْأَغَــنِّ مِــنَ ٱلــظِّــبَــاءِ وَبِــٱلْأَغَــرّْ
رِيــمٌ يُــفَــوِّقُ إِنْ رَمَــا كَ بِــسَــهْــمِ نَــاظِــرِهِ ٱلــنَّــظَــرْ
تَــرَكَــتْــكَ أَعْــيُــنُ تُــرْكِــهَــا مِــنْ بَــأْسِــهِــنَّ عَــلَــىٰ خَــطَــرْ
وَرَمَــتْ فَــأَصْــمَــتْ عَــنْ قِــسِــيٍّ لَا يُــنَــاطُ بِــهَــا وَتَــرْ
جَــرَحَــتْــكَ جُــرْحــاً لَا يُــخَــيَّــ ــطُ بِــٱلْــخُــيُــوطِ وَلَا ٱلْإِبَــرْ
تَــلْــهُــو وَتَــلْــعَــبُ بِــٱلْــعُــقُــو لِ عُــيُــونُ أَبْــنَــاءِ ٱلْــخَــزَرْ
فَــكَــأَنَّــهُــنَّ صَــوَالِــجٌ وَكَــأَنَّــهُــنَّ لَــهَــا أُكَــرْ

(١) انظر « أنوار الربيع » (٣/٢٢٣ ـ ٢٢٩) .

تُــخْــفِــي ٱلْــهَــوَىٰ وَتُــسِــرُّهُ وَخَــفِــيُّ سِــرِّكَ قَــدْ ظَــهَــرْ

أَفَــهَــلْ لِــوَجْــدِكَ مِــنْ مَــدىً يُــفْــضَــىٰ إِلَــيْــهِ فَــيُــنْــتَــظَــرْ

نَــفْــسِــي ٱلْــفِــدَاءُ لِــشَــادِنٍ أَنَــا مِــنْ هَــوَاهُ عَــلَــىٰ خَــطَــرْ

عَــذَلَ ٱلْــعَــذُولُ وَمَــا رَآ هُ وَحِــيــنَ عَــايَــنَــهُ عَــذَرْ

قَــمَــرٌ يُــزَيِّــنُ ضَــوْءُ صُــبْــحِ جَــبِــيــنِــهِ لَــيْــلَ ٱلــشَّــعَــرْ

وَتَــرَى ٱلــلَّــوَاحِــظُ خَــدَّهُ فَــيُــرَىٰ لَــهُــنَّ بِــهِ أَثَــرْ

هُــوَ كَــٱلْــهِــلَالِ مُــلَــثَّــمــاً وَٱلْــبَــدْرِ حُــسْــنــاً إِنْ سَــفَــرْ

وَيْــلَاهُ مَــا أَحْــلَاهُ فِــي قَــلْــبِــي ٱلــشَّــجِــيِّ وَمَــا أَمَــرّْ

نَــوْمِــي ٱلْــمُــحَــرَّمُ بَــعْــدَهُ وَرَبِــيــعُ لَــذَّاتِــي صَــفَــرْ

بِــٱلْــمَــشْــعَــرَيْــنِ وَبِــٱلــصَّــفَــا وَٱلْــبَــيْــتِ أُقْــسِــمُ وَٱلْــحَــجَــرْ

وَبِــمَــنْ سَــعَــىٰ فِــيــهِ وَطَــا فَ بِــهِ وَلَــبَّــىٰ وَٱعْــتَــمَــرْ

لَــئِــنِ ٱلــشَّــرِيــفُ ٱلْــمُــوسَــوِيُّ ٱبْــنُ ٱلــشَّــرِيــفِ [أَبِــي] مُــضَــرْ

أَبْــدَى ٱلْــجُــحُــودَ وَلَــمْ يَــرُدَّ إِلَــيَّ مَــمْــلُــوكِــي تَــتَــرْ

وَالَــيْــتُ آلَ أُمَــيَّــةَ ٱلــطُّــهْــرَ ٱلْــمَــيَــامِــيــنَ ٱلْــغُــرَرْ

وَجَــحَــدْتُ بَــيْــعَــةَ حَــيْــدَرٍ وَعَــدَلْــتُ عَــنْــهُ إِلَــىٰ عُــمَــرْ

وَإِذَا جَــرَىٰ ذِكْــرُ ٱلــصَّــحَــابَــةِ بَــيْــنَ قَــوْمٍ وَٱشْــتَــهَــرْ

قُــلْــتُ ٱلْــمُــقَــدَّمُ شَــيْــخُ تَــيْــمٍ ثُــمَّ صَــاحِــبُــهُ عُــمَــرْ

مَــا سَــلَّ قَــطُّ ظُــبــىً عَــلَــىٰ آلِ ٱلــنَّــبِــيِّ وَلَا شَــهَــرْ

كَــلَّا وَلَا صَــدَّ ٱلْــبَــتُــو لَ عَــنِ ٱلــتُّــرَاثِ وَلَا زَجَــرْ

وَأَثَابَهَا ٱلْحُسْنَىٰ وَلَا   شَقَّ ٱلْكِتَابَ وَلَا بَقَرْ

وَبَكَيْتُ عُثْمَانَ ٱلشَّهِيـ   ـدَ بُكَاءَ نِسْوَانِ ٱلْحَضَرْ

وَشَرَحْتُ حُسْنَ صَلَاتِهِ   جُنْحَ ٱلظَّلَامِ ٱلْمُعْتَكِرْ

وَقَرَأْتُ مِنْ أَوْرَاقِ مُصْـ   ـحَفِهِ (بَرَاءَةَ) وَ(ٱلزُّمَرْ)

وَرَثَيْتُ طَلْحَةَ وَٱلزُّبَيْـ   ـرَ بِكُلِّ شِعْرٍ مُبْتَكَرْ

وَأَزُورُ قَبْرَهُمَا وَأَزْ   جُرُ مَنْ نَهَانِي أَوْ زَجَرْ

وَأَقُولُ أُمُّ ٱلْمُؤْمِنِيـ   ـنَ عُقُوقُهَا إِحْدَى ٱلْكُبَرْ

وَافَتْ عَلَىٰ جَمَلٍ لِتُصْـ   ـبِحَ مِنْ بَنِيهَا فِي زُمَرْ

وَأَتَتْ لِتُصْلِحَ بَيْنَ جَيْـ   ـشِ ٱلْمُسْلِمِينَ عَلَىٰ غَرَرْ

فَأَتَىٰ أَبُو حَسَنٍ وَسَلَّ   حُسَامَهُ وَسَطَا وَكَرّْ

وَأَذَاقَ إِخْوَتَهُ ٱلرَّدَىٰ   وَبَعِيرَ أُمِّهِمُ عَقَرْ

مَا ضَرَّهُ لَوْ كَانَ كَفَّ   وَعَفَّ عَنْهُ إِذْ قَدَرْ

وَأَقُولُ إِنَّ إِمَامَكُمْ   وَلَّىٰ بِصِفِّينٍ وَفَرّْ

وَأَقُولُ إِنْ أَخْطَا مُعَا   وِيَةٌ فَمَا أَخْطَا ٱلْقَدَرْ

هَٰذَا وَلَمْ يَغْدِرْ مُعَا   وِيَةٌ وَلَا عَمْرٌو مَكَرْ

بَطَلٌ بِسَوْءَتِهِ يُقَا   تِلُ لَا بِصَارِمِهِ ٱلذَّكَرْ

وَٱلْأَشْعَرِيُّ بِمَا يَؤُو   لُ إِلَيْهِ أَمْرُهُمَا شَعَرْ

قَالَ ٱنْصِبُوا لِي مِنْبَراً   فَأَنَا ٱلْبَرِيءُ مِنَ ٱلْخَطَرْ

فَعَلَا وَقَالَ خَلَعْتُ صَا   حِبَكُمْ وَأَوْجَزَ وَٱخْتَصَرْ

وَجَنَيْتُ مِنْ ثَمَرِ ٱلنَّوَا صِبِ مَا تَتَمَّرَ وَٱخْتَمَرْ
وَأَقُولُ ذَنْبُ ٱلْخَارِجِيـ ـنَ عَلَىٰ عَلِيٍّ مُغْتَفَرْ
لَا ثَائِرٌ بِقِتَالِهِمْ فِي ٱلنَّهْرَوَانِ وَلَا أَثَرْ
وَأَقُولُ إِنَّ يَزِيدَ مَا شَرِبَ ٱلْخُمُورَ وَلَا فَجَرْ
وَلِجَيْشِهِ بِٱلْكَفِّ عَنْ أَبْنَاءِ فَاطِمَةٍ أَمَرْ
وَحَلَقْتُ فِي عَشْرِ ٱلْمُحَرَّ مِ مَا ٱسْتَطَالَ مِنَ ٱلشَّعَرْ
وَنَوَيْتُ صَوْمَ نَهَارِهِ وَصِيَامَ أَيَّامٍ أُخَرْ
وَلَبِسْتُ فِيهِ أَجَلَّ ثَوْ بٍ لِلْمَلَابِسِ يُدَّخَرْ
وَسَهِرْتُ فِي طَبْخِ ٱلْحُبُو بِ مِنَ ٱلْعِشَاءِ إِلَى ٱلسَّحَرْ
وَغَدَوْتُ مُكْتَحِلاً أُصَا فِحُ مَنْ لَقِيتُ مِنَ ٱلْبَشَرْ
وَوَقَفْتُ فِي وَسَطِ ٱلطَّرِيـ ـقِ أَقُصُّ شَارِبَ مَنْ عَبَرْ
وَأَكَلْتُ جِرْجِيرَ ٱلْبُقُو لِ بِلَحْمِ جِرِّي ٱلْحُفَرْ (١)
وَجَعَلْتُهَا خَيْرَ ٱلْمَآ كِلِ وَٱلْفَوَاكِهِ وَٱلْخُضَرْ
وَغَسَلْتُ رِجْلِي ظِلَّةً (٢) وَمَسَحْتُ خُفِّي فِي ٱلسَّفَرْ
وَأَمِينَ أَجْهَرُ فِي ٱلصَّلَا ةِ كَمَنْ بِهَا قَبْلِي جَهَرْ
وَأَسُنُّ تَسْنِيمَ ٱلْقُبُو رِ لِكُلِّ قَبْرٍ يُحْتَفَرْ
وَإِذَا جَرَىٰ ذِكْرُ ٱلْغَدِيـ ـرِ أَقُولُ مَا صَحَّ ٱلْخَبَرْ
وَلَبِسْتُ فِيهِ مِنَ ٱلْمَلَا بِسِ مَا ٱضْمَحَلَّ وَمَا دَثَرْ

---

(١) في « ثمرات الأوراق » (ص ٣٣١) : (جوني الجفر) .
(٢) في « أنوار الربيع » (٢٢٨/٣) : (ضلة) بدل (ظلة) .

وَسَــكَـنْـتُ جُـلَّـقَ وَٱقْـتَـدَيْـــ ... ــتُ بِـهِـمْ وَإِنْ كَـانُـوا بَـقَـرْ

وَأَقُـولُ مِـثْـلَ مَـقَـالِـهِـمْ ... بِـٱلْـفَـاشِـرَيَّـا قَـدْ فَـشَـرْ

مُـصْـطَـيْـحَـتِـي مَـكْـسُـورَةٌ ... وَفَـطِـيـرَتِـي فِـيـهَـا قِـصَـرْ

بَـقَـرٌ تَـرَىٰ بِـرَئِـيـسِـهِـمْ ... طَـيْـشَ ٱلـظَّـلِـيـمِ إِذَا نَـفَـرْ

وَخَـفِـيـفُـهُـمْ مُـسْـتَـثْـقَـلٌ ... وَصَـوَابُ قَـوْلِـهِـمُ هَـذَرْ

وَطِـبَـاعُـهُـمْ كَـحِـبَـالِـهِـمْ (١) ... جُـبِـلَـتْ وَقُـدَّتْ مِـنْ حَـجَـرْ

مَـا يُـدْرِكُ ٱلـتَّـشْـبِـيـبُ تَـغْـــ ... ــرِيـدَ ٱلْـبَـلَابِـلِ بِـٱلـسَّـحَـرْ

وَأَقُـولُ فِـي يَـوْمٍ تَـحَـا ... رُ لَـهُ ٱلْـبَـصِـيـرَةُ وَٱلْـبَـصَـرْ

وَٱلـصُّـحْـفُ يُـنْـشَـرُ طَـيُّـهَـا ... وَٱلـنَّـارُ تَـرْمِـي بِـٱلـشَّـرَرْ

هَـٰذَا ٱلـشَّـرِيـفُ أَضَـلَّـنِـي ... بَـعْـدَ ٱلْـهِـدَايَـةِ وَٱلـنَّـظَـرْ

فَـيُـقَـالُ خُـذْ بِـيَـدِ ٱلـشَّـرِيـــ ... ــفِ فَـمُـسْـتَـقَـرُّكُـمَـا سَـقَـرْ

لَـوَّاحَـةٌ تَـسْـطُـو فَـمَـا ... تُـبْـقِـي عَـلَـيْـهِ وَلَا تَـذَرْ

وَٱللهُ يَـغْـفِـرُ لِـلْـمُـسِـي ... ءِ إِذَا تَـنَـصَّـلَ وَٱعْـتَـذَرْ

إِلَّا لِـمَـنْ جَـحَـدَ ٱلْـوَصِـيَّ ... وَلَاءَهُ وَلِـمَـنْ كَـفَـرْ

فَـٱخْـشَ ٱلْإِلَـٰهَ بِـسُـوءِ فِـعْـــ ... ــلِـكَ وَٱحْـتَـذِرْ كُـلَّ ٱلْـحَـذَرْ

وَإِلَـيْـكَـهَـا بَـدَوِيَّـةً ... رَقَّـتْ لِـرِقَّـتِـهَـا ٱلْـحَـضَـرْ

شَـامِـيَّـةً لَـوْ شَـامَـهَـا ... قُـسُّ ٱلْـفَـصَـاحَـةِ مَـا ٱفْـتَـخَـرْ

حَـبَّـرْتُـهَـا فَـغَـدَتْ كَـزَهْـــ ... ــرِ ٱلـرَّوْضِ بَـاكَـرَهُ ٱلْـمَـطَـرْ

---

(١) في « أنوار الربيع » (٣/٢٢٨) : (كجبالهم) بدل (كحبالهم) .

وَإِلَى ٱلشَّرِيفِ بَعَثْتُهَا ... لَمَّا قَرَاهَا وَٱبْتَهَرْ
رَدَّ ٱلْغُلَامَ وَمَا ٱسْتَمَرَّ ... عَلَى ٱلْجُحُودِ وَلَا أَصَرّْ
وَأَثَابَنِي وَجَزَيْتُهُ ... شُكْراً وَقَالَ لَقَدْ صَبَرْ

هٰذهِ القصيدةُ وأمثالُها مِنَ الشعرِ ؛ كأشعارِ الصَّاحبِ بهاءِ الدينِ زهيرٍ يُقالُ لهُ : السَّهلُ الممتنعُ ؛ وذٰلكَ أنَّهُ يُخَيَّلُ لقارئِهِ القدرةُ علىٰ مثلِهِ ، فمتىٰ ذهبَ يطالبُ طبعَهُ بحكايتِهِ . . وجدَهُ يَنكُصُ ويأبىٰ عليهِ .

والقصيدةُ الثانيةُ : قولُهُ(١) : [من البسيط]

مَنْ رَكَّبَ ٱلْبَدْرَ فِي صَدْرِ ٱلرُّدَيْنِيِّ ... وَمَوَّهَ ٱلسِّحْرَ فِي حَدِّ ٱلْيَمَانِيِّ
وَأَنْزَلَ ٱلنَّيِّرَ ٱلْأَعْلَىٰ إِلَىٰ فَلَكٍ ... مَدَارُهُ فِي ٱلْقَبَاءِ ٱلْخُسْرُوَانِيِّ
طَرْفٌ رَنَا أَمْ قِرَابٌ سُلَّ صَارِمُهُ ... وَأَغْيَدٌ مَاسَ أَمْ أَعْطَافُ خَطِّيِّ
أَذَلَّنِي بَعْدَ عِزٍّ وَٱلْهَوَىٰ أَبَداً ... يَسْتَعْبِدُ ٱللَّيْثَ لِلظَّبْيِ ٱلْكِنَاسِيِّ
أَمَا وَذَائِبِ مِسْكٍ مِنْ ذَوَائِبِهِ ... عَلَىٰ أَعَالِي ٱلْقَضِيبِ ٱلْخَيْزُرَانِيِّ
وَمَا يُجِنُّ عَقِيقِيُّ ٱلشِّفَاهِ مِنَ ٱلرِّ ... يقِ ٱلرَّحِيقِيِّ وَٱلثَّغْرِ ٱلْجُمَانِيِّ
لَوْ قِيلَ لِلْبَدْرِ مَنْ فِي ٱلْأَرْضِ تَحْسُدُهُ ... إِذَا تَجَلَّىٰ لَقَالَ ٱبْنُ ٱلْفُلَانِيِّ
أَرْبَىٰ عَلَيَّ بِشَتَّىٰ مِنْ مَحَاسِنِهِ ... تَأَلَّفَتْ بَيْنَ مَسْمُوعٍ وَمَرْئِيِّ
إِبَاءُ فَارِسَ مَعْ لِينِ ٱلشَّآمِ مَعَ ٱلظَّ ... رْفِ ٱلْعِرَاقِيِّ وَٱلنُّطْقِ ٱلْحِجَازِيِّ
وَمَا ٱلْمُدَامَةُ بِٱلْأَلْبَابِ أَفْتَكُ مِنْ ... فَصَاحَةِ ٱلْبَدْوِ فِي أَلْفَاظِ تُرْكِيِّ

❋ ❋ ❋

---

(١) انظر « أنوار الربيع » (٣/٢٣١) .

حسنُ التخلُّصِ

جرتْ عادةُ الشُّعراءِ قديماً أنَّهُم إذا أرادوا أن يَمدحوا . . افتتحوا الكلامَ بنوعٍ مِنَ الغزلِ وغيرِهِ لمقاصدَ :

منها : إدخالُ السُّرورِ على الممدوحِ ، وتفريحُ قلبِهِ ، واستحضارُ نشاطِهِ بتذكيرِهِ محاسنَ المِلاحِ وأحوالِ الغرامِ . . . إلىٰ غيرِ ذٰلكَ مِنَ الأمورِ التي تكونُ بها قلوبُ أهلِ القدرةِ بها أشغفَ ، وإلى التفكُّهِ بثمراتِها أميلَ .

ومنها : شكْوُ الشاعرِ انقطاعَ الوسائلِ الواصلةِ بينَهُ وبينَ أحبَّتِهِ ، حتىٰ ألجأهُ ذٰلكَ إلى اقتحامِ المفاوزِ ومواصلةِ الأسفارِ ومعاناةِ الشدائدِ ، يبعثُ بذٰلكَ رحمةَ الممدوحِ ، ويُوجِبُ الحقَّ عليهِ ، وغيرُ ذٰلكَ .

فإذا أرادوا أن ينتقلوا مِنْ ذٰلكَ إلى المقصودِ . . فذٰلكَ مكانُ **التخلُّصِ** .

وقالَ أهلُ البديعِ : ينبغي أن تزيدَ العنايةُ بهِ زيادتَها بالمطلعِ والمقطعِ وموضعِ الطلبِ ، وذٰلكَ يكونُ بحسنِ التحيُّلِ في إدخالِ ابتداءِ المديحِ في غضونِ انتهاءِ الغزلِ ، حتىٰ ينتقلَ السامعُ دونَ شعورٍ وكأنَّهُ لم يزلْ في استماعِ المعنى الأوَّلِ ، فيُسمَّىٰ حينَئذٍ : **حسنَ التخلُّصِ** .

وكانَ يقعُ للمُتقدِّمينَ علىٰ سبيلِ الاتفاقِ ، وهوَ الذي نَبَّهَ المُتأخِّرينَ على اعتبارِ ذٰلكَ وقصدِهِ وإدخالِهِ في الصِّناعةِ ، وغيرُ ذٰلكَ يُسمَّى : **اقتضاباً** ، وهوَ الغالبُ في شعرِ أبي تمامٍ والبحتريِّ ومَنْ قبلَهُم .

حتىٰ كانَ الصَّاحبُ ابنُ عبادٍ يقولُ : البحتريُّ يسقطُ مِنَ السطحِ إلى المدحِ .

ولبعضِ الشعراءِ (١) :   [من مجزوء الكامل]

يَـغْـتَـابُـنِـي فَـإِذَا ٱلْـتَـفَـتُّ   أَبَـانَ عَـنْ مَـحْـضٍ صَـحِـيـحْ
وَثْـبـاً كَـوَثْـبِ ٱلْـبُـحْـتُـرِيِّ   مِـنَ ٱلـنَّـسِـيـبِ إِلَى ٱلْـمَـدِيـحْ

ويَحسُنُ الاقتضابُ إذا أنهى الشاعرُ المعنى الأوَّلَ ؛ بحيثُ لم يبقَ فيهِ ما تَتشوَّفُ إليهِ النفسُ ، ويقولُ العارفُ بصناعةِ الشعرِ : إنَّهُ لا تمكنُ الزيادةُ علىٰ ذٰلكَ ؛ كقولِ أبي تمامٍ وقد ذكرَ الشيبَ ، وذمَّ آثارَهُ ، وتَوجَّعَ مِنْ صحبتِهِ ، واسترسلَ في ذٰلكَ حتىٰ ختمَهُ بالاستدلالِ عليهِ فقالَ (٢) :   [من الخفيف]

لَـوْ رَأَى ٱللهُ أَنَّ فِـي ٱلـشَّـيْـبِ خَـيْـراً   جَـاوَرَتْـهُ ٱلْـوِلْـدَانُ فِـي ٱلْـخُـلْـدِ شِـيـبَـا

فكأنَّهُ يَستحضِرُ السامعَ لأن يَتلقَّىٰ فنّاً آخَرَ مِنَ الكلامِ ، فكأنَّهُ ابتدأَ المديحَ ابتداءً ولم يجعلْ لهُ مُقدّمةً .

[استحسانُ حسنِ التخلُّصِ]

ومعَ ذٰلكَ فقد وقعَ الاتفاقُ على استحسانِ ما سمَّوهُ : حسنَ التخلُّصِ ؛ فمِنْ ذٰلكَ في شعرِ المُتقدِّمينَ قولُ زهيرٍ (٣) :   [من البسيط]

إِنَّ ٱلْـبَـخِـيـلَ مَـلُـومٌ حَـيْـثُ كَـانَ وَلَـٰ   ـكِـنَّ ٱلْـكَـرِيـمَ عَـلَـىٰ عِـلَّاتِـهِ هَـرِمُ

وقولُ ربيعةَ بنِ مقرومٍ الضَّبيِّ (٤) :   [من البسيط]

وَجَـسْـرَةٍ أُجُـدٍ تَـدْمَـىٰ مَـنَـاسِـمُـهَـا   [أَعْـمَـلْـتُـهَـا] بِـيَ حَـتَّـىٰ تَـقْـطَـعَ ٱلْـبِـيدَا
كَـلَّـفْـتُـهَـا فَـرَأَتْ حَـتْـماً تَـكَـلُّـفَـهَـا   ظَـهِـيـرَةً كَـأَجِـيـجِ ٱلـنَّـارِ صَـيْـخُـودَا

---

(١) انظر « معاهد التنصيص » (٤/٢٦٧) .
(٢) انظر « ديوان أبي تمام » (١/١٦١) .
(٣) انظر « ديوان زهير بن أبي سلمىٰ » (ص ١١٩) .
(٤) انظر « ديوان ربيعة الضبي » (ص ٢٩) ، والأُجُد : القوية ، والصيخود : الشديدة الحر .

فِي مَهْمَهٍ قُذُفٍ يُخْشَى ٱلْهَلَاكُ بِهِ أَصْدَاؤُهُ لَا تَنِي بِٱللَّيْلِ تَغْرِيدَا
لَمَّا تَشَكَّتْ إِلَيَّ ٱلْأَيْنَ قُلْتُ لَهَا لَا تَسْتَرِيحِينَ مَا لَمْ أَلْقَ مَسْعُودَا

ولا يتجاوزُ مثلَ هٰذا ما تأنَّقَ فيهِ المُتأخِّرونَ إلَّا يسيراً إن كانَ كقولِ لسانِ الدينِ بنِ الخطيبِ(١) : [من الكامل]

شِمْتُ ٱلْمُنَىٰ وَحَمِدْتُ إِدْلَاجَ ٱلسُّرَىٰ وَزَجَرْتُ لِلْآمَالِ كُلَّ سَنِيحِ
فَكَأَنَّمَا لَيْلِي نَسِيبُ قَصِيدَتِي وَٱلصُّبْحُ فِيهِ تَخَلُّصِي لِمَدِيحِي

ولبديعِ الزمانِ الهَمْدانيِّ(٢) : [من البسيط]

أَبَى ٱلْمُقَامَ بِدَارِ ٱلذُّلِّ لِي كَرَمٌ وَهِمَّةٌ تَصِلُ ٱلتَّخْوِيدَ وَٱلْخَبَبَا
وَعَزْمَةٌ لَا تَزَالُ ٱلدَّهْرَ ضَارِبَةً دُونَ ٱلْأَمِيرِ وَفَوْقَ ٱلْمُشْتَرِي طَنَبَا

وجميعُ انتقالاتِ الكتابِ العزيزِ شواهدُ علىٰ أحسنِ حُسْنِ تَخلُّصٍ .

❋ ❋ ❋

---

(١) انظر « الإحاطة في أخبار غرناطة » (٤/٤٦٣) .
(٢) انظر « ديوان بديع الزمان الهمداني » (ص ٣٣) ، والتخويد : سرعة السير .

الاطِّرادُ

هوَ أن يذكرَ اسمَ شخصٍ فيَنسُبَهُ بذكرِ أبيهِ وجدِّهِ ، وذٰلكَ يزيدُ حسنَهُ في الشعرِ ؛ لأنَّهُ معَ حكمِ الوزنِ إذا كانَ سهلاً سَلْسَلاً مُنحدِراً يُشبِهُ الماءَ في اطرادِهِ وجريانِهِ . . وردَ علىٰ نفسِ السامعِ مُستغرَباً مُتعجَّباً منهُ .

وهوَ في غيرِ الشعرِ : كقولِهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ : « إِنَّ ٱلْكَرِيمَ ٱبْنَ ٱلْكَرِيمِ ٱبْنِ ٱلْكَرِيمِ ٱبْنِ ٱلْكَرِيمِ : يُوسُفُ بْنُ يَعْقُوبَ بْنِ إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ »[1] .

وفي الشعرِ : كقولِ بعضِ العربِ[2] : [من الكامل]

إِنْ يَقْتُلُوكَ فَقَدْ ثَلَلْتَ عُرُوشَهُمْ ... بِعُتَيْبَةَ بْنِ ٱلْحَارِثِ بْنِ شِهَابِ

وقولِ دريدِ بنِ الصِّمَّةِ[3] : [من الطويل]

قَتَلْنَا بِعَوْنِ ٱللهِ خَيْرَ لِدَاتِهِ ... ذُؤَابَ بْنَ أَسْمَاءَ بْنِ زَيْدِ بْنِ قَارِبِ

وقولِ الأعشىٰ[4] : [من الطويل]

أَقَيْسَ بْنَ مَسْعُودِ بْنِ قَيْسِ بْنِ خَالِدٍ ... وَأَنْتَ ٱلَّذِي تَرْجُو بَقَاءَكَ وَائِلُ

وقولِهِ أيضاً[5] : [من الطويل]

فَنِعْمَ أَخُو ٱلْجُلَّىٰ وَمُسْتَنْبَطُ ٱلنَّدَىٰ ... وَمَلْجَأُ مَحْزُونٍ وَمَفْزَعُ لَاهِثِ

عِيَاذُ بْنُ عَمْرِو بْنِ ٱلْحُسَيْنِ بْنِ غَانِمِ بْـ ... ـنِ زَيْدِ بْنِ مَنْصُورِ بْنِ زَيْدِ بْنِ حَارِثِ

---

(١) أخرجه البخاري (٣٣٩٠) عن سيدنا ابن عمر رضي الله عنهما .

(٢) انظر « يتيمة الدهر » (٣٠٨/٥) .

(٣) انظر « ديوان دريد بن الصمة » (ص ٣٦) ، وفيه : (بعبد) بدل (بعون) .

(٤) انظر « ديوان الأعشىٰ » (٢٦/٢) .

(٥) انظر « أنوار الربيع » (٣٢٧/٣) ، وفيه أنه لابن دريد .

جعلَ البيتَ كلَّهُ اطراداً .

وكقولِ السِّراجِ الوَرَّاقِ مِنَ المُتأخِّرينَ [1] : [من الكامل]

فَلَهُ ٱلْجَمَالُ غَداً بِغَيْرِ مُنَازِعٍ وَلِيَ ٱلْجَوَىٰ فِيهِ بِغَيْرِ قَسِيمِ
وَكَذَا ٱلْعُلَا لِمُحَمَّدِ بْنِ مُحَمَّدِ بْـ ـنِ عَلِيٍّ ٱبْنِ مُحَمَّدِ بْنِ سَلِيمِ

بتنوينِ (عليٍّ) لإقامةِ الوزنِ .

وزادَ بعضُهُم في حدِّ الاطرادِ : لزومَ ذكرِ كنيةِ الشخصِ ولقبِهِ معَ نسبِهِ وقبيلتِهِ ، أو ما أمكنَ مِنْ ذٰلكَ ، فلا يُعَدُّ ذكرُ النسبِ وحدَهُ اطراداً ؛ كقولِ بعضِهِم [2] : [من الوافر]

إِلَى ٱلشَّيْخِ ٱلْجَلِيلِ أَبِي عَلِيٍّ مُحَمَّدٍ ٱبْنِ عِيسَى ٱلدَّامِغَانِيّْ

وقولِ آخَرَ [3] : [من الكامل]

إِنَّ ٱلرِّوَايَةَ وَٱلدِّرَايَةَ خَاتَمٌ حَقّاً أَقُولُ وَلَسْتُ فِيهِ بِزَاعِمِ
وَأَبُو عَلِيٍّ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْـ ـنِ عُمَيْرٍ ٱلْجُشَمِيُّ فَصُّ ٱلْخَاتَمِ

* * *

---

(١) انظر « أنوار الربيع » (٣/٣٢٩) .

(٢) هو أبو القاسم الأليماني ، كما في « أنوار الربيع » (٣/٣٣١) .

(٣) هو أبو محمد الحسين الزيادي ، كما في « أنوار الربيع » (٣/٣٣٣) .

العكسُ

هو مثلُ قولِهِم : عاداتُ الساداتِ ساداتُ العاداتِ ، وكتبُ الأحبابِ أحبابُ الكتبِ ، وكلامُ الأميرِ أميرُ الكلامِ ، وكقولِ بعضِ شعراءِ العربِ[1] : [من الوافر]

رَمَى ٱلْحِدْثَانُ نِسْوَةَ آلِ حَرْبٍ ... بِمِقْدَارٍ سَمَدْنَ لَهُ سُمُودَا
فَرَدَّ شُعُورَهُنَّ ٱلسُّودَ بِيضاً ... وَرَدَّ وُجُوهَهُنَّ ٱلْبِيضَ سُودَا

الحِدْثانُ ـ بكسرٍ فسكونٍ ـ : مِنْ أسماءِ ما جرَتْ عادةُ العربِ بنسبةِ الأفعالِ لهُ ؛ كالدهرِ والزمنِ .

وكقولِ بعضِهِم وقد سُئِلَ عنِ الشِّعرِ : هوَ أدنىٰ مروءةِ السَّرِيِّ ، وأسرىٰ مروءةِ الدنيِّ .

[العكسُ الاتِّفاقيُّ]

ومِنَ **العكسِ الاتفاقيِّ** : قولُ الحسنِ بنِ سهلٍ : لا سَرَفَ في الخيرِ ، وقد قيلَ لهُ : لا خيرَ في السَّرَفِ .

وقولُ أبي تمامٍ ـ وقد أنشدَ ابتداءً مِنِ ابتداءاتِهِ الوَعْرةِ ، [فقالَ أحدُهُم مُنكِراً] : لِمَ لَمْ تَقلْ ما يُفهَمُ ؟ ـ : لِمَ لَمْ تفهمْ ما يُقالُ ؟!

* * *

(١) انظر « خزانة الأدب » (٢/٢٦٤) .

الترديدُ

[هوَ] تكريرُ اللفظِ مختلفِ التعلُّقاتِ ؛ كقولِهِ تعالىٰ في سورةِ (الرحمٰنِ) وسورةِ (المرسلاتِ) وسورةِ (الشعراءِ) ، ويكونُ المُردَّدُ جملةً ومفرداً ، اسماً أو فعلاً أو حرفاً ، وأقلُّهُ : تكريرُ الكلمةِ مرتَينِ ؛ كقولِ أبي نُواسٍ [1] : [من البسيط]

صَفْرَاءُ لَا تَنْزِلُ ٱلْأَحْزَانُ سَاحَتَهَا ... لَوْ مَسَّهَا حَجَرٌ مَسَّتْهُ سَرَّاءُ

وهٰذا النوعُ تَعرِفُ حسنَهُ بتأمُّلِ مواقعِهِ واعتبارِ آثارِهِ .

* * *

(١) انظر « ديوان أبي نواس » (ص ٥٣) .

المناسبةُ

هيَ أن يأتيَ المُتكلِّمُ بألفاظٍ متوازنةٍ ، **وأحسنُها** : مُقفَّاها ؛ كقولِ مروانَ بنِ [أبي] حفصةَ [1] : [من الطويل]

هُمُ ٱلْقَوْمُ إِنْ قَالُوا أَصَابُوا وَإِنْ دُعُوا ... أَجَابُوا وَإِنْ أَعْطَوْا أَطَابُوا وَأَجْزَلُوا

❋ ❋ ❋

(١) انظر « ديوان مروان بن أبي حفصة » (ص ٨٨) .

الجمعُ

هوَ أن يَذكُرَ أمرَينِ أو أكثرَ ليَجعلَ المُتعدِّدَ مُتَّحِداً بمعنىً مُشترَكٍ ؛ كقولِهِ تعالىٰ : ﴿ ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ﴾[1] .

ومنهُ قولُ أبي العتاهيةِ[2] : [من مزدوج الرجز]

إِنَّ ٱلشَّبَابَ وَٱلْفَرَاغَ وَٱلْجِدَهْ   مَفْسَدَةٌ لِلْمَرْءِ أَيُّ مَفْسَدَهْ

* * *

(١) سورة الكهف : (٤٦) .

(٢) انظر « معاهد التنصيص » (٢/٢٨٣) .

الانسجامُ

يُقالُ : انسجمَ الغيثُ ؛ إذا اتصلَ انهمالُهُ في سهولةٍ ، وهٰذا النوعُ مِنَ البديعِ **حاصلُهُ** : أن يكونَ الكلامُ حسنَ التأليفِ حروفاً وكَلِماً ؛ بحيثُ لا يجدُ المُتكلِّمُ بهِ عُسْراً ما علىٰ آلاتِ النطقِ حتىٰ كأنَّهُ لسَلاستِهِ يمضي وحدَهُ معَ النفسِ دونَ عملٍ .

وسببُ ذٰلكَ : هوَ السببُ الذي مِنْ جهتِهِ تَميُّزُ الشعرِ ؛ حيثُ كانَتْ عبارتُهُ مُفصَّلةَ الحركاتِ والسَّكَناتِ علىٰ أوضاعٍ معينةٍ ، فإذا قَوِيَتْ مراعاةُ ذٰلكَ التفصيلِ ؛ بكونِ الحروفِ متلائمةً مُفصَّلةً حركاتُها بالسكناتِ علىٰ حدِّ التناسبِ ، ممدودةً بأحرفِ المدِّ . . . إلىٰ غيرِ ذٰلكَ ممَّا يُوجِبُ سهولةَ النطقِ . . أخذَ الكلامُ هيئةً لا تختلفُ النفوسُ في استحسانِها ، وتلكَ الهيئةُ هيَ المُسمَّاةُ **بالانسجامِ** .

وجميعُ الكتابِ العزيزِ شاهدٌ لهٰذا النوعِ ، واعتبرْ ذٰلكَ بقراءةِ القُرَّاءِ إذا مدُّوا أصواتَهُم في قراءتِهِ ، فإنَّكَ لا تجدُ ذٰلكَ يتفقُ في كلامٍ ، ولا يمكنُ أن يعطيَهُمُ الحالةَ التي يعطيها القرآنُ إيَّاهُم .

ومِنْ إساءةِ الأدبِ وقِلَّةِ التحفُّظِ بنقصانِ المعرفةِ : ما وقعَ في هٰذا الموضعِ لبعضِ المُتكلِّمينَ في فنِّ البديعِ مِنْ قولِهِ : إنَّ الكلامَ بانسجامِهِ يصيرُ شعراً دونَ قصدٍ ، حيثُ جعلَ المَرجِعَ إلىٰ موافقةِ الشعرِ ، معَ أنَّ الشعرَ قليلٌ فيهِ المُنسجِمُ ، ولذٰلكَ بحثوا عن أبياتٍ مِنْ قصائدَ في العصورِ المتتابعةِ ليجعلوها أمثلةً للانسجامِ ، ومتىٰ كانَ المَرجِعُ في أمرِ الانسجامِ إلى اختبارِ نطقِكَ بالكلامِ ، ولم تكنْ مِنْ أهلِ العِيِّ . . لم تكنْ مُفتقِراً إلى اعتبارِهِ بشعرٍ أو غيرِهِ .

وممَّا لا يَستحسِنُهُ الأدبُ أن يُقالَ : قولُهُ تعالىٰ كذا هوَ مِنَ البحرِ الفلانيِّ ، ويعتذرونَ في تنزيهِ القرآنِ عنِ الشعرِ بكونِ الوزنِ غيرَ مقصودٍ ، وإذا كانَ الشعرُ محدوداً بالكلامِ الموزونِ المُقفَّىٰ . . فلا يَتحقَّقُ إلَّا ببيتٍ كاملٍ ، فلستَ مُحتاجاً لذٰلكَ الاعتذارِ ؛ إذ ليسَ في القرآنِ ما يُشبِهُ بيتاً أصلاً .

[ذكرُ أمثلةٍ منَ الانسجامِ]

هٰذا ؛ ولأجلِ أن تنظرَ الانسجامَ في كلامِ الناسِ نوردُ عليكَ أشياءَ ممَّا مثَّلوهُ بهِ ؛ فمِنْ ذٰلكَ : قولُ امرئِ القيسِ (١) : [من الكامل]

فَظَلِلْتُ فِي دِمَنِ ٱلدِّيَارِ كَأَنَّنِي ... نَشْوَانُ بَاكَرَهُ صَبُوحُ مُدَامِ

وقولُ المُنَخَّلِ اليَشكُريِّ (٢) : [من مجزوء الكامل]

وَلَقَدْ دَخَلْتُ عَلَى ٱلْفَتَا ... ةِ ٱلْخِدْرَ فِي ٱلْيَوْمِ ٱلْمَطِيرِ
وَٱلْكَاعِبِ ٱلْحَسْنَاءِ تَرْ ... فُلُ فِي ٱلدِّمَقْسِ وَفِي ٱلْحَرِيرِ
فَدَفَعْتُهَا فَتَدَافَعَتْ ... مَشْيَ ٱلْقَطَاةِ إِلَى ٱلْغَدِيرِ
وَلَثَمْتُهَا فَتَنَفَّسَتْ ... كَتَنَفُّسِ ٱلظَّبْيِ ٱلْبَهِيرِ
فَدَنَتْ وَقَالَتْ يَا مُنَخَّـ ... ـلُ مَا بِجِسْمِكَ مِنْ فُتُورِ
مَا شَفَّ جِسْمِي غَيْرُ حُبِّـ ... ـكِ فَٱهْدَئِي عَنِّي وَسِيرِي

يقولُ فيها :

وَأُحِبُّهَا وَتُحِبُّنِي ... وَيُحِبُّ نَاقَتَهَا بَعِيرِي

---

(١) انظر « ديوان امرئ القيس » (ص ١١٥) .
(٢) انظر « شرح الحماسة » للتبريزي (٤٧/٢) .

وَلَـقَـدْ شَـرِبْـتُ مِـنَ ٱلْـمُـدَا مَـةِ بِـٱلـصَّـغِـيـرِ وَبِـٱلْـكَـبِـيـرِ
فَـإِذَا سَـكِـرْتُ فَـإِنَّـنِـي رَبُّ ٱلْـخَـوَرْنَـقِ وَٱلـسَّـدِيـرِ
وَإِذَا صَـحَـوْتُ فَـإِنَّـنِـي رَبُّ ٱلـشُّـوَيْـهَـةِ وَٱلْـبَـعِـيـرِ
يَـا رُبَّ يَـوْمٍ لِـلْـمُـنَـخَّـ ـلِ قَـدْ لَـهَـا فِـيـهِ قَـصِـيـرِ

ومِـنْ نـواحيـاتِ الـخنسـاءِ . . مـا هـوَ غـايـةٌ فـي الانسجامِ ؛ كقولِها (١) : [من المتقارب]

أَعَـيْـنَـيَّ جُـودَا وَلَا تَـجْـمُـدَا أَلَا تَـبْـكِـيَـانِ لِـصَـخْـرِ ٱلـنَّـدَىٰ
أَلَا تَـبْـكِـيَـانِ ٱلْـجَـوَادَ ٱلْـجَـمِـيـلَ أَلَا تَـبْـكِـيَـانِ ٱلْـفَـتَـى ٱلـسَّـيِّـدَا
طَـوِيـلُ ٱلـنِّـجَـادِ رَفِـيـعُ ٱلْـعِـمَـا دِ سَـادَ عَـشِـيـرَتَـهُ أَمْـرَدَا
إِذَا ٱلْـقَـوْمُ مَـدُّوا أَيَـادِيَـهُـمْ إِلَى ٱلْـمَـجْـدِ مَـدَّ إِلَـيْـهِ يَـدَا
فَـنَـالَ ٱلَّـذِي فَـوْقَ أَيْـدِيـهِـمُ مِـنَ ٱلْـمَـجْـدِ ثُـمَّ مَـضَـىٰ مُـصْـعِـدَا
يُـحَـمِّـلُـهُ ٱلْـقَـوْمُ مَـا عَـالَـهُـمْ وَإِنْ كَـانَ أَصْـغَـرَهُـمْ مَـوْلِـدَا
إِذَا ذُكِـرَ ٱلْـمَـجْـدُ أَلْـفَـيْـتَـهُ تَـأَزَّرَ بِـٱلْـمَـجْـدِ ثُـمَّ ٱرْتَـدَىٰ

ولسحيمٍ عبدِ بني الحسحاسِ (٢) : [من الطويل]

أَشَوْقاً وَلَمَّا يَمْضِ لِي غَيْرُ سَاعَةٍ فَكَيْفَ إِذَا خَبَّ ٱلْمَطِيُّ بِنَا عَشْرَا
وَمَا كُنْتُ أَخْشَىٰ مَالِكاً أَنْ يَبِيعَنِي بِشَيْءٍ وَإِنْ أَضْحَتْ أَنَامِلُهُ صِفْرَا
أَخُوهُمْ وَمَوْلَاهُمْ وَحَافِظُ سِرِّهِمْ وَمَنْ قَدْ ثَوَىٰ فِيهِمْ وَعَاشَرَهُمْ دَهْرَا

(١) انظر « ديوان الخنساء » رضي الله عنها (ص ١٤٣) .
(٢) انظر « ديوان سحيم » (ص ٥٦) .

[من عيونِ شعرِ الفرزدقِ في مدحِ سيِّدنا زينِ العابدينَ]

يُحكىٰ : أنَّ هشامَ بنَ عبدِ الملكِ حجَّ قبلَ أيامِ إمارتِهِ ، فلمَّا أرادَ أن يطوفَ . . وجدَ المَطافَ شديدَ الازدحامِ ، فوُضِعَ لهُ كرسيٌّ ناحيةً ينتظرُ خِفَّةَ الزحمةِ ومعَهُ أتباعُهُ مِنْ أهلِ الشامِ وغيرِهِم ، وفيهِم أبو فراسٍ همَّامُ بنُ غالبٍ المشهورُ بالفرزدقِ ، فبينا هُم كذٰلك . . إذا دخلَ زينُ العابدينَ عليُّ بنُ الحسينِ بنِ عليِّ بنِ أبي طالبٍ ، فانفرجَ لهُ الزِّحامُ ، واحترمَهُ الناسُ ، فقالَ بعضُ أهلِ الشامِ : مَنْ هٰذا الذي هابَهُ الناسُ هٰذهِ المَهابةَ ؟! فقالَ هشامٌ : لا أعرفُهُ ، تجاهلَهُ خوفاً أن يميلَ لهُ أهلُ الشامِ ، فقالَ الفرزدقُ : لٰكنْ أنا أعرفُهُ ، فقيلَ لهُ : مَنْ هوَ يا أبا فراسٍ ، فارتجلَ قصيدةً هيَ مِنْ أكرمِ شواهدِ هٰذا النوعِ ، وإذا قرنتَها بسائرِ شعرِهِ . . وجدتَ الماءَ والصَّخرَ ؛ وهيَ هٰذهِ[1] : [من البسيط]

هَٰذَا ٱلَّذِي تَعْرِفُ ٱلْبَطْحَاءُ وَطْأَتَهُ ... وَٱلْبَيْتُ يَعْرِفُهُ وَٱلْحِلُّ وَٱلْحَرَمُ
هَٰذَا ٱبْنُ خَيْرِ عِبَادِ ٱللهِ كُلِّهِمِ ... هَٰذَا ٱلتَّقِيُّ ٱلنَّقِيُّ ٱلطَّاهِرُ ٱلْعَلَمُ
إِذَا رَأَتْهُ قُرَيْشٌ قَالَ قَائِلُهَا ... إِلَىٰ مَكَارِمِ هَٰذَا يَنْتَهِي ٱلْكَرَمُ
يَنْمِي إِلَىٰ ذُرْوَةِ ٱلْعِزِّ ٱلَّتِي قَصُرَتْ ... عَنْ نَيْلِهَا عَرَبُ ٱلْإِسْلَامِ وَٱلْعَجَمُ
يَكَادُ يُمْسِكُهُ عِرْفَانَ رَاحَتِهِ ... رُكْنُ ٱلْحَطِيمِ إِذَا مَا جَاءَ يَسْتَلِمُ
يُغْضِي حَيَاءً وَيُغْضَىٰ مِنْ مَهَابَتِهِ ... وَلَا يُكَلَّمُ إِلَّا حِينَ يَبْتَسِمُ
مَنْ جَدُّهُ دَانَ فَضْلُ ٱلْأَنْبِيَاءِ لَهُ ... وَفَضْلُ أُمَّتِهِ دَانَتْ لَهُ ٱلْأُمَمُ
هَٰذَا ٱبْنُ فَاطِمَةٍ إِنْ كُنْتَ جَاهِلَهُ ... بِجَدِّهِ أَنْبِيَاءُ ٱللهِ قَدْ خُتِمُوا
اَللهُ شَرَّفَهُ قِدْماً وَفَضَّلَهُ ... جَرَىٰ بِذَاكَ لَهُ فِي لَوْحِهِ ٱلْقَلَمُ

---

(١) انظر « ديوان الفرزدق » (٣٥٣/٢) .

فَلَيْسَ قَوْلُكَ مَنْ هَـٰذَا بِضَائِرِهِ ... اَلْعُرْبُ تَعْرِفُ مَنْ أَنْكَرْتَ وَٱلْعَجَمُ
سَهْلُ ٱلْخَلِيقَةِ لَا تُخْشَىٰ بَوَادِرُهُ ... يَزِينُهُ ٱثْنَانِ حُسْنُ ٱلْخَلْقِ وَٱلْكَرَمُ
حَمَّالُ أَثْقَالِ أَقْوَامٍ إِذَا فُدِحُوا ... حُلْوُ ٱلشَّمَائِلِ تَحْلُو عِنْدَهُ نَعَمُ
لَا يُخْلِفُ ٱلْوَعْدَ مَيْمُونٌ نَقِيبَتُهُ ... رَحْبُ ٱلْفِنَاءِ أَرِيبٌ حِينَ يَعْتَزِمُ
مِنْ مَعْشَرٍ حُبُّهُمْ دِينٌ وَبُغْضُهُمُ ... كُفْرٌ وَقُرْبُهُمُ مَنْجىً وَمُعْتَصَمُ
إِنْ عُدَّ أَهْلُ ٱلتُّقَىٰ كَانُوا أَئِمَّتَهُمْ ... أَوْ قِيلَ مَنْ خَيْرُ أَهْلِ ٱلْأَرْضِ قِيلَ هُمُ
لَا يَسْتَطِيعُ جَوَادٌ بُعْدَ غَايَتِهِمْ ... وَلَا يُدَانِيهِمُ قَوْمٌ وَإِنْ كَرُمُوا
هُمُ ٱلْغُيُوثُ إِذَا مَا أَزْمَةٌ أَزَمَتْ ... وَٱلْأُسْدُ أُسْدُ ٱلشَّرَىٰ وَٱلْبَأْسُ مُحْتَدِمُ
لَا يُنْقِصُ ٱلْعُسْرُ بَسْطاً مِنْ أَكُفِّهِمِ ... سِيَّانِ ذَٰلِكَ إِنْ أَثْرَوْا وَإِنْ عَدِمُوا
يُسْتَدْفَعُ ٱلسُّوءُ وَٱلْبَلْوَىٰ بِحُبِّهِمِ ... وَيُسْتَرَبُّ بِهِ ٱلْإِحْسَانُ وَٱلنِّعَمُ
مُقَدَّمٌ بَعْدَ ذِكْرِ ٱللهِ ذِكْرُهُمُ ... فِي كُلِّ بَدْءٍ وَمَخْتُومٌ بِهِ ٱلْكَلِمُ
يَأْبَىٰ لَهُمْ أَنْ يَحُلَّ ٱلذَّمُّ سَاحَتَهُمْ ... خِيمٌ كَرِيمٌ وَأَيْدٍ بِٱلنَّدَىٰ هُضُمُ
أَيُّ ٱلْخَلَائِقِ لَيْسَتْ فِي رِقَابِهِمِ ... لِأَوَّلِيَّةِ هَـٰذَا أَوْ لَهُ نِعَمُ
مَنْ يَعْرِفِ ٱللهَ يَعْرِفْ أَوَّلِيَّةَ ذَا ... وَٱلدِّينُ مِنْ بَيْتِ هَـٰذَا نَالَهُ ٱلْأُمَمُ

[قصيدةٌ لكثيرِ عزةَ مِن هـٰذا البابِ]

ولكثيِّرِ عَزَّةَ (١) :

[من الطويل]

خَلِيلَيَّ هَـٰذَا رَبْعُ عَزَّةَ فَٱعْقِلَا ... قَلُوصَيْكُمَا ثُمَّ ٱبْكِيَا حَيْثُ حَلَّتِ
وَمَا كُنْتُ أَدْرِي قَبْلَ عَزَّةَ مَا ٱلْبُكَا ... وَلَا مُوجِعَاتِ ٱلْقَلْبِ حَتَّىٰ تَوَلَّتِ

(١) انظر « ديوان كثير عزة » (ص ٩٥) .

فَلَا يَحْسَبِ ٱلْوَاشُونَ أَنَّ صَبَابَتِي ... بِعَزَّةَ كَانَتْ غِمْرَةً فَتَجَلَّتِ
فَوَٱللهِ ثُمَّ ٱللهِ مَا حَلَّ قَبْلَهَا ... وَلَا بَعْدَهَا مِنْ خِلَّةٍ حَيْثُ حَلَّتِ
وَمَا مَرَّ مِنْ يَوْمٍ عَلَيَّ كَيَوْمِهَا ... وَإِنْ عَظُمَتْ أَيَّامُ أُخْرَىٰ وَجَلَّتِ
وَكَانَتْ لِقَطْعِ ٱلْحَبْلِ بَيْنِي وَبَيْنَهَا ... كَنَاذِرَةٍ نَذْراً فَأَوْفَتْ وَحَلَّتِ
فَقُلْتُ لَهَا يَا عَزُّ كُلُّ مُصِيبَةٍ ... إِذَا وُطِّنَتْ يَوْماً لَهَا ٱلنَّفْسُ ذَلَّتِ
أَبَاحَتْ حِمىً لَمْ يَرْعَهُ ٱلنَّاسُ قَبْلَهَا ... وَحَلَّت تِلَاعاً لَمْ تَكُنْ قَبْلُ حُلَّتِ
أُرِيدُ ثَوَاءً عِنْدَهَا وَأَظُنُّهَا ... إِذَا مَا أَطَلْنَا عِنْدَهَا ٱلْمُكْثَ مَلَّتِ
فَوَٱللهِ مَا قَارَبْتُ إِلَّا تَبَاعَدَتْ ... لِهَجْرِي وَلَا أَكْثَرْتُ إِلَّا أَقَلَّتِ
يُكَلِّفُهَا ٱلْغَيْرَانُ شَتْمِي وَمَا بِهَا ... هَوَانِي وَلَٰكِنْ لِلْمَلِيكِ ٱسْتَذَلَّتِ
هَنِيئاً مَرِيئاً غَيْرَ دَاءٍ مُخَامِرٍ ... لِعَزَّةَ مِنْ أَعْرَاضِنَا مَا ٱسْتَحَلَّتِ
فَإِنْ تَكُنِ ٱلْعُتْبَىٰ فَأَهْلاً وَمَرْحَباً ... وَحُقَّتْ لَهَا ٱلْعُتْبَىٰ لَدَيْنَا وَقَلَّتِ
وَإِنْ تَكُنِ ٱلْأُخْرَىٰ فَإِنَّ وَرَاءَنَا ... مَهَامِهَ إِنْ سَارَتْ بِهَا ٱلْعِيسُ كَلَّتِ
أَسِيئِي بِنَا أَوْ أَحْسِنِي لَا مَلُومَةً ... لَدَيْنَا وَلَا مَقْلِيَّةً إِنْ تَقَلَّتِ
فَمَا أَنَا بِٱلدَّاعِي لِعَزَّةَ بِٱلرَّدَىٰ ... وَلَا شَامِتٍ إِنْ نَعْلُ عَزَّةَ زَلَّتِ
وَإِنِّي وَتَهْيَامِي بِعَزَّةَ بَعْدَمَا ... تَخَلَّيْتُ عَنْهَا بُرْهَةً وَتَخَلَّتِ
لَكَٱلْمُرْتَجِي ظِلَّ ٱلْغَمَامَةِ كُلَّمَا ... تَبَوَّأَ مِنْهَا لِلْمَقِيلِ ٱضْمَحَلَّتِ
كَأَنِّي وَإِيَّاهَا غَمَامَةُ مُمْحِلٍ ... رَجَاهَا فَلَمَّا جَاوَزَتْهُ ٱسْتَهَلَّتِ
كَأَنِّي أُنَادِي صَخْرَةً حِينَ أَعْرَضَتْ ... مِنَ ٱلْعُصْمِ لَوْ تَمْشِي بِهَا ٱلْعُصْمُ زَلَّتِ
صَفُوحاً فَمَا تَلْقَاكَ إِلَّا بَخِيلَةً ... فَمَنْ مَلَّ مِنْهَا ذَٰلِكَ ٱلنَّيْلَ مَلَّتِ

فَمَا أَنْصَفَتْ أَمَّا ٱلنِّسَاءَ فَبَغَّضَتْ ... إِلَـيَّ وَأَمَّـا بِـٱلـنَّـوَالِ فَـضَـنَّـتِ
فَوَا عَجَبا لِلْقَلْبِ كَيْفَ ٱعْتِرَارُهُ ... وَلِلنَّفْسِ لَمَّا وُطِّنَتْ كَيْفَ زَلَّتِ
وَكُنَّا عَقَدْنَا عُقْدَةَ ٱلْوَصْلِ بَيْنَنَا ... فَلَمَّـا تَـوَاثَـقْـنَـا شَـدَدْتُ وَحَلَّـتِ
وَكُنَّا سَلَكْنَا فِي صُعُودٍ مِنَ ٱلْهَوَىٰ ... فَـلَـمَّـا تَـوَافَـيْـنَـا ثَـبَـتُّ وَزَلَّـتِ
فَإِنْ تَسْأَلِ ٱلْوَاشُونَ كَيْفَ سَلَوْتَهَا ... فَقُلْ نَفْسُ حُرٍّ سُلِّيَتْ فَتَسَلَّتِ
وَلِـلْـعَـيْـنِ تَـذْرَافٌ إِذَا مَـا ذَكَـرْتُـهَـا ... وَلِلْقَلْبِ وَسْوَاسٌ إِذَا ٱلْعَيْنُ مَلَّتِ
فَكُنْتُ كَذِي رِجْلَيْنِ رِجْلٍ صَحِيحَةٍ ... وَأُخْرَىٰ رَمَىٰ فِيهَا ٱلزَّمَانُ فَشَلَّتِ
فَلَيْتَ قَلُوصِي عِنْدَ عَزَّةَ قُيِّدَتْ ... بِحَبْلٍ ضَعِيفٍ بَانَ عَنْهَا فَضَلَّتِ
وَأَصْبَحَ فِي ٱلْقَوْمِ ٱلْمُقِيمِينَ رَحْلُنَا ... وَكَـانَ لَـهَـا بَـاغٍ سِـوَايَ فَـسَـلَّـتِ
تَـمَـنَّـيْـتُـهَـا حَـتَّـىٰ إِذَا مَـا رَأَيْـتُـهَـا ... رَأَيْتُ ٱلْـمَـنَـايَا شُـرَّعـاً قَـدْ أَظَلَّـتِ
أَصَابَ ٱلرَّدَىٰ مَنْ كَانَ يَبْغِي لَهَا ٱلرَّدَىٰ ... وَجُـنَّ ٱللَّـوَاتِـي قُـلْـنَ عَـزَّةُ جُـنَّـتِ
عَـلَـيْـهَـا تَـحِـيَّـاتُ ٱلـسَّـلَامِ هَـدِيَّـةً ... لَهَا كُلَّ حِينٍ مُقْبِلٍ حَيْثُ حَلَّتِ

[أمثلةٌ أخرىٰ للانسجامِ]

ولابنِ الدُّمَيْنَةِ مِنْ مُتأخِّري العربِ (١) : [من الطويل]

أَلَا يَا صَبَا نَجْدٍ مَتَىٰ هِجْتَ مِنْ نَجْدِ ... فَقَدْ زَادَنِي مَسْرَاكَ وَجْداً عَلَىٰ وَجْدِي
أَإِنْ هَتَفَتْ وَرْقَاءُ فِي رَوْنَقِ ٱلضُّحَىٰ ... عَلَىٰ فَنَنٍ غَضِّ ٱلنَّبَاتِ مِنَ ٱلرَّنْدِ
بَكَيْتَ كَمَا يَبْكِي ٱلْوَلِيدُ وَلَمْ تَكُنْ ... جَزُوعاً وَأَبْدَيْتَ ٱلَّذِي لَمْ تَكُنْ تُبْدِي
وَقَـدْ زَعَـمُـوا أَنَّ ٱلْـمُـحِـبَّ إِذَا دَنَـا ... يَمَلُّ وَأَنَّ ٱلْبُعْدَ يَشْفِي مِنَ ٱلْوَجْدِ

---

(١) انظر « ديوان ابن الدُّمينة » (ص ٨٥) .

بِكُلٍّ تَدَاوَيْنَا فَلَمْ يُشْفَ مَا بِنَا ... عَلَىٰ أَنَّ قُرْبَ ٱلدَّارِ خَيْرٌ مِنَ ٱلْبُعْدِ
عَلَىٰ أَنَّ قُرْبَ ٱلدَّارِ لَيْسَ بِنَافِعٍ ... إِذَا كَانَ مَنْ تَهْوَاهُ لَيْسَ بِذِي وُدِّ

وليزيدَ بنِ الطَّثَريَّةِ منهُم أيضاً[1] : [من الطويل]

بِرَغْمِي أُطِيلُ ٱلصَّدَّ عَنْهَا وَإِنْ نَأَتْ ... أُحَاذِرُ أَسْمَاعاً عَلَيْهَا وَأَعْيُنَا
أَتَانِي هَوَاهَا قَبْلَ أَنْ أَعْرِفَ ٱلْهَوَىٰ ... فَصَادَفَ قَلْباً خَالِياً فَتَمَكَّنَا

ولبشارِ بنِ بردٍ[2] : [من الخفيف]

عَبْدُ إِنِّي إِلَيْكِ بِٱلْأَشْوَاقِ ... لِتَلَاقٍ وَكَيْفَ لِي بِتَلَاقِ
أَنَا وَٱللهِ أَشْتَهِي سِحْرَ عَيْنَيْـ ... ـكِ وَأَخْشَىٰ مَصَارِعَ ٱلْعُشَّاقِ

وعبدةُ : اسمُ حبيبةٍ لهُ كثيراً ما يَهتِفُ بها في شعرِهِ ؛ كقولِهِ[3] : [من الرمل]

لَمْ يَطُلْ لَيْلِي وَلَٰكِنْ لَمْ أَنَمْ ... وَنَفَىٰ عَنِّي ٱلْكَرَىٰ طَيْفٌ أَلَمّْ
رَوِّحِي يَا عَبْدُ عَنِّي وَٱعْلَمِي ... أَنَّنِي يَا عَبْدُ مِنْ لَحْمٍ وَدَمْ

ولمسلمِ بنِ الوليدِ ، وهوَ عصريُّ أبي نُوَاسٍ ، وكانَ الناسُ مختلفينَ في المفاضلةِ بينَهُما ، وأهلُ فنِّ الكتابةِ على تفضيلِ مسلمٍ[4] : [من الطويل]

أَدِيرَا عَلَيَّ ٱلْكَأْسَ لَا تَشْرَبَا قَبْلِي ... وَلَا تَطْلُبَا مِنْ عِنْدِ قَاتِلِي ذَحْلِي
فَمَا جَزَعِي أَنِّي أَمُوتُ صَبَابَةً ... وَلَٰكِنْ عَلَىٰ مَنْ لَا يَحِلُّ لَهَا قَتْلِي
كَتَمْتُ تَبَارِيحَ ٱلصَّبَابَةِ عَاذِلِي ... فَلَمْ يَدْرِ مَا بِي وَٱسْتَرَحْتُ مِنَ ٱلْعَذْلِ

---

(١) انظر « وفيات الأعيان » (٦/٣٧٠) .
(٢) انظر « ديوان بشار بن برد » (٤/١٣٧) .
(٣) انظر « ديوان بشار بن برد » (٤/١٨٧) .
(٤) انظر « مصارع العشاق » (١/٣٧) .

أُحِبُّ ٱلَّتِي صَدَّتْ وَقَالَتْ لِتِرْبِهَا ... دَعُوهُ ٱلثُّرَيَّا مِنْهُ أَقْرَبُ مِنْ وَصْلِي
أَمَاتَتْ وَأَحْيَتْ مُهْجَتِي فَهْيَ عِنْدَهَا ... مُعَلَّقَةٌ بَيْنَ ٱلْمَوَاعِيدِ وَٱلْمَطْلِ
سَأَنْقَادُ لِلَّذَّاتِ مُنْبَعِثَ ٱلْهَوَىٰ ... لِأَمْضِيَ هَمّاً أَوْ أُصِيبَ فَتىً مِثْلِي
هَلِ ٱلْعَيْشُ إِلَّا أَنْ تَرُوحَ مَعَ ٱلصِّبَا ... وَتَغْدُو صَرِيعَ ٱلْكَأْسِ وَٱلْأَعْيُنِ ٱلنُّجْلِ

يُقالُ : إنَّ الرشيدَ لمَّا سمعَ هٰذا البيتَ عندَ إنشادِ القصيدةِ . . لَقَّبَ مسلماً : صريعَ الغواني .

ولعليّ بنِ الجهمِ وهوَ عصريُّ أبي عبادَة الوليدِ البحتريّ (١) : [من الطويل]

عُيُونُ ٱلْمَهَا بَيْنَ ٱلرُّصَافَةِ وَٱلْجِسْرِ ... جَلَبْنَ ٱلْهَوَىٰ مِنْ حَيْثُ نَدْرِي وَلَا نَدْرِي
أَعَدْنَ لِيَ ٱلشَّوْقَ ٱلْقَدِيمَ وَلَمْ أَكُنْ ... سَلَوْتُ وَلَٰكِنْ زِدْنَ جَمْراً عَلَىٰ جَمْرِ
سَلِمْنَ وَأَسْلَمْنَ ٱلْقُلُوبَ كَأَنَّمَا ... تُشَكُّ بِأَطْرَافِ ٱلْمُثَقَّفَةِ ٱلسُّمْرِ
خَلِيلَيَّ مَا أَحْلَى ٱلْهَوَىٰ وَأَمَرَّهُ ... وَأَعْرَفَنِي بِٱلْحُلْوِ مِنْهُ وَبِٱلْمُرِّ
كَفَىٰ بِٱلْهَوَىٰ شُغْلاً وَبِٱلشَّيْبِ زَاجِراً ... لَوَ ٱنَّ ٱلْهَوَىٰ مِمَّا يُنَهْنَهُ بِٱلزَّجْرِ
بِمَا بَيْنَنَا مِنْ حُرْمَةٍ هَلْ عَلِمْتُمَا ... أَرَقَّ مِنَ ٱلشَّكْوَىٰ وَأَقْسَىٰ مِنَ ٱلْهَجْرِ
وَأَفْضَحَ مِنْ عَيْنِ ٱلْمُحِبِّ لِسِرِّهِ ... وَلَا سِيَّمَا إِنْ أَطْلَقَتْ عَبْرَةً تَجْرِي
وَمَا أَنْسَ مِ ٱلْأَشْيَاءِ لَا أَنْسَ قَوْلَهَا ... لِجَارَتِهَا مَا أَوْلَعَ ٱلْحُبَّ بِٱلْحُرِّ
فَقَالَتْ لَهَا ٱلْأُخْرَىٰ فَمَا لِصَدِيقِنَا ... مُعَنّىً وَهَلْ فِي قَتْلِهِ لَكِ مِنْ عُذْرِ
صِلِيهِ لَعَلَّ ٱلْوَصْلَ يُحْيِيهِ وَٱعْلَمِي ... بِأَنَّ أَسِيرَ ٱلْحُبِّ فِي أَعْظَمِ ٱلْأَسْرِ

(١) انظر « ديوان علي بن الجهم » (ص ١٣٥) .

فَقَالَتْ أَذُودُ ٱلنَّاسَ عَنْهُ وَقَلَّمَا يَطِيبُ ٱلْهَوَىٰ إِلَّا لِمُنْهَتِكِ ٱلسِّرِّ
وَأَيْقَنَتَا أَنِّي سَمِعْتُ فَقَالَتَا مَنِ ٱلطَّارِقُ ٱلْمُصْغِي إِلَيْنَا وَلَا نَدْرِي
فَقُلْتُ فَتىً إِنْ شِئْتُمَا كَتَمَ ٱلْهَوَىٰ وَإِلَّا فَخَلَّاعُ ٱلْأَعِنَّةِ وَٱلْعُذْرِ
عَلَىٰ أَنَّهُ يَشْكُو ظَلُوماً وَبُخْلَهَا عَلَيْهِ بِتَسْلِيمِ ٱلْبَشَاشَةِ وَٱلْبِشْرِ
فَقَالَتْ هُجِينَا قُلْتُ قَدْ كَانَ بَعْضُ مَا ذَكَرْتِ لَعَلَّ ٱلشَّرَّ يُدْفَعُ بِٱلشَّرِّ
فَقَالَتْ كَأَنِّي بِٱلْقَوَافِي سَوَائِراً يَرِدْنَ بِنَا مِصْراً وَيَصْدُرْنَ عَنْ مِصْرِ
فَقُلْتُ أَسَأْتِ ٱلظَّنَّ بِي لَسْتُ شَاعِراً وَإِنْ كَانَ أَحْيَاناً يَجِيشُ بِهِ صَدْرِي
صِلِي وَسَلِي مَنْ شِئْتِ يُخْبِرْكِ أَنَّنِي عَلَىٰ كُلِّ حَالٍ نِعْمَ مُسْتَوْدَعُ ٱلسِّرِّ
وَمَا أَنَا مِمَّنْ سَارَ بِٱلشِّعْرِ ذِكْرُهُ وَلَٰكِنَّ أَشْعَارِي يُسَيِّرُهَا ذِكْرِي
وَلِلشِّعْرِ أَتْبَاعٌ كَثِيرٌ وَلَمْ أَكُنْ لَهُ تَابِعاً فِي حَالِ عُسْرٍ وَلَا يُسْرِ
وَلَٰكِنَّ إِحْسَانَ ٱلْخَلِيفَةِ جَعْفَرٍ دَعَانِي إِلَىٰ مَا قُلْتُ فِيهِ مِنَ ٱلشِّعْرِ
فَسَارَ مَسِيرَ ٱلشَّمْسِ فِي كُلِّ بَلْدَةٍ وَهَبَّ هُبُوبَ ٱلرِّيحِ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ
وَلَوْ جَلَّ عَنْ شُكْرِ ٱلصَّنِيعَةِ مُنْعِمٌ لَجَلَّ أَمِيرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَنِ ٱلشُّكْرِ
وَمَنْ قَالَ إِنَّ ٱلْقَطْرَ وَٱلْبَحْرَ أَشْبَهَا نَدَاهُ فَقَدْ أَثْنَىٰ عَلَى ٱلْقَطْرِ وَٱلْبَحْرِ
وَلَوْ قُرِنَتْ بِٱلْبَحْرِ تِسْعَةُ أَبْحُرٍ لَمَا بَلَغَتْ جَدْوَىٰ أَنَامِلِهِ ٱلْعَشْرِ

❊ ❊ ❊

ومِنَ القصائدِ التي ينبغي لكلِّ مُتأدِّبٍ روايتُها : قصيدةُ محمدِ بنِ زريقٍ البغداديّ .

وكانَ قصدَ الأندلسَ في طلبِ الغنىٰ ، فلم يَرجِعْ لبغدادَ رحمةُ اللهِ عليهِ[1] : [من البسيط]

لَا تَعْذِلِيهِ فَإِنَّ ٱلْعَذْلَ يُولِعُهُ ... قَدْ قُلْتِ حَقّاً وَلَٰكِنْ لَيْسَ يَسْمَعُهُ
جَاوَزْتِ فِي لَوْمِهِ حَدّاً أَضَرَّ بِهِ ... مِنْ حَيْثُ قَدَّرْتِ أَنَّ ٱللَّوْمَ يَنْفَعُهُ
فَٱسْتَعْمِلِي ٱلرِّفْقَ فِي تَأْنِيبِهِ بَدَلاً ... مِنْ عُنْفِهِ فَهْوَ مُضْنَى ٱلْقَلْبِ مُوجَعُهُ
قَدْ كَانَ مُضْطَلِعاً بِٱلْخَطْبِ يَحْمِلُهُ ... فَضُيِّقَتْ بِخُطُوبِ ٱلْبَيْنِ أَضْلُعُهُ
يَكْفِيهِ مِنْ لَوْعَةِ ٱلتَّفْنِيدِ أَنَّ لَهُ ... مِنَ ٱلنَّوَىٰ كُلَّ يَوْمٍ مَا يُرَوِّعُهُ
مَا آبَ مِنْ سَفَرٍ إِلَّا وَأَزْعَجَهُ ... رَأْيٌ إِلَىٰ سَفَرٍ بِٱلْعَزْمِ يَجْمَعُهُ
كَأَنَّمَا هُوَ مِنْ حِلٍّ وَمُرْتَحَلٍ ... مُوَكَّلٌ بِفَضَاءِ ٱلْأَرْضِ يَذْرَعُهُ
إِذَا ٱلزَّمَاعُ أَرَاهُ فِي ٱلرَّحِيلِ غِنىً ... وَلَوْ إِلَى ٱلسِّنْدِ أَضْحَىٰ وَهْوَ يُزْمِعُهُ
تَأْبَى ٱلْمَطَامِعُ إِلَّا أَنْ تُجَشِّمَهُ ... لِلرِّزْقِ كَدّاً وَكَمْ مِمَّنْ يُوَدِّعُهُ
وَمَا مُجَاهَدَةُ ٱلْإِنْسَانِ تُوصِلُهُ ... رِزْقاً وَلَا دَعَةُ ٱلْإِنْسَانِ تَقْطَعُهُ
وَٱللهُ قَسَّمَ بَيْنَ ٱلْخَلْقِ رِزْقَهُمُ ... لَمْ يَخْلُقِ ٱللهُ مَخْلُوقاً يُضَيِّعُهُ
لَٰكِنَّهُمْ مُلِئُوا حِرْصاً فَلَسْتَ تَرَىٰ ... مُسْتَرْزِقاً وَسِوَى ٱلْغَايَاتِ يُقْنِعُهُ
وَٱلسَّعْيُ فِي ٱلرِّزْقِ وَٱلْأَرْزَاقُ قَدْ قُسِمَتْ ... بَغْيٌ أَلَا إِنَّ بَغْيَ ٱلْمَرْءِ يَصْرَعُهُ
وَٱلدَّهْرُ يُعْطِي ٱلْفَتَىٰ مَا لَيْسَ يَطْلُبُهُ ... يَوْماً وَيَمْنَعُهُ مِنْ حَيْثُ يُطْمِعُهُ
أَسْتَوْدِعُ ٱللهَ فِي بَغْدَادَ لِي قَمَراً ... بِٱلْكَرْخِ مِنْ فَلَكِ ٱلْأَزْرَارِ مَطْلِعُهُ
وَدَّعْتُهُ وَبِوُدِّي لَوْ يُوَدِّعُنِي ... صَفْوُ ٱلْحَيَاةِ وَأَنِّي لَا أُوَدِّعُهُ
وَكَمْ تَشَفَّعَ أَنِّي لَا أُفَارِقُهُ ... وَلِلضَّرُورَاتِ حَالٌ لَا تُشَفِّعُهُ

---

(١) انظر « أنوار الربيع » (١٧٨/٤) .

وَكَمْ تَشَبَّثَ بِي يَوْمَ ٱلرَّحِيلِ ضُحىً وَأَدْمُعِـي مُسْتَـهِـلَّاتٌ وَأَدْمُعُـهُ
لَا أَكْذِبُ ٱللهَ ثَوْبُ ٱلْعُذْرِ مُنْخَرِقٌ عَـنِّـي بِـفُـرْقَـتِـهِ لَـٰكِنْ أُرَقِّـعُـهُ
إِنِّـي أُوَسِّـعُ عُـذْرِي فِـي جِنَـايَـتِـهِ بِـٱلْبَيْـنِ عَنْـهُ وَقَـلْـبِي لَا يُـوَسِّـعُـهُ
أُعْطِيتُ مُلْكاً فَلَمْ أُحْسِنْ سِيَاسَتَهُ كَذَاكَ مَنْ لَا يَسُوسُ ٱلْمُلْكَ يَخْلَعُهُ
وَمَنْ غَدَا لَابِساً ثَوْبَ ٱلنَّعِيمِ بِلَا شُـكْـرِ ٱلْإِلَـٰهِ فَـعَـنْـهُ ٱللهُ يَـنْـزِعُـهُ
اِعْتَضْتُ عَنْ وَجْهِ خِلِّي بَعْدَ فُرْقَتِهِ كَـأْسـاً أُجَـرَّعُ مِـنْـهَـا مَـا أُجَـرِّعُـهُ
كَمْ قَائِلٍ لِيَ ذَنْبُ ٱلْبَيْنِ قُلْتُ لَهُ اَلـذَّنْـبُ وَٱللهِ ذَنْـبِـي لَـسْـتُ أَدْفَـعُـهُ
هَلَّا أَقَمْتَ فَكَانَ ٱلرُّشْدُ أَجْمَعُهُ لَـوْ أَنَّـنِـي يَـوْمَ بَـانَ ٱلرُّشْـدُ أَتْـبَـعُـهُ
إِنِّـي لَأَقْـطَـعُ أَيَّـامِـي وَأُنْـفِـذُهَـا بِـحَـسْـرَةٍ مِـنْـهُ فِـي قَـلْـبِـي تُـقَـطِّـعُـهُ
بِـمَـنْ إِذَا هَـجَـعَ ٱلـنُّـوَّامُ بِـتُّ لَـهُ بِـلَـوْعَـةٍ مِـنْـهُ لَـيْـلِـي لَـسْـتُ أَهْـجَـعُـهُ
لَا يَطْمَئِنُّ لِجَنْبِي مَضْجَعٌ وَكَذَا لَا يَـطْـمَـئِـنُّ لَـهُ مُـذْ بِـنْـتُ مَـضْـجَـعُـهُ
مَا كُنْتُ أَحْسَبُ أَنَّ ٱلدَّهْرَ يَفْجَعُنِي بِـهِ وَلَا أَنَّ بِـي ٱلْأَيَّـامَ تَـفْـجَـعُـهُ
حَتَّىٰ جَرَى ٱلدَّهْرُ فِيمَا بَيْنَنَا بِيَدٍ عَـشْـرَاءَ تَـمْـنَـعُـنِـي حَـظِّـي وَتَـمْـنَـعُـهُ
بِٱللهِ يَا مَنْزِلَ ٱلْقَصْفِ ٱلَّذِي دَرَسَتْ آثَـارُهُ وَعَـفَـتْ مُـذْ غِـبْـتُ أَرْبُـعُـهُ
هَـلِ ٱلـزَّمَـانُ مُـعِـيـدٌ فِـيـكَ لَـذَّتَـنَـا أَمِ ٱللَّـيَـالِـي ٱلَّـذِي أَمْـضَـتْـهُ تُـرْجِـعُـهُ
فِـي ذِمَّـةِ ٱللهِ مَـنْ أَصْـبَـحْـتَ مَـنْـزِلَـهُ وَجَادَ غَيْثٌ عَلَىٰ [مَغْنَاكَ] يُمْرِعُهُ
مَـنْ عِـنْـدَهُ لِـيَ عَـهْـدٌ لَا يُـضَـيِّـعُـهُ كَـمَـا لَـهُ عَـهْـدُ صِـدْقٍ لَا أُضَـيِّـعُـهُ
وَمَـنْ يُـصَـدِّعُ قَـلْـبِـي ذِكْـرُهُ وَإِذَا جَرَىٰ عَلَىٰ قَلْبِهِ ذِكْرِي يُصَدِّعُهُ
لَأَصْـبِـرَنَّ لِـدَهْـرٍ لَا يُـمَـتِّـعُـنِـي بِـهِ وَلَا بِـيَ فِـي حَـالٍ يُـمَـتِّـعُـهُ
عِلْماً بِأَنَّ ٱصْطِبَارِي مُعْقِبٌ فَرَجاً وَأَضْـيَـقُ ٱلْأَمْـرِ إِنْ فَـكَّـرْتَ أَوْسَـعُـهُ

عَلَّ ٱللَّيَالِي ٱلَّتِي أَضْنَتْ بِفُرْقَتِنَا جِسْمِي سَتَجْمَعُنِي يَوْماً وَتَجْمَعُهُ
وَإِنْ تَنَلْ أَحَداً مِنَّا مَنِيَّتُهُ فَمَا ٱلَّذِي بِقَضَاءِ ٱللهِ يَصْنَعُهُ

يُحكىٰ : أنَّ بعضَ ملوكِ مصرَ مِنَ العبيديينَ الفواطمِ جُلِبَتْ لهُ جاريةٌ مُغنِّيةٌ مِنْ جواري بغدادَ وكانَتْ مِنْ أظرفِهِنَّ ، فاشتدَّ بها إعجابُهُ ، وتاهَ فيها لُبُّهُ ، فكانَ أوَّلُ ما غنَّتْ (١) :

أَسْتَوْدِعُ ٱللهَ فِي بَغْدَادَ . . .

فوردَ عليهِ مِنَ الطَّربِ ما أذهلَهُ حتىٰ قالَ لها : تَمنَّي عليَّ ، فقالَتْ : كائناً ما كانَ ؟ فقالَ : كائناً ما كانَ ، فقالَتْ : أغنِّي هٰذا الصوتَ ببغدادَ .

فبُهِتَ لذٰلكَ ساعةً ، ثمَّ التفتَ لشيخٍ كانَ لهُ سميراً وبهِ خَصيصاً يُقالُ لهُ : أبو عليٍّ الأَسْكَريُّ ، فقالَ لهُ : قد رأيتَ ما نزلَ بنا ، ولا بدَّ مِنَ الوفاءِ ، ولا أثقُ بغيرِكَ ، فتَجهَّزْ للحجِّ وخُذْها معَكَ ، فإذا فرغتَ . . فاجعلْ طريقَكَ علىٰ بغدادَ ، فإذا بلغَتْ أمنيتَها . . فأسرعِ الانحدارَ إلينا .

فكانَ ذٰلكَ ، حتىٰ وصلَ بها إلىٰ مَحَلٍّ يُسمَّى (القادسيةَ) ، وهوَ أولُ سوادِ بغدادَ ، وكانَ الحُجَّاجُ ينزلونَ بهِ في ذهابِهِم وإيابِهِم ، فلمَّا مضىٰ شطرٌ مِنَ الليلِ . . رفعَتْ تلكَ الجاريةُ صوتَها بهٰذهِ الأبياتِ التي هيَ غايةٌ في الانسجامِ ، وهيَ لموسى الكاتبِ الأصبهانيِّ : [من مجزوء الكامل]

لَمَّا وَرَدْنَا ٱلْقَادِسِيَّـ ـةَ حَيْثُ مُجْتَمَعُ ٱلرِّفَاقِ
وَشَمِمْتُ مِنْ أَرْضِ ٱلْحِجَا زِ نَسِيمَ أَنْفَاسِ ٱلْعِرَاقِ
أَيْقَنْتُ لِي وَلِمَنْ أُحِبُّ بِجَمْعِ شَمْلٍ وَٱتِّفَاقِ
وَضَحِكْتُ مِنْ فَرَحِ ٱللِّقَا ءِ كَمَا بَكَيْتُ مِنَ ٱلْفِرَاقِ

(١) أحد أبيات قصيدة ابن زريق المارَّة .

لَـمْ يَـبْـقَ لِـي إِلَّا تَـجَـشُّـ ـمُ هَـٰذِهِ ٱلـسَّـبْـعِ ٱلْـبَـوَاقِـي
حَـتَّـىٰ يَـطُـولَ حَـدِيـثُـنَـا بِـصِـفَـاتِ مَـا كُـنَّـا نُـلَاقِـي

فلمَّا فرغَتْ . . ضجَّ الحجيجُ وقالوا : باللهِ يا صاحبَ الصوتِ ؛ أعدْ ، فلم تفعلْ ، وبعدَ ساعةٍ جاءَتْ خادمتُها إلىٰ أبي عليٍّ وقالَتْ : إنَّ سيدتي ليسَتْ في هودجِها ، فأطالوا البحثَ عنها ، ولم يقفوا لها علىٰ خبرٍ ، وعادوا بحسرتِها إلى الملكِ ، فلم يَنتفِعْ بحياتِهِ بعدُ .

❁ ❁ ❁

وشعرُ مِهيارٍ الديلميِّ تلميذِ الشريفِ محمدٍ الرضيِّ . . أكثرُهُ مُتمكِّنٌ في هـٰذا البابِ ، وهوَ وإن لم يَبلُغْ تجويدَ أستاذِهِ فلقد بلغَ مِنَ الإحسانِ منزلةً لم يَحُلَّها أحدٌ بعدَهُ ، وقلَّ مَنْ ألمَّ بها قبلَهُ ، فمِنْ ذٰلكَ ـ والقطرةُ تشهدُ لسائرِ البحرِ ـ **قولُهُ** (١) : [من الرمل]

يَـا نَـسِـيـمَ ٱلـرِّيـحِ مِـنْ كَـاظِـمَـةٍ شَـدَّ مَـا هِـجْـتَ ٱلْـجَـوَىٰ وَٱلْـبُـرَحَـا
مَـنْ عَـذِيـرِي يَـوْمَ شَـرْقِـيِّ ٱلْـحِـمَـىٰ مِـنْ هَـوىً جَـدَّ بِـقَـلْـبٍ مَـزَحَـا
اَلـصِّـبَـا إِنْ كَـانَ لَا بُـدَّ ٱلـصِّـبَـا إِنَّـهَـا كَـانَـتْ لِـقَـلْـبِـي أَرْوَحَـا
يَـا نَـدَامَـايَ بِـسَـلْـعٍ هَـلْ أَرَىٰ ذَٰلِكَ ٱلْـمُـغْـبَـقَ وَٱلْـمُـصْـطَـبَـحَـا
أُذْكُـرُونَـا مِـثْـلَ ذِكْـرَانَـا لَـكُـمْ رُبَّ ذِكْـرىٰ قَـرَّبَـتْ مَـنْ نَـزَحَـا
فَـٱرْحَـمُـوا صَـبّـاً إِذَا غَـنَّـىٰ بِـكُـمْ شَـرِبَ ٱلـدَّمْـعَ وَعَـافَ ٱلْـقَـدَحَـا

وقولُهُ (٢) : [من الطويل]

بِطَرْفِكَ وَٱلْمَسْحُورُ يُقْسِمُ بِٱلسِّحْرِ أَعَـمْـداً رَمَـانِـي أَمْ أَصَـابَ وَلَا يَـدْرِي

(١) انظر « ديوان مهيار الديلمي » (١/١٧٧) .
(٢) انظر « ديوان مهيار الديلمي » (١/٤١٩) .

تَعَرَّضَ لِي فِي ٱلْقَانِصِينَ مُسَدِّدَ ٱلْ إِشَارَةِ مَدْلُولَ ٱلسِّهَامِ عَلَى ٱلنَّحْرِ
رَنَا ٱللَّحْظَةُ ٱلْأُولَىٰ فَقُلْتُ مُجَرَّبٌ فَكَرَّرَهَا أُخْرَىٰ فَأَحْسَسْتُ بِٱلشَّرِّ
فَهَلْ ظَنَّ مَا قَدْ حَرَّمَ ٱللهُ مِنْ دَمِي مُبَاحاً لَهُ أَمْ نَامَ قَوْمِي عَنِ ٱلْوَتْرِ
بِنَجْدٍ وَنَجْدٌ دَارُ جُودٍ وَذِمَّةٍ مِطَالٌ بِلَا عُسْرٍ وَبُخْلٌ بِلَا عُذْرِ
وَسَمْرَاءَ وَدَّ ٱلْبَدْرُ لَوْ حَالَ لَوْنُهُ إِلَىٰ لَوْنِهَا فِي صِبْغَةِ ٱلْأَوْجُهِ ٱلسُّمْرِ
خَلِيلَيَّ هَلْ مِنْ وَقْفَةٍ وَٱلْتِفَاتَةٍ إِلَى ٱلْقُبَّةِ ٱلسَّوْدَاءِ مِنْ جَانِبِ ٱلْحِجْرِ
وَهَلْ مَا أَرَانَا ٱلْحَجُّ بِالْخَيْفِ عَائِدٌ إِلَىٰ مِثْلِهَا أَمْ عَدَّهَا حِجَّةَ ٱلْعُمْرِ
وَلِلهِ مَا أَوْفَى ٱلثَّلَاثَ عَلَىٰ مِنىً لِأَهْلِ ٱلْهَوَىٰ لَوْ لَمْ تَحُلْ لَيْلَةُ ٱلنَّفْرِ
لَقَدْ كُنْتُ لَا أُوتَىٰ مِنَ ٱلصَّبْرِ قِلَّةً فَهَلْ تَعْلَمَانِ ٱلْيَوْمَ أَيْنَ مَضَىٰ صَبْرِي
وَكُنْتُ أَلُومُ ٱلْعَاشِقِينَ وَلَا أَرَىٰ مَزِيَّةَ مَا بَيْنَ ٱلْوِصَالِ إِلَى ٱلْهَجْرِ
فَأَعْدَىٰ إِلَيَّ ٱلْحُبُّ صُحْبَةَ أَهْلِهِ وَلَمْ يَدْرِ قَلْبِي أَنَّ دَاءَ ٱلْهَوَىٰ يَسْرِي
أَيَشْرُدُ لُبِّي يَا غَزَالَةَ حَاجِرٍ وَأَنْتِ بِذَاتِ ٱلْبَانِ مَجْمُوعَةُ ٱلْأَمْرِ
خُذِي لَحْظَ عَيْنِي فِي ٱلْغُصُونِ إِضَافَةً إِلَى ٱلْقَلْبِ أَوْ رُدِّي فُؤَادِي إِلَىٰ صَدْرِي

وقولُهُ (١) :

[من الرمل]

بَكَّرَ ٱلْعَارِضُ تَحْدُوهُ ٱلنُّعَامَىٰ فَسَقَاكِ ٱلرِّيَّ يَا دَارَ أُمَامَا
وَتَمَشَّتْ فِيكِ أَرْوَاحُ ٱلصَّبَا يَتَأَرَّجْنَ بِأَنْفَاسِ ٱلْخُزَامَىٰ
أَجْتَدِي ٱلْمُزْنَ وَمَاذَا أَرَبِي أَنْ تَجُودَ ٱلْمُزْنُ أَطْلَالاً رِمَامَا
وَقَلِيلاً قَبْلَ أَنْ أَدْعُو لَهَا مَا رَآنِي ٱللهُ أَسْتَجْدِي ٱلْغَمَامَا

---

(١) انظر « ديوان مهيار الديلمي » (٢/٣٤٣) .

أَيْـنَ سُـكَّـانُـكِ لَا أَيْـنَ هُـمُ   أَحِـجَـازاً أَوْطَـنُـوهَـا أَوْ شَـآمَـا
صُـدِعُـوا بَـعْـدَ ٱلْـتِـئَـامٍ فَـغَـدَتْ   بِـهِـمُ أَيْـدِي ٱلْـمَـرَامِـي (١) تَـتَـرَامَـىٰ
يَـا لُـوَاةَ ٱلـدِّيْـنِ عَـنْ مَـيْـسَـرَةٍ   وَٱلـضَّـنِـيـنَـاتِ وَمَـا كُـنَّ لِـئَـامَـا
قَـدْ وَقَـفْـنَـا بَـعْـدَكُـمْ فِـي رَبْـعِـكُـمْ   فَـقَـضَـيْـنَـاهُ ٱسْـتِـلَامـاً وَٱلْـتِـثَـامَـا
وَبِـجَـرْعَـاءِ ٱلْـحِـمَـىٰ قَـلْـبِـي فَـعُـجْ   بِٱلْحِمَىٰ وَٱقْرَأْ عَلَىٰ قَلْبِي ٱلسَّلَامَا
وَتَـرَحَّـلْ (٢) فَـتَـحَـدَّثْ عَـجَـبـاً   إِنَّ قَـلْـبـاً سَـارَ عَـنْ جِـسْـمٍ أَقَـامَـا
قُـلْ لِـجِـيـرَانِ ٱلْـغَـضَـىٰ آهـاً عَـلَـىٰ   طِيبِ عَيْشٍ بِٱلْغَضَىٰ لَوْ كَانَ دَامَا
تَـصِـلُ (٣) ٱلْـعَـامَ وَمَـا أَنْـسَـاكُـمُ   وَقُـصَـارَى ٱلْـوَجْـدِ أَنْ أَسْـلَـخَ عَـامَـا
حَـمِّـلُـوا رِيـحَ ٱلـصَّـبَـا نَـشْـرَكُـمُ   قَـبْـلَ أَنْ تَـحْـمِـلَ شِـيـحـاً وَثُـمَـامَـا
وَٱبْـعَـثُـوا أَشْـبَـاحَـكُـمْ لِـي فِـي ٱلْـكَـرَىٰ   إِنْ أَذِنْـتُـمْ لِـجُـفُـونِـي أَنْ تَـنَـامَـا
وَقَـفَ ٱلـظَّـامِـي عَـلَـىٰ أَبْـوَابِـكُـمْ   أَفَـيَـقْـضِـي وَهْـوَ لَـمْ يَـشْـفِ أُوَامَـا
مَـا يُـبَـالِـي مَـنْ سَـقَـيْـتُـنَّ ٱلـلَّـمَـىٰ   مَـنْـعَـكُـنَّ ٱلْـمَـاءَ عَـنْـهُ وَٱلْـمُـدَامَـا
أَشْـتَـكِـيـكُـمْ وَإِلَـىٰ مَـنْ أَشْـتَـكِـي   شَـمَـلَ ٱلـدَّاءُ فَـمَـنْ يُـبْـرِي ٱلـسَّـقَـامَـا

❁ ❁ ❁

ولابنِ الخياطِ الدمشقيّ (٤) :   [من الطويل]

خُذُوا مِنْ صَبَا نَجْدٍ أَمَاناً لِقَلْبِهِ   فَـقَـدْ كَـادَ رَيَّـاهَـا تَـطِـيـرُ بِـلُـبِّـهِ

---

(١) في « ديوان مهيار الديلمي » (٣٤٤/٢) : (الموامي) وهي الصحارىٰ .
(٢) في « ديوان مهيار الديلمي » (٣٤٤/٢) : (وترجَّل) بدل (وترحَّل) .
(٣) في « ديوان مهيار الديلمي » (٣٤٤/٢) : (نصل) بدل (تصل) .
(٤) انظر « ديوان ابن الخياط الدمشقي » (ص ١٧٠) .

وَإِيَّـاكُـمَـا ذَاكَ ٱلـنَّـسِـيـمَ فَـإِنَّـهُ مَتَىٰ هَبَّ كَانَ ٱلْوَجْدُ أَيْسَرَ خَطْبِهِ
خَلِيلَيَّ لَوْ أَحْبَبْتُمَا لَعَلِمْتُمَا مَحَلَّ ٱلْهَوَىٰ مِنْ مُغْرَمِ ٱلْقَلْبِ صَبِّهِ
تَذَكَّرَ وَٱلذِّكْرَىٰ تَشُوقُ وَذُو ٱلْهَوَىٰ يَتُوقُ وَمَنْ يَعْلَقْ بِهِ ٱلْحُبُّ يُصْبِهِ
غَرَامٌ عَلَىٰ يَأْسِ ٱلْهَوَىٰ وَرَجَائِهِ وَشَوْقٌ عَلَىٰ بُعْدِ ٱلْمَزَارِ وَقُرْبِهِ
وَفِي ٱلرَّكْبِ مَطْوِيُّ ٱلضُّلُوعِ عَلَىٰ جَوىً مَتَىٰ يَدْعُهُ دَاعِي ٱلْغَرَامِ يُلَبِّهِ
إِذَا خَطَرَتْ مِنْ جَانِبِ ٱلرَّمْلِ نَفْحَةٌ تَضَمَّنَ مِنْهَا دَاءَهُ دُونَ صَحْبِهِ
وَمُحْتَجِبٍ بَيْنَ ٱلْأَسِنَّةِ مُعْرِضٍ وَفِي ٱلْقَلْبِ مِنْ إِعْرَاضِهِ مِثْلُ حُجْبِهِ
أَغَارُ إِذَا آنَسْتُ فِي ٱلْحَيِّ أَنَّةً حِذَاراً وَخَوْفاً أَنْ تَكُونَ لِحُبِّهِ

هـٰذا ؛ وإنَّما جلبتُ لكَ هـٰذا القدرَ ، وأمسكتُ عنِ الزيادةِ . . ليكونَ باعثاً لكَ علىٰ طلبِ مثلِهِ ، والاعتناءِ بتحفُّظِهِ ، والتروِّي بعذوبةِ مواردِهِ ، حتىٰ تَضربَ صفحاً عنِ التغلغلِ في وُعوراتِ الصُّعوباتِ ، وإذا انتهىٰ بنا القولُ إن شاءَ اللهُ تعالىٰ في الشعرِ . . فهنالكَ يَحسُنُ إيرادُ ما يُختارُ منهُ عصراً فعصراً ، ومِنَ اللهِ نستمدُّ ، وعلىٰ معونتِهِ نعتمدُ .

* * *

ائتلافُ المعنىٰ معَ المعنىٰ

هوَ أن يُقرَنَ بالمعنىٰ ما يناسبُهُ ويشتدُّ ارتباطُهُ بهِ ، وتارةً لا يكونُ الملائمُ المذكورُ مُزاحَماً بملائمٍ آخَرَ ، وتارةً يكونُ مُزاحَماً بملائمٍ آخَرَ يظهرُ في بادئِ الرأيِ أنَّهُ الأَولىٰ ، وعندَ التحقيقِ يُعلَمُ أنَّ المذكورَ هوَ الملائمُ .

فمِنَ القسمِ الأوَّلِ : قولُ أبي الطيبِ (١) : [من البسيط]

فَٱلْعُرْبُ مِنْهُ مَعَ ٱلْكُدْرِيِّ طَائِرَةٌ   وَٱلرُّومُ طَائِرَةٌ مِنْهُ مَعَ ٱلْحَجَلِ

فقرنَ بينَ العربِ الذينَ بلادُهُم في المفاوزِ والسهولِ مِنَ الأرضِ التي هيَ مساكنُ القطا ، وقرنَ بينَ الرُّومِ الذين مساكنُهُمُ الجبالُ التي هيَ مساكنُ الحَجَلِ ، وبينَ ما يناسبُ كلّاً مِنَ الفريقَينِ ؛ يعني : أنَّ وقائعَ الممدوحِ ورهبتَهُ عَمَّتِ السهلَ والجبلَ .

❊ ❊ ❊

ومِنَ الثاني : قولُ امرئِ القيسِ (٢) : [من الطويل]

كَأَنِّيَ لَمْ أَرْكَبْ جَوَاداً لِلَذَّةٍ   وَلَمْ أَتَبَطَّنْ كَاعِباً ذَاتَ خَلْخَالِ

وَلَمْ أَسْبَأِ ٱلزِّقَّ ٱلرَّوِيَّ وَلَمْ أَقُلْ   لِخَيْلِيَ كُرِّي كَرَّةً بَعْدَ إِجْفَالِ

وقولُ أبي الطيبِ (٣) : [من الطويل]

وَقَفْتَ وَمَا فِي ٱلْمَوْتِ شَكٌّ لِوَاقِفٍ   كَأَنَّكَ فِي جَفْنِ ٱلرَّدَىٰ وَهْوَ نَائِمُ

تَمُرُّ بِكَ ٱلْأَبْطَالُ كَلْمَىٰ هَزِيمَةً   وَوَجْهُكَ وَضَّاحٌ وَثَغْرُكَ بَاسِمُ

---

(١) انظر « ديوان المتنبي » (ص ٢٥٨) .

(٢) انظر « ديوان امرئ القيس » (ص ٣٥) .

(٣) انظر « ديوان المتنبي » (ص ٢٩١ ـ ٢٩٢) .

[بينَ المتنبي وسيفِ الدَّولةِ]

يُقالُ : إنَّ سيفَ الدولةِ عليَّ بنَ حمدانَ لمَّا سمعَ قصيدةَ هـٰذَينِ البيتَينِ . . طَرِبَ لها وأُعجِبَ بها ، غيرَ أنَّه قالَ لأبي الطيبِ : إنّي أنتقدُ عليكَ في قولِكَ : (وَقَفْتَ . . .) البيتينِ ، بمثلِ ما انتُقِدَ بهِ على امرئ القيسِ في قولِهِ : (كَأَنِّيَ لَمْ أَرْكَبْ . . .) وهوَ أنَّ الملاءمةَ بينَ المعاني تقتضي تصديرَ كلٍّ مِنَ البيتَينِ بصدرِ صاحبِهِ ، فقالَ أبو الطيبِ : ليسَ المُنتقِدُ على امرئ القيسِ أعلمَ منهُ بالشعرِ ، فإنَّ معرفةَ البزازِ بالثوبِ ليسَتْ كمعرفةِ ناسجِهِ ، أرادَ امرؤُ القيسِ أن يجمعَ بينَ مَركبَي اللذَّةِ ؛ وهما خيلُ الصَّيدِ والنساءُ ، وبينَ الكرمِ والشجاعةِ ، ولو جمعَ بينَ الصيدِ والشجاعةِ ، وبينَ الكرمِ والنساءِ . . لَقالَتْ لهُ الصِّناعةُ : دعْني ، فما أنتَ مِنْ أهلي ، وأنا لمَّا أردتُ ذكرَ الثباتِ وصدقَ العزمِ وحسنَ الطمأنينةِ . . ضربتُ المثلَ في الإحاطةِ والأمنِ وعدمِ المبالاةِ بالكونِ في جفنِ الردىٰ وهوَ نائمٌ ، ولمَّا ذكرتُ مرورَ الكَلْمى المهزومينَ وهُمُ العابسونَ الباكونَ . . طابقتُ بذكرِ وضاحةِ الوجهِ والابتسامِ ، فعندَ التأمُّلِ صارَ الملائمُ الظاهرُ غيرَ ملائمٍ .

وهـٰذا النوعُ في الكلامِ مِنَ المداحضِ يستدعي مِنْ مريدِ الإنشاءِ أو فهمِ كلامِ الغيرِ شِدَّةَ فكرٍ ودِقَّةَ نظرٍ ؛ ليَعرِفَ حسنَ الملاءمةِ في مثلِ قولِهِ تعالىٰ : ﴿ إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكْرَ وَخَشِيَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ ﴾ (١) ؛ حيثُ وصفَ المؤمنينَ بأنَّهُم لا يزالونَ ملاحظينَ في أعمالِهِمُ الخيرَ المحضَ والرحمةَ الصِّرفةَ ، فهُم لا يخشونَ ويخافونَ بعِلَّةِ كونِهِ جبَّاراً شديدَ العقابِ ، بل هم مُجِلُّونَ لهُ مُعظِّموهُ مُستحضِراً لهُم بصفاتِ الحَنانِ والرحمةِ .

---

(١) سورة يسٓ : (١١) .

وفي مثلِ قولِهِ : ﴿ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ۝ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا۟ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ﴾ (١) .

ويُبيِّنُ لكَ هٰذا حقَّ الإبانةِ ما يُحكىٰ : عن بهاءِ الدينِ زهيرٍ المصريِّ معَ الشاعرِ المَغربيِّ الذي قصدَهُ مِنْ بلادِهِ ليتعلَّمَ منهُ الرِّقةَ المَشرقيَّةَ ، فقالَ لهُ : إنَّ ذٰلكَ ليسَ تعليمُهُ بالقواعدِ ، وإنَّما يَحصُلُ بإدمانِ مطالعةِ كلامِ البلغاءِ ، معَ التأمُّلِ في تأليفِهِ ، ولٰكنْ سألقي عليكَ صدرَ بيتٍ وأنتَ تجتهدُ في تكميلِهِ ، فسمعَ منهُ قولَهُ (٢) : [من مجزوء الكامل]

يَا بَانَ وَادِي ٱلْأَجْرَعِ

فجاءَهُ مِنَ الغدِ وأنشدَهُ :

يَا بَانَ وَادِي ٱلْأَجْرَعِ   سُقِيتَ غَيْثَ ٱلْأَدْمُعِ

يَخطُرُ بالبالِ عندَ ذكرِ الشجرِ أنَّهُ يحتاجُ للسقيِ ، وأنَّهُ إذا سُقِيَ الكفايةَ . . كانَ أنضرَ لهُ وأنمىٰ ، ومِنْ حيثُ كونُ المَقامِ مَقامَ ذكرِ العشقِ والغرامِ . . جعلَ السُّقيا لذٰلكَ البانِ مِنْ دموعِهِ ، ولم يَتذكَّرْ أنَّهُ لا معنىٰ لهٰذا الدعاءِ ؛ فإنَّهُ يستلزمُ دوامَ بكائِهِ أو كثرتَهُ وتتابعَ أحزانِهِ ، وأنَّ انتفاعَ الشجرِ بالماءِ العذبِ ، لا بدموعِهِ الملحةِ ، فقال لهُ الصاحبُ زهيرٌ : هلَّا قلتَ :

يَا بَانَ وَادِي ٱلْأَجْرَعِ   هَلْ مِلْتَ مِنْ طَرَبٍ مَعِي

فصَفَّقَ المغربيُّ وكادَ يطيرُ فرحاً ، وقالَ : ذٰلكَ ما لا يَتأتَّىٰ لمثلي .

* * *

(١) سورة طه : (١١٨) .

(٢) تقدم مع الخبر (١٢٦/٢) .

المبالغةُ ، ويُقالُ : التبليغُ

هيَ والإغراقُ والغُلُوُّ ثلاثتُها مُشترَكةٌ في أنَّها المجاوزةُ بالصِّفةِ حدَّها الذي لها في نفسِها ، كنايةً عن كثرتِها أو قُوَّتِها أو غيرِ ذٰلكَ ؛ كقولِهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ : « إِنَّ فُلَاناً لَا يَضَعُ ٱلْعَصَا » (١) ، كنايةً عن إدامةِ السَّفرِ ؛ أي : هوَ مديمُ السفرِ ، لا يقيمُ ، وهوَ كنايةٌ عن كثرتِهِ جدّاً حتىٰ صارَتِ الإقامةُ لقِلَّتِها لا يُلتفَتُ إليها ولا تُعَدُّ قاطعةً للسفرِ ؛ فالمعنى الكنائيُّ أوِ المجازيُّ هوَ مَحَطُّ الصدقِ والكذبِ ، ومُتعلَّقُ البِرِّ والحِنْثِ .

[المبالغةُ والإغراقُ والغلوُّ]

لٰكنْ إذا كانَتِ المجاوزةُ المذكورةُ بما يمكنُ عقلاً وعادةً . . **فهيَ المبالغةُ** .

وإن كانَتْ بما يمكنُ عقلاً لا عادةً . . **فهيَ الإغراقُ** ؛ كقولِهِ تعالىٰ : ﴿ يَكَادُ ٱلْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَٰرَهُمْ ﴾ (٢) ، ﴿ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ﴾ (٣) ، ولا يَصِحُّ التمثيلُ بمثلِ هٰذا للغُلُوِّ كما فعلَ بعضُ علماءِ البديعِ (٤) ؛ **فإنَّ علىٰ مذهبِنا** : مِنَ الممكنِ عقلاً أن يَخلُقَ اللهُ في الزيتِ الإضاءةَ ، مَسَّتْهُ نارٌ أو لم تَمَسُّهُ .

وإن كانَتْ بما لا يمكنُ لا عقلاً ولا عادةً . . **فهيَ الغُلُوُّ** ؛ كقولِكَ : يكادُ فلانٌ بفطنتِهِ يعلمُ الغيوبَ .

ومِنَ الغُلُوِّ : ما أوقعَ بعضَ الشعراءِ فيما هوَ فسقٌ أو كفرٌ ، ويُعبَّرُ عنهُ

---

(١) أخرجه مسلم (١٤٨٠) عن السيدة فاطمة بنت قيس رضي الله عنها .

(٢) سورة البقرة : (٢٠) .

(٣) سورة النور : (٣٥) .

(٤) انظر « أنوار الربيع » (٤/٢٢٩) .

حينَئذٍ **بالتعجرفِ** ؛ كقولِ عليِّ بنِ جبلةَ المشهورِ بالعَكَوَّكِ في مدحِ بعضِ الناسِ [1] : [من البسيط]

أَنْـتَ ٱلَّـذِي تُـنْـزِلُ ٱلْأَيَّـامَ مَـنْـزِلَـهَـا وَتَـنْـقُـلُ ٱلـدَّهْـرَ مِـنْ حَـالٍ إِلَـىٰ حَـالِ

وَمَـا مَـدَدْتَ مَـدَىٰ طَـرْفٍ إِلَـىٰ أَحَـدٍ إِلَّا قَـضَـيْـتَ بِـأَرْزَاقٍ وَآجَـالِ

ذٰلكَ للهِ وحدَهُ لا شريكَ لهُ ، فكانَ ذٰلكَ سبباً لأن أمرَ المأمونُ بسلِّ لسانِهِ مِنْ قفاهُ ، واللائقُ في هٰذا المعنىٰ مِنْ وصفِ ملكٍ بالجلالةِ وقُوَّةِ السلطانِ قولُ شاعرٍ آخَرَ [2] : [من الطويل]

لَـهُ نَـظَـرَاتٌ عَـنْ حِـفَـافَـيْ سَـرِيـرِهِ إِذَا كَـرَّهَـا فِـيـهَـا عِـقَـابٌ وَنَـائِـلُ

وكقولِ ابنِ هانئٍ الأندلسيِّ [3] : [من الكامل]

مَـا شِـئْـتَ لَا مَـا شَـاءَتِ ٱلْأَقْـدَارُ فَـٱحْـكُـمْ فَـأَنْـتَ ٱلْـوَاحِـدُ ٱلْـقَـهَّـارُ

فَـكَـأَنَّـمَـا أَنْـتَ ٱلـنَّـبِـيُّ مُـحَـمَّـدٌ وَكَـأَنَّـمَـا أَنْـصَـارُكَ ٱلْأَنْـصَـارُ

عاملَهُ اللهُ بما يَستحِقُّهُ ، ما هٰذا التفاوتُ ؟! رفعَ ممدوحَهُ ذٰلكَ الرفعَ ، ثمَّ هوىٰ به هٰذا الهويَّ ، وقولِهِ [4] : [من البسيط]

أَتْـبَـعْـتُـهُ فِـكَـرِي حَـتَّـىٰ إِذَا بَـلَـغَـتْ غَـايَـاتِـهَـا بَـيْـنَ تَـصْـوِيـبٍ وَتَـصْـعِـيـدِ

رَأَيْـتُ مَـوْضِـعَ بُـرْهَـانٍ يَـبِـيـنُ وَمَـا رَأَيْـتُ مَـوْضِـعَ تَـكْـيِـيـفٍ وَتَـحْـدِيـدِ

فلا ينبغي لأحدٍ أن يَحُطَّ مِنْ دينِهِ ليرفعَ مِنْ ممدوحِهِ ، والرضا بذٰلكَ مِنَ الممدوحينَ أنكرُ وأفظعُ ، وبحصولِ ذٰلكَ مِنَ المسلمينَ والسكوتِ عليهِ . .

---

(١) انظر « ديوان العكوَّك » (ص ٩٥) .

(٢) هو ابن هرمة ، كما في « عيون الأخبار » (١/٢٩٤) .

(٣) انظر « ديوان ابن هانئ الأندلسي » (ص ١٨١) .

(٤) انظر « ديوان ابن هانئ الأندلسي » (ص ١٠١) .

لحقوا بمَنْ قيلَ فيهِم : ﴿ كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ﴾ [1] ، فسَلَّطَ اللهُ عليهِم ما سَلَّطَ ، وأوهنَ منهُم ما أوهنَ ، فإنَّا للهِ وإنَّا إليهِ راجعونَ .

وحاصلُ القولِ : أنَّ المبالغةَ وأخويها مجازاً وكنايةً ينبغي أن تكونَ عبارتُها نزهةً عمَّا يُوجِبُ القدحَ ، وحسنُها : هوَ حسنُ المجازِ والكنايةِ .

* * *

(١) سورة المائدة : (٧٩) .

التفريقُ

هوَ أن تَذكُرَ شيئَينِ متشابهَينِ ، وتُفرِّقَ بينَهُما بحالَينِ مختلفَينِ ، ذهاباً بذٰلكَ لتفضيلِ أحدِهما على الآخَرِ ؛ كقولِ بعضِهِم[1] : [من الخفيف]

مَا نَوَالُ ٱلْغَمَامِ يَوْمَ رَبِيعٍ ... كَنَوَالِ ٱلْأَمِيرِ يَوْمَ سَخَاءِ
فَنَوَالُ ٱلْأَمِيرِ بَدْرَةُ عَيْنٍ ... وَنَوَالُ ٱلْغَمَامِ قَطْرَةُ مَاءِ

وقولِ آخَرَ : [من مخلع البسيط]

قَاسُوكَ بِٱلْبَانِ فِي ٱلتَّثَنِّي ... قِيَاسَ جَهْلٍ بِلَا ٱنْتِصَافِ
هَـٰذَا كَغُصْنِ ٱلْخِلَافِ يُدْعَىٰ ... وَأَنْتَ غُصْنٌ بِلَا خِلَافِ

وقولِ آخَرَ[2] : [من المجتث]

مَنْ قَاسَ جَدْوَاكَ يَوْماً ... بِٱلسُّحْبِ أَخْطَأَ مَدْحَكْ
فَٱلسُّحْبُ تُعْطِي وَتَبْكِي ... وَأَنْتَ تُعْطِي وَتَضْحَكْ

* * *

(١) هو رشيد الدين الوطواط ، كما في « أنوار الربيع » (٢٥٩/٤) .
(٢) انظر « معاهد التنصيص » (٣٠١/٢) .

التلميحُ

هوَ أن يشيرَ المُتكلِّمُ في كلامِهِ : لآيةٍ ، أو حديثٍ ، أو شعرٍ مشهورٍ ، أو مثلٍ سائرٍ ، أو قصَّةٍ ؛ كقولِ بعضِهِم[1] : [من البسيط]

أَسْتَوْدِعُ ٱللهَ أَحْبَاباً فُجِعْتُ بِهِمْ ... بَانُوا فَمَا زَوَّدُونِي غَيْرَ تَعْذِيبِ
بَانُوا وَلَمْ يَقْضِ زَيْدٌ مِنْهُمُ وَطَراً ... وَلَا ٱنْقَضَتْ حَاجَةٌ فِي نَفْسِ يَعْقُوبِ

ولآخَرَ[2] : [من البسيط]

مَا فِي ٱلصِّحَابِ وَقَدْ سَارَتْ حُمُولُهُمُ ... إِلَّا مُحِبٌّ لَهُ فِي ٱلرَّكْبِ مَحْبُوبُ
كَأَنَّمَا يُوسُفٌ فِي كُلِّ رَاحِلَةٍ ... وَٱلْحَيُّ فِي كُلِّ بَيْتٍ مِنْهُ يَعْقُوبُ

ولآخَرَ[3] : [من المجتث]

[أهلَ بدرٍ اعملوا ما شئتُم]

يَا بَدْرُ أَهْلُكَ جَارُوا ... وَعَلَّمُوكَ ٱلتَّجَرِّي
وَقَبَّحُوا لَكَ وَصْلِي ... وَحَسَّنُوا لَكَ هَجْرِي
فَلْيَصْنَعُوا مَا أَرَادُوا ... فَإِنَّهُمْ أَهْلُ بَدْرِ

يشيرُ بذٰلكَ إلىٰ حديثٍ ، **حاصلُهُ** : أنَّ صحابيّاً ممَّنْ غزا غزوةَ بدرٍ يُقالُ لهُ : حاطبُ بنُ أبي بلتعةَ . . كانَ ذا مالٍ بمكَّةَ ، ولم يكنْ لهُ هناكَ عشيرةٌ تَحميهِ لهُ مِنَ الأعداءِ ، فأرادَ أن يَتخِذَ لهُ يداً عندَهُم ، حتىٰ يحصلَ علىٰ

---

(١) انظر « أنوار الربيع » (٤/٢٦٧) .
(٢) انظر « أنوار الربيع » (٤/٢٦٨) .
(٣) انظر « معاهد التنصيص » (٤/٢٠٠) .

مالِهِ ، فتأوَّلَ في نفسِهِ جوازَ أمرٍ صنعَهُ ؛ وذٰلكَ أنَّ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ أسرَّ إلىٰ أصحابِهِ أنَّهُ يريدُ النهوضَ إلىٰ مَكَّةَ ، فكتبَ لهُم بذٰلكَ حاطبٌ ، فلمَّا اطلعَ النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ علىٰ ذٰلكَ وسألَ حاطباً وقبلَ اعتذارَهُ . . قالَ عمرُ : دعْني يا رسولَ اللهِ أضربْ عنقَ المنافقِ ، فقالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ : « مَا يُدْرِيكَ يَا عُمَرُ لَعَلَّ ٱللهَ ٱطَّلَعَ عَلَىٰ أَهْلِ بَدْرٍ فَقَالَ : ٱعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ ؛ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ »[1] .

[التلميحُ بينَ المحاربيِّ والهلاليِّ]

ومِنَ الإشارةِ إلى الشعرِ المشهورِ[2] : ما يُحكىٰ : أنَّ عبدَ اللهِ بنَ ثعلبةَ المحاربيَّ دخلَ علىٰ عبدِ الملكِ بنِ يزيدَ الهلاليِّ أمينِ أرمينيةَ إذ ذاكَ ، فقالَ لهُ : ماذا لقينا البارحةَ مِنْ شيوخِ محاربٍ ، منعونا النومَ بضوضائِهِم ولغطِهِم ، فقالَ لهُ عبدُ اللهِ : أعزَّ اللهُ الأميرَ ، إنَّهُم أضلُّوا بُرْقعاً ، فكانوا في طلبِهِ ، أشارَ الأميرُ لِمَا قيلَ في محاربٍ : [من الطويل]

تَكِشُّ بِلَا شَيْءٍ شَيُوخُ مُحَارِبٍ   وَمَا خِلْتُهَا كَانَتْ تَرِيشُ وَلَا تَبْرِي
ضَفَادِعُ فِي ظَلْمَاءِ لَيْلٍ تَجَاوَبَتْ   فَدَلَّ عَلَيْهَا صَوْتُهَا حَيَّةَ ٱلْبَحْرِ

وأشارَ عبدُ اللهِ لِمَا قيلَ : [من الطويل]

لِكُلِّ هِلَالِيٍّ مِنَ ٱللُّؤْمِ بُرْقُعٌ   وَلِٱبْنِ يَزِيدٍ بُرْقُعٌ وَجِلَالُ

[النميريُّ والفزاريُّ]

وكانَ سنانُ بنُ أحمسَ النميريُّ يسايرُ الأميرَ عمرَ بنَ هبيرةَ الفزاريَّ وهوَ

---

(١) أخرجه البخاري (٣٠٠٧) ، ومسلم (٢٤٩٤) عن سيدنا علي رضي الله عنه .
(٢) انظر « أنوار الربيع » (٤/٢٧٦) .

علىٰ بغلةٍ لهُ ، فتقدَّمَتِ البغلةُ علىٰ فرسِ الأميرِ ، فقالَ : اغضضْ بغلتَكَ يا سنانُ ، فقالَ : إنَّها مكتوبةٌ أصلحَ اللهُ الأميرَ ، فضحكَ وقالَ : قاتلكَ اللهُ ، ما أردتُ ذٰلكَ ، قالَ : ولا أنا [1] ، أرادَ ابنُ هبيرةَ قولَ جريرٍ [2] : [من الوافر]

فَغُضَّ ٱلطَّرْفَ إِنَّكَ مِنْ نُمَيْرٍ ... فَلَا كَعْباً بَلَغْتَ وَلَا كِلَابَا

وأرادَ سنانٌ قولَ الأخطلِ [3] : [من البسيط]

لَا تَأْمَنَنَّ فَزَارِيّاً خَلَوْتَ بِهِ ... عَلَىٰ قَلُوصِكَ وَٱكْتُبْهَا بِأَسْيَارِ

❋ ❋ ❋

---

(١) انظر « أنوار الربيع » (٢/٢٧٦ ـ ٢٧٨) .

(٢) تقدم (١/٦٧) .

(٣) البيت لسالم ابن دارة ، هجا ثابت بن رافع الفزاري فقتله ، انظر« الشعر والشعراء » لابن قتيبة (١/٤٠١) ، و« مجمع الأمثال » (١/٣٠٥) .

العنوانُ

هوَ أن يذكرَ المُتكلِّمُ لمناسبةِ أغراضِهِ ما يَدُلُّ علىٰ أخبارٍ شهيرةٍ ؛ لأجلِ التأسِّي أوِ الاستشهادِ أوِ الافتخارِ أو غيرِ ذٰلكَ مِنَ المقاصدِ ، وأكثرُ الناسِ استعمالاً لهٰذا النوعِ شعراءُ المغاربةِ ومُنْشِئُوهُم ، لا يكادُ كلامٌ مِنْ كلامِهِم يخلو منهُ .

[قصةُ شبيبٍ رأسِ الخوارجِ]

قالَ الحارثُ الحمدانيُّ المشهورُ بأبي فراسٍ وقد كتبَ إليهِ بعضُ أصحابِهِ أيامَ أسرِهِ في بلادِ الرومِ يأمرُهُ بالصَّبرِ ويَحثُّهُ على الثباتِ (١) : [من الطويل]

نَدَبْتَ لِحُسْنِ ٱلصَّبْرِ قَلْبَ نَجِيبِ ... وَنَادَيْتَ لِلتَّسْلِيمِ خَيْرَ مُجِيبِ

وَلَمْ يَبْقَ مِنِّي غَيْرُ قَلْبٍ مُشَيَّعٍ ... وَعُودٍ عَلَىٰ نَابِ ٱلزَّمَانِ صَلِيبِ

وَقَدْ عَلِمَتْ أُمِّي بِأَنَّ مَنِيَّتِي ... بِحَدِّ سِنَانٍ أَوْ بِحَدِّ قَضِيبِ

كَمَا عَلِمَتْ مِنْ قَبْلُ أَنْ يَهْلَكَ ٱبْنُهَا ... بِمَهْلَكَةٍ فِي ٱلْمَاءِ أُمُّ شَبِيبِ

ففي هٰذا البيتِ الإلمامُ بخبرِ شبيبٍ أحدِ رؤوسِ الخوارجِ في إمارةِ الحَجَّاجِ لعبدِ الملكِ بنِ مروانَ ، وكانَ الحَجَّاجُ مُتولِّياً قتالَ شبيبٍ هٰذا ، ولقيَ منهُ بلاءً عظيماً ، وكانَ غريباً في الشجاعةِ ، رأتْ أُمُّهُ وهيَ حاملٌ بهِ أنَّها ولدَتْ ناراً ، فطارَتْ في الجوِّ ، وانتشرَتْ في الآفاقِ ، ثم سقطَتْ في ماءٍ فطَفِئَتْ ، فكانَتْ ترىٰ أنَّ ابنَها لا يموتُ إلَّا غريقاً ، فإذا قيلَ لها : قُتِلَ أو ماتَ . . لم تُصدِّقْ ، حتىٰ قيلَ لها : قد غرقَ ، فناحَتْ عليهِ ؛ وذٰلكَ أنَّ فرسَهُ وثبَ بهِ في نهرٍ .

---

(١) انظر « ديوان أبي فراس الحمداني » (ص ٦٧ ـ ٦٨) .

يُقالُ : إنَّ عسكرَ الحَجَّاجِ غاصوا عليهِ وأخرجوهُ ، وشقُّوا عن قلبِهِ ، فوجدوهُ في صلابةِ الحجرِ ، ثمَّ فتحوهُ فوجدوا فيهِ قلباً آخَرَ علىٰ شكلِ الكُرَةِ ، ومِنْ هـٰذهِ القصيدةِ قولُهُ :

تَحَمَّلْتُ خَوْفَ ٱلْعَارِ أَعْظَمَ خُطَّةٍ وَأَمَّلْتُ نَصْراً كَانَ غَيْرَ قَرِيبِ

وَلِلْعَارِ خَلَّىٰ رَبُّ غَسَّانَ مُلْكَهُ وَفَارَقَ دِينَ ٱللهِ غَيْرَ مُصِيبِ

أومأَ في هـٰذا إلىٰ خبرِ جبلةَ بنِ الأيهمِ آخرِ ملوكِ غسَّانَ بالشامِ ؛ وذٰلكَ أنَّهُ قدمَ علىٰ عهدِ عمرَ بنِ الخطابِ المدينةَ للإسلامِ في خمسِ مئةِ فارسٍ مِنْ رجالِهِ ، فأسلموا ، وفرحَ بهِمُ المسلمونَ ، وأكرمَهُم أميرُ المؤمنينَ ، فلمَّا كانَ موسمُ الحجِّ مِنْ تلكَ السنةِ . . خرجَ معَ الناسِ للحجِّ ، فبينا هوَ يطوفُ بالبيتِ . . وَطِئَ رجلٌ علىٰ إزارِهِ ، فانحلَّ ، فالتفتَ إليهِ مغضباً ولطمَهُ ، فترافعَ معَهُ الرجلُ إلىٰ عمرَ ، فقالَ لهُ : إمَّا أن ترضيَهُ ، وإمَّا أن أُقِيدَهُ منكَ ، فقالَ : أتُقِيدُهُ منِّي وهوَ سُوقةٌ وأنا ملكٌ ؟! فقالَ : ذٰلكَ حكمُ اللهِ ، لا فضلَ لأحدٍ علىٰ أحدٍ ، وقد سوَّىٰ بينَهُمُ الإسلامُ ، فقالَ : دعْني أنظرْ في أمري الليلةَ ، فقالَ : ذٰلكَ لكَ .

فلمَّا كانَ بعضُ الليلِ . . خرجَ ابنُ الأيهمِ في قومِهِ ، ولحقَ بقيصرِ الرومِ ، فأكرمَهُ ، وأنزلَهُ منزلاً شريفاً ، وأجرىٰ عليه ما يليقُ بالملوكِ ، ثمَّ كانَ ابنُ الأيهمِ بعدُ يَتأسَّفُ علىٰ ذٰلكَ ويقولُ : يا ليتَني أطعتُ عمرَ .

يقولُ أبو فراسٍ : إنَّ خوفَ العارِ وشرفَ النفسِ ممَّا يقذفُ بصاحبِهِ في المهالكِ ، **وشاهدُ ذٰلكَ** : ما كانَ مِنْ جبلةَ .

❋ ❋ ❋

التسهيمُ ، ويُسمَّى : الإرصادَ

وهوَ أن يجعلَ الكلامَ ؛ بحيثُ يَدُلُّ أَوَّلُهُ علىٰ آخِرِهِ مِنْ جهةِ لفظِهِ ، أو مِنْ جهةِ معناهُ .

فمِنَ الأوَّلِ : قولُ بعضِهِم (١) : [من الطويل]

وَلِي فَرَسٌ بِٱلْجَهْلِ لِلْجَهْلِ مُلْجَمٌ ... وَلِي فَرَسٌ بِٱلْحِلْمِ لِلْحِلْمِ مُسْرَجُ

فَمَنْ رَامَ تَقْوِيمِي فَإِنِّي مُقَوَّمٌ

هٰذا يدلُّ علىٰ أنَّهُ يقولُ بعدَهُ :

وَمَنْ رَامَ تَعْوِيجِي فَإِنِّي مُعَوَّجُ

وقولُ ابنِ هانئٍ الأندلسيِّ (٢) : [من الكامل]

فَإِذَا حَلَلْتَ فَكُلُّ وَادٍ مُمْرِعٌ ... وَإِذَا ظَعَنْتَ فَكُلُّ وَادٍ مَاحِلُ

وَإِذَا بَعُدْتَ فَكُلُّ شَيْءٍ نَاقِصٌ

هٰذا يدلُّ علىٰ أنَّهُ يقولُ :

وَإِذَا قَرُبْتَ فَكُلُّ شَيْءٍ كَامِلُ

❋ ❋ ❋

ومِنَ الثاني : قولُ عمرَ بنِ أبي ربيعةَ (٣) : [من المتقارب]

تَشُطُّ غَداً دَارُ جِيرَانِنَا ... وَلَلدَّارُ بَعْدَ غَدٍ أَبْعَدُ

---

(١) انظر « الصناعتين » (ص ٣٥٦) ، وفيه أن الشعر لصالح بن جناح اللخمي .

(٢) انظر « ديوان ابن هانئ الأندلسي » (ص ٣٠٤) .

(٣) انظر « ديوان عمر بن أبي ربيعة » (ص ٩٨) .

يُحكىٰ : أنَّ عمرَ لمَّا أنشدَ صدرَ البيتِ لعبدِ اللهِ بنِ عباسٍ رضيَ اللهُ عنهُما . . سبقَهُ بإنشادِ العجزِ ، فقالَ : كذٰلكَ قلتُ ، فقالَ : هٰكذا ينبغي أن يُقالَ[1] .

وقولُ عديِّ بنِ الرقاعِ العامليِّ في صفةِ الغزالةِ وولدِها مِنْ قصيدتِهِ التي مطلعُها[2] : [من الكامل]

عَـرَفَ ٱلـدِّيَـارَ تَـوَهُّـمـاً فَـٱعْـتَـادَهَـا

تُـزْجِـي أَغَـنَّ كَـأَنَّ إِبْـرَةَ رَوْقِـهِ قَـلَـمٌ أَصَـابَ مِـنَ ٱلـدَّوَاةِ مِـدَادَهَـا

يُحكىٰ : أنَّهُ حينَ كانَ يُنشِدُ هٰذهِ القصيدةَ . . عرضَ للملكِ شغلٌ ، فقطعَ الإنشادَ علىٰ صدرِ البيتِ ، وكانَ الفرزدقُ وجريرٌ حاضرَينِ ، فقالَ الفرزدقُ لجريرٍ : ما تراهُ يُتمِّمُ البيتَ ، فقالَ : لعلَّهُ يستلبُ مثلاً ، فقالَ الفرزدقُ : أراهُ يقولُ : قلمٌ أصابَ . . .[3] .

وهٰذا لا يسهلُ في درجِ الكلامِ إلَّا علىٰ مَنْ أكثرَ مزاولةَ المعاني والعباراتِ عنها ، فعرفَ أنَّ كلَّ ابتداءٍ لهُ انتهاءٌ ، وأنَّ الأشياءَ يستتبعُ بعضُها بعضاً .

❋ ❋ ❋

---

(١) انظر « معاهد التنصيص » (٢/٢٣٨) .

(٢) انظر « معاهد التنصيص » (٢/٢٣٨) .

(٣) انظر « خزانة الأدب » (٤/٤٥٧ ـ ٤٥٨) .

التشريعُ

هوَ أن تَجعلَ الكلامَ علىٰ سجعتَينِ في النثرِ ، وعلىٰ قافيتَينِ في الشعرِ ، أو أكثرَ مِنْ ذٰلكَ ؛ بحيثُ لو وقفتَ علىٰ سجعةٍ مِنَ السوابقِ ، أو علىٰ قافيةٍ منها . . لتمَّ الكلامُ أو بيتٌ مِنَ الشعرِ .

فمِنْ مشهورِ ذٰلكَ : قولُ الحريريِّ[1] : [من الكامل]

يَـا خَـاطِـبَ ٱلـدُّنْـيَـا ٱلـدَّنِـيَّـةِ إِنَّـهَـا ... شَـرَكُ ٱلـرَّدَىٰ وَقَـرَارَةُ ٱلْأَكْـدَارِ

دَارٌ مَتَىٰ مَا أَضْحَكَتْ فِي يَوْمِهَا ... أَبْـكَـتْ غَـداً تَـبّـاً لَـهَـا مِـنْ دَارِ

وَإِذَا أَظَـلَّ سَـحَـابُـهَـا لَـمْ يَـنْـتَـقِـعْ ... مِـنْـهُ صَـدىً لِـجَـهَـامِـهِ ٱلْـغَـرَّارِ

فالقافيةُ الأُولىٰ بهٰذهِ الأبياتِ هيَ في قولِهِ : (الردىٰ) و(غداً) و(صدىً) تنشدُها قصيدةً ثانيةً فتقولُ[2] : [من مجزوء الكامل]

يَـا خَـاطِـبَ ٱلـدُّنْـيَـا ٱلـدَّنِـيَّـ ... ـةِ إِنَّـهَـا شَـرَكُ ٱلـرَّدَىٰ

دَارٌ مَـتَـىٰ مَـا أَضْـحَـكَـتْ ... فِـي يَـوْمِـهَـا أَبْـكَـتْ غَـدَا

وَإِذَا أَظَـلَّ سَـحَـابُـهَـا ... لَـمْ يَـنْـتَـقِـعْ مِـنْـهُ صَـدَىٰ

❋ ❋ ❋

---

(١) انظر « مقامات الحريري » (ص ١٥٩ ـ ١٦٠) .

(٢) انظر « مقامات الحريري » (ص ١٦١) .

المذهبُ الكلاميُّ

هوَ إيرادُ الحُججِ في الكلامِ على الطريقةِ التي استعملَها المُتكلِّمونَ في مواضعِ الاستدلالِ .

فمنهُ : قولُ النابغةِ يُخاطِبُ النعمانَ وكانَ غضبَ عليهِ بسببِ مدحِهِ لملوكِ غسَّانَ بالشامِ[1] : [من الطويل]

حَلَفْتُ فَلَمْ أَتْرُكْ لِنَفْسِكَ رِيبَةً وَلَيْسَ وَرَاءَ ٱللهِ لِلْمَرْءِ مَذْهَبُ
لَئِنْ كُنْتَ قَدْ بُلِّغْتَ عَنِّي خِيَانَةً لَمُبْلِغُكَ ٱلْوَاشِي أَغَشُّ وَأَكْذَبُ
وَلَٰكِنَّنِي كُنْتُ ٱمْرَأً لِيَ جَانِبٌ مِنَ ٱلْأَرْضِ فِيهِ مُسْتَرَادٌ وَمَذْهَبُ
مُلُوكٌ وَإِخْوَانٌ إِذَا مَا مَدَحْتُهُمْ أُحَكَّمُ فِي أَمْوَالِهِمْ وَأُقَرَّبُ
كَفِعْلِكَ فِي قَوْمٍ أَرَاكَ ٱصْطَنَعْتَهُمْ فَلَمْ تَرَهُمْ فِي مَدْحِهِمْ لَكَ أَذْنَبُوا

فحاصلُ الاحتجاجِ : لو كانَ مادحو مَنْ أُحسِنُ إليهِم في رأيِكَ مذنبينَ . . لكانَ مادحوكَ مذنبينَ فيهِ ، لٰكنَّهُم غيرُ مذنبينَ ، فمادحو مَنْ أُحسِنُ إليهِم غيرُ مذنبينَ .

ولبعضِهِم[2] : [من البسيط]

دَعِ ٱلنُّجُومَ لِطُرْقِيٍّ يَعِيشُ بِهَا وَبِٱلْعَزَائِمِ فَٱنْهَضْ أَيُّهَا ٱلْمَلِكُ
إِنَّ ٱلنَّبِيَّ وَأَصْحَابَ ٱلنَّبِيِّ نَهَوْا عَنِ ٱلنُّجُومِ وَقَدْ أَبْصَرْتَ مَا مَلَكُوا

❋ ❋ ❋

(١) انظر « ديوان النابغة الذبياني » (ص ٧٢ ـ ٧٣) .
(٢) انظر « المحاضرات » لليوسي (١/٢٤٥) .

نفْيُ الشيءِ بإيجابِهِ

هوَ أن تَقصِدَ إلىٰ أثرِ شيءٍ يظهرُ في الكلامِ ثبوتُهُ فتنفيَهُ ؛ ليكونَ نفيُهُ نفياً للشيءِ علىٰ طريقِ الكنايةِ ، مِنْ بابِ نفيِ الملزومِ بنفيِ اللازمِ ، والاعتمادُ في ذٰلكَ علىٰ معونةِ المَقامِ وقرائنِ الأحوالِ ؛ كقولِ امرئِ القيسِ [1] : [من الطويل]

عَـلَـىٰ لَاحِـبٍ لَا يُـهْـتَـدَىٰ بِـمَـنَـارِهِ

ظاهرُ الكلامِ : أنَّ اللَّاحبَ لهُ منارٌ ، فلمَّا نفى الاهتداءَ بهِ . . نفاهُ ؛ إذ لو كانَ . . لكانَ الاهتداءُ بهِ .

ومنهُ : قولُهُ تعالىٰ : ﴿ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴾ [2] ، النفيُ مُنصَبٌّ على القيدِ ، فكأنَّهُ قيلَ : لا يُطاعُ لهُم شفيعٌ ؛ أي : لا شفيعَ لهُم ؛ إذ لو كانَ . . لأُطيعَ ، وتقولُ : لا يُنتفَعُ في هٰذا البلد بعاقلٍ ؛ أي : ليسَ فيهِ عاقلٌ ؛ إذ لو كانَ . . لانتُفِعَ بهِ .

ومِنْ فوائدِ هٰذا النوعِ : التفادي مِنَ التصريحِ بحقيقةِ المقصودِ ؛ تقليلاً لسَوْرةِ الجَفاءِ .

* * *

---

(١) انظر « ديوان امرئ القيس » (ص ٦٦) ، والبيت بتمامه :

عَـلَـىٰ لَاحِـبٍ لَا يُـهْـتَـدَىٰ بِـمَـنَـارِهِ   إِذَا سَـافَـهُ ٱلْـعَـوْدُ الـنَّـبَـاطِـيُّ جَـرْجَـرَا

(٢) سورة غافر : (١٨) .

الرجوعُ

هوَ أن يَحكمَ بحكمٍ يَرىٰ أنَّهُ الواقعُ ، ثمَّ يَرجِعَ عنهُ إظهاراً لقُوَّةِ المعنى الذي يريدُ إفادتَهُ بالكلامِ ؛ مِنْ رضاءٍ بأمرٍ ، أوِ افتخارٍ ، أو صفةِ عشقٍ وشوقٍ ، أو غيرِ ذٰلكَ .

تقولُ : فلانٌ لا يُحسِنُ القراءةَ والكتابةَ ، بلىٰ هوَ أَقرأُ مِنْ فلانٍ ، وأَكتبُ مِنْ فلانٍ ، لا يُبارىٰ في معارفِهِ وحسنِ صناعتِهِ .

ومِنْ أصولِ شواهدِهِ : قولُ زهيرٍ[1] : [من البسيط]

قِفْ بِٱلدِّيَارِ ٱلَّتِي لَمْ يَعْفُهَا ٱلْقِدَمُ   بَلَىٰ وَغَيَّرَهَا ٱلْأَرْوَاحُ وَٱلدِّيَمُ

كأَنَّهُ قالَ : هل هيَ التي لم يعفُها القِدمُ ؟ بلىٰ هيَ التي عفاها القِدمُ وغَيَّرَها الأرواحُ والدِّيَمُ ، ففي ذٰلكَ إطالةُ النفسِ في شكوىٰ تغيُّرِ الأحوالِ المُوجِبِ للتأسُّفِ والتوجُّعِ .

❋ ❋ ❋

(١) انظر « ديوان زهير بن أبي سلمىٰ » (ص ١١٦) .

التوريةُ

هيَ لفظٌ يَحتمِلُ معنيَينِ ؛ قريبٍ يتبادرُ فهمُهُ مِنَ الكلامِ ، وبعيدٍ هوَ المرادُ بالإفادةِ .

[أقسامُ التوريةِ]

وهيَ باعتبارِ ما يقارنُها مِنْ ملائمات المعنيَينِ تنقسمُ :

إلىٰ مُجرَّدةٍ ؛ وهيَ المقرونةُ بملائمَينِ كلُّ واحدٍ منهُما لواحدٍ مِنَ المعنيَينِ ، أو لم تُقرَنْ بملائمِ أحدِهِما .

وإلىٰ مُرشَّحةٍ ؛ وهيَ المقرونةُ بملائمِ المعنى القريبِ ، يُذكَرُ بعدَها أو قبلَها .

وإلىٰ مبينةٍ ؛ وهيَ المقرونةُ بما يلائمُ المعنى البعيدَ كذٰلكَ إن لم يكنْ تَحقُّقُ التوريةِ موقوفاً عليهِ ، وإلَّا . . سُمِّيَتْ : مهيأةً .

[أمثلةُ التوريةِ من شعرِ الورَّاقِ]

وهٰذهِ أمثلةٌ تُورَدُ عليكَ ، تَستعمِلُ ذهنَكَ في ردِّ كلِّ توريةٍ إلىٰ جنسِها حَسَبَ ما عيَّنَتْهُ لكَ تلكَ الضَّوابطُ ، لسراجِ الدينِ عمرَ الورَّاقِ ، مِنْ شعراءِ مصرَ ، وكانَتِ الوراقةُ حرفتَهُ ، وكان لَهِجاً بالتوريةِ في لقبِهِ وحرفتِهِ .

فمِنْ ذٰلكَ قولُهُ [1] : [من الطويل]

إِلَٰهِي لَقَدْ جَاوَزْتُ سَبْعِينَ حِجَّةً ... فَشُكْراً لِنُعْمَاكَ ٱلَّتِي لَيْسَ تُكْفَرُ
وَعُمِّرْتُ فِي ٱلْإِسْلَامِ فَٱزْدَدْتُ بَهْجَةً ... وَنُوراً كَذَا يَبْدُو ٱلسِّرَاجُ ٱلْمُعَمَّرُ

(١) انظر « خزانة الأدب » للحموي (٣/٢٠٠) .

وَعَمَّمَ نُورُ ٱلشَّيْبِ رَأْسِي فَسَرَّنِي ... وَمَا سَاءَنِي أَنِّي ٱلسِّرَاجُ ٱلْمُنَوَّرُ

وقولُهُ [1] : [من المتقارب]

بُنَيَّ ٱقْتَدَىٰ بِٱلْكِتَابِ ٱلْعَزِيزِ ... وَرَاحَ لِبِرِّيَ سَعْياً فَرَاجَا

فَمَا قَالَ لِي أُفَّ مُذْ كَانَ لِي ... لِكَوْنِي أَباً وَلِكَوْنِي سِرَاجَا

وقولُهُ [2] : [من المتقارب]

وَكُنْتُ حَبِيباً إِلَى ٱلْغَانِيَاتِ ... فَأَلْبَسَنِي ٱلشَّيْبُ هَجْرَ ٱلْحَبِيبِ

وَكُنْتُ سِرَاجاً بِلَيْلِ ٱلشَّبَابِ ... فَأَطْفَأَ نُورِي نَهَارُ ٱلْمَشِيبِ

وقولُهُ [3] : [من الوافر]

بِكُتْبِكَ رَاجَ لِي أَمَلِي وَقَصْدِي ... وَفِي يَدِكَ ٱلنَّجَاحُ لِكُلِّ رَاجِ

وَلَوْلَا أَنْتَ لَمْ يُرْفَعْ مَنَارِي ... وَلَا عَرَفَ ٱلْوَرَىٰ قَدْرَ ٱلسِّرَاجِ

وقولُهُ [4] : [من الوافر]

أَمَوْلَانَا ضِيَاءَ ٱلدِّينِ دُمْ لِي ... وَعِشْ فَبَقَاءُ مَوْلَانَا بَقَائِي

فَلَوْلَا أَنْتَ مَا أَغْنَيْتُ شَيْئاً ... وَمَا يُغْنِي ٱلسِّرَاجُ بِلَا ضِيَاءِ

وقولُهُ [5] : [من الكامل]

يَا خَجْلَتِي وَصَحَائِفِي مُسْوَدَّةٌ ... وَصَحَائِفُ ٱلْأَبْرَارِ فِي إِشْرَاقِ

وَمُوَبِّخٍ لِي فِي ٱلْقِيَامَةِ قَائِلٍ ... أَكَذَا تَكُونُ صَحِيفَةُ ٱلْوَرَّاقِ

---

(١) انظر « خزانة الأدب » للحموي (١٩٩/٣) .

(٢) انظر « خزانة الأدب » للحموي (١٩٩/٣) .

(٣) انظر « خزانة الأدب » للحموي (١٩٩/٣) .

(٤) انظر « خزانة الأدب » للحموي (١٩٨/٣) .

(٥) انظر « خزانة الأدب » للحموي (٢٠٢/٣) .

وقولُهُ [1] : [من الكامل]

نَصَبَ ٱلْحَشَا غَرَضاً فَقَرْطَسَ أَوْ رَمَىٰ ... وَهِيَ ٱلْقُلُوبُ سِهَامُهَا ٱلْأَحْدَاقُ

وَسَأَلْتُهُ وَصْلاً فَقَالَ بِحُجَّةٍ ... يَا لَيْتَ شِعْرِي أَيُّنَا ٱلْوَرَّاقُ

ولهُ مِنْ غيرِ ذٰلكَ [2] : [من الوافر]

أَصُونُ لِقَاءَ وَجْهِي عَنْ أُنَاسٍ ... لِقَاءُ ٱلْمَوْتِ عِنْدَهُمُ ٱلْأَدِيبُ

وَرَبُّ ٱلشِّعْرِ عِنْدَهُمُ بَغِيضٌ ... وَلَوْ وَافَىٰ بِهِ لَهُمُ حَبِيبُ

وقولُهُ [3] : [من الكامل]

وَمُهَفْهَفٍ عَنِّي يَمِيلُ وَلَمْ يَمِلْ ... يَوْماً إِلَيَّ فَقُلْتُ مِنْ أَلَمِ ٱلْجَوَىٰ

لِمَ لَا تَمِيلُ إِلَيَّ يَا غُصْنَ ٱلنَّقَا ... فَأَجَابَ كَيْفَ وَأَنْتَ مِنْ جِهَةِ ٱلْهَوَىٰ

وقولُهُ [4] : [من الرجز]

وَأَحْمَقٍ ضَيَّفَنَا بِبَقْلَهْ ... لِنِسْبَةٍ بَيْنَهُمَا وَوُصْلَهْ

فَمَنْ أَقَلُّ أَدَباً مِنْ سِفْلَهْ ... قَدْ مَدَّ فِي وَجْهِ ٱلضُّيُوفِ رِجْلَهْ

[أمثلةٌ أخرىٰ]

يُقالُ للخضراءِ المشهورةِ بالرِّجْلَةِ : البقلةُ الحمقاءُ ؛ لكونِها تَنبُتُ في مجاري السُّيولِ ومواطئِ الأقدامِ ، فلا تَتخيَّرُ موضعاً يصونُها ، فحمَّقوها لذٰلكَ .

---

(١) انظر « خزانة الأدب » للحموي (٣/٢٠٢) .

(٢) انظر « خزانة الأدب » للحموي (٣/٢٠٣) .

(٣) انظر « خزانة الأدب » للحموي (٣/٢٠٧) .

(٤) انظر « خزانة الأدب » للحموي (٣/٢٠٤) .

ولأبي الحسينِ يحيى بنِ عبدِ العظيمِ الجزَّارِ حرفةً ، مِنْ شُعراءِ مصرَ أيضاً (١) :

إِنِّي لَمِنْ مَعْشَرٍ سَفْكُ ٱلدِّمَاءِ لَهُمْ دَأْبٌ وَسَلْ عَنْهُمُ إِنْ رُمْتَ تَصْدِيقِي

تُضِيءُ بِٱلدَّمِ إِشْرَاقاً عِرَاصُهُمُ فَكُلُّ أَيَّامِهِمْ أَيَّامُ تَشْرِيقِ

ولهُ (٢) : [من الطويل]

أَيَا عَلَمَ ٱلدِّينِ ٱلَّذِي جُودُ كَفِّهِ بِرَاحَتِهِ قَدْ أَخْجَلَ ٱلْغَيْثَ وَٱلْبَحْرَا

لَئِنْ أَمْحَلَتْ أَرْضُ ٱلْكِنَافَةِ إِنَّنِي لَأَرْجُو لَهَا مِنْ سُحْبِ رَاحَتِكَ ٱلْقَطْرَا

ولهُ (٣) : [من السريع]

تَزَوَّجَ ٱلشَّيْخُ أَبِي شَيْخَةً لَيْسَ لَهَا عَقْلٌ وَلَا ذِهْنُ

لَوْ بَرَزَتْ صُورَتُهَا فِي ٱلدُّجَىٰ مَا جَسَرَتْ تُبْصِرُهَا ٱلْجِنُّ

كَأَنَّهَا فِي فَرْشِهَا رِمَّةٌ وَشَعْرُهَا مِنْ حَوْلِهَا قُطْنُ

وَقَائِلٍ لِي قَالَ مَا سِنُّهَا فَقُلْتُ مَا فِي فَمِهَا سِنُّ

ولنصيرِ الدِّينِ الحمَّاميِّ (٤) : [من مجزوء الرجز]

لِي مَنْزِلٌ مَعْرُوفَةٌ يَنْهَلُّ غَيْثاً بِٱلسُّحُبْ

أَقْبَلُ ذَا ٱلْعُذْرَ بِهِ وَأُكْرِمُ ٱلْجَارَ ٱلْجُنُبْ

ولهُ (٥) : [من مجزوء الرجز]

أَصْبَحْتُ مِنْ أَغْنَى ٱلْوَرَىٰ وَطَائِراً بِٱلْفَرَحِ

---

(١) انظر « خزانة الأدب » للحموي (٢١٠/٣) ، والبيت من البسيط .
(٢) انظر « خزانة الأدب » للحموي (٢١٢/٣) .
(٣) انظر « خزانة الأدب » للحموي (٢١٣/٣) .
(٤) انظر « خزانة الأدب » للحموي (٢١٤/٣) .
(٥) انظر « خزانة الأدب » للحموي (٢١٤/٣ ـ ٢١٥) .

عِـــنْـــدِيَ خَـــمْـــرٌ ذَهَـــبٌ   أَكْـــتَـــالُـــهُ بِـــٱلْـــقَـــدَحِ

وللأميرِ ناصرِ الدِّينِ حسنِ بنِ النقيبِ[1] : [من الوافر]

أَقُولُ لِنَوْبَةِ ٱلْحُمَّى ٱتْرُكِينِي   وَلَا تَكُ مِنْكِ لِي مَا عِشْتُ أَوْبَهْ

فَقَالَتْ كَيْفَ يُمْكِنُ تَرْكُ هَٰذَا   وَهَلْ يَبْقَى ٱلْأَمِيرُ بِغَيْرِ نَوْبَهْ

ولهُ[2] : [من مجزوء الكامل]

جُودُوا لِنَسْجَعَ بِٱلْمَدِيـ   ـحِ عَلَىٰ عُلَاكُمْ سَرْمَدَا

فَٱلطَّيْرُ أَحْسَنُ مَا يُغَرِّ   دُ عِنْدَمَا يَقَعُ ٱلنَّدَىٰ

ولمحيي الدِّينِ بنِ عبدِ الظاهرِ[3] : [من مجزوء الكامل]

شُكْراً لِنَسْمَةِ أَرْضِكُمْ   كَمْ بَلَّغَتْ عَنِّي تَحِيَّهْ

لَا غَرْوَ أَنْ حَفِظَتْ أَحَا   دِيثَ ٱلْهَوَىٰ فَهِيَ ٱلذَّكِيَّهْ

وللشيخِ عبدِ العزيزِ الأنصاريِّ الحمويِّ[4] : [من السريع]

لَا تَنْسَ وَجْدِي بِكَ يَا شَادِناً   بِحُبِّهِ أُنْسِيتُ أَحْبَابِي

مَا لِي عَلَىٰ هَجْرِكَ مِنْ طَاقَةٍ   فَهَلْ إِلَىٰ وَصْلِكَ مِنْ بَابِ

ولبدرِ الدِّينِ يوسفَ بنِ لؤلؤٍ الذهبيِّ[5] : [من الكامل]

وَحَدِيقَةٍ مَطْلُولَةٍ بَاكَرْتُهَا   وَٱلشَّمْسُ تَرْشُفُ رِيقَ أَزْهَارِ ٱلرُّبَىٰ

يَتَكَسَّرُ ٱلْمَاءُ ٱلزُّلَالُ عَلَى ٱلْحَصَىٰ   فَإِذَا جَرَىٰ بَيْنَ ٱلرِّيَاضِ تَشَعَّبَا

---

(١) انظر « خزانة الأدب » للحموي (٣/٢١٦) .
(٢) انظر « خزانة الأدب » للحموي (٣/٢١٨) .
(٣) انظر « خزانة الأدب » للحموي (٣/٢٢٢) .
(٤) انظر « خزانة الأدب » للحموي (٣/٢٣٣) .
(٥) انظر « خزانة الأدب » للحموي (٣/٢٥٨) .

ولهُ : [من السريع]

أَدِرْ كُــؤُوسَ ٱلــرَّاحِ فِــي رَوْضَــةٍ قَـدْ نَـمَّـقَـتْ أَزْهَـارَهَـا ٱلـسُّـحْـبُ
اَلـطَّـيْـرُ فِـيـهَـا شَـيِّـقٌ مُـغْـرَمٌ وَجَــدْوَلُ ٱلْــمَــاءِ بِــهَــا صَــبٌّ

ولهُ : [من مجزوء الرجز]

وَذِي قَـــوَامٍ أَهْـــيَـــفٍ بَـيْـنَ ٱلـنَّـدَامَـىٰ قَـدْ نَـشَـطْ
قَـامَ يَـقُـطُّ شَـمْـعَـةً فَـهَـلْ رَأَيْـتَ ٱلْـبَـدْرَ قَـطّْ

ولهُ : [من مجزوء الكامل]

رِفْــقــاً بِــصَــبٍّ مُــغْــرَمٍ أَبْـلَـيْـتَـهُ صَـدّاً وَهَـجْـرَا
وَأَتَــاكَ سَــائِــلُ دَمْــعِــهِ فَـرَدَدْتَـهُ فِـي ٱلْـحَـالِ نَـهْـرَا

ولبدرِ الدِّينِ الصَّاحبِ (١) : [من السريع]

فَـاخَـرَتِ ٱلْأَقْـلَامُ سُـمْـرَ ٱلْـقَـنَـا وَٱلـسَّـعْـدُ فِـي ٱلْأَقْـسَـامِ مَـكْـتُـوبُ
فَـقُـلْـتُ لِـلْـخَـطِّـيِّ لَا تَـسْـتَـطِـلْ كِـلَاكُـمَـا لِـلْـخَـطِّ مَـنْـسُـوبُ

ولشهابِ الدِّينِ [الحاجبيّ] (٢) : [من السريع]

لَـمْ أَنْـسَ أَيَّـامَ ٱلـصِّـبَـا وَٱلْـهَـوَىٰ لِلّٰهِ أَيَّـامُ ٱلـنَّـجَـا وَٱلـنَّـجَـاحْ
ذَاكَ زَمَـانٌ مَـرَّ حُـلْـوَ ٱلْـجَـنَـىٰ ظَـفِـرْتُ فِـيـهِ بِـحَـبِـيـبٍ وَرَاحْ

ولبعضِهِم (٣) : [من مجزوء الرمل]

كَـــانَ مَـــا كَـــانَ وَزَالَا فَـــاطَّـــرِحْ قِـــيـــلاً وَقَـــالَا

---

(١) انظر « خزانة الأدب » للحموي (٣/٤٤٣) .
(٢) انظر « خزانة الأدب » للحموي (٣/٤٥٩) .
(٣) انظر « خزانة الأدب » للحموي (٣/٢٧٣) .

أَيُّـــهَـــا ٱلْـــمُــــعْــــرِضُ عَـــنَّـــا حَـــسْـــبُـــكَ ٱللهُ تَـــعَـــالَـــىٰ

وهٰذهِ الأمثلةُ التي أُورِدَتْ للتوريةِ اتفقَ على التمثيلِ بها مشاهيرُ أهلِ البديعيَّاتِ .

وإذا كانَتِ التوريةُ لفظاً يَحتمِلُ معنيَينِ كلٌّ منهُما يَحتمِلُهُ الكلامُ ، غيرَ أنَّ قُوَّةَ القرينةِ تَصرِفُ للمرادِ . . فأرىٰ بعضَ هٰذهِ الأمثلةِ غيرَ منطبقٍ علىٰ هٰذا الحدِّ ، فمثلُ قولِهِ : (تعالىٰ) ، وقولِهِ : (حبيبٌ وراحٌ) . . لا شبهةَ في كونِهِ توريةً ، وحيثُ تَحقَّقتَ مِنَ الضَّابطِ . . لم يعسرْ عليكَ تمييزُ المضبوطِ مِنْ غيرِهِ .

❋ ❋ ❋

الاعتراضُ

هوَ أن يفصلَ المُتكلِّمُ بينَ أجزاءِ الكلامِ أو الكلامَينِ المُتصلَينِ معنىً ، بعطفٍ أو بيانٍ أو بدليَّةٍ أو غيرِ ذٰلكَ ، بجملةٍ فأكثرَ ، لغرضٍ ؛ كالاستعجالِ بالتنزيهِ ، وتقريعِ المخطئِ حالَ ذكرِ خَطَائِهِ ؛ كقولِهِ تعالىٰ : ﴿ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ ٱلْبَنَٰتِ سُبْحَٰنَهُۥ وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ ﴾ (1) .

وبيانِ سببِ الأمرِ الغريبِ مبادرةً بدفعِ الاستغرابِ عن نفسِ المُخاطَبِ ؛ كقولِ الشاعرِ (2) : [من الطويل]

فَلَا صَرْمُهُ يَبْدُو فَفِي ٱلْيَأْسِ رَاحَةٌ وَلَا وَصْلُهُ يَصْفُو لَنَا فَنُكَارِمُهْ

فإنَّ تمنيَ المُحِبِّ أن يبدوَ صرمُ الحبيبِ وهجرُهُ . . أمرٌ مستغربٌ ، فاستعجلَ بيانَ السببِ حيثُ قالَ : (فإنَّ اليأسَ إحدى الراحتَينِ) .

وشدةِ الاحتراسِ مِنِ انصرافِ الفهمِ عن هجوِ مهجوٍّ أو مدحِ ممدوحٍ ؛ كقولِ بعضِهِم (3) : [من الوافر]

لَوَ ٱنَّ ٱلْبَاخِلِينَ وَأَنْتَ مِنْهُمْ رَأَوْكَ تَعَلَّمُوا مِنْكَ ٱلْمِطَالَا

وقولِ آخَرَ : [من الوافر]

فَأَيَّةُ طَرْبَةٍ لِلْعَفْوِ إِنَّ ٱلْـ ـكَرِيمَ وَأَنْتَ مَعْنَاهُ طَرُوبُ

فلو قالَ الأولُ : (لو أنَّ الباخلينَ رأَوكَ . . تعلَّموا) ، والثاني : (إنَّ الكريمَ

---

(1) سورة النحل : (٥٧) .

(2) هو ابن ميادة في « ديوانه » (ص ٢٢٥) .

(3) انظر « أنوار الربيع » (١٣٧/٥) .

طروبٌ) . . **لفُهِمَ أنَّ المُخاطَبَ في الأول** : بخيلٌ ، **وفي الثاني** : كريمٌ ، لٰكنْ ربَّما يُتوهَّمُ أنَّ المِطالَ بسببٍ غيرِ البخلِ ، وأنَّ الطَّربَ للعفوِ وقعَ اتفاقاً ، وأنَّ الطَّرَبَ صفةُ الكرامِ .

ويكونُ الاعتراضُ مقروناً بالواوِ وبالفاءِ ، ومُجرَّداً ، ويُقالُ للحرفَينِ الواوِ والفاءِ : الاعتراضيَّتانِ .

ولبعضِهِم : أنَّ الاعتراضَ يكونُ بعدَ الكلامِ ، **ومِنْ أمثلتِهِ علىٰ رأيِهِ** : قولُهُ تعالىٰ : ﴿ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾ [1] .

ومعنى الاعتراضِ علىٰ هٰذا : أنَّهُ فصلَ بينَ الكلامِ وبينَ ما يَترقَّبُهُ السامعُ مِنْ كلامٍ آخَرَ ، فكأنَّهُ وصلَ بينَ الكلامِ المذكورِ وما يُؤمِّلُهُ ، فاعترضَ المُتكلِّمُ بذكرِ ما يَتعلَّقُ بالكلامِ السابقِ .

وربَّما يَشتبِهُ الاعتراضُ بالحالِ ، فعلى المُتفهِّمِ أن يلاحظَ أنَّ المعنىٰ إن كانَ يستدعي التقييدَ ، وللتقييدِ غَرَضٌ صحيحٌ . . فالجملةُ حالٌ ، وإلَّا . . فاعتراضٌ .

[أمثلةٌ للاعتراضِ من الشِّعرِ]

وهٰذهِ أمثلةٌ للاعتراضِ مِنَ الشعرِ :

قالَ العباسُ بنُ الأحنفِ [2] : [من المنسرح]

قَدْ كُنْتُ أَبْكِي وَكُنْتِ رَاضِيَةً ... حِذَارَ هَٰذَا ٱلصُّدُودِ وَٱلْغَضَبِ

إِنْ تَمَّ ذَا ٱلْهَجْرُ يَا ظَلُومُ وَلَا ... تَمَّ فَمَا لِي فِي ٱلْعَيْشِ مِنْ أَرَبِ

---

(١) سورة الإسراء : (٨١) .

(٢) انظر « ديوان العباس بن الأحنف » (ص ٣٣) .

ولأبي الوليدِ محمدِ بنِ يحيى بنِ حزمٍ[1] : [من الطويل]

أَتَعْجَبُ مِنْ دَمْعِي وَأَنْتَ سَكَبْتَهُ ... وَمِنْ نَارِ أَحْشَائِي وَأَنْتَ لَهِيبُهَا

وَتَزْعُمُ أَنَّ ٱلنَّفْسَ غَيْرَكَ عُلِّقَتْ ... وَأَنْتَ وَلَا مَنٌّ عَلَيْكَ حَبِيبُهَا

وللشريفِ محمدٍ الرضيّ[2] : [من الكامل]

لَا تَحْسَبِيهِ وَإِنْ أَسَأْتِ بِهِ ... يُرْضِي ٱلْوُشَاةَ وَيَقْبَلُ ٱلْعَذْلَا

لَوْ كُنْتِ أَنْتِ وَأَنْتِ مُهْجَتُهُ ... وَاشِي هَوَاكِ إِلَيْهِ مَا قَبِلَا

وللتهاميّ[3] : [من البسيط]

إِنِّي لَأَطْرُفُ طَرْفِي عَنْ مَحَاسِنِهَا ... تَكَرُّماً وَأَكُفُّ ٱلْكَفَّ عَنْ أَمَمِ

وَلَا أَهُمُّ وَلِي نَفْسٌ تُنَازِعُنِي ... أَسْتَغْفِرُ ٱللهَ إِلَّا سَاعَةَ ٱلْحُلُمِ

وقد نزلَ التهاميُّ حالاً عنِ المتنبي حيثُ يقولُ[4] : [من الطويل]

يَرُدُّ يَداً عَنْ ثَوْبِهَا وَهْوَ قَادِرٌ ... وَيَعْصِي ٱلْهَوَىٰ فِي طَيْفِهَا وَهْوَ رَاقِدُ

ولبعضِهم[5] : [من الوافر]

سُعَادُ تَسُبُّنِي ذُكِرَتْ بِخَيْرٍ ... وَتَزْعُمُ أَنَّنِي مَلِقٌ خَبِيثُ

وَأَنَّ مَوَدَّتِي كَذِبٌ وَمَيْنٌ ... وَأَنِّي بِٱلَّذِي أَهْوَىٰ بَثُوثُ

وَلَيْسَ كَذَا وَلَا رَدٌّ عَلَيْهَا ... وَلَٰكِنَّ ٱلْمَلُولَ هُوَ ٱلنَّكُوثُ

---

(١) انظر « معاهد التنصيص » (٣٧٢/١) .

(٢) انظر « ديوان الشريف الرضي » (٢٢٩/٢) .

(٣) انظر « ديوان التهامي » (ص ٣٣٦) .

(٤) انظر « ديوان المتنبي » (ص ٢٤٢) .

(٥) هو ريسم بن شادلويه ، كما في « معاهد التنصيص » (٣٧٤/١) .

رَأَتْ شَغَفِي بِهَا وَنُحُولَ جِسْمِي ... فَصَدَّتْ هٰكَذَا كَانَ ٱلْحَدِيثُ

ولابنِ النبيهِ[1] : [من المنسرح]

سَقْياً لِأَيَّامِنَا ٱلَّتِي سَلَفَتْ ... كَانَتْ بِطِيبِ ٱلْحَيَاةِ مُقْتَرِنَهْ

لَوْ بِيعَ يَوْمٌ مِنْهَا وَكَيْفَ بِهِ ... كُنْتُ بِعُمْرِي مُسْتَرْخِصاً ثَمَنَهْ

وللسيدِ عزِّ الدِّينِ المرتضىٰ[2] : [من الطويل]

أَفِي ٱلْحَقِّ أَنْ تَمْضِي ثَلَاثٌ وَأَرْبَعٌ ... وَخَمْسٌ وَسَبْعٌ بَعْدَهُنَّ ثَمَانِ

وَمَا إِنْ أَرَىٰ شَمْسَ ٱلضُّحَىٰ قَمَرَ ٱلدُّجَىٰ ... وَلَا هُوَ حَاشَاهُ ٱلْخُسُوفُ يَرَانِي

نَأَىٰ لَا نَأَىٰ لَمَّا دَنَا ٱلْهَجْرُ لَا دَنَا ... فَيَا لَيْتَ ذَا نَاءٍ وَذٰلِكَ دَانِ

وللسّرَاجِ الوَرَّاقِ[3] : [من الرمل]

إِنَّ عَيْنِي وَهْوَ عُضْوٌ دَنِفٌ ... مَا عَلَىٰ مَا كَابَدَتْهُ جَلَدُ

مَا كَفَاهَا بُعْدُهَا مِنْكَ إِلَىٰ ... أَنْ دَهَاهَا وَكُفِيتَ ٱلرَّمَدُ

وللفقيهِ عمارةَ اليمنيِّ[4] : [من الطويل]

لَهُ رَاحَةٌ يَنْهَلُّ جُودُ بَنَانِهَا ... وَوَجْهٌ إِذَا قَابَلْتَهُ يَتَهَلَّلُ

يَرَى ٱلْحَقَّ لِلزُّوَّارِ حَتَّىٰ كَأَنَّهُ ... عَلَيْهِمْ وَحَاشَا قَدْرَهُ يَتَطَفَّلُ

❊ ❊ ❊

---

(١) انظر « ديوان ابن النبيه » (ص ٢٦) .

(٢) انظر « أنوار الربيع » (١٤٢/٥) .

(٣) انظر « معاهد التنصيص » (٣٧٣/١) .

(٤) انظر « معاهد التنصيص » (٣٧٢/١) .

ولابنِ اللبانةِ في ناصرِ الدَّولةِ صاحبِ ميورقةَ مِنَ الأندلسِ [1] : [من الكامل]

وَعَـمَـرْتَ بِـالْإِحْـسَـانِ أُفْـقَ مَـيُـورَقَـهْ وَبَـنَـيْـتَ فِـيـهَـا مَـا بَـنَـى ٱلْإِسْـكَـنْـدَرُ
فَـكَـأَنَّـهَـا بَـغْـدَادُ أَنْـتَ رَشِـيـدُهَـا وَوَزِيـرُهَـا وَلَـهُ ٱلـسَّـلَامَـةُ جَـعْـفَـرُ

❋ ❋ ❋

(١) انظر « معاهد التنصيص » (١/٣٧٣) .

حصرُ الجزئيِّ وإلحاقُهُ بالكليِّ

أرادوا بمُسمَّىٰ هـٰذا الاسمِ : أن يقصدَ المُتكلِّمُ إلىٰ [جمعِ] أنواعٍ تجمعُها ملاحظةٌ تحتَ جامعٍ ؛ بحيثُ تكونُ تلكَ الأنواعُ هيَ أقسامَ ذٰلكَ الجامعِ ، فيَحصُرَها في بعضِ جزئياتِها لغرضِ التعظيمِ أو غيرِهِ ؛ بمعنىٰ : أنَّهُ يدَّعي أن ليسَ للكليِّ فردٌ غيرَ ذٰلكَ المخصوصِ .

ومثال ذٰلكَ : قولُ عبدِ اللهِ السلاميِّ (١) : [من الطويل]

إِلَيْكَ طَوَىٰ عَرْضَ ٱلْبَسِيطَةِ جَاعِلاً ... قُصَارَى ٱلْمَطَايَا أَنْ يَلُوحَ لَهَا ٱلْقَصْرُ

فَسِرْتُ وَعَزْمِي فِي ٱلظَّلَامِ وَصَارِمِي ... ثَلَاثَةُ أَشْبَاحٍ كَمَا ٱجْتَمَعَ ٱلنَّسْرُ

فَبَشَّرْتُ آمَالِي بِمُلْكٍ هُوَ ٱلْوَرَىٰ ... وَدَارٍ هِيَ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمٍ هُوَ ٱلدَّهْرُ

فقد جمعَ أنواعَ العالَمِ مِنَ الأشخاصِ والأمكنةِ والأزمنةِ وحصرَها في الملكِ والدارِ ويومِ اللُّقيا .

وقد أغارَ عليهِ الأَرَّجَانيُّ في ذٰلكَ وقَصَّرَ تقصيراً بيِّناً معَ انحطاطِ درجةِ العبارةِ في قولِهِ (٢) : [من البسيط]

يَا سَائِلِي عَنْهُ لَمَّا جِئْتُ أَمْدَحُهُ ... هَـٰذَا هُوَ ٱلرَّجُلُ ٱلْعَارِي مِنَ ٱلْعَارِ

رَأَيْتُهُ فَرَأَيْتُ ٱلنَّاسَ فِي رَجُلٍ ... وَٱلدَّهْرَ فِي سَاعَةٍ وَٱلْأَرْضَ فِي دَارِ

فلفظُ (الناسِ) ليسَ كلفظِ (الورىٰ) ، ولفظُ (الأرضِ) ليسَ كلفظِ (الدنيا) .

---

(١) انظر « يتيمة الدهر » (٢/٤٧٣) .

(٢) انظر « ديوان الأرَّجاني » (٢/٧٨٥) .

والفاتحُ لهٰذا المعنىٰ أبو نُواسٍ في قولِهِ يمدحُ الفضلَ بنَ يحيىٰ ويُخاطِبُ الرشيدَ [1] : [من السريع]

أَنْـتَ عَـلَـىٰ مَـا بِـكَ مِـنْ قُـدْرَةٍ ... فَـلَـسْـتَ مِـثْـلَ ٱلْـفَـضْـلِ بِـٱلْـوَاجِـدِ

لَـيْـسَ عَـلَـى ٱللهِ بِـمُـسْـتَـنْـكَـرٍ ... أَنْ يَـجْـمَـعَ ٱلْـعَـالَـمَ فِـي وَاحِـدِ

❋ ❋ ❋

(١) انظر « ديوان أبي نواس » (ص ٢٦٢) .

الجمعُ والتفريقُ

هوَ أن يَجمعَ بينَ شيئَينِ في معنىً ثمَّ يُفرِّقَ بينَهُما بعدُ ، وهوَ يزيدُ على التفريقِ الماضي بسبقِ الجمعِ ، ويخالفُهُ أيضاً بأنَّ التفريقَ هنا ليسَ الغرضُ منهُ تفصيلَ أحدِ الأمرَينِ .

مثالُهُ : قولُ مِهيارٍ [1] : [من السريع]

حَتَّىٰ إِذَا ٱللَّيْلُ قَضَىٰ مَا قَضَىٰ ... خَفَّتْ مَعَ ٱلْفَجْرِ خُطَاهَا ٱلثِّقَالْ

أَبْكِي وَتَبْكِي غَيْرَ أَنَّ ٱلْأَسَىٰ ... دُمُوعُهُ غَيْرُ دُمُوعِ ٱلدَّلَالْ

وقولُ البحتريِّ [2] : [من البسيط]

وَلَمَّا ٱلْتَقَيْنَا وَٱلنَّقَا مَوْعِدٌ لَنَا ... تَعَجَّبَ رَائِي ٱلدُّرِّ مِنَّا وَلَاقِطُهْ

فَمِنْ لُؤْلُؤٍ تَجْلُوهُ عِنْدَ ٱبْتِسَامِهَا ... وَمِنْ لُؤْلُؤٍ عِنْدَ ٱلْحَدِيثِ تُسَاقِطُهْ

الجمعُ معَ التقسيمِ

هوَ أن يَذكُرَ مجملاً ثمَّ يقسمُهُ ، أو يَذكُرَ مُفصَّلاً ثم يُجمِلُهُ في معنىً ؛ كقول أبي الطيبِ في الأوَّلِ [3] : [من البسيط]

حَتَّىٰ أَقَامَ عَلَىٰ أَرْبَاضِ خَرْشَنَةٍ ... تَشْقَىٰ بِهِ ٱلرُّومُ وَٱلصُّلْبَانُ وَٱلْبِيَعُ

لِلسَّبْيِ مَا نَكَحُوا وَٱلْقَتْلِ مَا وَلَدُوا ... وَٱلنَّهْبِ مَا جَمَعُوا وَٱلنَّارِ مَا زَرَعُوا

فقد أثبتَ أولاً شَقاءَ الرُّومِ ، وشَقاؤُهُم بما يَلحَقُهُم مِنَ الشدائدِ ،

---

(١) انظر « ديوان مهيار الديلمي » (٢/٢٠٩) .

(٢) انظر « ديوان البحتري » (٢/١٢٣٠) .

(٣) انظر « ديوان المتنبي » (ص ٢٣٨) ، و« أنوار الربيع » (٥/١٧٣) .

وتلك الشدائدُ هيَ السبيُ والقتلُ والنهبُ والإحراقُ .

وقولِ حسَّانَ رضيَ اللهُ تعالىٰ عنهُ في الثاني [١] : [من البسيط]

قَـوْمٌ إِذَا حَـارَبُـوا ضَـرُّوا عَـدُوَّهُـمُ   أَوْ حَاوَلُوا ٱلنَّفْعَ فِي أَشْيَاعِهِمْ نَفَعُوا

سَجِيَّةٌ تِلْكَ فِيهِمْ غَيْرُ مُحْدَثَةٍ   إِنَّ ٱلْخَلائِقَ فَٱعْلَمْ شَرُّهَا ٱلْبِدَعُ

الجمعُ معَ التفريقِ والتقسيمِ

هوَ أن يَجمعَ مُتعدِّداً في معنىً ، ثمَّ يُفرِّقَ بينَهُما بالصفةِ ، ثمَّ يضيفَ لكلِّ ما أرادَ أن يثبتَ لهُ ويَخصَّهُ بهِ .

وشاهدُ ذٰلكَ : قولُهُ تعالىٰ : ﴿ يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ . . . ﴾ [٢] ، جمعَ الأنفسَ في السكوتِ حتىٰ يصدرَ الإذنُ بالكلامِ ، ثمَّ فرَّقَهُم شقيّاً وسعيداً ، ثمَّ نصَّ ما أعدَّ لكلٍّ .

ولابنِ شرفٍ القيروانيِّ [٣] : [من الطويل]

لِمُلْتَمِسِ ٱلْحَاجَاتِ جَمْعٌ بِبَابِهِ   فَهَٰذَا لَهُ فَنٌّ وَهَٰذَا لَهُ فَنُّ

فَلِلْخَامِلِ ٱلْعُلْيَا وَلِلْمُعْدِمِ ٱلْغِنَىٰ   وَلِلْمُذْنِبِ ٱلرُّحْمَىٰ وَلِلْخَائِفِ ٱلْأَمْنُ

❋ ❋ ❋

---

(١) انظر « ديوان حسان بن ثابت » رضي الله عنه (١٠٢/١) .

(٢) سورة هود : (١٠٥) .

(٣) انظر « ديوان ابن شرف القيرواني » (ص ٩٩) .

التوشيعُ

هوَ كقولِهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ : « يَشِيبُ ٱبْنُ آدَمَ وَيَشِبُّ مَعَهُ خَصْلَتَانِ : ٱلْحِرْصُ ، وَطُولُ ٱلْأَمَلِ »(١) .

وقولِهِ : « مَنْهُومَانِ لَا يَشْبَعَانِ : طَالِبُ عِلْمٍ ، وَطَالِبُ دُنْيَا »(٢) .

ولتاجِ الدِّينِ بنِ أبي الحسينِ الكنديِّ البغداديِّ(٣) : [من البسيط]

دَعِ ٱلْمُنَجِّمَ يَكْبُو فِي ضَلَالَتِهِ ... إِنِ ٱدَّعَىٰ عِلْمَ مَا يَجْرِي بِهِ ٱلْفَلَكُ

تَفَرَّدَ ٱللهُ بِٱلْعِلْمِ ٱلْقَدِيمِ فَلَا ٱلْـ ... إِنْسَانُ يَشْرَكُهُ فِيهِ وَلَا ٱلْمَلَكُ

أَعَدَّ لِلرِّزْقِ مِنْ إِشْرَاكِهِ شَرَكاً ... فَبِئْسَتِ ٱلْعُدَّتَانِ ٱلشِّرْكُ وَٱلشَّرَكُ

❋ ❋ ❋

(١) انظر « ميزان الاعتدال » (٤/١٥٦) ، وأخرج البخاري (٦٤٢٠) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً : « لا يزال قلب الكبير شاباً في اثنين : في حب الدنيا ، وطول الأمل » .

(٢) أخرجه الحاكم في « المستدرك » (١/٩٢) عن سيدنا أنس رضي الله عنه .

(٣) انظر « وفيات الأعيان » (٢/٣٤١) .

التكميلُ

هوَ أن يأتيَ المُتكلِّمُ بالمعنىٰ تامّاً ، ثمَّ يَعقِبُهُ بمعنىً يزيدُهُ كمالاً ؛ كقولِ سعدِ بنِ كعبٍ الغنويِّ [1] : [من الطويل]

حَلِيمٌ إِذَا مَا ٱلْحِلْمُ زَيَّنَ أَهْلَهُ ... مَعَ ٱلْحِلْمِ فِي عَيْنِ ٱلرِّجَالِ مَهِيبُ

وقولِ البحتريِّ [2] : [من الطويل]

هَلِ ٱلْعَيْشُ إِلَّا أَنْ تُسَاعِفَنَا ٱلنَّوَىٰ ... بِوَصْلِ سُعَادٍ أَوْ يُسَاعِدَنَا ٱلدَّهْرُ

عَلَىٰ أَنَّهَا مَا عِنْدَهَا لِمُوَاصِلٍ ... وِصَالٌ وَلَا عَنْهَا لِمُصْطَبِرٍ صَبْرُ

❋ ❋ ❋

(١) انظر « خزانة الأدب » (١٠/٤٣٥) .

(٢) انظر « ديوان البحتري » (٢/٨٤٤) .

الاحتراسُ

هوَ أن يأتيَ المُتكلِّمُ بزيادةٍ على الكلامِ لدفعِ فسادٍ في معناهُ ولوِ احتمالاً ؛ كقولِهِ تعالىٰ : ﴿ وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ﴾ [1] ، فاليدُ تكونُ بيضاءَ بعِلَّةِ البَهَقِ ، وقولِهِ : ﴿ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ [2] ، فنسبةُ الفعلِ توهمُ القصدَ ، ومَنْ نالَهُ الأذىٰ يَعترِضُ علىٰ مَنْ قصدَهُ دونَ مَنْ لم يشعرْ بهِ ، وهوَ في القرآنِ كثيرٌ .

ومِنْ شواهدِ الاحتراسِ : قولُ الفرزدقِ مِنْ هجائِهِ لجريرٍ [3] : [من الكامل]

لَعَنَ ٱلْإِلَٰهُ بَنِي كُلَيْبٍ إِنَّهُمْ لَا يَغْدِرُونَ وَلَا يَفُونَ لِجَارِ

فقولُهُ (لا يَغدِرونَ) معناهُ : متىٰ أُخِذَ عليهِم عهدٌ . . عَجَزوا عن نقضِهِ ولو نابَتْهُم بسببِهِ النوائبُ ، والقرينةُ علىٰ ذٰلكَ : ما سبقَ مِنَ اللَّعنِ ، لٰكنْ يَحتمِلُ أنَّهُ استثنىٰ لهُم صفةً مِنْ صفاتِ الكرمِ ، فاحترسَ بقولِهِ : (ولا يفونَ) ، وقولُهُ : (لجارِ) مِنَ الإيغالِ .

وقالَ طرفةُ [4] : [من الكامل]

فَسَقَىٰ دِيَارَكَ غَيْرَ مُفْسِدِهَا صَوْبُ ٱلرَّبِيعِ وَدِيمَةٌ تَهْمِي

وقد فاتَ هٰذا الاحتراسُ المتنبيَ حيثُ يقولُ [5] : [من الكامل]

وَإِذَا ٱرْتَحَلْتَ فَشَيَّعَتْكَ سَلَامَةٌ حَيْثُ ٱتَّجَهْتَ وَدِيمَةٌ مِدْرَارُ

---

(١) سورة النمل : (١٢) .

(٢) سورة النمل : (١٨) .

(٣) انظر « ديوان الفرزدق » (١/٥٨١) .

(٤) انظر « ديوان طرفة بن العبد » (ص ٩٧) .

(٥) انظر « ديوان المتنبي » (ص ٢١٤) .

وقدِ استعارَ بعضُ كُتَّابِ المغربِ هٰذا الكلامَ في رسالةٍ توديعيَّةٍ يُخاطِبُ فيها سلطانَهُ ، وانتقدَ على المتنبي حيثُ يقولُ[1] : [من الكامل]

سِرْ حَلَّ حَيْثُ تَحُلُّهُ ٱلنُّوَّارُ ... وَأَرَاكَ فِيكَ مُرَادَكَ ٱلْمِقْدَارُ

وَإِذَا ٱرْتَحَلْتَ فَشَيَّعَتْكَ سَلَامَةٌ ... وَغَمَامَةٌ لَا دِيمَةٌ مِدْرَارُ

تَنْفِي ٱلْهَجِيرَ بِظِلِّهَا وَتُنِيمُ بِٱلرَّ ... شِّ ٱلْقَتَامَ وَكَيْفَ شِئْتَ تُدَارُ

وَقَضَى ٱلْإِلَٰهُ بِأَنْ تَعُودَ مُظَفَّراً ... وَقَضَتْ بِسَيْفِكَ نَحْبَهَا ٱلْكُفَّارُ

هٰذا ما تَمنَّاهُ الوليُّ ، لا ما تَمنَّاهُ الجعفيُّ ؛ فإنَّهُ قالَ : (حيثُ ارتحلتَ وديمةٌ . . .) ، وما تكادُ تنعقدُ معَها عزيمةٌ ، وإذا سفحَتْ علىٰ ذي سفرٍ . . فما أحراها بأن تُعوِّقَ عنِ الظفرِ ، ونعتَها بـ (مدرارٍ) ، فكانَ أبلغَ في الاضطرارِ .

❋ ❋ ❋

(١) انظر « أنوار الربيع » (٦/٢٨٦ ـ ٢٨٧) ، والبيتان الأولان مقتبسان من قصيدة للمتنبي في « ديوانه » (ص ٢١٤) بتصرف .

الإيغالُ

هوَ أن يأتيَ المُتكلِّمُ بعدَ تمامِ الكلامِ بلفظٍ يزيدُ في معناهُ ؛ كقولِهِ تعالىٰ : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلۡهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمۡ وَمَا كَانُواْ مُهۡتَدِينَ ﴾ [1] .

فقولُهُ : ﴿ وَمَا كَانُواْ مُهۡتَدِينَ ﴾ إيغالٌ لتمامِ الكلامِ قبلَهُ وزيادةٌ فيهِ .

وقولِهِ : ﴿ يَٰقَوۡمِ ٱتَّبِعُواْ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ٱتَّبِعُواْ مَن لَّا يَسۡـَٔلُكُمۡ أَجۡرٗا وَهُم مُّهۡتَدُونَ ﴾ [2] .

ومِنْ كلامِ الناسِ كقولِ الخنساءِ [3] : [من البسيط]

وَإِنَّ صَخْراً لَتَأْتَمُّ ٱلْهُدَاةُ بِهِ ... كَأَنَّهُ عَلَمٌ فِي رَأْسِهِ نَارُ

فقولها : (في رأسِهِ نارٌ) وردَ بعدَ تمامِ المعنىٰ ليزيدَ فيهِ .

وقولِ امرئِ القيسِ [4] : [من الطويل]

كَأَنَّ عُيُونَ ٱلْوَحْشِ حَوْلَ خِبَائِنَا ... وَأَرْحُلِنَا ٱلْجَزْعُ ٱلَّذِي لَمْ يُثَقَّبِ

قالَ الأصمعيُّ : (عيونُ الظِّباءِ والبقرِ إذا كانَتْ حيَّةً . . لم يظهرْ فيها البياضُ ، فإذا ماتَتْ . . ظهرَ) [5] ، والشِّعرُ في ذِكْرِ يومِ صيدٍ ، فهوَ يقولُ في كثرةِ الصَّيدِ : حتىٰ إنَّ عيونَ الوحشِ صارَتْ منتشرةً حولَ رحالِهِم في صورةِ

---

(١) سورة البقرة : (١٦) .

(٢) سورة يسٓ : (٢٠ ـ ٢١) .

(٣) انظر « ديوان الخنساء » رضي الله عنها (ص ٣٨٦ ـ ٣٨٧) .

(٤) انظر « ديوان امرئ القيس » (ص ٥٣) .

(٥) انظر « أنوار الربيع » (٥/٣٣٤) .

الجَزْعِ ؛ وهوَ خرزٌ فيهِ بياضٌ وسوادٌ يُجلَبُ مِنَ اليمنِ ، وقولُهُ : (لمْ يُثقَّب) زيادةٌ لتحقيقِ التشبيهِ ؛ كقولِ زهيرٍ [1] : [من الطويل]

كَأَنَّ فُتَاتَ ٱلْعِهْنِ فِي كُلِّ مَنْزِلٍ نَزَلْتَ بِهِ حَبُّ ٱلْفَنَا لَمْ يُحَطَّمِ

* * *

(١) انظر « ديوان زهير بن أبي سلمىٰ » (ص ٢٢) .

شجاعة الفصاحة

قالَ مثبتُهُ أبو الفتحِ عثمانُ بنُ جنِّي : (هوَ حذفُ شيءٍ مِنْ لوازمِ الكلامِ ثقةً بفهمِ السامعِ)[١] ، ومَثَّلَ لهُ بأمثلةٍ يرجعُ فيها ضميرُ الغائبِ على ما يلزمُ علمُهُ مِنَ الكلامِ دونَ ذكرِهِ ؛ كقولِهِ تعالىٰ : ﴿ حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ ﴾[٢] ، بعدَ قولِهِ : ﴿ إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِٱلْعَشِيِّ ﴾[٣] .

وكقولِ لبيدٍ[٤] : [من الكامل]

حَتَّىٰ إِذَا أَلْقَتْ يَداً فِي كَافِرٍ وَأَجَنَّ عَوْرَاتِ ٱلثُّغُورِ ظَلَامُهَا

* * *

(١) انظر « أنوار الربيع » (١٩٢/٥) .

(٢) سورة صٓ : (٣٢) .

(٣) سورة صٓ : (٣١) .

(٤) انظر « ديوان لبيد » رضي الله عنه (ص ٣١٦) .

الفرائدُ

هٰذا النوعُ عبارةٌ عن كلماتٍ رائعةٍ ظاهرةِ الفصاحةِ يكونُ لها تميُّزٌ بينَ قرائنِها ، فتُشبهُ الجوهرةَ الفريدةَ في العِقدِ المتماثلِ ، ومَثَّلُوا لهُ بقولِهِ تعالىٰ : ﴿ ٱلْـَٔـٰنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ ﴾ (١) .

وقولِهِ : ﴿ يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ ﴾ (٢) .

وقولِهِ : ﴿ أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ ﴾ (٣) .

ومِنَ الشعرِ : قولُ أبي كبيرٍ الهذليّ (٤) : [من الكامل]

وَمُـبَـرَّأً مِـنْ كُـلِّ غُـبَّـرِ حَـيْـضَـةٍ ... وَفَـسَـادِ مُـرْضِـعَـةٍ وَدَاءٍ مُـغْـيِـلِ

فقولُهُ : (غُبَّرِ) بضمِّ الغينِ : مِنَ الفرائدِ ، لا يقومُ مقامَها عقبُ حيضةٍ ، و(كلِّ) في هٰذا البيتِ داخلةٌ على المعدودِ بعدَها ؛ أي : هوَ مُبرَّأٌ مِنْ كلِّ ما يُوجِبُ ضعفاً ونقصاً في الخلقِ ، و(المُغيلُ) : اسمُ فاعلٍ مِنْ (أَغيلَ) ، يُقالُ : أغيلَتِ المرأةُ ولدَها دونَ إعلالٍ ، وأغالتْهُ بالإعلالِ ، فهيَ مُغْيِلٌ ومُغِيلٌ ؛ إذا أرضعَتْهُ وهيَ حاملٌ ، جعلَهُ صفةً للداءِ مبالغةً في شناعتِهِ ؛ كأنَّ المرأةَ إذا أرضعَتْ ولدَها وهيَ حاملٌ . . لم تكنْ هيَ المرضعةَ ، وإنَّما المرضعُ داءٌ .

والمرادُ بفسادِ المرضعةِ : ألَّا تكونَ مِنْ ذواتِ اللَّبنِ الجيدِ ، فإنَّ النساءَ

---

(١) سورة يوسف : (٥١) .

(٢) سورة غافر : (١٩) .

(٣) سورة البقرة : (١٨٧) .

(٤) انظر « ديوان الهذليين » (٩٣/٢) ، و« أنوار الربيع » (٢٦٨/٥) ، وفيه الشرح الآتي .

وبقيةَ الإناثِ مِنَ الحيواناتِ متفاوتةُ الألبانِ تفاوتاً عظيماً ، فهوَ فسادٌ أصليٌّ ، وفسادُ المغيلِ عارضٌ ، فلا يغني أحدُهُما عنِ الآخَرِ .

وهٰذا البيتُ شاهدٌ للعربِ بكمالِ النَّباهةِ وجودةِ الالتفاتِ واعتبارِ التجارِبِ ؛ فإنَّ المرأةَ بعدَ الحيضِ لا تكونُ قد صفَتْ مِنَ الخبثِ وبرئتْ مِنَ الضَّعفِ وتمَّتْ سورتُها لقَبولِ البَذْرِ ، فهيَ كالأرضِ النديَّةِ التي لم تبلغِ الصَّلاحيةَ لقَبولِ الحَبِّ وحسنِ الفعلِ ، فهوَ يخرجُ ضعيفاً ، وقوةُ الغذاءِ باللَّبنِ لها ما بعدَها ، وكانَتِ العربُ قد عرفَتْ بعضَ القبائلِ بجودةِ اللَّبنِ ، فكانوا يُرضِعونَ فيهِم أولادَهم .

وفي معنىٰ حديثِ : « مَا لِي لَا أَكُونُ أَفْصَحَ ٱلْعَرَبِ وَأَنَا مِنْ قُرَيْشٍ ، وَٱسْتُرْضِعْتُ فِي بَنِي سَعْدٍ ؟! »(١) ، فأنتَ تَراهُ نفى التعجُّبَ مِنْ قُوَّةِ الفصاحةِ بإثباتِ ما يُوجِبُها ؛ وهوَ سببانِ :

أحدُهُما : حسنُ الرَّضاعةِ لاستتباعِهِ قُوَّةَ البنيةِ وجودةَ استعدادِ الأعضاءِ لتتميمِ أعمالِها .

والسببُ الآخَرُ : كونُهُ مِنْ قريشٍ الذينَ هُم أهلُ المجالسِ التي كانَتِ العربُ تتحاكمُ إليها في موسمِ الحجِّ .

وتلكَ مَقاماتُ أنواعِ الكلامِ ، ومواضعُ إمكانِ الاختيارِ ، كما سبقَتِ الإشَارةُ إليهِ في الكلامِ على اللغةِ(٢) .

وأمَّا الغِيلةُ : فذٰلكَ حكمُها بمُقتضى التجربةِ ، وعليهِ قالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ : « هَمَمْتُ أَنْ أَنْهَىٰ عَنِ ٱلْغِيلَةِ ، إِلَّا أَنِّي رَأَيْتُ فَارِسَ وَٱلرُّومَ يَفْعَلُونَ

---

(١) انظر « البدر المنير » (٨/٢٨١) .

(٢) انظر (١/١٠٧) وما قبلها وما بعدها .

ذَٰلِكَ فَلَا يَضُرُّهُمْ »(١) ، فمعناهُ : أنَّهُ همَّ بتحريمِ ذٰلكَ ، ولٰكنْ لدفعِ الحَرَجِ فيهِ تُرِكَ إلى التجرِبةِ ، فمَنْ وجدَ فيهِ ضرراً . . كانَ منهيّاً عنهُ بعمومِ النهْيِ عنِ الأذىٰ .

* * *

---

(١) أخرجه مسلم (١٤٤٢) عن السيدة جدامة بنت وهب الأسدية رضي الله عنها .

الاشتقاقُ

قالَ مثبتُهُ أبو هلالٍ العسكريُّ : (هوَ أن تَشتقَّ مِنَ الاسمِ العَلَمِ معنىً في غَرَضِ مدحٍ أو ذمٍّ)[١] .

ومِنْ أمثلتِهِ : قولُ ابنِ دريدٍ في هجاءِ نفطويهِ النحويّ[٢] : [من السريع]

لَـوْ أُوحِـيَ ٱلـنَّـحْـوُ إِلَـىٰ نِـفْـطَـوَيْـهْ   مَـا كَـانَ هَـٰذَا ٱلـنَّـحْـوُ يُـغْـدَىٰ إِلَـيْـهْ

أَحْـرَقَـهُ ٱللهُ بِـنِـصْـفِ ٱسْـمِـهِ   وَصَـيَّـرَ ٱلْـبَـاقِـي صُـرَاخـاً عَـلَـيْـهْ

وللصاحبِ ابن عبَّادٍ وقدِ استأذنَ حاجبُهُ للطَّرَسُوسيّ ، [فقالَ] مداعبةً : الطَّرُّ في لحيتِهِ ، والسُّوسُ في حنطتِهِ[٣] .

ودخلَ محمدٌ العباسيُّ المُلقَّبُ أبا العبرِ ـ وكان مشهوراً بالهزلِ ولهُ نوادرُ ظريفةٌ ـ علىٰ رجلٍ يُسمَّىٰ (كُلْثُومْ) فسألَ محمداً عنِ اسمِهِ ، فقالَ لهُ : (كُلْ بَصَلْ) فقالَ : ما معنىٰ هـٰذا الاسمِ ؟ فقالَ : معناهُ معنىٰ (كُلْثُومْ)[٤] .

وكتبَ ابنُ سُكَّرَةَ إلىٰ صديقٍ لهُ يلقَّبُ المِلْحِيَّ[٥] : [من الخفيف]

يَـا صَـدِيـقـاً أَفَـادَنِـيـهِ زَمَـانٌ   فِـيـهِ ضَـنٌّ بِـٱلْأَصْـدِقَـاءِ وَشُـحُّ

بَيْنَ شَخْصِي وَبَيْنَ شَخْصِكَ بُعْدٌ   غَـيْـرَ أَنَّ ٱلْـخَـيَـالَ بِـٱلْـوَصْـلِ سَـمْـحُ

إِنَّـمَـا بَـاعَـدَ ٱلـتَّـأَلُّـفَ مِـنَّـا   أَنَّـنِـي سُـكَّـرٌ وَأَنَّـكَ مِـلْـحُ

---

(١) انظر « الصناعتين » (ص ٤٤٨) ، و« أنوار الربيع » (٢٧٦/٥) .
(٢) انظر « ديوان ابن دريد الأزدي » (ص ١١١) .
(٣) انظر « وفيات الأعيان » (٤١٣/١) .
(٤) انظر « وفيات الأعيان » (١٢٣/٤) ، ففيه خبر قريب منه .
(٥) انظر « وفيات الأعيان » (٤١١/٤) .

فكتبَ يجيبُهُ : [من الخفيف]

هَـلْ يَـقُـولُ ٱلْإِخْـوَانُ يَـوْمـاً لِـخِـلٍّ   شَـابَ مِـنْـهُ مَـحْـضَ ٱلْـمَـوَدَّةِ قَـدْحُ

بَـيْـنَـنَـا سُـكَّـرٌ فَـلَا تُـفْـسِـدَنْـهُ   أَوْ غَـدَا بَـيْـنَـنَـا وَبَـيْـنَـكَ مِـلْـحُ

وفي هٰذا الجوابِ تفضيلُ المِلْحِ ، لا رفعُ المنافرةِ بينَ النوعَينِ .

ولابنِ الروميِّ [1] : [من الطويل]

كَـأَنَّ أَبَـاهُ حِـيـنَ سَـمَّـاهُ صَـاعِـداً   رَأَىٰ كَيْفَ يَرْقَىٰ فِي ٱلْمَعَالِي وَيَصْعَدُ

❋ ❋ ❋

(١) انظر « ديوان ابن الرومي » (٥٩١/٢) .

السَّلْبُ والإيجابُ

هوَ إثباتُ شيءٍ ونفيُهُ مِنْ جهتَينِ ؛ كقولِهِ[1] : [من الكامل]

خُلِقُوا وَمَا خُلِقُوا لِمَكْرُمَةٍ ... فَكَأَنَّهُمْ خُلِقُوا وَمَا خُلِقُوا

رُزِقُوا وَمَا رُزِقُوا سَمَاحَ يَدٍ ... فَكَأَنَّهُمْ رُزِقُوا وَمَا رُزِقُوا

وقولِ آخَرَ[2] : [من الكامل]

لَا يَفْطَنُونَ لِعَيْبِ جَارِهِمِ ... وَهُمُ لِحِفْظِ جِوَارِهِ فُطُنُ

ولا يلزمُ التصريحُ بالجزئيَّينِ ، فيُعَدُّ منهُ قولُ الخنساءِ[3] : [من الطويل]

وَمَا بَلَغَتْ كَفُّ ٱمْرِئٍ مُتَنَاوَلاً ... مِنَ ٱلْمَجْدِ إِلَّا وَٱلَّذِي نِلْتَ أَطْوَلُ

وَلَا بَلَغَ ٱلْمُهْدُونَ لِلنَّاسِ مِدْحَةً ... وَإِنْ أَطْنَبُوا إِلَّا ٱلَّذِي فِيكَ أَفْضَلُ

فإنَّهُ علىٰ تقديرِ : بلغَ الناسُ مُتناوَلاً مِنَ المجدِ ، وما بلغوا ما بلغتَ ، وبلغَ الشعراءُ مدحَ الأجوادِ ، وما بلغوا مدحَكَ .

* * *

(١) انظر « أنوار الربيع » (٥/٢٨٢) .

(٢) انظر « أنوار الربيع » (٥/٢٨١) .

(٣) انظر « ديوان الخنساء » رضي الله عنها (ص ٣٢٠) .

المُشاكَلةُ

هيَ ذكرُ الشيءِ بلفظِ غيرِهِ لوقوعِهِ في صحبتِهِ مجازاً ؛ كقولِهِ تعالىٰ : ﴿ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُواْ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ ﴾[1]

وقولِهِ : ﴿ وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ﴾[2] .

وقد يكونُ المُشاكِلُ ملحوظاً غيرَ موجودٍ في الكلامِ ، فتُسمَّى المُشاكَلةُ تقديريةً ؛ كقولِ بعضِ الشعراءِ وقد نظرَ إلىٰ أميرٍ يَغرِسُ فَسيلاً[3] : [من الكامل]

إنَّ ٱلْــوِلَايَــةَ لَا تَــدُومُ لِــوَاحِــدٍ   إنْ كُـنْـتَ تُـنْـكِـرُهُ فَـأَيْـنَ ٱلْأَوَّلُ
فَٱغْرِسْ مِنَ ٱلْفِعْلِ ٱلْجَمِيلِ غَرَائِساً   فَـإِذَا عُـزِلْـتَ فَـإِنَّـهَـا لَا تُـعْـزَلُ

كأَنَّهُ قالَ : أنتَ تَغرِسُ نخلاً ، فاغرسْ فعلاً .

❋ ❋ ❋

(١) سورة البقرة : (١٩٤) .

(٢) سورة الشورىٰ : (٤٠) .

(٣) انظر « أنوار الربيع » (٥/٢٨٦) .

ما لا يستحيلُ بالانعكاسِ

هوَ عبارةٌ عن لفظٍ يُقرَأُ مِنْ آخِرِهِ لأولِهِ كما يُقرَأُ مِنْ أولِهِ لآخِرِهِ ، كقولِهِ تعالىٰ : ﴿ كُلٌّ فِي فَلَكٍ ﴾ (١) ، ﴿ رَبَّكَ فَكَبِّرْ ﴾ (٢) .

ومِنْ كلامِ الناسِ : (كنْ كما أمكنَكَ) .

ومِنْ النوادرِ : أنَّ العمادَ الكاتبَ كانَ يسايرُ القاضيَ الفاضلَ ، فقالَ العمادُ : (سِرْ فلا كبا بِكَ الفرسُ) ، فأجابَهُ القاضي بديهةً بقولِهِ : (دامَ عُلَا العمادِ) .

وللقاضي الأَرَّجَانيّ (٣) : [من الوافر]

أُحِبُّ ٱلْمَرْءَ ظَاهِرُهُ جَمِيلُ ... لِصَاحِبِهِ وَبَاطِنُهُ سَلِيمُ
مَوَدَّتُهُ تَدُومُ لِكُلِّ هَوْلٍ ... وَهَلْ كُلٌّ مَوَدَّتُهُ تَدُومُ

وشرطُ حسنِهِ : أن يكونَ سلساً ، ليسَ فيهِ تكلُّفٌ .

❋ ❋ ❋

---

(١) سورة يسٓ : (٤٠) .

(٢) سورة المدثر : (٣) .

(٣) انظر « ديوان الأرَّجاني » (٣/١٢٣٣ ـ ١٢٣٤) .

التقسيمُ

هوَ علىٰ نوعَينِ :

أحدُهُما : أن يَذكُرَ قسمةَ ذاتِ جزأَينِ أو أكثرَ ، ويضيفَ لكلٍّ ما يليقُ بهِ .

والثاني : أن يستوفيَ جميعَ الأقسامِ الممكنةِ .

فمِنَ الأوَّلِ : قولُ المُتلمِّسِ (١) : [من البسيط]

فَمَا يُقِيمُ عَلَىٰ ضَيْمٍ يُرَادُ بِهِ ... إِلَّا ٱلْأَذَلَّانِ عَيْرُ ٱلْحَيِّ وَٱلْوَتِدُ
هَـٰذَا عَلَى ٱلْخَسْفِ مَرْبُوطٌ بِرُمَّتِهِ ... وَذَا يُشَجُّ فَلَا يَرْثِي لَهُ أَحَدُ

وقولُ ربيعةَ الرقيِّ (٢) : [من الطويل]

لَشَتَّانَ مَا بَيْنَ ٱلْيَزِيدَيْنِ فِي ٱلنَّدَىٰ ... يَزِيدِ سُلَيْمٍ وَٱلْأَغَرِّ بْنِ حَاتِمِ
يَزِيدُ سُلَيْمٍ سَالِمُ ٱلْمَالِ وَٱلْفَتَىٰ ... فَتَى ٱلْأَزْدِ لِلْأَمْوَالِ غَيْرُ مُسَالِمِ
فَهَمُّ ٱلْفَتَى ٱلْأَزْدِيِّ إِتْلَافُ مَالِهِ ... وَهَمُّ ٱلْفَتَى ٱلْقَيْسِيِّ جَمْعُ ٱلدَّرَاهِمِ

❊ ❊

ومِنَ الثاني : قولُهُ تعالىٰ : ﴿ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا ﴾ (٣) .

---

(١) انظر « ديوان المتلمس الضبعي » (ص ٢٠٨ ـ ٢١١) .

(٢) انظر « وفيات الأعيان » (٦/٣٢٣) .

(٣) سورة الشورىٰ : (٤٩ ـ ٥٠) .

[قصةُ عمرِو بنِ عبيدٍ معَ الحسنِ البصريِّ]

ويُحكىٰ : أنَّ الحسنَ البصريَّ كانَ يقولُ : لا تُقبَلُ توبةُ قاتلِ المؤمنِ عمداً ، فدسَّ إليهِ عمرُو بنُ عبيدٍ رجلاً يقولُ لهُ : لا يخلو أن يكونَ مؤمناً أو كافراً أو منافقاً أو فاسقاً .

فإن كانَ مؤمناً . . فإنَّ اللهَ سبحانَهُ وتعالىٰ يقولُ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوۡبَةٗ نَّصُوحًا ﴾[1] .

وإن كانَ كافراً . . فإنَّهُ تعالىٰ يقولُ : ﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغۡفَرۡ لَهُم مَّا قَدۡ سَلَفَ ﴾[2] .

وإن كانَ منافقاً . . فإنَّهُ تعالىٰ يقولُ : ﴿ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ فِي ٱلدَّرۡكِ ٱلۡأَسۡفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمۡ نَصِيرًا إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ ﴾[3] .

وإن كانَ فاسقاً . . فإنَّهُ تعالىٰ يقولُ : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ ﴾[4] .

فقالَ الحسنُ للرجلِ : مِنْ أينَ لكَ هٰذا ؟ قالَ : شيءٌ اختلجَ في صدري ، فقالَ : محالٌ ، اصدُقْني ، فقالَ : عمرُو بنُ عبيدٍ ، فقالَ الحسنُ : عمرٌو وما عمرٌو ؛ إذا قامَ بأمرٍ . . قعدَ بهِ ، وإذا قعدَ بأمرٍ . . قامَ بهِ[5] .

❊ ❊

وحُكِيَ : أنَّهُ قدمَ وفدٌ مِنَ العراقِ علىٰ هشامِ بنِ عبدِ الملكِ وفيهِم رجلٌ

---

(١) سورة التحريم : (٨) .

(٢) سورة الأنفال : (٣٨) .

(٣) سورة النساء : (١٤٥ ـ ١٤٦) .

(٤) سورة النور : (٤ ـ ٥) .

(٥) انظر « أنوار الربيع » (٥/٢٩٤ ـ ٢٩٥) .

مِنْ بني أسدٍ ، فقالَ : يا أميرَ المؤمنينَ ؛ أصابَتْنا سِنُونَ ثلاثٌ ؛ **أمَّا الأُولىٰ** . . فأذابَتِ الشَّحمَ ، **وأمَّا الثانيةُ** . . فنحضَتِ اللَّحمَ ، **وأمَّا الثالثةُ** . . فهاضَتِ العظمَ ، وفي أيديكُم فضولُ أموالٍ ؛ فإن كانَتْ للهِ . . فبثُّوها في عبادِ اللهِ ، وإن كانَتْ لهُم . . فلا تمنعوهُم إيَّاها ، وإن كانَتْ لكُم . . فتَصدَّقُوا إنَّ اللهَ يَجزي المُتصدِّقينَ .

فقالَ هشامٌ : ما تركَ لنا في واحدةٍ عذراً ، ثمَّ قالَ لهُ : قد قلتَ في حاجةِ العامَّةِ ، فقُلْ في حاجةِ نفسِكَ ، فقالَ : ما لي حاجةٌ في خاصَّةٍ دونَ عامَّةٍ [1] .

ولأبي تمامٍ في مجوسيٍّ أُحرِقَ [2] : [من الكامل]

صَلَّىٰ لَهَا حَيّاً وَكَانَ وَقُودَهَا مَيْتاً وَيَدْخُلُهَا مَعَ ٱلْكُفَّارِ

ولعمرِو بنِ الأهتمِ [3] : [من الخفيف]

اِشْرَبَا مَا شَرِبْتُمَا فَهُذَيْلٌ مِنْ قَتِيلٍ أَوْ هَارِبٍ أَوْ أَسِيرِ

* * *

---

(١) انظر « أنوار الربيع » (٥/٢٩٥) .

(٢) انظر « ديوان أبي تمام » (٢/٢٠٣) .

(٣) انظر « أنوار الربيع » (٥/٢٩٦) .

الإشارةُ

هوَ عبارةٌ عن إيجازٍ في العبارةِ معَ كثرةِ المعنىٰ ، كأنَّهُ يشيرُ إليهِ إشارةً ، ولم تَتناولْهُ العبارةُ ؛ كقولِهِ تعالىٰ في صفةِ الجنةِ : ﴿ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ ﴾ (١) .

وقولِهِ : ﴿ أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا ﴾ (٢) .

وقولِهِ : ﴿ فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ ﴾ (٣) .

ولامرئِ القيسِ (٤) : [من الطويل]

فَظَلَّ لَنَا يَوْمٌ لَذِيذٌ بِنِعْمَةٍ ... فَقِلْ فِي مَقِيلٍ نَحْسُهُ مُتَغَيِّبُ

فهٰذهِ عباراتٌ وجيزةٌ أُريدَ بها أشياءُ كثيرةٌ .

❋ ❋ ❋

(١) سورة الزخرف : (٧١) .

(٢) سورة النازعات : (٣١) .

(٣) سورة الحجر : (٩٤) .

(٤) انظر « معاهد التنصيص » (١/٣٥٦) ، و« الصحاح » (١/١٧٦) ، مادة : (غ ي ب) .

الترتيبُ

قالَ مُستخرِجُهُ شرفُ الدِّينِ التيفاشيُّ : (هوَ ذكرُ أوصافٍ لموصوفٍ واحدٍ مرتبةً على الترتيبِ الطبيعيِّ)[١] ؛ كقولِ مسلمِ بنِ الوليدِ[٢] : [من البسيط]

هَيْفَاءُ فِي فَرْعِهَا لَيْلٌ عَلَىٰ قَمَرٍ ... عَلَىٰ قَضِيبٍ عَلَىٰ حِقْفِ ٱلنَّقَا ٱلدَّهِسِ

* * *

(١) انظر « أنوار الربيع » (٣١٧/٥) .

(٢) انظر « ديوان صريع الغواني » (ص ٣٢٥) .

المشاركةُ

ويُقالُ : الاشتراكُ ؛ وهوَ أن يأتيَ بلفظٍ مُشترَكٍ بينَ معنيَينِ ليُوهِمَ السامعَ أنَّهُ أرادَ أحدَهُما ؛ لكونِهِ جعلَ الكلامَ بحيثُ يتبادرُ منهُ وهوَ يريدُ الآخَرَ ، فيُعقِبُ الكلامَ بما يُحقِّقُ مرادَهُ ؛ كقولِ كُثَيِّرِ عَزَّةَ[1] : [من الطويل]

وَأَنْتِ ٱلَّتِي حَبَّبْتِ كُلَّ قَصِيرَةٍ إِلَيَّ وَلَمْ تَعْلَمْ بِذَاكَ ٱلْقَصَائِرُ
عَنَيْتُ قَصِيرَاتِ ٱلْحِجَالِ وَلَمْ أُرِدْ قِصَارَ ٱلْخُطَا شَرُّ ٱلنِّسَاءِ ٱلْبَحَاتِرُ

البَحاترُ : جمعُ بُحْتُرٍ بضمٍّ فسكونٍ ؛ القصيرُ المُجتمِعُ الخَلْقِ .

❋ ❋ ❋

(١) انظر « ديوان كثير عزة » (ص ٣٦٩) .

التوليدُ

هوَ علىٰ نوعَينِ : أحدُهُما : لفظيٌّ ، والآخَرُ : معنويٌّ .

فاللفظيُّ : أن يستحسنَ الشاعرُ أوِ الناثرُ لفظاً مِنْ كلامِ غيرِهِ في معنىً فيَستلبُهُ ويَضعُهُ في معنىً آخَرَ ، فإن كانَ استعمالُهُ إيَّاهُ أجودَ ، وكانَ الموضعُ الذي وضعَهُ فيهِ بهِ أليقَ . . انتظمَ في المقبولِ المُستحسَنِ ، وإلَّا . . عُدَّ مِنَ المردودِ أوِ المُسترذَلِ ؛ كقولِ أبي تمامٍ(١) : [من الطويل]

لَهَا مَنْظَرٌ قَيْدُ ٱلنَّوَاظِرِ لَمْ يَزَلْ ... يَرُوحُ وَيَغْدُو فِي خُفَارَتِهِ ٱلْحُبُّ

كلمةُ (القيدِ) مُستلَبةٌ مِنْ قولِ امرئِ القيسِ في صفةِ الفرسِ(٢) : [من الطويل]

وَقَدْ أَغْتَدِي وَٱلطَّيْرُ فِي وُكُنَاتِهَا ... بِمُنْجَرِدٍ قَيْدِ ٱلْأَوَابِدِ هَيْكَلِ

الأوابد : جمعُ آبدةٍ ؛ وهيَ الوَحْشُ ، **ومعناهُ** : أنَّ هـٰذا الفرسَ شديدُ السُّرعةِ ؛ بحيثُ متىٰ طُلِبَ عليهِ صيدٌ . . أدركَهُ ومنعَهُ مِنَ الحركةِ ، فهوَ بمنزلةِ القيدِ لهُ ، فأنتَ ترىٰ أنَّهُ استعملَ لفظَ (القيدِ) معَ الحيوانِ الذي هوَ موضعُهُ ، وبلغَ بهِ غرضَهُ ، وأبو تمامٍ استلبَهُ واستعملَهُ معَ النواظرِ ، فكانَ في غيرِ موضعِهِ .

والمعنويُّ : هوَ أن يجدَ الشاعرُ أوِ الناثرُ معنىً لغيرِهِ ، فيأخذَهُ ليزيدَ فيهِ ويُحسِّنَ العبارةَ عنهُ ، فيُعَدُّ بديعاً لِمَا فيهِ مِنَ التنبُّهِ والنقدِ الذي يَحصُلُ بمثلِهِ التعليمُ والدلالةُ على الأدبِ ؛ كقولِ أبي الطيبِ(٣) : [من البسيط]

أَزُورُهُمْ وَسَوَادُ ٱللَّيْلِ يَشْفَعُ لِي ... وَأَنْثَنِي وَبَيَاضُ ٱلصُّبْحِ يُغْرِي بِي

---

(١) انظر « ديوان أبي تمام » (١/١٨٠) .

(٢) انظر « ديوان امرئ القيس » (ص ١٩) .

(٣) انظر « ديوان المتنبي » (ص ٣٣٩) .

توليداً مِنْ قولِ عبدِ اللهِ بنِ المعتزّ[1] : [من البسيط]

لَا تَـلْـقَ إِلَّا بِـلَـيْـلٍ مَـنْ تُـوَاصِـلُـهُ   فَـٱلـشَّـمْـسُ نَـمَّـامَـةٌ وَٱلـلَّـيْـلُ قَـوَّادُ

فالنميمةُ : هيَ نقلُ الكلامِ عنِ الغائبِ ، وليسَ فعلَ الشمسِ ، والإغراءُ : هوَ تحريضُ حاضرٍ علىٰ حاضرٍ ، وهوَ فعلُ بياضِ الصبحِ .

واستعمالُ الشفاعةِ التي تقتضي صحبةَ الإعانةِ معَ شرفِ اللَّفظِ . . أحسنُ مِنِ استعمالِ القيادةِ .

وكقولِ أبي الطيبِ أيضاً[2] : [من الطويل]

هُـمَـامٌ إِذَا مَـا فَـارَقَ ٱلْـغِـمْـدَ سَـيْـفُـهُ   وَعَـايَـنْـتَـهُ لَـمْ تَـدْرِ أَيُّـهُـمَـا ٱلـنَّـصْـلُ

توليداً مِنْ قولِ أبي تمامٍ[3] : [من الطويل]

يَـمُـدُّونَ بِـٱلْـبِـيـضِ ٱلْـقَـوَاطِـعِ أَيْـدِيـاً   فَـهُـنَّ سَـوَاءٌ وَٱلـسُّـيُـوفُ ٱلْـقَـوَاطِـعُ

فانظرْ تفاوتَ ما بينَ البيتَينِ !!

وكقولِ الأخطلِ[4] : [من الطويل]

وَإِنَّ أَمِـيـرَ ٱلْـمُـؤْمِـنِـيـنَ وَفِـعْـلَـهُ   لَـكَـٱلـدَّهْـرِ لَا عَـارٌ بِـمَـا فَـعَـلَ ٱلـدَّهْـرُ

توليداً مِنْ قولِ النابغةِ[5] : [من البسيط]

وَعَـيَّـرَتْـنِـي بَـنُـو ذُبْـيَـانَ خَـشْـيَـتَـهُ   وَهَـلْ عَـلَـيَّ بِـأَنْ أَخْـشَـاهُ مِـنْ عَـارِ

---

(١) انظر « ديوان ابن المعتز » (١/١٧٣) .

(٢) انظر « ديوان المتنبي » (ص ٣٠) .

(٣) انظر « ديوان أبي تمام » (٤/٥٨٩) .

(٤) كذا في « أنوار الربيع » (٥/٣٢٥) .

(٥) انظر « ديوان النابغة الذبياني » (ص ٧٨) .

وكقولِ بعضِهِم[1] : [من الطويل]

فَلَا تَغْلُ فِي شَيْءٍ مِنَ ٱلْأَمْرِ وَٱقْتَصِدْ ... كِلَا طَرَفَيْ كُلِّ ٱلْأُمُورِ ذَمِيمُ

توليداً مِنْ قولِ آخرَ[2] : [من البسيط]

عَلَيْكَ بِٱلْقَصْدِ فِيمَا أَنْتَ طَالِبُهُ ... إِنَّ ٱلتَّخَلُّقَ يَأْتِي بَعْدَهُ ٱلْخُلُقُ

توليداً مِنْ قولِ القطاميِّ[3] : [من البسيط]

قَدْ يُدْرِكُ ٱلْمُتَأَنِّي بَعْضَ حَاجَتِهِ ... وَقَدْ يَكُونُ مَعَ ٱلْمُسْتَعْجِلِ ٱلزَّلَلُ

وهوَ عقدٌ لقولِهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « مَنْ تَأَنَّىٰ . . أَصَابَ أَوْ كَادَ ، وَمَنِ ٱسْتَعْجَلَ . . أَخْطَأَ أَوْ كَادَ »[4] .

* * *

(١) انظر « وفيات الأعيان » (٢/٢١٥) ، وفيه : (قصد) بدل (كل) .
(٢) انظر « خزانة الأدب » (١/٣٥٠) .
(٣) انظر « ديوان القطامي » (ص ١٩٣) .
(٤) انظر « المقاصد الحسنة » (٣١٢) .

الإبداعُ

بالباءِ الموحدةِ ؛ هوَ أن يكونَ البيتُ مِنَ الشعرِ ، أوِ الفصلُ مِنَ النثرِ أوِ الجملةِ المفيدةِ . . مُشتمِلاً علىٰ عِدَّةِ ضروبٍ مِنَ البديعِ .

[ثلاثةٌ وعشرونَ نوعاً مِنَ البديعِ في آيةٍ واحدةٍ]

ولم يُوجَدْ في هـٰذا النوعِ مِنَ الكلامِ مثلُ قولِهِ تعالىٰ : ﴿ وَقِيلَ يَـٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ وَيَـٰسَمَآءُ أَقۡلِعِي وَغِيضَ ٱلۡمَآءُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ وَٱسۡتَوَتۡ عَلَى ٱلۡجُودِيِّۖ وَقِيلَ بُعۡدٗا لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾ (١) .

فإنَّها اشتملَتْ علىٰ ثلاثةٍ وعشرينَ نوعاً مِنَ البديعِ ؛ وهيَ سبعَ عشرةَ لفظةً :

الأوَّلُ : المناسبةُ التامَّةُ بينَ ﴿ ٱبۡلَعِي ﴾ و﴿ أَقۡلِعِي ﴾

الثاني : الاستعارةُ فيهِما .

الثالثُ : الطِّباقُ بينَ (الأرضِ) و(السماءِ) .

الرابعُ : المجازُ في قولِهِ : ﴿ وَيَـٰسَمَآءُ ﴾ ، فإنَّ الحقيقةَ : (يا مطرَ السماءِ) .

الخامسُ : الإشارةُ في ﴿ وَغِيضَ ٱلۡمَآءُ ﴾ ، فإنَّهُ عَبَّرَ بهِ عن معانٍ كثيرةٍ ؛ لأنَّ الماءَ لا يَغيضُ حتىٰ يُقلِعَ مطرُ السماءِ ، وتبلعَ الأرضُ ما يَخرُجُ منها مِنْ عيونِ الماءِ ، فيغيضَ الحاصلُ علىٰ وجهِ الأرضِ مِنَ الماءِ .

السادسُ : الإردافُ في قولِهِ : ﴿ وَٱسۡتَوَتۡ عَلَى ٱلۡجُودِيِّ ﴾ ، فإنَّهُ عَبَّرَ عنِ استقرارِها في المكانِ بلفظٍ قريبٍ مِنْ لفظِ المعنىٰ .

---

(١) سورة هود : (٤٤) .

السابعُ : التمثيلُ في قولِهِ : ﴿ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ﴾ ، فإنَّهُ عَبَّرَ عن هلاكِ الهالكينَ ونجاةِ الناجينَ بلفظٍ بعيدٍ عنِ الموضوعِ .

الثامنُ : التعليلُ ؛ فإنَّ غَيْضَ الماءِ عِلَّةُ الاستواءِ .

التاسعُ : صحةُ التقسيمِ ؛ فإنَّهُ استوعبَ أقسامَ الماءِ حالةَ نقصِهِ ؛ إذ ليسَ إلَّا احتباسَ ماءِ السماءِ والماءِ النابعِ مِنَ الأرضِ ، وغَيْضَ الماءِ الذي علىٰ ظهرِها .

العاشرُ : الاحتراسُ في قولِهِ : ﴿ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ ، إذِ الدعاءُ يُشعِرُ بأنَّهُم مُستحِقُّو الهلاكِ احتراساً مِنْ ضعيفٍ يَتوهَّمَ أنَّ الهلاكَ لعمومِهِ ربَّما شملَ غيرَ مُستحِقٍّ .

الحاديَ عشرَ : المساواةُ ؛ لأنَّ لفظَ الآيةِ لا يزيدُ علىٰ معناها .

الثانيَ عشرَ : حسنُ النسقِ ؛ فإنَّهُ تعالىٰ قصَّ القصَّةَ وعطفَ بعضَها علىٰ بعضٍ بحسنِ الترتيبِ .

الثالثَ عشرَ : ائتلافُ اللفظِ معَ المعنىٰ ؛ لأنَّ كلَّ لفظةٍ لا يَصلُحُ معَها غيرُها .

الرابعَ عشرَ : الإيجازُ ؛ فإنَّهُ تعالىٰ أمرَ فيها ، ونهىٰ ، وأخبر ، ونادىٰ ، ونعت ، وسمَّىٰ ، وأهلكَ وأبقىٰ ، وأسعدَ وأشقىٰ ، وقصَّ مِنَ الأنباءِ ما لو شُرِحَ . . لَجَفَّتِ الأقلامُ .

الخامسَ عشرَ : التسهيمُ ؛ لأنَّ أوَّلَ الآيةِ يَدُلُّ علىٰ آخِرِها .

السادسَ عشرَ : التهذيبُ ؛ لأنَّ مفرداتِها موصوفةٌ بصفاتِ الحسنِ ، كلُّ لفظةٍ سهلةُ مخارجِ الحروفِ ، عليها رونقُ الفصاحةِ ، سليمةٌ عنِ التنافرِ ، بعيدةٌ عنِ البشاعةِ وعقادةِ التركيبِ .

السابعَ عشرَ : حسنُ البيانِ ؛ لأنَّ السامعَ لا يَتوقَّفُ في فهمِ معنى الكلامِ ، ولا يُشكِلُ عليهِ شيءٌ منهُ .

الثامنَ عشرَ : الاعتراضُ ؛ وهوَ قولُهُ : ﴿ وَغِيضَ ٱلْمَآءُ ﴾ ، ﴿ وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِيِّ ﴾ .

التاسعَ عشرَ : الكنايةُ ؛ فإنَّهُ لم يُصرّحْ بمَنْ غاضَ الماءَ ، ولا بمَنْ قضى الأمرَ وسوَّى السفينةَ ، ولا بمَنْ قالَ : ﴿ وَقِيلَ بُعْدًا ﴾ ، كما لم يُصرِّح بقائلِ : ﴿ يَٰٓأَرْضُ ٱبْلَعِى ﴾ ، ﴿ وَيَٰسَمَآءُ أَقْلِعِى ﴾ في صدرِ الآيةِ ؛ سلوكاً في كلِّ واحدٍ مِنْ ذٰلكَ سبيلَ الكنايةِ : إنَّ تلكَ الأمورَ العِظامَ لا تتأتَّىٰ إلَّا مِنْ ذي قدرةٍ قَهَّارٍ لا يُغالَبُ ، فلا مجالَ لذهابِ الوهمِ إلىٰ أن يكونَ غيرَهُ جلَّتْ عظمتُهُ قائلُ : يا أرضُ ويا سماءُ ، ولا أن يكونَ غائضُ ما غاضَ ولا قاضي مثلِ ذٰلكَ الأمرِ الهائلِ غيرَهُ .

العشرونَ : التعريضُ ؛ فإنَّهُ تعالىٰ عَرَّضَ لسالكي مسلكِهِم في تكذيبِ الرسلِ ظلماً ، وأنَّ الطوفانَ وتلكَ الصورَ الهائلةَ ما كانَتْ إلَّا لظلمِهِم .

الحادي والعشرونَ : التمكينُ ؛ لأنَّ الفاصلةَ مستقرةٌ في مَحَلِّها ، مُطمئنَّةٌ في مكانِها ، غيرُ قلقةٍ ولا مستدعاةٍ .

الثاني والعشرونَ : الانسجامُ ؛ لأنَّ الآيةَ بجملتِها منسجمةٌ كالماءِ الجاري في السلاسةِ .

الثالثُ والعشرونَ : الإبداعُ الذي هوَ شاهدُ هٰذا النوعِ .

وفي هٰذهِ الآيةِ الكريمةِ تفريعاتٌ أُخَرُ ؛ مثلاً : أنَّ الاستعارةَ منها في موضعَينِ وأمثالَ ذٰلكَ ممَّا يُستنبَطُ بقُوَّةِ النظرِ والاستقراءِ بمعرفةِ الناقدِ البصيرِ ، وقد أُفرِدَتْ بلاغةُ هٰذهِ الآيةِ بالتأليفِ .

وفي « العجائبِ » للكَرْمانيِّ : (أجمعَ المعاندونَ علىٰ أنَّ طوقَ البشرِ قاصرٌ عنِ الإتيانِ بمثلِ هـٰذهِ الآيةِ ، بعدَ أن فَتَّشُوا جميعَ كلامِ العربِ والعجمِ ، فلم يجدوا مثلَها في فخامةِ ألفاظِها ، وحسنِ نظمِها ، وجودةِ معانيها في تصويرِ الحالِ ، معَ الإيجازِ مِنْ غيرِ إخلالٍ) انتهىٰ مِنْ لفظ ابن معصوم رحمة الله عليهِ [1] .

* * *

(١) غرائب التفسير وعجائب التأويل (٥٠٧/١) ، أنوار الربيع (٣٣٠/٥) .

النوادرُ

وكانَ قدامةُ يُسمِّيهِ : الإغرابَ بالغينِ المعجمةِ ؛ وهوَ أن يَقصِدَ المُتكلِّمُ إلىٰ معنىً قدِ ابتذلَتْهُ الشُّهرةُ وكثرةُ الاستعمالِ ، فيُبرِزَهُ في صورةٍ يَتخيَّلُها ، فتكسوهُ غرابةً ، وكأنَّهُ لم يكنْ مُستعمَلاً ؛ كقول أبي الطيبِ المتنبي في التشبيهِ بالشمسِ(١) : [من الكامل]

لَمْ تَلْقَ هَٰذَا ٱلْوَجْهَ شَمْسُ نَهَارِهِ إِلَّا بِوَجْهٍ لَيْسَ فِيهِ حَيَاءُ

وكقولِ القاضي الفاضلِ عبدِ الرحيمِ البيسانيِّ في التشبيهِ بالقمرِ(٢) : [من الطويل]

تَرَاءَىٰ وَمِرْآةُ ٱلسَّمَاءِ صَقِيلَةٌ فَأَثَّرَ فِيهَا وَجْهُهُ صَفْحَةَ ٱلْبَدْرِ

ولأبي الفتحِ البستيِّ فيهِ إغرابٌ آخَرُ(٣) : [من الكامل]

أَرَأَيْتَ مَا قَدْ قَالَ لِي بَدْرُ ٱلدُّجَىٰ لَمَّا رَأَىٰ طَرْفِي يُدِيمُ سُهُودَا
حَتَّامَ تَرْمُقُنِي بِعَيْنَيْ سَاهِرٍ أَقْصِرْ فَلَسْتُ حَبِيبَكَ ٱلْمَفْقُودَا

ومِنَ المعاني المشهورةِ : دعوىٰ أنَّ الطَّيرَ تَتبعُ الجيشَ لاعتيادِها الوقوعَ علىٰ قتلاهُ لكثرةِ وقائعِهِ ونصرتِهِ فيها .

قالَ النابغةُ(٤) : [من الطويل]

إِذَا مَا غَزَوْا بِٱلْجَيْشِ حَلَّقَ فَوْقَهُمْ عَصَائِبُ طَيْرٍ تَهْتَدِي بِعَصَائِبِ

---

(١) انظر « ديوان المتنبي » (ص ٩٧) .
(٢) انظر « أنوار الربيع » (٣٣٨/٥) .
(٣) انظر « ديوان أبي الفتح البستي » (ص ٢٣٧) .
(٤) انظر « ديوان النابغة الذبياني » (ص ٤٢) .

وتبعَهُ مسلمُ بنُ الوليدِ بقولِهِ [١] : [من البسيط]

قَـدْ عَـوَّدَ ٱلـطَّـيْـرَ عَـادَاتٍ وَثِـقْـنَ بِـهَـا فَـهُـنَّ يَـتْـبَـعْـنَـهُ فِـي كُـلِّ مُـرْتَـحَـلِ

وأكثرَ الشعراءُ في ذٰلكَ بعباراتٍ قريبٍ بعضُها مِنْ بعضٍ ، حتىٰ قالَ المتنبي فأغربَ [٢] : [من البسيط]

يُـطَـمِّـعُ ٱلـطَّـيْـرَ فِـيـهِـمْ طُـولُ أَكْـلِـهِـمِ حَـتَّـىٰ تَـكَـادُ عَـلَـىٰ هَـامَـاتِـهِـمْ تَـقَـعُ

* * *

---

(١) انظر « ديوان صريع الغواني » (ص ١٢) .

(٢) انظر « ديوان المتنبي » (ص ٢٣٨) .

التطريزُ

هوَ علىٰ معنيَينِ :

أحدُهُما : أن يُؤتىٰ بأمورٍ متقابلةٍ ؛ علىٰ حدِّ قولِ أبي تمامٍ[١] : [من الكامل]

أَعْوَامَ وَصْلٍ كَادَ يُنْسِي طِيبَهَا ... ذِكْرُ ٱلنَّوَىٰ فَكَأَنَّهَا أَيَّامُ

ثُمَّ ٱنْبَرَتْ أَيَّامُ هَجْرٍ أَعْقَبَتْ ... بُؤْساً فَخِلْنَا أَنَّهَا أَعْوَامُ

ثُمَّ ٱنْقَضَتْ تِلْكَ ٱلسِّنُونُ وَأَهْلُهَا ... فَكَأَنَّهَا وَكَأَنَّهُمْ أَحْلَامُ

❁ ❁ ❁

والآخَرُ : أن يُبتدَأَ بمُتعدِّدٍ ثمَّ يُخبَرَ عنهُ بصفةٍ واحدةٍ مُتكرِّرةٍ ، علىٰ حدِّ قولِ ابنِ الروميِّ[٢] : [من الوافر]

أُمُورُكُمُ بَنِي خَاقَانَ عِنْدِي ... عِجَابٌ فِي عِجَابٍ فِي عِجَابِ

قُرُونٌ فِي رُؤُوسٍ فِي وُجُوهٍ ... صِلَابٌ فِي صِلَابٍ فِي صِلَابِ

وقولُ ابنِ لنككَ البصريِّ[٣] : [من الوافر]

أَقُولُ لِصَاحِبِي وَٱلرَّاحُ رُوحٌ ... لِجِسْمِ ٱلْكَأْسِ فِي كَفِّ ٱلنَّدِيمِ

وَقَدْ حَبَسَ ٱلدُّجَىٰ عَنَّا بَوَاكٍ ... [تَسِيلُ] نُفُوسُهَا فَوْقَ ٱلْجُسُومِ

شُمُوعُكَ وَٱلْكُؤُوسُ مَعَ ٱلنَّدَامَىٰ ... نُجُومٌ فِي نُجُومٍ فِي نُجُومِ

❁ ❁ ❁

---

(١) انظر « ديوان أبي تمام » (٣/١٥١ ـ ١٥٢) .

(٢) انظر « ديوان ابن الرومي » (١/٣٥٣) .

(٣) انظر « يتيمة الدهر » (٢/٤١٧) .

التنكيتُ

هوَ أن يَخُصَّ المُتكلِّمُ شيئاً بالذِّكرِ لا يَستحِقُّ الاختصاصَ لذاتِهِ ، بل هوَ وغيرُهُ سواءٌ ؛ لكونِهِ دلَّ علىٰ أمرٍ انفردَ بهِ ، ولذٰلكَ يُطلَبُ عندَ سماعِهِ فيُقالُ : لِمَ خُصَّ هٰذا بالذِّكرِ ؟ كقولِهِ تعالىٰ : ﴿ وَأَنَّهُۥ هُوَ رَبُّ ٱلشِّعۡرَىٰ ﴾ (1) ، وهوَ ربُّ كلِّ شيءٍ ، فيُقالُ : لِمَ اختصَّ الشِّعرىٰ بالذِّكرِ ؟

والأمرُ الذي أوجبَ لها ذٰلكَ : هوَ أنَّ أُمَّةً مِنَ العربِ كانَتْ تعبدُها ، وإمامُهُم في ذٰلكَ رجلٌ كانَ يُقالُ لهُ : ابنُ أبي كبشةَ ، قيلَ : وهوَ المرادُ في قولِ أهلِ مَكَّةَ حينَ كانوا يستسخرونَ : أَمِرَ أَمْرُ ابنِ أبي كبشةَ (2) ؛ تشبيهاً للنبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ بهِ في مفارقةِ عبادةِ الأصنامِ ، وقيلَ : نسبوهُ إلىٰ بعضِ أجدادِهِ لأُمِّهِ .

ومِنْ شواهدِ التنكيتِ . . قولُ الخنساءِ (3) : [من الوافر]

يُذَكِّرُنِي طُلُوعُ ٱلشَّمْسِ صَخْراً ... وَأَذْكُرُهُ لِكُلِّ غُرُوبِ شَمْسِ

خَصَّتِ الوقتَينِ لكونِهِما وقتَ إطعامِ الطعامِ ، وتلقِّي المساكينِ والضِّيفانِ .

ولأبي تمامٍ مِنَ التنكيتِ قولُهُ (4) : [من البسيط]

تِسْعُونَ أَلْفاً كَآسَادِ ٱلشَّرَىٰ نَضِجَتْ ... جُلُودُهُمْ قَبْلَ نُضْجِ ٱلتِّينِ وَٱلْعِنَبِ

مِنْ قصيدةٍ لها خبرٌ يُعرَفُ منهُ نكتةُ اختصاصِ التينِ والعنبِ بالذِّكرِ ،

---

(1) سورة النجم : (49) .

(2) أخرجه البخاري (7) عن سيدنا ابن عباس عن سيدنا أبي سفيان رضي الله عنهما من حديث طويل .

(3) انظر « ديوان الخنساء » رضي الله عنها (ص 326) .

(4) انظر « ديوان أبي تمام » (1/69) .

حتى اعتَرضَ عليهِ مَنْ لم يَعرِفِ الخبرَ ؛ وذٰلكَ أنَّهُ بلغَ المعتصمَ وهوَ في مجلسِ شرابِهِ أنَّ في بلدٍ يُقالُ لها : عَمُّوريَّةَ ـ بتشديدِ الميمِ ـ مِنْ بلادِ الرومِ أسيرةٌ هاشميةٌ تَصرخُ : وا معتصماهْ ، فقالَ المعتصمُ : لبَّيكِ لبَّيكِ ، وأمرَ بالختمِ على الكأسِ ، وحلفَ ألَّا يشربَهُ إلَّا بعدَ فتحِ البلدِ وإنقاذِ الأسيرةِ ، فقالَ المُنجِّمونَ : إنَّ هٰذا الوقتَ غيرُ صالحٍ للغزوِ ، فلم يَحفِلْ بكلامِهِم ، وخرجَ ، وكانَ المُنجِّمونَ يقولونَ أيضاً : إذا لم تُفتَحِ البلدُ قبلَ أوانِ نضجِ التينِ والعنبِ . . لم تُفتَحْ أبداً ، فقَدَّرَ اللهُ سبحانَهُ وتعالىٰ أنَّهُ وصلَ إلى البلدِ وفتحَها واستنقذَ الأسيرةَ ، فقامَ أبو تمامٍ وأنشدَهُ قصيدةَ البيتِ ، وأولُها : [من البسيط]

اَلسَّيْفُ أَصْدَقُ أَنْبَاءً مِنَ ٱلْكُتُبِ   فِي حَدِّهِ ٱلْحَدُّ بَيْنَ ٱلْجِدِّ وَٱللَّعِبِ

بِيضُ ٱلصَّفَائِحِ لَا سُودُ ٱلصَّحَائِفِ فِي   مُتُونِهِنَّ جَلَاءُ ٱلشَّكِّ وَٱلرِّيَبِ

وهيَ مِنْ جيدِ شعرِ أبي تمامٍ .

* * *

حسنُ الاتباعِ

هوَ عبارةٌ عن أن يَقصِدَ الشاعرُ إلىٰ معنىً سبقَهُ بهِ غيرُهُ ، فيأخذَهُ ليُخرِجَهُ في صورةٍ أحسنَ مِنَ الصُّورةِ التي كانَ عليها حتىٰ يَستحِقَّهُ وكأنَّهُ لم يُسبَقْ بهِ .

ولذٰلكَ يُقالُ : مَنْ سَرَقَ واسترقَّ . . فقدِ استحقَّ ؛ كقولِ بشارٍ[1] : [من البسيط]

مَنْ رَاقَبَ ٱلنَّاسَ لَمْ يَظْفَرْ بِحَاجَتِهِ ... وَفَازَ بِٱلطَّيِّبَاتِ ٱلْفَاتِكُ ٱللَّهِجُ

فأخذَهُ تلميذُهُ سَلْمٌ الخاسرُ ، فاختصرَ وبالغَ حيثُ يقولُ[2] : [من مخلع البسيط]

مَنْ رَاقَبَ ٱلنَّاسَ مَاتَ غَمّاً ... وَفَازَ بِٱللَّذَّةِ ٱلْجَسُورُ

وقالَ ابنُ المعتزِّ[3] : [من الطويل]

وَتَحْتَ زَنَانِيرٍ شَدَدْنَ عُقُودَهَا ... زَنَانِيرُ أَعْكَانٍ مَعَاقِدُهَا ٱلسُّرَرْ

فأخذَهُ التهاميُّ في قولِهِ[4] : [من البسيط]

لَوْلَاهُ لَمْ يَقْضِ فِي أَعْدَائِهِ قَلَمٌ ... وَمِخْلَبُ ٱللَّيْثِ لَوْلَا ٱللَّيْثُ كَٱلظُّفُرِ

مَا صَرَّ إِلَّا وَصَلَّتْ بيضُ أَنْصُلِهِ ... فِي ٱلْهَامِ أَوْ أَطَّتِ ٱلْأَرْمَاحُ فِي ٱلثُّغَرِ

وَغَادَرَتْ فِي ٱلْعِدَا طَعْناً يَحُفُّ بِهِ ... ضَرْبٌ كَمَا حُفَّتِ ٱلْأَعْكَانُ بِٱلسُّرَرِ

---

(١) انظر « ديوان بشار بن برد » (٥٦/٢) .

(٢) انظر « وفيات الأعيان » (٣٥٢/٢) .

(٣) انظر « ديوان ابن المعتز » (١٩٣/٢) .

(٤) انظر « ديوان التهامي » (ص ١٨٦ ـ ١٨٧) .

وقالَ جريرٌ[1] : [من الوافر]

إِذَا غَضِبَتْ عَلَيْكَ بَنُو تَمِيمٍ حَسِبْتَ ٱلنَّاسَ كُلَّهُمُ غِضَابَا

وتبعَهُ أبو نُواسٍ بقولِهِ[2] : [من السريع]

لَيْسَ عَلَى ٱللهِ بِمُسْتَنْكَرٍ أَنْ يَجْمَعَ ٱلْعَالَمَ فِي وَاحِدِ

وقالَ البحتريُّ[3] : [من الكامل]

أَخْجَلْتَنِي بِنَدَىٰ يَدَيْكَ فَسَوَّدَتْ مَا بَيْنَنَا تِلْكَ ٱلْيَدُ ٱلْبَيْضَاءُ

صِلَةٌ غَدَتْ فِي ٱلنَّاسِ وَهْيَ قَطِيعَةٌ عَجَباً وَبِرٌّ رَاحَ وَهْوَ جَفَاءُ

فتبعَهُ أبو العلاءِ بقولِهِ[4] : [من البسيط]

لَوِ ٱخْتَصَرْتُمْ مِنَ ٱلْإِحْسَانِ زُرْتُكُمُ وَٱلْعَذْبُ يُهْجَرُ لِلْإِفْرَاطِ فِي ٱلْخَصَرِ

ومَنْ يَقرأُ الأشعارَ . . يجدُ شيئاً كثيراً مِنْ ذٰلكَ .

* * *

(١) انظر « ديوان جرير » (٨٢٣/٢) .

(٢) انظر « ديوان أبي نواس » (ص ٢٦٢) .

(٣) انظر « ديوان البحتري » (٢١/١ ـ ٢٢) .

(٤) انظر « سقط الزند » (١٢٠/١) .

التفريعُ

هوَ نوعانِ :

أحدُهُما : أن يَحكمَ لمُتعلّقَي أمرٍ بحكمٍ علىٰ وجهٍ يُشعِرُ بتفريعِ الأولِ على الثاني ؛ كقولِ العربيّ[1] : [من البسيط]

أَحْلَامُكُمْ لِسَقَامِ ٱلْجَهْلِ شَافِيَةٌ   كَمَا دِمَاؤُكُمْ تَشْفِي مِنَ ٱلْكَلَبِ

قيلَ : إنَّ الكَلْبَ تعتريهِ حالةٌ كالجُنونِ ، فإذا عضَّ إنساناً في هٰذهِ الحالةِ . . جُنَّ ، ويُقالُ : كَلِبَ كَلَباً مِنْ بابِ فَرِحَ ، فدواؤُهُ : أن يشربَ مِنْ دمِ شريفٍ ، وأنكرَ ذٰلكَ بعضُ الأدباءِ ، وأنَّهُ المرادُ في البيتِ ، وقالَ : إنَّ معنى البيتِ مدحُهُم بالشرفِ والسُّؤدَدِ ، وأنَّهُم إذا أُصيبوا في أخذِ الثأرِ . . كانوا شفاءً مِنَ الغمّ والحقدِ وحرارةِ القلبِ على القتلىٰ ، حتىٰ يُقالُ : هوَ ثأرٌ مُنِيمٌ ؛ إذ كانَتِ العربُ لا تَعتدُّ في أخذِ الثأرِ بقتلِ الأوضاعِ .

❊

والثاني مِنْ نوعَيِ التفريعِ : هوَ نفيُ زيادةِ شيءٍ موصوفٍ بصفاتٍ علىٰ شيءٍ آخَرَ ؛ كقولِ كثيرٍ[2] : [من البسيط]

مَا رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ ٱلْحَزْنِ مُعْشِبَةٌ   خَضْرَاءُ جَادَ عَلَيْهَا مُسْبِلٌ هَطِلُ

يُضَاحِكُ ٱلشَّمْسَ مِنْهَا كَوْكَبٌ شَرِقٌ   مُؤَزَّرٌ بِعَمِيمِ ٱلنَّبْتِ مُكْتَهِلُ

يَوْماً بِأَطْيَبَ مِنْهَا نَشْرَ رَائِحَةٍ   وَلَا بِأَحْسَنَ مِنْهَا إِذْ دَنَا ٱلْأُصُلُ

❊ ❊ ❊

---

(١) انظر « أنوار الربيع » (٦/١١١) .

(٢) انظر « أنوار الربيع » (٦/١١٢) ، وفيه أنها للأعشىٰ .

التدبيجُ

هوَ عبارةٌ عن ذكرِ عِدَّةِ ألوانٍ ؛ كقولِهِ تعالىٰ : ﴿ وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴾[1] .

[أمثلةٌ من الشعرِ والنثرِ]

ومِنَ الشِّعرِ : كقولِ حسينِ بنِ مُطَيْرٍ[2] : [من الطويل]

مُخَصَّرَةُ ٱلْأَوْسَاطِ زَانَتْ عُقُودَهَا ... بِأَكْثَرَ مِمَّا زَيَّنَتْهَا عُقُودُهَا
بِصُفْرٍ تَرَاقِيهَا وَحُمْرٍ أَكُفُّهَا ... وَسُودٍ نَوَاصِيهَا وَبِيضٍ خُدُودُهَا

❊ ❊

وقولِ ابنِ حيُّوسٍ[3] : [من الخفيف]

إِنْ تُرِدْ عِلْمَ حَالِهِمْ عَنْ يَقِينٍ ... فَٱلْقَهُمْ يَوْمَ نَائِلٍ أَوْ نِزَالِ
تَلْقَ بِيضَ ٱلْوُجُوهِ سُودَ مَثَارِ ٱلنَّـ ... ـقْعِ خُضْرَ ٱلْأَكْنَافِ حُمْرَ ٱلنِّصَالِ

❊ ❊ ❊

ومِنَ النثرِ : كقولِ الحريريِّ : (فمُذِ اغبَرَّ العيشُ الأخضرُ ، وازورَّ المحبوبُ الأصفرُ . . اسودَّ يومي الأبيضُ ، وابيضَّ فَودي الأسودُ ، حتىٰ رثىٰ ليَ العدوُّ الأزرقُ ، فحبذا الموتُ الأحمرُ)[4] .

---

(١) سورة فاطر : (٢٧) .

(٢) انظر « أنوار الربيع » (٦/١١٩) .

(٣) انظر « ديوان ابن حيوس الغنوي » (٢/٤٦٠) .

(٤) مقامات الحريري (ص ٨٩ ـ ٩٠) .

ولآخَرَ في ذكرِ وقعةٍ : (فأوردنا الحديدَ الأخضرَ ، في دمِ الوريدِ الأحمرِ ، مِنْ عدوِّ اللهِ الأزرقِ ، مِنْ بني الأصفرِ)[1] .

* * *

(١) انظر « وفيات الأعيان » (٣٨/٧) .

التفسيرُ ويُقالُ : التبيينُ

هوَ عبارةٌ عن أن يأتيَ المُتكلِّمُ في أوَّلِ كلامِهِ بما فيهِ إبهامٌ ، ولا يَستقِلَّ الفهمُ بمعرفةِ المقصودِ منهُ ، فيُعقِبَهُ بما يَكشِفُهُ ويُبيِّنُ الغَرَضَ منهُ ؛ كقولِ بعضِهم[1] : [من البسيط]

صَالُوا وَجَادُوا وَضَاؤُوا وَٱحْتَبَوْا فَهُمُ ... أُسْدٌ وَمُزْنٌ وَأَقْمَارٌ وَأَجْبَالُ

لو وقفَ علىٰ قولِهِ : (واحتبَوا) . . لم يكنِ الغَرَضُ مِنَ الكلامِ مفهوماً ؛ وهوَ مدحُهُم بتمامِ الشجاعةِ والسخاءِ وسماحةِ الوجوهِ ورجاحةِ الأحلامِ .

وكقولِ ابنِ الروميِّ[2] : [من الكامل]

آرَاؤُكُمْ وَوُجُوهُكُمْ وَسُيُوفُكُمْ ... فِي ٱلْحَادِثَاتِ إِذَا دَجَوْنَ نُجُومُ

مِنْهَا مَعَالِمُ لِلْهُدَىٰ وَمَصَابِحٌ ... تَجْلُو الدُّجَىٰ وَٱلْأُخْرَيَاتُ رُجُومُ

فلو وقفَ علىٰ قولِهِ : (دجونَ) . . لم يكنْ مقصودُهُ مفهوماً ، فبيَّنَهُ بأنَّها تَشبهُ النجومَ ، ثمَّ فَسَّرَ بما للنجومِ مِنَ الخصائصِ علىٰ سبيلِ التقسيمِ .

وقولِ محمدِ بنِ [وهيبٍ][3] : [من البسيط]

ثَلَاثَةٌ تُشْرِقُ ٱلدُّنْيَا بِبَهْجَتِهَا ... شَمْسُ ٱلضُّحَىٰ وَأَبُو إِسْحَاقَ وَٱلْقَمَرُ

يَحْكِي أَفَاعِيلَهُ فِي كُلِّ نَائِبَةٍ ... اَلْغَيْثُ وَٱللَّيْثُ وَٱلصَّمْصَامَةُ ٱلذَّكَرُ

❋ ❋ ❋

---

(١) انظر « أنوار الربيع » (٦/١٢٣) .
(٢) انظر « ديوان ابن الرومي » (٦/٢٣٤٥) .
(٣) انظر « أنوار الربيع » (٦/١٢٥) .

سياقةُ الأعدادِ ويُقالُ : التعديدُ

هوَ عبارةٌ عن ذكرِ مفرداتٍ علىٰ نَسَقٍ ، فإنِ اقترنَتْ بمُحسِّنٍ آخَرَ ؛ كازدواجٍ أو مقابلةٍ . . كانَ أتمَّ كقولِهِ تعالىٰ : ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ (١) .

❊

ومِنَ الشعر : كقولِ أبي الطيبِ (٢) : [من البسيط]

فَٱلْخَيْلُ وَٱللَّيْلُ وَٱلْبَيْدَاءُ تَعْرِفُنِي ... وَٱلسَّيْفُ وَٱلرُّمْحُ وَٱلْقِرْطَاسُ وَٱلْقَلَمُ

وكقولِ محمدِ بنِ هانئٍ (٣) : [من الكامل]

لِلنَّاسِ إِجْمَاعٌ عَلَىٰ تَفْضِيلِهِ ... حَتَّى ٱسْتَوَى ٱللُّؤَمَاءُ وَٱلْكُرَمَاءُ

وَٱللُّكْنُ وَٱلْفُصَحَاءُ وَٱلْبُعَدَاءُ وَٱلْـ ... ـقُرَبَاءُ وَٱلْخُصَمَاءُ وَٱلشُّهَدَاءُ

فِي ٱلنَّاسِ يَسْرِي جُودُهُ وَجُنُودُهُ ... وَعَدِيدُهُ وَٱلْحَزْمُ وَٱلْآرَاءُ

نَزَلَتْ مَلَائِكَةُ ٱلسَّمَاءِ بِنَصْرِهِ ... وَأَطَاعَهُ ٱلْإِصْبَاحُ وَٱلْإِمْسَاءُ

وَٱلْفُلْكُ وَٱلْفَلَكُ ٱلْمُدَارُ وَسَعْدُهُ ... وَٱلْغَزْوُ فِي ٱلدَّأْمَاءِ وَٱلدَّأْمَاءُ

وَٱلدَّهْرُ وَٱلْأَيَّامُ فِي تَصْرِيفِهَا ... وَٱلنَّاسُ وَٱلْخَضْرَاءُ وَٱلْغَبْرَاءُ

❊ ❊ ❊

---

(١) سورة البقرة : (١٥٥) .

(٢) انظر « ديوان المتنبي » (ص ٢٥٤) .

(٣) انظر « ديوان ابن هانئ الأندلسي » (ص ١٩ ـ ٢٠) .

حسنُ النسقِ

هوَ علىٰ نوعَينِ :

أحدُهُما : سردُ أوصافٍ لموصوفٍ ؛ كقولِهِ تعالىٰ : ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ [عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ] ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ . . . ﴾ الآيةَ [١] ، وما أشبهَها مِنَ الآياتِ .

❁ ❁ ❁

والثاني : عطفُ عددٍ مِنَ الألفاظِ المتلائمةِ معناها ؛ كقولِهِ تعالىٰ : ﴿ قِيلَ يَٰٓأَرْضُ ٱبْلَعِى مَآءَكِ . . . ﴾ الآيةَ [٢] .

ومِنَ الشعرِ : قولُ ابنِ هانئٍ الأندلسيّ [٣] : [من الكامل]

قَدْ جَالَتِ ٱلْأَوْهَامُ فِيكَ وَدَقَّتِ ٱلْـ ... أَلْبَابُ عَنْكَ وَجَلَّتِ ٱلْآلَاءُ

فَعَنَتْ لَكَ ٱلْأَمْصَارُ وَٱنْقَادَتْ لَكَ ٱلْـ ... أَقْدَارُ وَٱسْتَحْيَتْ لَكَ ٱلْأَنْوَاءُ

❁ ❁ ❁

(١) سورة الحشر : (٢٢) .

(٢) سورة هود : (٤٤) .

(٣) انظر « ديوان ابن هانئ الأندلسي » (ص ٢١) ، و« أنوار الربيع » (٦/١٣٤) .

حسنُ التعليلِ

هوَ عبارةٌ عن تعليلِ صفةِ شيءٍ بعِلَّةٍ ادعائيَّةٍ فيها غرابةٌ .

[أنواعُهُ وأمثلتُها]

وهوَ علىٰ أربعةِ أنواعٍ ؛ لأنَّ الصِّفةَ :

إمَّا ثابتةٌ .

أو غيرُ ثابتةٍ يُدَّعَىٰ ثبوتُها .

والثابتةُ : إمَّا ألَّا يظهرَ لها عِلَّةٌ في العادةِ ، وإمَّا أن يظهرَ .

وغيرُ الثابتةِ : إمَّا أن تكونَ ممكنةَ الثبوتِ ، أو غيرَ ممكنةٍ .

❁ ❁

فالأوَّلُ : كقولِ أبي الطيبِ[1] : [من الكامل]

لَمْ تَحْكِ نَائِلَكَ ٱلسَّحَابُ وَإِنَّمَا حُمَّتْ بِهِ فَصَبِيبُهَا ٱلرُّحَضَاءُ

فإرسالُ السحابِ المطرَ ثابتٌ لا يظهرُ لهُ عِلَّةٌ في العادةِ ، وادَّعىٰ تعليلَهُ باحتمامِها مِنْ حسدِ ممدوحِهِ وغيظِها مِنَ القصورِ عنهُ ، حتىٰ عَرِقَتْ وانصبَّ عَرَقُها ؛ وهوَ الرُّحَضَاءُ .

وكقولِ أبي هلالٍ العسكريِّ[2] : [من الكامل]

زَعَمَ ٱلْبَنَفْسَجُ أَنَّهُ كَعِذَارِهِ حُسْناً فَسَلُّوا مِنْ قَفَاهُ لِسَانَهُ

---

(١) انظر « ديوان المتنبي » (ص ٩٧) .

(٢) انظر « أنوار الربيع » (٦/١٣٦) .

فخروجُ ورقةٍ مِنَ البنفسجِ إلىٰ خلفِهِ . . ثابتٌ لا تظهرُ لهُ عِلَّةٌ ، وادَّعَىٰ أنَّ عِلَّتَهُ الافتراءُ .

❊ ❊

والثاني : كقولِ أبي الطيبِ (١) : [من الرمل]

مَـا بِـهِ قَـتْـلُ أَعَـادِيـهِ وَلَٰكِنْ ... يَتَّقِي إِخْلَافَ مَا تَرْجُو ٱلذِّئَابُ

فالقتلُ ثابتٌ ، وعِلَّتُهُ عداوةُ المقتولِ وإزالةُ ضررِهِ .

فادَّعَىٰ لهُ عِلَّةً غيرَ تلكَ ؛ وهيَ اتقاؤُهُ وتحاشيهِ مِنْ إخلافِ ما رجتْهُ الذئابُ عندَ رؤيةِ خروجِهِ بالجيشِ مِنْ حصولِ ما اعتادَتْهُ مِنَ الشبعِ علىٰ إثرِ قُفولِهِ مِنْ غزَواتِهِ .

وكقولِ ابنِ المعتزِّ فيمَنْ أصابَهُ الرمدُ (٢) : [من المنسرح]

قَالُوا ٱشْتَكَتْ عَيْنُهُ فَقُلْتُ لَهُمْ ... مِنْ كَثْرَةِ ٱلْقَتْلِ نَالَهَا ٱلْوَصَبُ

حُمْرَتُهَا مِنْ دِمَاءِ مَا قَتَلَتْ ... وَٱلدَّمُ فِي ٱلنَّصْلِ شَاهِدٌ عَجَبُ

وكقولِ بعضِهِم (٣) : [من المتقارب]

أَتَتْنِي تُؤَنِّبُنِي فِي ٱلْبُكَا ... فَأَهْلاً بِهَا وَبِتَأْنِيبِهَا

تَقُولُ وَفِي قَوْلِهَا حِشْمَةٌ ... أَتَبْكِي بِعَيْنٍ تَرَانِي بِهَا

فَقُلْتُ إِذَا ٱسْتَحْسَنَتْ غَيْرَكُمْ ... أَمَرْتُ ٱلدُّمُوعَ بِتَأْدِيبِهَا

❊ ❊ ❊

---

(١) انظر « ديوان المتنبي » (ص ١١٠) .
(٢) كذا في « أنوار الربيع » (١٣٩/٦) .
(٣) انظر « أنوار الربيع » (١٣٩/٦ ـ ١٤٠) .

والثالثُ : كقولِ مسلمِ بنِ الوليدِ[1] : [من البسيط]

يَـا وَاشِـيـاً حَـسُـنَـتْ فِـيـنَـا إِسَـاءَتُـهُ   نَـجَّـىٰ حِـذَارُكَ إِنْـسَـانِـي مِـنَ ٱلْـغَـرَقِ

فحسنُ إساءةِ الواشي غيرُ ثابتٍ ، فأثبتَهُ وعَلَّلَهُ .

والرابع : كقولِ الخطيبِ القزوينيِّ ترجمةً لشعرٍ فارسيٍّ : [من البسيط]

لَـوْ لَـمْ تَـكُـنْ نِـيَّـةُ ٱلْـجَـوْزَاءِ خِـدْمَـتَـهُ   لَـمَّـا رَأَيْـتَ عَـلَـيْـهَـا عِـقْـدَ مُـنْـتَـطِـقِ

* * *

(١) انظر « ديوان صريع الغواني » (ص ٣٢٨) .

التعطُّفُ

هوَ أن يأتيَ بلفظٍ في صدرِ البيتِ ، ثمَّ يأتيَ في العَجُزِ بهِ أو شيءٍ مِنْ مُشتقَّاتِهِ ؛ كقولِ أبي الطيبِ[(١)] : [من الطويل]

فَسَاقَ إِلَيَّ ٱلْعُرْفَ غَيْرَ مُكَدَّرٍ وَسُقْتُ إِلَيْهِ ٱلْمَدْحَ غَيْرَ مُذَمَّمِ

وممَّا أنشدَ الأصمعيُّ للرشيدِ وقد سألَهُ التذكيرَ[(٢)] : [من الوافر]

فَلَا تَعْجَلْ عَلَىٰ أَحَدٍ بِظُلْمٍ فَإِنَّ ٱلظُّلْمَ مَرْتَعُهُ وَخِيمُ

وَلَا تَفْحُشْ وَإِنْ مُلِّئْتَ غَيْظاً عَلَىٰ أَحَدٍ فَإِنَّ ٱلْفُحْشَ لُومُ

وَلَا تَقْطَعْ أَخاً لَكَ عِنْدَ ذَنْبٍ فَإِنَّ ٱلذَّنْبَ يَغْفِرُهُ ٱلْكَرِيمُ

وَلَا تَجْزَعْ لِرَيْبِ ٱلدَّهْرِ وَٱصْبِرْ فَإِنَّ ٱلصَّبْرَ فِي ٱلدُّنْيَا سَلِيمُ

* * *

---

(١) انظر « ديوان المتنبي » (ص ٣٤٩) ، وفيه : (مجمجم) بدل (مذمم) .

(٢) انظر « أنوار الربيع » (٦/١٤٥) .

الاستتباعُ

وسمَّاهُ بعضٌ : التعليقَ ، وبعضٌ : المُضاعفةَ ، وبعضٌ : التوجيهَ ؛ وهوَ عبارةٌ عن أن يَتضمَّنَ الكلامُ في أوَّلِهِ نوعاً مِنَ المدحِ أو غيرِهِ ، وفي آخِرِهِ نوعاً آخَرَ منهُ ؛ كقولِ أبي الطيبِ(١) : [من الطويل]

نَهَبْتَ مِنَ ٱلْأَعْمَارِ مَا [لَوْ] حَوَيْتَهُ ... لَهُنِّئَتِ ٱلدُّنْيَا بِأَنَّكَ خَالِدُ

فأَوَّلُ الكلامِ : يَتضمَّنُ مدحَهُ بنهايةِ الشجاعةِ وعُلُوِّ الهِمَّةِ ، وآخِرُهُ : يَتضمَّنُ مدحَهُ بأَنَّ ذٰلكَ ليسَ عُدواناً وظلماً ؛ إنَّما هوَ لإصلاحِ الأرضِ وإزالةِ الفسادِ وتحصيلِ الفرحِ العامِّ ، حتىٰ إنَّ أهلَ الدنيا يُهنِّئُونَ بتخليدِهِ .

وكقولِ ابنِ هانئٍ في الذمِّ(٢) : [من الخفيف]

إنَّ لَفْظاً تَلُوكُهُ لَشَبِيهٌ ... بِكَ فِي مَنْظَرِ ٱلْجَفَاءِ ٱلْجَلِيفِ

* * *

---

(١) انظر « ديوان المتنبي » (ص ٢٤٥) .

(٢) انظر « ديوان ابن هانئ الأندلسي » (ص ٢٢٠) .

التمكينُ

هوَ جعلُ قافيةِ البيتِ أو قرينةِ السَّجعِ في مكانِها الذي يُقالُ عندَ سماعِها : إنَّهُ لها ، وهوَ السببُ الأكبرُ في حسنِ الكلامِ ومتانتِهِ ، فليسَ أشدُّ علىٰ مَهَرَةِ الشُّعراءِ مِنْ سماعِ القوافي القلقةِ .

والطَّريقُ التي يَسلُكُها الشاعرُ أوِ الناثرُ لأجلِ التمكينِ : هيَ أن يَستحضِرَ أولاً الألفاظَ التي يريدُ أن يَجعلَها نهاياتٍ ، ثم يأخذَ في إحضارِ المعاني اللَّائقةِ بمعناها ، واختيارِ العباراتِ المناسبةِ لها ، فمتىٰ تَهيَّأَ لهُ ذٰلكَ . . تمَّ لهُ التمكينُ ، وأشبهَ كلامُهُ بعضُهُ بعضاً ، وكانَ آخِرُهُ مفهوماً مِنْ أوَّلِهِ ؛ كقولِ [عديِّ] ابنِ الرقاعِ العامليِّ مِنْ قصيدتِهِ التي أوَّلُها[1] : [من الكامل]

عَـرَفَ ٱلـدِّيَـارَ تَـوَهُّـمـاً فَـٱعْـتَـادَهَـا

في صفةِ غزالةٍ :

تُـزْجِـي أَغَـنَّ كَـأَنَّ إِبْـرَةَ رَوْقِـهِ قَـلَـمٌ أَصَـابَ مِـنَ ٱلـدُّوَاةِ مِـدَادَهَـا

وأكثرُ أشعارِ مَنِ اشتَهرَتْ أشعارُهُم بالجودةِ علىٰ ذٰلكَ .

* * *

(١) تقدم (٢/٢٧٨) .

تأكيدُ المدحِ بما يُشبِهُ الذمَّ
ويُقالُ : المدحُ في مَعرِضِ الذمِّ

هوَ عبارةٌ عن ذكرِ صفةِ مدحٍ ثمَّ الاستثناءِ منها صفةَ مدحٍ أخرىٰ ؛ بحيثُ يُوهِمُ أنَّهُ يريدُ الاستدراكَ بإثباتِ صفةِ ذمٍّ ؛ كقولِهِ تعالىٰ : ﴿ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ۝ إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا ﴾[1] .

وقولِهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ : « أَنَا أَفْصَحُ ٱلْعَرَبِ ، بَيْدَ أَنِّي مِنْ قُرَيْشٍ »[2] .

❁

ومِنَ الشعرِ : قولُ النابغةِ الذُّبيانيِّ[3] : [من الطويل]

وَلَا عَيْبَ فِيهِمْ غَيْرَ أَنَّ سُيُوفَهُمْ بِهِنَّ فُلُولٌ مِنْ قِرَاعِ ٱلْكَتَائِبِ

وقولُ النابغةِ الجعديِّ[4] : [من الطويل]

فَتىً تَمَّ فِيهِ مَا يَسُرُّ صَدِيقَهُ عَلَىٰ أَنَّ فِيهِ مَا يَسُوءُ ٱلْأَعَادِيَا
فَتىً كَمُلَتْ أَخْلَاقُهُ غَيْرَ أَنَّهُ جَوَادٌ فَلَا يُبْقِي مِنَ ٱلْمَالِ بَاقِيَا

❁ ❁ ❁

---

(١) سورة الواقعة : (٢٥ ـ ٢٦) .
(٢) تقدم (٢/٣٠٧) .
(٣) انظر « ديوان النابغة الذبياني » (ص ٤٤) .
(٤) انظر « ديوان النابغة الجعدي » رضي الله عنه (ص ١٨٨) .

الإيضاحُ

هوَ أن يأتيَ بمُبهَمٍ مفرداً أو جملةً ، ثمَّ يُوضِّحَهُ ويُبيِّنَهُ ؛ كقولِهِ تعالىٰ : ﴿ وَقَضَيْنَآ إِلَيْهِ ذَٰلِكَ ٱلْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَٰٓؤُلَآءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ ﴾ (١) .

وقولِهِ : ﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ۝ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ۝ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ﴾ (٢) .

❊ ❊ ❊

ومِن الشعرِ : كقولِ أوسٍ (٣) : [من المنسرح]

اَلْأَلْمَعِيُّ ٱلَّذِي يَظُنُّ بِكَ ٱلظَّـ ... ـنَّ كَأَنْ قَدْ رَأَىٰ وَقَدْ سَمِعَا

وقولِ أبي الطيبِ (٤) : [من الطويل]

وَكَمْ لِظَلَامِ ٱللَّيْلِ عِنْدِيَ مِنْ يَدٍ ... تُخَبِّرُ أَنَّ ٱلْمَانَوِيَّةَ تَكْذِبُ

وَقَاكَ أَذَى ٱلْأَعْدَاءِ تَسْرِي إِلَيْهِمُ ... وَزَارَكَ فِيهِ ذُو ٱلدَّلَالِ ٱلْمُحَجَّبُ

المَانَويَّةُ : نسبةٌ إلىٰ ماني ؛ وهوَ إمامُ مذهبِ الزنادقةِ الذينَ يقولونَ بإلٰهينِ ؛ هما : النورُ ؛ وهوَ إلٰهُ الخيرِ ، والظُّلمةُ ؛ وهوَ إلٰهُ الشرِّ .

❊ ❊ ❊

---

(١) سورة الحجر : (٦٦) .

(٢) سورة المعارج : (١٩ ـ ٢١) .

(٣) انظر « ديوان أوس بن حجر » (ص ٥٣) .

(٤) انظر « ديوان المتنبي » (ص ٣٥٢) .

التوهيمُ

هوَ أن يأتيَ المُتكلِّمُ بكلمةٍ عقبَ لفظٍ يُوهِمُ غيرَها لفظاً أو إعراباً أو معنىً ؛ كقولِهِ تعالىٰ : ﴿ قَالَ عَذَابِىٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنۡ أَشَآءُ ﴾ (١) ، فلفظُ ﴿ أَشَآءُ ﴾ جيءَ بها بعدَ ﴿ عَذَابِىٓ أُصِيبُ بِهِ ﴾ ، فالكلامُ يُوهِمُ أنَّها (أساءَ) مِنَ الإساءةِ .

[وكقولِهِ] : ﴿ وَإِن يُقَٰتِلُوكُمۡ يُوَلُّوكُمُ ٱلۡأَدۡبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴾ (٢) ، الكلامُ يُوهِمُ : (ثمَّ لا يُنصروا) بالجزمِ عطفاً ، والغَرَضُ ابتداءُ الإخبارِ .

وكقولِهِ : ﴿ ٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ بِحُسۡبَانٖ وَٱلنَّجۡمُ وَٱلشَّجَرُ يَسۡجُدَانِ ﴾ (٣) ، المراد بالنجمِ : الزرعُ .

وبعضُ أمثلةِ التوهيمِ تُشبِهُ التوريةَ ، غيرَ أنَّ أحدَ المعنيَينِ في التوهيمِ يكونَ فاسداً لا يَصِحُّ أن يُرادَ ؛ كقولِ الصَّفيِّ الحِلِّيِّ (٤) : [من الوافر]

وَسَاقٍ مِنْ بَنِي ٱلْأَتْرَاكِ طِفْلٍ ... أَتِيهُ بِهِ عَلَىٰ جَمْعِ ٱلرِّفَاقِ
أُمَلِّكُهُ قِيَادِي وَهْوَ رِقِّي ... وَأَفْدِيهِ بِعَيْنِي وَهْوَ سَاقِي

❋ ❋ ❋

---

(١) سورة الأعراف : (١٥٦) .
(٢) سورة آل عمران : (١١١) .
(٣) سورة الرحمـٰن : (٥ ـ ٦) .
(٤) انظر « ديوان صفي الدين الحلّي » (ص ٣١٨) .

الإلغازُ

عدُّوا هٰذا النوعَ مِنَ البديعِ ، وجعلُهُ فنّاً مُستقِلّاً أليقُ ؛ لأنَّهُ عبارةٌ عن مُؤلَّفاتٍ يُسلَكُ فيها طرقٌ في العباراتِ حتىٰ يَعسُرَ فهمُ المرادِ منها ، وقد خُصَّ بالتأليفِ لبيانِ تلكَ الطرقِ ، ثمَّ لأهلِ النَّباهةِ بُعْدُ قُوَّةٍ على اختراعِ طرقٍ في الإلغازِ غيرُ ما ذُكِرَ ، ومنهُ ما تَستعمِلُهُ العامَّةُ مِنَ الحوازيرِ .

ومِنْ أمثلتِهِ : قولُ يحيى بنِ أكثمَ في العينِ[1] : [من الوافر]

وَبَاسِطَةٍ بِلَا نَصَبٍ جَنَاحاً ... وَتَسْبِقُ مَا يَطِيرُ وَلَا تَطِيرُ
إِذَا أَلْقَمْتَهَا ٱلْحَجَرَ ٱطْمَأَنَّتْ ... وَتَجْزَعُ أَنْ يُبَاشِرَهَا ٱلْحَرِيرُ

وقولُ آخَرَ في الضِّرْسِ[2] : [من البسيط]

وَصَاحِبٍ لَا أَمَلُّ ٱلدَّهْرَ صُحْبَتَهُ ... يَشْقَىٰ لِنَفْعِي وَيَسْعَىٰ سَعْيَ مُجْتَهِدِ
لَمْ أَلْقَهُ مُذْ تَصَاحَبْنَا فَمُذْ وَقَعَتْ ... عَيْنِي عَلَيْهِ تَفَارَقْنَا إِلَى ٱلْأَبَدِ

ولآخَرَ في قَصَبِ السُّكَّرِ[3] : [من الطويل]

وَذِي هَيَفٍ كَٱلْغُصْنِ قَدّاً إِذَا بَدَا ... يَفُوقُ ٱلْقَنَا حُسْناً بِغَيْرِ سِنَانِ
وَأَعْجَبُ مَا فِيهِ يَرَى ٱلنَّاسُ أَكْلَهُ ... مُبَاحاً قُبَيْلَ ٱلْعَصْرِ فِي رَمَضَانِ

* * *

(١) انظر « أنوار الربيع » (٦/٤٠ ـ ٤١) .
(٢) انظر « وفيات الأعيان » (١/١٩٨ ـ ١٩٩) .
(٣) انظر « أنوار الربيع » (٦/٤٢) .

الإردافُ

هوَ بعضُ أنواعِ الكنايةِ المُبيَّنةِ في (علمِ البيانِ) [1] .

❋ ❋ ❋

(١) انظر (٢/٦٠) عند الكلام على الكناية عن صفة .

الاتساعُ

هوَ أن يأتيَ المُتكلِّمُ أثناءَ كلامِهِ بما يَحتمِلُ أن يُفسَّرَ بكثيرٍ مِنَ المعاني ؛ لصلاحِهِ لكلٍّ منها ، ومَثَّلُوا لهُ بقولِهِ تعالىٰ : ﴿ وَٱلشَّفْعِ وَٱلْوَتْرِ ﴾[(١)] .

[اتساعُ أقوالِ العلماءِ في معنىٰ هـٰذهِ الآيةِ]

فقد أمكنَ تفسيرُها بثلاثةٍ وعشرينَ معنىً جُعِلَتْ أقوالاً للعلماءِ[(٢)] :

الأولُ : قالَ أبو مسلمٍ : الزوجُ والفردُ ؛ وهوَ تذكيرٌ بالحسابِ لعِظَمِ نفعِهِ وما يُضبَطُ بهِ مِنَ المقاديرِ ، وهوَ قولُ الحسنِ البصريِّ .

الثاني : قالَ ابنُ زيدٍ والجُبَّائيُّ : جميعُ الخلقِ ؛ لكونِها زوجاً أو فرداً .

الثالثُ : **الشَّفعُ** : الخَلْقُ ؛ لكونِهِ أزواجاً ؛ كالسماءِ والأرضِ ، والليلِ والنهارِ ، والبَرِّ والبحرِ ، والإنسِ والجنِّ ، والكفرِ والإيمانِ ، **والوَترُ** : اللهُ ؛ وهوَ مرويٌّ مِنْ حديثِ أبي سعيدٍ الخدريِّ[(٣)] .

الرابع : [**الشفعُ**] : صفاتُ الخَلْقِ ؛ لكونِها قدرةً وعَجْزاً ، وحياةً وموتاً ، وعلماً وجهلاً . . . إلىٰ غيرِ ذٰلكَ ، **والوَترُ** : صفاتُ اللهِ .

الخامسُ : الصلاةُ ، وهوَ مرويٌّ مِنْ حديثِ عمرانَ بنِ حصينٍ[(٤)] .

السادسُ : **الشَّفعُ** : يومُ النحرِ ، **والوَترُ** : يومُ عرفةَ ؛ أي : شفعُ الليالي العشرِ ووترُها .

---

(١) سورة الفجر : (٣) .

(٢) ساقها بتمامها في « أنوار الربيع » (٥٣/٦ ـ ٥٥) .

(٣) انظر « تفسير البغوي » (٤٨١/٤) .

(٤) أخرجه الترمذي (٣٣٤٢) .

السابعُ : يومُ الترويةِ ، ويومُ عرفةَ ، وهوَ مرويٌّ عن جعفرٍ الصادقِ وأبيهِ محمدٍ الباقرِ .

الثامنُ : شفعُ العشرِ الأخيرةِ مِنْ رمضانَ ، ووترُها .

التاسعُ : الليالي والأيامُ ، ويومُ القيامةِ .

العاشرُ : الشَّفعُ والوَترُ للَّيالي العشرِ التي أتمَّ اللهُ بها ميقاتَ موسىٰ .

الحاديَ عشرَ : الصَّفا والمروةُ ، والكعبةُ .

الثانيَ عشرَ : يوما منىً ، أو ثلاثتُها ؛ فمَنْ تَعجَّلَ في يومَينِ . . فلا إثمَ عليهِ .

الثالثَ عشرَ : آدمُ وحواءُ ، واللهُ تعالىٰ .

الرابعَ عشرَ : آدمُ وحواءُ ، وآدمُ قبلَ حواءَ .

الخامسَ عشرَ : صلاةُ المغربِ ؛ ركعتانِ ، وركعةٌ .

السادسَ عشرَ : درجاتُ الجنَّةِ ثمانٍ ، ودركاتُ النارِ سبعةٌ .

السابعَ عشرَ : هما اللهُ تعالىٰ ، ﴿ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ . . . ﴾ الآيةَ (١) .

الثامنَ عشرَ : مسجدا مكةَ والمدينةِ ، والأقصىٰ .

التاسعَ عشرَ : قِرانُ الحجِّ والتمتعُ ، والإفرادُ .

العشرونَ : الفرائضُ والسننُ .

الحادي والعشرونَ : الأعمالُ والنيةُ .

---

(١) سورة المجادلة : (٧) .

الثاني والعشرونَ : العبادةُ المُتكرّرةُ ؛ مِنْ صومٍ وصلاةٍ وغيرِهِما ، وغيرُ المُتكرِّرةِ ؛ كالحجِّ .

الثالثُ والعشرونَ : الروحُ والجسدُ ، والروحُ وحدَهُ .

[أمثلةٌ منَ الشعرِ]

هٰذا ؛ ومِنَ الشعرِ : كقولِ الحماسيِّ (١) : [من البسيط]

بِيضٌ مَفَارِقُنَا تَغْلِي مَرَاجِلُنَا ... نَأْسُو بِأَمْوَالِنَا آثَارَ أَيْدِينَا

فالاتساعُ في قولِهِ : (بيضٌ مفارقُنا) ، فقيلَ : أرادَ بذٰلكَ الطَّهارةَ والعفافَ ؛ كقولِهِم : أبيضُ العِرْضِ والشِّيَمِ والحَسَبِ .

وقيلَ : أرادَ أنَّهُم كُهولٌ ومشايخُ قد حنَّكَتْهُمُ التجارِبُ ، وليسوا بالأغمارِ .

وقيلَ : أرادَ أنَّهُم ليسوا بعبيدٍ ؛ لأنَّ [مَفرِقَ] الإنسانِ إذا كانَ أبيضَ . . كانَ جميعُ جسدِهِ أبيضَ .

وقيلَ : أرادَ انحسارَ الشعرِ عن مُقدَّمِ رؤوسِهِم ؛ لمداومتِهِم لُبْسَ البيضِ والمغافرِ .

وقيلَ : معناهُ : نحنُ أصحابُ حروبٍ ، فقد شابَتْ مفارقُنا مِنْ كثرةِ الشدائدِ .

وقيلَ : معناهُ : نحنُ كرامٌ نكثرُ استعمالَ الطيبِ ، فابيضَّتْ مفارقُنا لذٰلكَ ، ويُقالُ : مَنْ أكثرَ استعمالَ الطِّيبِ . . أسرعَ الشيبُ إليهِ .

وقيلَ : معناهُ : نحنُ مكشوفو الرأسِ ، لا عيبَ فينا ، فعَبَّرَ عنِ النقاءِ بالبياضِ ، والعربُ تقولُ في مدحِ الرجلِ : أبيضُ .

---

(١) انظر « شرح ديوان الحماسة » للتبريزي (١/٥٣) .

وقيلَ : معناهُ : نحنُ كرامٌ ، فشابَتْ مفارقُنا دونَ القفا ؛ لأنَّ شيبَ الكرامِ يبدو في المفارقِ ، كما قيلَ [١] : [من الطويل]

فَشَيْبُ لِئَامِ ٱلنَّاسِ فِي نُقْرَةِ ٱلقَفَا وَشَيْبُ كِرَامِ ٱلنَّاسِ يَعْلُو ٱلْمَفَارِقَا

وقيلَ : المفارقُ هنا الطرقُ ؛ يقولُ : قدِ ابيضَّتْ مفارقُ الطرقِ التي تُؤدِّي إلىٰ رحالِنا لكثرةِ ما يأتينا مِنَ العفاةِ ، فهيَ بيضٌ لائحةٌ لم تعفَ لكثرةِ سالكيها ، وهٰذا الوجهُ أَولىٰ ؛ لمشاكلتِهِ ما بعدَهُ وهوَ قولُهُ : (تغلي مراجلُنا) ، والمَراجلُ : القُدورُ الكبارُ مِنْ نحاسٍ ، ذكرَ ذٰلكَ أبو عبدِ اللهِ محمدُ بنُ عبدِ اللهِ الخطيبُ في « شرح كتابِ الحماسةِ » [٢] .

وقالَ الصنعانيُّ في كتابِ « الجملةِ والذيلِ والصلةِ » : (قد قيلَ في البيتِ المذكورِ مئتا قولٍ) [٣] ، وقد أُفرِدَ لتفسيرِهِ كتابٌ .

وأقربُ الأقوالِ لِمَا هوَ المتبادرُ مِنْ لفظِ (المفارِق) : أنَّهُ كنايةٌ عنِ الشرفِ والسُّؤدَدِ ، فمعنى الكلامِ : نحنُ قومٌ أشرافٌ ، نَعمُرُ مجالسَنا للمؤانسةِ والمحادثةِ والمنادمةِ ، وهٰذهِ الخَدَمُ مُترَدِّدةٌ حولَنا في أعمالِهِم ، لا نباشرُ عملاً ولا نَتردَّدُ في مَهْنةٍ ، فنحنُ نظافٌ ليسَ علىٰ مفارقِنا غبارٌ كما هوَ شأنُ مَنْ يباشرُ أعمالَ الخدمةِ ، والمُتكفِّلُ بإفادةِ ذٰلكَ قولُهُ : (تغلي مراجلُنا) .

❋ ❋ ❋

---

(١) انظر « أنوار الربيع » (٦/٥٦) .

(٢) كذا في « أنوار الربيع » (٦/٥٦) ، وكذا ورد فيه اسم الخطيب .

(٣) انظر « أنوار الربيع » (٦/٥٦) .

جمعُ المُؤتلِفِ والمُختلِفِ

هوَ أن يُسوِّيَ بينَ شخصَينِ في المدحِ ، وهوَ يريدُ أن يُفضِّلَ أحدَهُما ، فيَسلُكَ لذٰلكَ سبيلاً لا يَنقُصُ فيهِ الآخَرَ ؛ كقولِ الخنساءِ تُفضِّلُ أخاها علىٰ أبيها وقد تسابقا[1] : [من الكامل]

جَارَىٰ أَبَاهُ فَأَقْبَلَا وَهُمَا ... يَتَعَاوَرَانِ مُلَاءَةَ ٱلْحُضْرِ
فَهُمَا كَأَنَّهُمَا وَقَدْ بَرَزَا ... صَقْرَانِ قَدْ حَطَّا إِلَىٰ وَكْرِ
حَتَّىٰ إِذَا نَزَتِ ٱلْقُلُوبُ وَقَدْ ... لَزَّتْ هُنَاكَ ٱلْعُذْرَ بِٱلْعُذْرِ
وَعَلَا هُتَافُ ٱلنَّاسِ أَيُّهُمَا ... قَالَ ٱلْمُصِيبُ هُنَاكَ لَا أَدْرِي
بَرَزَتْ صَفِيحَةُ[2] وَجْهِ وَالِدِهِ ... وَمَضَىٰ عَلَىٰ غُلْوَائِهِ يَجْرِي
أَوْلَىٰ فَأَوْلَىٰ أَنْ يُسَاوِيَهُ ... لَوْلَا جَلَالُ ٱلسِّنِّ وَٱلْكِبَرِ

❋ ❋ ❋

(١) انظر « أنوار الربيع » (٦/٧٠) .
(٢) في « أنوار الربيع » (٦/٧٠) : (صحيفة) .

الإيداعُ ويُقالُ : التضمينُ

هوَ أن يُضمِّنَ الشاعرُ كلامَهُ مِصراعاً أو أكثرَ مِنْ كلامِ غيرِهِ ، وربَّما خصَّ اسماً لتضمينِ المِصراعِ .

[مِن أغراضِ الإيداعِ]

وهو لأغراضٍ :

منها : دلالةُ الشاعرِ علىٰ أنَّهُ يُعارِضُ قصيدةَ المُضمَّنِ ؛ كقولِ النواجيِّ في آخِرِ قصيدتِهِ التي يتابعُ فيها قصيدةَ كعبٍ رضيَ اللهُ تعالىٰ عنهُ : [من البسيط]

إِنْ لَمْ أَفُزْ بِقَبُولٍ فِي مُتَابَعَتِي　　　بَانَتْ سُعَادُ فَقَلْبِي ٱلْيَوْمَ مَتْبُولُ

ولبعضِ أعيانِ العصرِ ، سامي القَدْرِ والشعرِ ، مِنْ قصيدةٍ يُعارِضُ بها لاميةَ الطُّغرائيِّ المشهورةَ بـ (لاميةِ العجمِ) : [من البسيط]

إِنِّي ٱمْرُؤٌ حَلَبَ ٱلْأَيَّامَ أَشْطُرَهَا　　　وَشَدَّ فَحْلَ ٱلْهَوَىٰ فِي أَوْثَقِ ٱلْعُقُلِ

مَا زِلْتُ أَبْغِي ٱلصِّبَا حَتَّىٰ إِذَا ٱكْتَمَلَتْ　　　أَصَالَةُ ٱلرَّأْيِ صَانَتْنِي عَنِ ٱلْخَطَلِ

فَإِنْ يَكُنْ مَرَّ لِي عَصْرٌ أَطَعْتُ بِهِ　　　حُكْمَ ٱلتَّصَابِي فَإِنِّي ٱلْيَوْمَ ذُو جَدَلِ

ومنها : الانتقادُ علىٰ صاحبِ المُضمَّنِ بأنَّهُ وضعَ الكلامَ في غيرِ موضعِهِ .

ومنها : الزيادةُ في المُضمَّنِ .

ومنها : نقلُهُ إلىٰ غيرِ معناهُ ، كما يَتبينُ ذٰلكَ في أمثلتِهِ .

وأكثرُ المُتأخِّرينَ تضميناً وقد أتىٰ فيهِ بالعجيبِ الغريبِ . . مجيرُ الدينِ

ابنُ تميمٍ ، ولذلكَ يقولُ[(١)] : [من الوافر]

أُطَالِعُ كُلَّ دِيوَانٍ أَرَاهُ   وَلَمْ أَزْجُرْ عَنِ ٱلتَّضْمِينِ طَيْرِي

أُضَمِّنُ كُلَّ مَعْنىً مُسْتَجَادٍ   فَشِعْرِي نِصْفُهُ مِنْ شِعْرِ غَيْرِي

فمِنْ تضمينِهِ قولُهُ[(٢)] : [من الكامل]

لَوْ كُنْتَ فِي ٱلْحَمَّامِ وَٱلْحِنَّا عَلَىٰ   أَعْطَافِهِ وَلِجِسْمِهِ لَأْلَاءُ

لَرَأَيْتَ مَا يَسْبِيكَ مِنْهُ بِقَامَةٍ   سَالَ ٱلنُّضَارُ بِهَا وَقَامَ ٱلْمَاءُ

وقولُهُ تضميناً لهٰذا الشطرِ أيضاً[(٣)] : [من الكامل]

لَوْ كُنْتَ شَاهِدَنَا وَقَدْ جُلِيَتْ لَنَا   فِي كَأْسِهَا وَلِضَوْئِهَا لَأْلَاءُ

لَرَأَيْتَ أَحْسَنَ مَا يُرَىٰ مِنْ أَكْؤُسٍ   سَالَ ٱلنُّضَارُ بِهَا وَقَامَ ٱلْمَاءُ

وهٰذا الشطرُ ؛ وهوَ : (سالَ النضارُ بها وقامَ الماءُ) مِنْ قولِ المتنبي في مدحِ [أبي] عليّ بنِ هارونَ ، وكانَ أقامَ في بلدٍ أيَّامَ الشتاءِ وقد جَمَدَ الماءُ بالثلجِ ، وبيتُ الشطرِ[(٤)] : [من الكامل]

وَكَذَا ٱلْكَرِيمُ إِذَا أَقَامَ بِبَلْدَةٍ   سَالَ ٱلنُّضَارُ بِهَا وَقَامَ ٱلْمَاءُ

فأنتَ ترىٰ أنَّ قولَهُ : (وقامَ الماءُ) لا يَدخُلُ في جزاءِ الشرطِ ، **وتصحيحُهُ** : أن تَجعلَ الجملةَ حالاً ، **ويكونُ المعنىٰ** : أنَّ الممدوحَ يكثرُ إنفاقُهُ وإحسانُهُ حالَ اشتدادِ البردِ ، ويكونُ كقولِ العربيِّ[(٥)] : [من الرمل]

نَحْنُ فِي ٱلْمَشْتَاةِ نَدْعُو ٱلْجَفَلَىٰ   لَا تَرَى ٱلْآدِبَ مِنَّا يَنْتَقِرْ

---

(١) انظر « أنوار الربيع » (٧٩/٦) .

(٢) انظر « خزانة الأدب » للحموي (١٤١/٤) .

(٣) انظر « مطالع البدور » (١٧٩/١) .

(٤) انظر « ديوان المتنبي » (ص ٩٤) .

(٥) هو طرفة بن العبد في « ديوانه » (ص ٦٥) .

وكذٰلكَ يَخصُّونَ الشتاءَ بظهورِ جودِ الجوادِ ؛ لكونِهِ الوقتَ الذي يُعوّقُ المسكينَ عنِ الضربِ في البلادِ في ابتغاءِ فضلِ اللهِ تعالىٰ ، وقد أجادَ مجيرُ الدينِ في تضمينِهِ ، ولهُ في تضمينِ قولِ المتنبي أيضاً في بيتٍ يَتخلَّصُ منهُ إلى المدحِ (١) : [من البسيط]

لَوِ ٱسْتَطَعْتُ رَكِبْتُ ٱلنَّاسَ كُلَّهُمُ ... إِلَىٰ سَعِيدِ بْنِ عَبْدِ ٱللهِ بُعْرَانَا

[قالَ] :

وَمَعْشَرٍ عَذَلُوا لَمَّا رَكِبْتُ عَلَىٰ ... أَحْوَىٰ مَحَاسِنُهُ قَبَّحْنَ فِعْلَهُمُ

دَعْ يَعْذُلُوا مَا ٱسْتَطَاعُوا إِنَّنِي رَجُلٌ ... لَوِ ٱسْتَطَعْتُ رَكِبْتُ ٱلنَّاسَ كُلَّهُمُ

[قصةُ الحيصَ بيصَ معَ الجروِ]

ومِنْ ظريفِ التضمينِ : ما حكاهُ القاضي شمسُ الدِّينِ ابنُ خِلِّكانَ في « تاريخِهِ » (٢) : أنَّ الحيصَ بيصَ الشاعرَ خرجَ ليلةً مِنْ دارِ الوزيرِ شرفِ الدِّينِ بنِ طرادٍ الزينبيّ ، فنبحَ عليهِ جروٌ وكانَ مُتقلِّداً سيفاً ، فوَكَزَهُ بعقبِ السيفِ فماتَ ، فبلغَ ذٰلكَ أبا القاسمِ هبةَ اللهِ بنَ المفضلِ المعروفَ بابنِ القطانِ الشاعرِ ، فنظمَ أبياتاً وضَمَّنَها بيتَينِ لبعضِ العربِ قتلَ أخوهُ ابناً لهُ ، فقُدِّمَ إليهِ ليُقتادَ منهُ ، فألقى السيفَ وأنشدَهُما ، والبيتانِ المذكورانِ يوجدانِ في البابِ الأوَّلِ مِنْ كتابِ « الحماسةِ » (٣) ، ثمَّ إنَّ ابنَ المفضلِ المذكورَ جعلَ الأبياتَ في ورقةٍ وعَلَّقَها في عنقِ كلبةٍ لها جراءٌ ، ورتَّبَ معَها مَنْ يطردُها وأولادَها إلىٰ بابِ الوزيرِ المذكورِ كالمستغيثةِ ،

---

(١) انظر « ديوان المتنبي » (ص ١٤٢) .

(٢) وفيات الأعيان (٦/٥٤ ـ ٥٥) .

(٣) شرح الحماسة للتبريزي (١/١١٠) .

فأُخِذَتِ الورقةُ مِنْ عنقِها وعُرِضَتْ على الوزيرِ ، فإذا فيها : [من البسيط]

يَا أَهْلَ بَغْدَادَ إِنَّ ٱلْحَيْصَ بَيْصَ أَتَىٰ بِفَعْلَةٍ أَلْبَسَتْهُ ٱلْخِزْيَ فِي ٱلْبَلَدِ
أَبْدَىٰ شَجَاعَتَهُ بِٱللَّيْلِ مُجْتَرِئاً عَلَىٰ جُرَيٍّ ضَعِيفِ ٱلْبَطْشِ وَٱلْجَلَدِ
وَلَيْسَ فِي يَدِهِ مَالٌ يَدِيهِ بِهِ وَلَمْ يَكُنْ بِبَوَاءٍ عَنْهُ فِي ٱلْقَوَدِ
فَأَنْشَدَتْ جَعْدَةٌ مِنْ بَعْدِ مَا ٱحْتَسَبَتْ دَمَ ٱلْأُبَيْلِقِ عِنْدَ ٱلْوَاحِدِ ٱلصَّمَدِ
أَقُولُ لِلنَّفْسِ تَأْسَاءً وَتَعْزِيَةً إِحْدَىٰ يَدَيَّ أَصَابَتْنِي وَلَمْ تُرِدِ
كِلَاهُمَا خَلَفٌ مِنْ بَعْدِ صَاحِبِهِ هَـٰذَا أَخِي حِينَ أَدْعُوهُ وَذَا وَلَدِي

وللشيخِ عزِّ الدينِ الموصليِّ[1] : [من الكامل]

نَادَمْتُ قَوْماً لَا خَلَاقَ لَهُمْ وَلَا مَيْلٌ إِلَىٰ طَرَبٍ وَلَا سُمَّارِ
يَسْتَيْقِظُونَ إِلَىٰ نَهِيقِ حِمَارِهِمْ وَتَنَامُ أَعْيُنُهُمْ عَنِ ٱلْأَوْتَارِ

البيتُ الثاني لبعضِ العربِ يهجو قوماً بالجبنِ ، وأنَّهُم لا يَقدِرونَ علىٰ أخذِ ثاراتِهِم ؛ وهيَ الأوتارُ ، ونقلَها الشيخُ إلىٰ أوتارِ العِيدانِ .

* * *

(١) انظر « أنوار الربيع » (٦/٨١) .

الالتزامُ ويُقالُ : لزومُ ما لا يَلزمُ

هوَ أن يَلتزِمَ الشاعرُ أوِ الناثرُ قبلَ حرفِ الانتهاءِ حرفاً أو أكثرَ ؛ كقولِ الطُّغرائيِّ في مَطلعِ (اللَّاميَّةِ)[1] : [من البسيط]

أَصَالَةُ ٱلرَّأْيِ صَانَتْنِي عَنِ ٱلْخَطَلِ ... وَحِلْيَةُ ٱلْفَضْلِ زَانَتْنِي لَدَى ٱلْعَطَلِ

وكقولِ عمرَ بنِ أبي ربيعةَ[2] : [من البسيط]

بِٱللهِ قُولِي لَهُ فِي غَيْرِ مَعْتَبَةٍ ... مَاذَا أَرَدْتَ بِطُولِ ٱلْمُكْثِ فِي ٱلْيَمَنِ

إِنْ كُنْتَ حَاوَلْتَ دُنْيَا أَوْ رَضِيتَ بِهَا ... فَمَا أَفَدْتَ بِتَرْكِ ٱلْحَجِّ مِنْ ثَمَنِ

ولعمرِو بنِ أحمدَ الباهليِّ[3] : [من الطويل]

وَمَنْ يَطْلُبِ ٱلْمَعْرُوفَ مِنْ غَيْرِ أَهْلِهِ ... يَجِدْ مَطْلَبَ ٱلْمَعْرُوفِ غَيْرَ يَسِيرِ

إِذَا أَنْتَ لَمْ تَجْعَلْ لِعِرْضِكَ جُنَّةً ... مِنَ ٱلذَّمِّ سَارَ ٱلذَّمُّ كُلَّ مَسِيرِ

وللحسنِ بنِ عليٍّ الواسطيِّ[4] : [من الطويل]

بَرَانِي ٱلْهَوَىٰ بَرْيَ ٱلْمَدَىٰ وَأَذَابَنِي ... صُدُودُكِ حَتَّىٰ صِرْتُ أَنْحَلَ مِنْ أَمْسِ

فَلَسْتُ أُرَىٰ حَتَّىٰ أَرَاكِ وَإِنَّمَا ... يَبِينُ هَبَاءُ ٱلذَّرِّ فِي أُفُقِ ٱلشَّمْسِ

ولأبي العلاءِ ديوانُ شعرٍ كلُّهُ مِنْ هٰذا النوعِ ، وإنَّما يَحسُنُ الالتزامُ إذا

---

(١) انظر « ديوان الطغرائي » (ص ٣٠١) .

(٢) انظر « ديوان عمر بن أبي ربيعة » (ص ٣٧٤ ـ ٣٧٥) .

(٣) انظر « أنوار الربيع » (٦/٩٥) .

(٤) انظر « أنوار الربيع » (٦/٩٧) .

حَسُنَ معَهُ الكلامُ ، وإلَّا . . استحقَّ صاحبُهُ ما قالَ الأَبِيوَرْديُّ (١) : [من السريع]

شِـعْـرُ ٱلْـمَـرَاغِـيِّ وَحُـوشِـيـتُـمْ كَـعَـقْـلِـهِ أَسْـلَـمُـهُ أَسْـقَـمُ

يَـلْـزَمُ مَـا لَـيْـسَ لَـهُ لَازِمـاً لَـٰكِنَّهُ يَـتْـرُكُ مَـا يَـلْـزَمُ

❋ ❋ ❋

---

(١) انظر « ديوان الحسن بن علي الواسطي » (١٥٨/٢) ، وفيه : (أسقمُهْ ، يلزمُهْ) .

المُزاوجةُ

هوَ أن يُرتِّبَ فعلاً واحداً مُختلِفَ المُتعلَّقِ علىٰ شرطٍ وجزائِهِ ؛ كقولِ البحتريّ[1] : [من الطويل]

إِذَا مَا نَهَى ٱلنَّاهِي فَلَجَّ بِيَ ٱلْهَوَىٰ أَصَاخَتْ إِلَى ٱلْوَاشِي فَلَجَّ بِهَا ٱلْهَجْرُ

وقولِهِ[2] : [من الطويل]

إِذَا ٱحْتَرَبَتْ يَوْماً فَفَاضَتْ دِمَاؤُهَا تَذَكَّرَتِ ٱلْقُرْبَىٰ فَفَاضَتْ دُمُوعُهَا

❋ ❋ ❋

(١) انظر « ديوان البحتري » (٢/٨٤٤) .

(٢) انظر « ديوان البحتري » (٢/١٢٩٩) .

التجريدُ

هوَ أن تُجرّدَ مِنْ شيءٍ . . آخَرَ للمبالغةِ في المعنىٰ ؛ كقولِ القائلِ : [من الطويل]

تَرَىٰ مِنْهُمُ ٱلْأُسْدَ ٱلْغِضَابَ إِذَا سَطَوْا وَتَنْظُرُ مِنْهُمْ فِي ٱللِّقَاءِ بُدُورَا

ويكونُ بـ (مِنْ) كهٰذا .

وبالباءِ ؛ مثلُ : (إنَّكَ لتلقىٰ بفلانٍ البحرَ) .

وبـ (في) كقولِهِ تعالىٰ : ﴿ لَهُمْ فِيهَا دَارُ ٱلْخُلْدِ ﴾ (١) .

وبغيرِ ذٰلكَ ؛ كقولِ الأعشىٰ (٢) : [من المنسرح]

يَا خَيْرَ مَنْ يَرْكَبُ ٱلْمَطِيَّ وَلَا يَشْرَبُ كَأْساً بِكَفِّ مَنْ بَخِلَا

كأنَّهُ قالَ : هوَ يشربُ بكفِّ كريمٍ .

ومِنَ التجريدِ : ما في خطابِ المرءِ نفسَهُ ؛ كقولِ أبي الطيبِ (٣) : [من البسيط]

لَا خَيْلَ عِنْدَكَ تُهْدِيهَا وَلَا مَالُ فَلْيُسْعِدِ ٱلنُّطْقُ إِنْ لَمْ تُسْعِدِ ٱلْحَالُ

* * *

(١) سورة فصلت : (٢٨) .

(٢) انظر « ديوان الأعشىٰ » (٢/٩٣) .

(٣) انظر « ديوان المتنبي » (ص ٣٦٦) .

إيهامُ التوكيدِ

هوَ تكريرُ لفظٍ لتأسيسِ المعاني ، فيُوهِمُ التوكيدَ ؛ كقولِهِ تعالىٰ : ﴿ لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ ۚ فِيهِ رِجَالٌ ﴾[1] .

ومِنَ الشعرِ : كقولِ عليِّ بنِ أحمدَ [الزوزنيِّ][2] : [من المتقارب]

لَـقَـدْ حَـلَّ بِـي عَـجَـبٌ عَـاجِـبُ تَـقَـاصَـرَ وَصْـفِـيَ عَـنْ كُـنْـهِـهِ

رَأَيْـتُ ٱلْـهِـلَالَ عَـلَـىٰ وَجْـهِ مَـنْ رَأَيْـتُ ٱلْـهِـلَالَ عَـلَـىٰ وَجْـهِـهِ

وكقولِ آخَرَ : [من الرجز]

قَـالَـتْ لِـتِـرْبٍ مَـعَـهَـا مُـنْـكِـرَةً لِـوَقْـفَـتِـي هَٰـذَا ٱلَّـذِي نَـرَاهُ مَـنْ

قَـالَـتْ فَـتـىً يَـشْـكُـو ٱلْـهَـوَىٰ مُـتَـيَّـمٌ قَـالَـتْ بِـمَـنْ قَـالَـتْ بِـمَـنْ قَـالَـتْ بِـمَـنْ

❋ ❋ ❋

(١) سورة التوبة : (١٠٨) .

(٢) انظر « أنوار الربيع » (١٦٠/٦) .

الترصيعُ

هوَ أن يجعلَ الشاعرُ أوِ الناثرُ جميعَ ألفاظِ الشطرَينِ أوِ الفقرتَينِ علىٰ نهايةٍ واحدةٍ سوىٰ لفظةِ الضَّربِ في الشعرِ ؛ كقولِ الحريريِّ في المَقامةِ الأُولىٰ : (يَطبَعُ الأسجاعَ بجواهرِ لفظِهِ ، ويقرعُ الأسماعَ بزواجرِ وعظِهِ)[1] .

ولرشيدِ الدِّينِ العمريِّ المشهورِ بالوطواطِ قصائدُ مِنْ هٰذا النوعِ ، منها قولُهُ[2] : [من الطويل]

جَنَابُ ضِيَاءِ ٱلدِّينِ لِلْبِرِّ مَرْتَعُ ... وَبَابُ ضِيَاءِ ٱلدِّينِ لِلْحُرِّ مَرْبَعُ
وَسِيرَتُهُ ٱلزَّهْرَاءُ لِلْحَقِّ مَعْلَمٌ ... وَسُدَّتُهُ ٱلشَّمَّاءُ لِلْخَلْقِ مَجْمَعُ
فَجُدِّدَ مِنْهُ لِلْمَرَاشِدِ أَرْسُمٌ ... وَشُيِّدَ مِنْهُ لِلْمَحَامِدِ أَرْبُعُ
وَعَلْيَاهُ فِيهَا لِلْخَوَاطِرِ مَسْرَحٌ ... وَلُقْيَاهُ فِيهَا لِلنَّوَاظِرِ مَرْتَعُ
فَمَنْهَلُ مَنْ يَرْوِي ثَنَاءَكَ مُفْعَمٌ ... وَمَنْزِلُ مَنْ يَنْوِي جَفَاءَكَ بَلْقَعُ
وَصَوْلُكَ لِلْأَشْرَارِ مُتْوٍ وَمُتْلِفٌ ... وَطَوْلُكَ لِلْأَخْيَارِ مُرْوٍ وَمُشْبِعُ

وجاءَ منهُ في الكتابِ العزيزِ مثلُ قولِهِ تعالىٰ : ﴿ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ۝ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ ﴾[3] ، ﴿ إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ۝ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ﴾[4] .

* * *

---

(١) مقامات الحريري (ص ٩) .

(٢) انظر « أنوار الربيع » (٦/١٦٣ ـ ١٦٤) .

(٣) سورة الانفطار : (١٣ ـ ١٤) .

(٤) سورة الغاشية : (٢٥ ـ ٢٦) .

الحذفُ

هوَ التزامُ إخلاءِ الكلامِ مِنْ حرفٍ أو أكثرَ ، أو مِنْ نوعٍ كالمُعجَمِ ؛ فيكونُ الكلامُ مِنَ الحروفِ المهملةِ ، أو المُهمَلِ ؛ فيكونُ مِنَ المعجمةِ ، وللحريريِّ في « المَقاماتِ » مِنْ هٰذَينِ النوعَينِ كلامٌ طويلٌ .

[الخطبةُ المونقةُ لسيدنا عليٍّ رضي الله عنه]

ومِنَ المَرويِّ : أنَّهُ اجتمعَ ناسٌ مِنْ أصحابِ النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ فيهِم عليٌّ كَرَّمَ اللهُ وجهَهُ ، فتذاكروا أكثرَ الحروفِ دوراناً ، فقيلَ : الأَلِفُ ، فخَطَبَهُم رضيَ اللهُ عنهُم خُطبةً أخلاها منها ، وتُسمَّى : (المونقةَ) ؛ وهيَ هٰذهِ[1] :

حمدتُ مَنْ عظمَتْ مِنَّتُهُ ، وسبَغَتْ نعمتُهُ ، وسبقَتْ رحمتُهُ ، وتَمَّتْ كلمتُهُ ، ونَفَذَتْ مشيئتُهُ ، وبلغَتْ حُجَّتُهُ ، وعدلَتْ قضيَّتُهُ ، حمدتُهُ حمدَ مُقرٍّ بربوبيَّتِهِ ، مُتخضعٍ لعبوديَّتِهِ ، مُتنصِّلٍ مِنْ خطيئتِهِ ، مُعترفٍ بتوحيدِهِ ، مُؤمِّلٍ مِنْ ربِّهِ مغفرةً تنجيهِ يومَ يشغلُ عن فصيلتِهِ وبنيهِ ، ونستعينُهُ ونسترشدُهُ ، ونؤمنُ بهِ ونتوكَّلُ عليهِ .

وشهدتُ لهُ بضميرٍ مُخلصٍ موقنٍ ، وفرَّدتُهُ تفريدَ مؤمنٍ [متيقنٍ] ، ووحَّدتُهُ توحيدَ عبدٍ مذعنٍ ليسَ لهُ شريكٌ في مُلكِهِ ، ولم يكنْ لهُ وليٌّ في صنعِهِ ، جلَّ عن مشيرٍ ووزيرٍ ، وتَنزَّهَ عن مثلٍ ونظيرٍ .

عَلِمَ فسترَ ، وبطنَ فخبرَ ، وملكَ فقهرَ ، وعُصِيَ فغفرَ ، وحكمَ فعدلَ ، لم يزلْ ولن يزولَ ، وليسَ كمثلِهِ شيءٌ ، وهوَ قبلَ كلِّ شيءٍ ، وبعدَ كلِّ شيءٍ .

---

(١) انظر « شرح نهج البلاغة » (١٩/١٤٠ ـ ١٤٣) .

ربٌّ مُتفرّدٌ بعِزَّتِهِ ، مُتمكّنٌ بقُوّتِهِ ، مُتقدِّسٌ بعُلُوّهِ ، مُتكبّرٌ بسمُوّهِ ، ليسَ يُدرِكُهُ بصرٌ ، ولم يُحِطْ بهِ نظرٌ ، قويٌّ منيعٌ ، بصيرٌ سميعٌ ، عليٌّ حكيمٌ ، رؤوفٌ رحيمٌ .

عَجزَ في وصفِهِ مَنْ يصفُهُ ، وضلَّ في نعتِهِ مَنْ يَعرِفُهُ .

قَرُبَ فبَعُدَ ، وبَعُدَ فقَرُبَ ، يجيبُ دعوةَ مَنْ يدعوهُ ، ويَرزقُ عبدَهُ ويحبوهُ ، ذو لطفٍ خفيّ ، وبطشٍ قويّ ، ورحمةٍ مُوسَّعةٍ ، وعقوبةٍ مُوجِعةٍ ، رحمتُهُ جَنَّةٌ عريضةٌ مُونِقةٌ ، وعقوبتُهُ جحيمٌ مُؤصَدةٌ مُوبِقةٌ .

وشهدتُ ببعثِ محمدٍ عبدِهِ ورسولِهِ ، وصفيِّهِ وحبيبِهِ وخليلِهِ ، بعثَهُ في خيرِ عصرٍ ، وفي حينِ فترةٍ وكفرٍ ؛ رحمةً لعبيدِهِ ، ومِنَّةً لمريدِهِ ، ختمَ بهِ نُبوَّتَهُ ، وقَوَّىٰ بهِ حُجَّتَهُ ، فوعظَ ونصحَ ، وبَلَّغَ وكدحَ ، رؤوفٌ بكلِّ مؤمنٍ ، وليٌّ سخيٌّ ، زكيٌّ رَضِيٌّ ، عليهِ رحمةٌ وتسليمٌ ، وبركةٌ وتكريمٌ ، مِنْ ربٍّ غفورٍ رحيمٍ ، قريبٍ مجيبٍ .

وصَّيتُكُم معشرَ مَنْ حضرَني بتقوىٰ ربِّكُم ، وذَكَّرتُكُم بسُنَّةِ نبيِّكُم ، فعليكُم برهبةٍ تُسكِّنُ قلوبَكُم ، وخشيةٍ تُذري دموعَكُم ، وتقيَّةٍ تنجيكُم قبلَ يومِ [يذهلُكُم] ويبليكُم ، يومٌ يفوزُ فيهِ مَنْ ثقلَ وزنُ حسنتِهِ ، وخَفَّ وزنُ سيئتِهِ ، ولتكنْ مسألتُكُم مسألةَ ذُلٍّ وخضوعٍ ، وشكرٍ وخشوعٍ ، بتوبةٍ ونزوعٍ ، وندمٍ ورجوعٍ .

وليغتنمْ كلُّ مُغتنِمٍ منكُم صحَّتَهُ قبلَ سقمِهِ ، وشبيبتَهُ قبلَ هرمِهِ ، وسَعتَهُ قبلَ عدمِهِ ، وخَلوتَهُ قبلَ شغلِهِ ، وحضرَهُ قبلَ سفرِهِ ، قبلَ هوَ يكبرُ ويَهرمُ ، ويَمرضُ ويَسقمُ ، ويَملُّهُ طبيبُهُ ، ويُعرِضُ عنهُ حبيبُهُ ، ويَتغيَّرُ عقلُهُ ، وينقطعُ عمرُهُ ، ثمَّ قبلُ هوَ موعوكٌ ، وجسمُهُ منهوكٌ ، ثمَّ جدَّ في نزعٍ شديدٍ ، وحضرَهُ كلُّ قريبٍ وبعيدٍ ، فشَخَصَ ببصرِهِ ، وطمحَ بنظرِهِ ، ورشحَ جبينُهُ وجذبَتْ

نفسُهُ ، ونَكَبَتْ عِرسُهُ ، وحُفِرَ رَمسُهُ ، ويُتِّمَ ولدُهُ ، وتَفرَّقَ عنه عددُهُ ، وقُسِّمَ جمعُهُ ، وذهبَ بصرُهُ وسمعُهُ ، وغُمِّضَ ومُدِّدَ ، ووُجِّهَ وجُرِّدَ ، وغُسِّلَ ونُشِّفَ وسُجِّيَ ، وبُسِطَ له وهُيِّئَ ، ونُشِرَ عليهِ كفنُهُ ، وشُدَّ منهُ ذَقَنُهُ ، وقُمِّصَ وعُمِّمَ ، ولُفَّ وسُلِّمَ ، وحُمِلَ فوقَ سريرٍ ، وصُلِّيَ عليهِ بتكبيرٍ ، ونُقِلَ مِنْ دُورٍ مزخرفةٍ ، وقصورٍ مُشيَّدةٍ ، وحُجَرٍ مُنجَّدةٍ ، فجُعِلَ في ضريحٍ ملحودٍ ، ولحدٍ ضَيِّقٍ [مرصودٍ][1] ، بِلَبِنٍ منضودٍ ، يُسقَفُ بجُلمودٍ ، وهِيلَ [عليهِ] حفرُهُ ، وحُثِيَ عليهِ مدرُهُ ، فتَحقَّقَ حذرُهُ ، ونُسِيَ خبرُهُ ، ورجعَ عنهُ وليُّهُ ونسيبُهُ ، وتَبدَّلَ بهِ قريبُهُ وحبيبُهُ ، وصفيُّهُ ونديمُهُ ، فهوَ حَشْوُ قبرٍ ، ورهينُ قَفْرٍ ، يَسعىٰ في جسمِهِ دودُ قبرِهِ ، ويَسيلُ صديدٌ مِنْ مِنخِرِهِ ، ويُسحَقُ بدنُهُ ولحمُهُ ، ويُنشفُ دمُهُ ، ويرمُّ عظمُهُ ، حتىٰ يومِ حشرِهِ ، فيُنشَرُ مِنْ قبرِهِ ، حتىٰ يُنفَخَ في صورٍ ، ويُدعىٰ لحشرٍ ونشورٍ .

فثَمَّ بُعثِرَتْ قُبورٌ ، وحُصِّلَتْ سريرةُ صدورٍ ، وجيءَ بكلِّ نبيٍّ وصِدِّيقٍ ، وشهيدٍ مِنطيقٍ ، وتَوحَّدَ لفصلٍ عندَ ربٍّ قديرٍ ، بعبيدِهِ خبيرٌ بصيرٌ ، فكَمْ مِنْ زفرةٍ تُفنيهِ ، وحسرةٍ تُنضيهِ ، في موقفٍ مَهولٍ عظيمٍ ، ومشهدٍ جليلٍ جسيمٍ ، بينَ يدَيْ ملكٍ كريمٍ ، بكلِّ صغيرةٍ وكبيرةٍ عليمٌ ، حينَئذٍ يُلجِمُهُ عَرَقُهُ ، ويَحفِزُهُ قلقُهُ ، عبرتُهُ غيرُ مرحومةٍ ، وصرختُهُ غيرُ مسموعةٍ ، وحُجَّتُهُ غيرُ مقبولةٍ ، ونُوِّلَ صحيفتَهُ ، وتَبيَّنَ جريرتَهُ ، ونطقَ كلُّ عضوٍ منهُ بسوءِ عملِهِ ، فشهدَتْ عينُهُ بنظرِهِ ، ويدُهُ ببطشِهِ ، ورجلُهُ بخطوِهِ ، وجلدُهُ بمسِّهِ ، وفرجُهُ بلمسِهِ .

ويُهِّدُهُ مُنكَرٌ ونكيرٌ ، وكشفَ عنهُ بصيرٌ ، فسُلسِلَ جِيدُهُ ، وغُلَّتْ يدُهُ ، وسِيقَ يُسحَبُ وحدَهُ ، فوردَ جهنَّمَ بكربٍ شديدٍ ، وظلَّ يُعذَّبُ في جحيمٍ ،

---

(١) في الأصل : (مرصوص) .

وسُقِيَ شربةً مِنْ حميمٍ ، تَشوي وجهَهُ ، وتَسلَخُ جلدَهُ ، يَضربُهُ زبانيتُهُ بمِقمَعٍ مِنْ حديدٍ ، يعودُ جلدُهُ بعدَ نضجِهِ بجلدٍ جديدٍ ، يَستغيثُ فتُعرِضُ عنهُ خزنةُ جهنَّمَ ، ويَستصرِخُ فيلبثُ حِقْبةً يَندمُ .

نعوذُ بربٍّ قديرٍ ، مِنْ شرِّ كلِّ مصيرٍ ، ونسألُهُ عفوَ مَنْ رضيَ عنهُ ، ومغفرةَ مَنْ قبلَ منهُ ، فهوَ وليُّ مسألتِي ، ومُنجِحُ طَلِبَتِي ؛ فمَنْ زُحزِحَ عن تعذيبِ ربِّهِ . . سكنَ في جنَّتِهِ بقربِهِ ، وخُلِّدَ في قصورٍ مُشيَّدةٍ ، ومُكِّنَ مِنْ حورٍ عينٍ وحَفَدَةٍ ، وطِيفَ عليهِ بكؤوسٍ ، وسكنَ حظيرةَ [قُدُّوسٍ] ، وتَقلَّبَ في نعيمٍ ، وسُقِيَ مِنْ تسنيمٍ ، وشربَ مِنْ عينٍ سلسبيلٍ ، ممزوجةٍ بزنجبيلٍ ، مختومةٍ بمِسكٍ وعبيرٍ .

مستديمٌ للحُبورِ ، مُستشعِرٌ للسُّرورِ ، يشربُ مِنْ خُمورٍ ، في روضٍ مُشرِقٍ مُغدِقٍ ، ليسَ يُصدَّعُ مَنْ شربَهُ ، وليسَ يُنزَفُ .

هٰذهِ مثوبةُ مَنْ خَشِيَ ربَّهُ ، وحَذِرَ نفسَهُ ، وتلكَ عقوبةُ مَنْ جَحَدَ [مشيئةَ] مُنشيهِ ، وسَوَّلَتْ لهُ نفسُهُ معصيةَ مُبديهِ .

ذٰلكَ قولٌ فصلٌ ، وحُكْمٌ عدلٌ ، خيرُ قَصَصٍ قُصَّ ، ووعظٍ نُصَّ ، تنزيلٌ مِنْ حكيمٍ حميدٍ ، نزلَ بهِ روحُ قدسٍ مبينٍ ، علىٰ قلبِ نبيٍّ مهتدٍ مكينٍ ، صَلَّتْ عليهِ رسلٌ سَفَرةٌ ، مُكرَّمونَ بَرَرةٌ ، عذتُ بربٍّ رحيمٍ ، مِنْ شرِّ كلِّ رجيمٍ ، فليَتضرَّعْ مُتضرِّعُكُم ، وليبتهلْ مُبتهِلُكُم ، فأستغفرُ ربَّ كلِّ مربوبٍ لي ولكُم . انتهتْ .

وفي سلوكِ هٰذهِ [الطرقِ] دلالةٌ علىٰ سَعَةِ الحفظِ ، وقُوَّةِ الاستحضارِ ، وأكثرُ الكلامِ الطويلِ جاءَ مِنَ المُهمَلِ ؛ لسعتِهِ ، ولبعضِهِم تفسيرٌ على القرآنِ كلُّهُ مُهمَلٌ !!

❋ ❋ ❋

التسميطُ

هوَ نوعانِ :

الأوَّلُ : أن يَجعلَ البيتَ علىٰ ثلاثةِ أجزاءٍ مِنْ رويٍّ واحدٍ ، ثمَّ القافيةُ ؛ كقولِ جنوبٍ [الهذليةِ][1] : [من المتقارب]

وَحَــرْبٍ وَرَدْتَ وَثَــغْــرٍ سَــدَدْتَ ... وَعِـلْـجٍ شَـدَدْتَ عَـلَـيْـهِ ٱلْـحِـبَـالَا

وَمَـالٍ حَـوَيْـتَ وَخَـيْـلٍ حَـمَـيْـتَ ... وَضَـيْـفٍ قَـرَيْـتَ يَـخَـافُ ٱلْـوَكَـالَا

والثاني : هوَ التخميسُ المعروفُ ؛ كقولِ امرئ القيسِ[2] : [من الطويل]

وَمُسْتَلْئِمٍ كَشَّفْتُ بِٱلرُّمْحِ ذَيْلَهُ ... أَقَمْتُ بِعَضْبٍ ذِي شَقَائِقَ مَيْلَهُ

فَجَعْتُ بِهِ فِي مُلْتَقَى ٱلْكَرِّ خَيْلَهُ ... تَرَكْتُ عِتَاقَ ٱلطَّيْرِ تَحْجِلُ حَوْلَهُ

كَـأَنَّ عَـلَـىٰ سِـرْبَـالِـهِ نَـضْـحَ جِـرْيَـالِ

وعلىٰ هٰذا المثالِ حذا مَنْ يَعمِدُ إلى الأبياتِ أوِ القصيدةِ ، فيضيفُ لها ثلاثةَ أشطارٍ ؛ ليكونَ شعراً مُخمَّساً .

ومِنْ حيثُ إنَّهُ يلزمُ فيهِ أن يكونَ الكلامُ متلائماً ، جديدَ المعاني ، مُنسجِماً معَ الأصلِ . . كانَ الإحسانُ فيهِ قليلاً .

يُحكىٰ : أنَّ بعضَ الشعراءِ المجيدينَ خطرَ علىٰ بالِهِ وهوَ في الروضةِ الشريفةِ بينَ القبرِ والمِنبرِ أن يُخَمِّسَ همزيةَ أبي سعيدٍ الأبوصيريِّ ،

---

(١) انظر « أنوار الربيع » (٦/١٩٠) .

(٢) انظر « أنوار الربيع » (٦/١٩٥ ـ ١٩٦) .

فأسعفَهُ اللهُ بالفاتحةِ ؛ وهيَ قولُهُ : [من الخفيف]

بِـٱبْـنِ عِـمْـرَانَ شُـرِّفَـتْ سِـيـنَـاءُ وَبِـإِدْرِيـسَ وَٱلْـمَـسِـيـحِ ٱلـسَّـمَـاءُ

وَلَـكَ ٱلْـعَـرْشُ مَـوْطِـنٌ وَوِطَـاءُ كَـيْـفَ تَـرْقَـىٰ رُقِـيَّـكَ ٱلْأَنْـبِـيَـاءُ

يَـا سَـمَـاءً مَـا طَـاوَلَـتْـهَـا سَـمَـاءُ

ثمَّ أخذَتْهُ سِنَةٌ ، فرأى النبيَّ صلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ يقولُ لهُ : حسبُكَ ؛ فإنَّهُ ما كانَ يُقدرُ أن يُستمَرَّ علىٰ هـٰذا النمطِ .

* * *

التجزئةُ

هيَ أن يُجزَّأَ البيتُ أجزاءً عروضيةً مسجوعةً برويَّينِ مختلفَينِ ؛ **أحدُهُما** : يوافقُ القافيةَ ، **والآخَرُ** : يخالفُها ؛ كقولِ القائلِ [1] : [من الكامل]

هِـنْـدِيَّـةٌ لَـحَـظَـاتُـهَـا خَـطِّـيَّـةٌ خَـطَـرَاتُـهَـا دَارِيَّـةٌ نَـفَـحَـاتُـهَـا

* * *

(١) انظر « أنوار الربيع » (٦/٢٠١) .

سلامةُ الاختراعِ

هوَ عبارةٌ عن أن يُبدِعَ الشاعرُ أمراً شعريّاً لم يَسبِقْهُ أحدٌ إليهِ ، وموضعُ ذٰلكَ الطبقاتُ المُتأخِّرةُ عنِ الطَّبقاتِ الأُوَلِ التي آخِرُها طبقةُ بشَّارٍ .

وتحصيلُ سلامةِ الاختراعِ لا يصلُ إلى اليقينِ إلَّا بعدَ معرفةِ كلِّ ما قيلَ ، وإن كانَ المعنىٰ مُخترَعاً بحَسَبِ عدمِ اطلاعِ صاحبِهِ عليهِ . . فلا يُعَدُّ سارقاً ، ولٰكنْ لا يُقالُ : إنَّهُ مُخترِعٌ ، بل تواردَ خاطرُهُ وخاطرُ سابقِهِ .

فمِنَ المذكورِ شاهداً لسلامةِ الاختراعِ مِنْ كلامِ المُتأخِّرينَ : قولُ ابنِ الروميِّ مِنْ أهلِ القرنِ الثالثِ (١) : [من الطويل]

تَوَدَّدْتُ حَتَّىٰ لَمْ أَدَعْ مُتَوَدَّدَا ... وَأَفْنَيْتُ أَقْلَامِي عِتَاباً مُرَدَّدَا
كَأَنِّيَ أَسْتَدْنِي بِكَ ٱبْنَ حَنِيَّةٍ ... إِذَا ٱلنَّزْعُ أَدْنَاهُ مِنَ ٱلصَّدْرِ أَبْعَدَا

وكقولِ أبي الطيبِ مِنْ أهلِ القرنِ الرابعِ في مدحِ كافورٍ الإخشيديِّ وكانَ أسودَ (٢) : [من الطويل]

فَجَاءَتْ بِنَا إِنْسَانُ عَيْنِ زَمَانِهِ ... وَخَلَّتَ بَيَاضاً خَلْفَهَا وَمَآقِيَا

وقولِهِ (٣) : [من البسيط]

صَدَمْتَهُمْ بِخَمِيسٍ أَنْتَ غُرَّتُهُ ... وَسَمْهَرِيَّتُهُ فِي وَجْهِهِ غَمَمُ
فَكَانَ أَثْبَتُ مَا فِيهِمْ جُسُومَهُمُ ... يَسْقُطْنَ حَوْلَكَ وَٱلْأَرْوَاحُ تَنْهَزِمُ

---

(١) انظر « ديوان ابن الرومي » (٢/٧٧٠) .
(٢) انظر « ديوان المتنبي » (ص ٣٣٥) .
(٣) انظر « ديوان المتنبي » (ص ٣١٩) .

أوَّلُ البيتَينِ مِنْ قولِ الحماسيّ [1] : [من الوافر]

فَلَوْ أَنَّا شَهِدْنَاكُمْ نُصِرْنَا بِذِي لَجَبٍ أَزَبَّ مِنَ ٱلْعَوَالِي

الأزبُّ مِنَ الإبلِ : كثيرُ شعرِ الوجهِ ، وعَبَّرَ مكانَهُ المتنبي بالغمِ .

ولأبي العلاءِ [2] : [من البسيط]

وَٱلنَّجْمُ تَسْتَصْغِرُ ٱلْأَبْصَارُ طَلْعَتَهُ وَٱلذَّنْبُ لِلْعَيْنِ لَا لِلنَّجْمِ فِي ٱلصِّغَرِ

ولابنِ القيسرانيّ : [من البسيط]

هُوَ ٱلَّذِي سَلَبَ ٱلْعُشَّاقَ نَوْمَهُمُ أَمَا تَرَىٰ عَيْنَهُ مَلْآىٰ مِنَ ٱلْوَسَنِ

المُختَرَعُ لهُ : حسنُ التعليلِ ، وإلَّا . . فالوسنُ في الأعينِ مِنَ المعاني الأولِ ، مِنْ لطيفِهِ في كلامِ العربِ [3] : [من الكامل]

وَكَأَنَّهَا بَيْنَ ٱلنِّسَاءِ أَعَارَهَا عَيْنَيْهِ أَحْوَرُ مِنْ جَآذِرِ [جاسِمِ]

وَسْنَانُ أَقْصَدَهُ ٱلنُّعَاسُ فَرَنَّقَتْ فِي عَيْنِهِ سِنَةٌ وَلَيْسَ بِنَائِمِ

❋ ❋ ❋

(١) انظر « شرح الحماسة » للمرزوقي (٥١٩/١) .

(٢) انظر « شروح سقط الزند » (١٦٢/١) .

(٣) انظر « معاهد التنصيص » (٣٣٦/١) .

ائتلافُ اللفظِ معَ المعنىٰ

هوَ أن تكونَ الألفاظُ موافقةً للمعاني ؛ فتختارُ الألفاظَ الجَزْلَةَ والعباراتِ الشديدةَ لمعاني الفخرِ والحماسِ ، والكلماتِ الرقيقةَ والعباراتِ اللينةَ للغزلِ والنسيبِ ، وصفةِ الكأسِ والساقي ، والنديمِ والمُغنِّي ومجلسِ الشرابِ ، كما قيلَ : لكلِّ مَقامٍ مَقالٌ .

[محاورةٌ بين خلادٍ وبشارِ بنِ بردٍ]

ويرشدُكَ لذٰلكَ ما حُكِيَ : أنَّ خلَّاداً قالَ لبشارِ بنِ بردٍ(١) : إنَّكَ لتجيءُ بالشيءِ المتفاوتِ ، قالَ : وما ذاكَ ؟ قلتُ : بينَما تقولُ شعراً تثيرُ بهِ النقعَ ، وتخلعُ بهِ القلوبَ ؛ مثلَ قولِكَ : [من الطويل]

إِذَا مَا غَضِبْنَا غَضْبَةً مُضَرِيَّةً   هَتَكْنَا حِجَابَ ٱلشَّمْسِ أَوْ قَطَرَتْ دَمَا
إِذَا مَا أَعَرْنَا سَيِّداً مِنْ قَبِيلَةٍ   ذُرَىٰ مِنْبَرٍ صَلَّىٰ عَلَيْنَا وَسَلَّمَا

إلىٰ أن تقولَ : [من مجزوء الوافر]

رَبَابَةُ رَبَّةُ ٱلْبَيْتِ   تَصُبُّ ٱلْخَلَّ فِي ٱلزَّيْتِ
لَهَا عَشْرُ دَجَاجَاتٍ   وَدِيكٌ حَسَنُ ٱلصَّوْتِ

فقالَ : لكلِّ شيءٍ وجهٌ وموضعٌ ، فالقولُ الأوَّلُ جيدٌ ، وهٰذا قلتُهُ في جاريتي ربابةَ ، وأنا لا آكلُ البيضَ مِنَ السُّوقِ ، فربابةُ هٰذهِ لها عشرُ دجاجاتٍ وديكٌ ، فهيَ تجمعُ ليَ البيضَ وتحفظُها ، فهٰذا مِنْ قولي عندَها أحسنُ مِنْ : [من الطويل]

قِفَا نَبْكِ مِنْ ذِكْرَىٰ حَبِيبٍ وَمَنْزِلِ

---

(١) انظر الخبر في « معاهد التنصيص » (١/٢٩٤ ـ ٢٩٥) .

[وصيةٌ للشاعرِ والكاتبِ]

ومِنْ كتابِ « الوساطةِ » للقاضي أبي الحسنِ عليِّ بنِ عبدِ العزيزِ الجرجانيِّ . . قولُهُ في وصيةِ الشاعرِ والكاتبِ ؛ فهوَ يعلمُكَ مواقعَ أنواعِ الكلامِ : (لا آمرُكَ بإجراءِ أنواعِ الشعرِ كلِّهِ مُجرىً واحداً ، ولا أن تذهبَ بجميعِهِ مذهبَ بعضِهِ ، بل أرىٰ لكَ أن تقسمَ الألفاظَ علىٰ مراتبِ المعاني ، فلا يكونَ غزلُكَ كافتخارِكَ ، ولا مديحُكَ كوعيدِكَ ، ولا هجاؤُكَ كاستبطائِكَ ، ولا هزلُكَ بمنزلةِ جِدِّكَ ، ولا تعريضُكَ مثلَ تصريحِكَ ، بل تُرتِّبُ كلّاً مرتبتَهُ ، وتوفيهِ حَقَّهُ ، فتتلطَّفُ إذا تَغزَّلتَ ، وتُفخِّمُ إذا افتخرتَ ، وتَتصرَّفُ للمديحِ تَصرُّفَ مواقعِهِ ؛ فإنَّ المدحَ بالشجاعةِ والبأسِ يَتميَّزُ عنِ المدحِ باللَّباقةِ والظَّرْفِ ، ووصفَ الحربِ والسلاحِ ليسَ كوصفِ المجلسِ والندامِ (١) ، ولكلِّ واحدٍ مِنَ الأمرَينِ نهجٌ هوَ أملكُ بهِ ، وطريقٌ لا يشاركُهُ الآخَرُ فيهِ .

وليسَ ما رسمتُهُ لكَ في هٰذا البابِ بمقصورٍ على الشعرِ دونَ الكتابةِ ، ولا يَختصُّ بالنظمِ دونَ النثرِ ، بل يجبُ أن تكونَ كتابتُكَ في الفتحِ أوِ الوعيدِ خلافَ كتابتِكَ في الشوقِ أوِ التهنئةِ ، وخطابُكَ إذا حذَّرتَ وزجرتَ أفخمَ منهُ إذا وعدتَ ومنَّيتَ) انتهىٰ (٢) .

وإذا تأمَّلتَ الكتابَ العزيزَ في تصرُّفِ العباراتِ للوعدِ والوعيدِ ، وخطابِ الحضريِّ والأعرابِ ، والتذكيرِ ونصِّ الأحكامِ . . . إلىٰ غيرِ ذٰلكَ مِنَ الأنواعِ . . مرَّ بكَ ذٰلكَ في المَحَجَّةِ البيضاءِ ، وإنَّ ائتلافَ اللفظِ معَ المعنىٰ هوَ أعظمُ أركانِ البلاغةِ ، ومِنْ جهتِهِ يَنحَطُّ شأنُ البليغِ أو يرتفعُ .

❋ ❋ ❋

---

(١) كذا في « أنوار الربيع » (٦/٢١٩) ، وفي « الوساطة بين المتنبي وخصومه » (ص ٣٠) : (المدام) .

(٢) الوساطة بين المتنبي وخصومه (ص ٣٠) .

ائتلافُ اللفظِ معَ الوزنِ

هوَ أن يكونَ الكلامُ المنظومُ بمنزلةِ الكلامِ المنثورِ ؛ بحيثُ لا يَضطرُّ الوزنُ الشاعرَ إلىٰ تقديمٍ وتأخيرٍ يُبعِدُ فهمَ المعنىٰ ، ولا إلىٰ مخالفةِ لغةٍ أو إعرابٍ ، كما وقعَ للفرزدقِ في قولِهِ (١) : [من الطويل]

وَمَا مِثْلُهُ فِي ٱلنَّاسِ إِلَّا مُمَلَّكاً ... أَبُو أُمِّهِ حَيٌّ أَبُوهُ يُقَارِبُهْ

وكقولِ المتنبي (٢) : [من الكامل]

أَنَّىٰ يَكُونُ أَبَا ٱلْبَرَايَا آدَمٌ ... وَأَبُوكَ وَٱلثَّقَلَانِ أَنْتَ مُحَمَّدُ

أي : وأبوكَ محمدٌ ، والثَّقلانِ أنتَ .

وكقولِ الكميتِ (٣) : [من الخفيف]

لَا كَعَبْدِ ٱلْمَلِيكِ أَوْ كَوَلِيدِ ... أَوْ سُلَيْمَانَ بَعْدُ أَوْ كَهِشَامِ

أي : عبدِ الملكِ .

❊ ❊ ❊

فالخُلاصةُ : ألَّا يحيلَ الشاعرُ علىٰ ضرورةِ الشعرِ ، فإذا لزمَ عليهِ ذٰلكَ لضَعفِهِ . . وجبَ أن يتركَ حتىٰ يقوىٰ ؛ ليستريحَ ويريحَ .

❊ ❊ ❊

(١) تقدم أول الكتاب (١/٧٠) .
(٢) انظر « ديوان المتنبي » (ص ٣٥) .
(٣) انظر « ديوان الكميت » (ص ٤٩٧) .

ائتلافُ الوزنِ معَ المعنىٰ

أرادَ البديعيُّونَ أن يسلمَ الشعرُ مِنَ القلبِ الكائنِ في مثلِ قولِ القطاميِّ [1] : [من الوافر]

كَمَا طَيَّنْتَ بِٱلْفَدَنِ ٱلسِّيَاعَا

وقد سبقَ القولُ في القلبِ في فنِّ المعاني [2] .

❋ ❋ ❋

(١) تقدم (٢/٩٩) ، والبيت بتمامه :

فَلَمَّا أَنْ جَرَىٰ سِمَنٌ عَلَيْهَا　　　كَمَا طَيَّنْتَ بِٱلْفَدَنِ ٱلسِّيَاعَا

(٢) انظر (٢/٩٨ ـ ٩٩) .

ائتلافُ اللفظِ معَ اللفظِ

هوَ عبارةٌ عن كونِ ألفاظِ العبارةِ مِنْ وادٍ واحدٍ في الغرابةِ والتأهُّلِ ؛ كقولِهِ تعالىٰ : ﴿ تَٱللَّهِ تَفۡتَؤُاْ تَذۡكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا ﴾[1] ، لمَّا أتىٰ بالتاءِ التي هيَ أغربُ حروفِ القسمِ . . أتىٰ معَها بـ ﴿ تَفۡتَؤُاْ ﴾ الذي هوَ أغربُ أفعالِ الاستمرارِ ، وجاورَهُما بقولِهِ : ﴿ حَرَضًا ﴾ .

وكذٰلكَ : ﴿ وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصۡنَٰمَكُم بَعۡدَ أَن تُوَلُّواْ مُدۡبِرِينَ ﴾[2] مكانَ : واللهِ ؛ لأكسرنَّ أصنامَكُم بعدَ أن تذهبُوا .

❋ ❋ ❋

---

(١) سورة يوسف : (٨٥) .

(٢) سورة الأنبياء : (٥٧) .

الموازنةُ

هوَ أن يجعلَ أجزاءَ البيتِ العروضيَّةَ كقولِ امرئِ القيسِ[1] : [من المتقارب]

أَفَـــادَ فَـــسَـــادَ وَقَـــادَ فَـــزَادَ   وَسَـــادَ فَـــجَـــادَ وَعَـــادَ فَـــأَفْـــضَـــلْ

وقولِ ابنِ هانئٍ[2] : [من الكامل]

وَعَـــوَانِـــسٌ وَقَـــوَانِـــسٌ وَفَـــوَارِسٌ   وَكَـــوَانِـــسٌ وَأَوَانِـــسٌ وَقَـــنَـــابِـــلُ

* * *

---

(١) كذا في « أنوار الربيع » (٦/٢٢١) .

(٢) انظر « ديوان محمد بن هانئ الأندلسي » (ص ٢٩٦) .

السَّجعُ

هوَ تقفيةُ الكلامِ المنثورِ علىٰ نهاياتٍ متماثلةٍ .

قيلَ : ولا يُقالُ في القرآنِ : سجعٌ ، بل يقالُ : فواصلُ .

وأحسنُ السَّجعِ : ما كانَتْ ألفاظُهُ علىٰ ترتيبِ معانيهِ ؛ بحيثُ لا يظهرُ لأجلِهِ تكلُّفٌ بتقديمٍ وتأخيرٍ ، وما قَصُرَتْ فيه القرائنُ أحسنُ ممَّا طالَتْ فيهِ ، وكذٰلكَ تساوي القرائنِ أحسنُ مِنْ طولِ الثانيةِ عنِ الأُولىٰ ، وعكسُهُ غيرُ حسنٍ .

قيلَ للصَّاحبِ ابنِ عبادٍ : ما أحسنُ السَّجعِ ؟ قالَ : ما خفَّ على السمعِ ، قيلَ : مثلُ ماذا ؟ قالَ : مثلُ هٰذا[1] .

[أمثلةٌ من كلامِ رؤساءِ الصناعةِ]

ولنوردْ لكَ بعضَ فصولٍ مِنْ كلامِ رؤساءِ الصِّناعةِ ؛ لتكونَ لكَ مثالاً تَتمكَّنُ بهِ مِنْ معرفةِ محاسنِ السَّجعِ ؛ كتبَ الصَّاحبُ ابنُ عبادٍ إلى القاضي أبي بشرٍ الفضلِ بنِ محمدٍ الجرجانيِّ ، وقد بلغَهُ أنَّهُ وافدٌ عليهِ ، وأرسلَ بها معَ غلامٍ بريديٍّ ليعودَ إليهِ بتعيينِ يومِ وصولِهِ : [من الوافر]

تَحَدَّثَتِ ٱلرِّكَابُ بِسَيْرِ أَرْوَىٰ ... إِلَىٰ بَلَدٍ حَطَطْتُ بِهِ خِيَامِي

فَكِدْتُ أَطِيرُ مِنْ شَوْقٍ إِلَيْهَا ... بِقَادِمَةٍ كَقَادِمَةِ ٱلْحَمَامِ

أفحقٌّ ما قيلَ مِنْ أمرِ القادمِ ، أم ظنٌّ كأمانيّ الحالمِ ، لا واللهِ ، بل هو دَرَكِ العِيانِ ، وأنَّهُ ونيلَ المنىٰ سيَّانِ ، فمرحباً براحلتِكَ ورحلِكَ ، وأهلاً بكَ

(١) انظر « أنوار الربيع » (٦/٢٥٢) .

وبجميعِ أهلِكَ ، ويا سرعةَ ما فاحَ نسيمُ مَسراكَ ، ووجدنا ريحَ يوسفَ مِنْ ريَّاكَ ، فحُثَّ المَطيَّ . . [تَزُلْ] عِلَّتِي بلقياكَ ، وتبردْ غُلَّتي بسُقياكَ ، ونُصَّ علىٰ يومِ الوصولِ . . نجعلْهُ عيداً مشرفاً ، ونتخذْهُ موسماً ومُعرِّفاً ، ورُدَّ الغلامَ ، أسرعَ مِنْ رجعِ الكلامِ ؛ فقد أمرتُهُ أن يطيرَ علىٰ جناحِ نسرٍ ، وأن يتركَ الصبا في عقالِ أسرٍ ، والسلامُ[1] .

وكتبَ مُهنِّئاً بمولودةٍ : أهلاً وسهلاً بعقيلةِ النساءِ ، وكريمةِ الآباءِ ، وأمِّ الأبناءِ ، وجالبةِ الأصهارِ ، والأولادِ الأطهارِ ، والمُبشِّرةِ بإخوةٍ يتناسقونَ ، ونجباءَ يتلاحقونَ .

فَلَوْ كَانَ ٱلنِّسَاءُ كَمِثْلِ هَٰذِي ... لَفُضِّلَتِ ٱلنِّسَاءُ عَلَى ٱلرِّجَالِ
وَمَا ٱلتَّأْنِيثُ لِٱسْمِ ٱلشَّمْسِ عَيْبٌ ... وَلَا ٱلتَّذْكِيرُ فَخْرٌ لِلْهِلَالِ

فادّرِعِ اغتباطاً ، وتهنَّ نشاطاً ؛ فالدنيا مُؤنَّثةٌ ، ومنها خُلِقَتِ البريَّةُ ، وفيها كَثُرَتِ الذريةُ ، والسماءُ مُؤنَّثةٌ ، وقد زُيِّنَتْ بالكواكبِ ، وحُلِّيَتْ بالنجمِ الثاقبِ ، والنفسُ مُؤنَّثةٌ ، وبها قِوامُ الأبدانِ ، ومِلاكُ الحيوانِ ، والجنةُ مُؤنَّثةٌ ، وبها وُعِدَ المُتقونَ ، وفيها يُنَعَّمُ المُرسلونَ ، فهنيئاً مريئاً ، ما أُوليتَ ، وأوزعَكَ اللهُ شكرَ ما أُعطيتَ[2] .

❊

ولبديعِ الزمانِ الهَمَذانيِّ : انظرْ إلى الكلامِ وقائلِهِ ؛ فإن كانَ وليّاً . . فهوَ الوَلاءُ وإن خَشُنَ ، وإن كانَ عدوّاً . . فهوَ البلاءُ وإن حَسُنَ ، ألا ترىٰ إلى العربِ تقولُ : قاتلَهُ اللهُ ، ولا يريدونَ الذمَّ ، ولا أبا لهُ ، في الأمرِ إذا تمَّ[3] .

---

(١) انظر « أنوار الربيع » (٦/٢٥٤ ـ ٢٥٥) .
(٢) انظر « أنوار الربيع » (٦/٢٥٥ ـ ٢٥٦) ، والبيتان السابقان من بحر الوافر .
(٣) انظر « أنوار الربيع » (٦/٢٥٦) .

ولهُ : فائدةُ الاعتقادِ أفضلُ في الانتقادِ ، والسَّماحُ يكسرُ الرِّماحَ ، والصَّفحُ يَفُلُّ الصِّفاحَ ، والجُودُ أنصرُ مِنَ الجنودِ ، وكشفُ الضُّرِّ عنِ الحرِّ . . أجملُ مِنْ كشفِ الصَّدَفِ عَنِ الدُّرِّ ، ومَنْ عُرِفَ بالمَنْحِ . . قُصِدَ بالمدحِ .

وخيرُ الإخوانِ . . مَنْ ليسَ بخوَّانٍ ، ودُّهُ ميمونٌ ، وغَيبُهُ مأمونٌ ، فهوَ يحالفُكَ ولا يخالفُكَ ، ويرافقُكَ ولا يفارقُكَ ، ويوافقُكَ ولا ينافقُكَ ، إذا حضرتَ . . حنا عليكَ ، وإذا غبتَ . . حنَّ إليكَ (١) .

ولهُ : ما أشبهَ وعدَ الشيخِ في الخِلافِ . . إلَّا بشجرِ الخِلافِ ؛ [خضرةٌ] في العينِ ، ولا ثمرةَ في البينِ ، فما ينفعُ الوعدُ ، ولا إنجازَ مِنْ بعدُ ، ومثلُ الوعدِ مثلُ الرعدِ ، ليسَ لهُ خطرٌ ، إن لم يتلُهُ مطرٌ .

ولهُ : كتابي مِنْ هَرَاةَ ولا هَرَاةَ ؛ فقد طحنَتْها المِحَنُ كما يُطحَنُ الدَّقيقُ ، وقَلَّبَتْها كما يُقلَّبُ الرَّقيقُ ، وبلعَتْها كما يُبلَعُ الرِّيقُ ، وقد خدمتُ الشيخَ سنينَ ، واللهُ لا يضيعُ أجرَ المحسنينَ ، ونادمتُهُ والمنادمةُ رضاعٌ ثانٍ ، ومالحتُهُ والممالحةُ نسبٌ دانٍ ، وسافرتُ معَهُ والسَّفرُ والأُخوَّةُ رضيعا لِبانٍ ، وقمتُ بينَ يدَيهِ والقيامُ والصلاةُ شريكا عِنانٍ ، وأثنيتُ عليهِ والثناءُ مِنَ اللهِ بمكانٍ ، وأخلصتُ لهُ والإخلاصُ محمودٌ بكلِّ لسانٍ (٢) .

يشيرُ بقولِهِ : (والثناءُ مِنَ اللهِ بمكانٍ) إلىٰ ما وردَ : « لَا شَيْءَ أَحَبُّ إِلَيْهِ ٱلْمَدْحُ مِنَ ٱللهِ » (٣) .

ولهُ : للشيخِ مِنَ الصُّدورِ ما ليسَ للفؤادِ ، ومِنَ القُلوبِ ما ليسَ للأولادِ ، كأنَّما اشتُقَّ مِنْ جميعِ الأكبادِ ، ووُلِدَ بجميعِ البلادِ ، سواءٌ الحاضرُ فيهِ والبادِ ،

(١) انظر « أنوار الربيع » (٦/٢٥٦) .
(٢) انظر « أنوار الربيع » (٦/٢٥٦ _ ٢٥٧) .
(٣) أخرجه البخاري (٤٦٣٤) عن سيدنا ابن مسعود رضي الله عنه .

فكلُّ أفعالِهِ غُرَّةٌ في ناصيةِ الأيامِ ، وزهرةٌ في جُنحِ الظَّلامِ ، إلَّا أنَّ ما أحبَّهُ لفلان(١) روضٌ أنا وَسْميُّهُ ، وغصنٌ أنا قُمريُّهُ ، وعودٌ جمرُهُ لساني ، وجودٌ شكرُهُ ضماني(٢) .

ولهُ : المرءُ جَزوعٌ لٰكنَّهُ حَمولٌ ، والإنسانُ في النوائبِ شَموسٌ ثمَّ ذلولٌ ، ولقد عشتُ بعدَ الشيخِ لٰكنْ عيشةَ الحوتِ في البرِّ ، وبقيتُ لٰكنْ بقاءَ الثلجِ في الحرِّ(٣) .

ولهُ : كتابي إلى البحرِ وإن لم أرَهُ ، فقد سمعتُ خبرَهُ ، واللَّيثُ وإن لم ألقَهُ ، فقد تَصوَّرتُ خَلْقَهُ ، والمَلِكُ وإن لم أكنْ لقيتُهُ ، فقد لقيَني صيتُهُ ، ومَنْ رأىٰ مِنَ السَّيفِ أثرَهُ . . فقد رأىٰ أكثرَهُ ، وهٰذهِ الحضرةُ وإن احتاجَ إليها المأمونُ ، ولم يستغنِ عنها قارونُ ، فإنَّ الأحبَّ إليَّ أن أقصدَها قصدَ موالٍ ، لا قصدَ سؤالٍ ، والرجوعُ عنها بجمالٍ . . أحبُّ إليَّ مِنَ الرجوعِ عنها بمالٍ ، قدمتُ التعريفَ ، وأنا أنتظرُ الجوابَ الشريفَ(٤) .

ولهُ : حضرتُهُ التي هيَ كعبةُ المحتاجِ ، إن لم تكنْ كعبةَ الحاجِّ ، ومشعرُ الكرامِ ، إن لم تكنِ المشعرَ الحرامَ ، ومُنى الضَّيفِ ، إن لم تكنْ مِنى الخيفِ ، وقِبلةُ الصِّلاتِ ، إن لم تكنْ قِبلةَ الصلاةِ .

ولهُ : حرسَ اللهُ هٰذهِ الدنانيرَ ، ورزقَنا منها الكثيرَ ؛ إنَّها لتفعلُ ما لا تفعلُ التوراةُ والإنجيلُ ، وتغني ما لا يغني التنزيلُ والتأويلُ ، وتُصلِحُ ما لا يُصلِحُ جبريلُ [وميكائيلُ](٥) .

---

(١) في « أنوار الربيع » : (ما أوجبه لفلان) .
(٢) انظر « أنوار الربيع » (٢٥٧/٦) .
(٣) انظر « أنوار الربيع » (٢٥٧/٦) .
(٤) انظر « أنوار الربيع » (٢٥٧/٦) .
(٥) انظر « أنوار الربيع » (٢٥٧/٦) .

ولهُ : هـٰذا الذي تاهَ علينا بحسنِ قَدِّهِ ، وزها علينا بوردِ خَدِّهِ ، قد نسخَ الدهرُ آيةَ حسنِهِ ، وأقامَ مائلَ غصنِهِ ، وانتصرَ لنا منهُ بشعراتٍ كسفتْ هلالَهُ ، وأكسفَتْ بالَهُ ، ومسخَتْ جمالَهُ ، وغَيَّرَتْ حالَهُ .

فَمَنْ لَكَ بِٱلْعَيْنِ ٱلَّتِي كُنْتُ مَرَّةً ... إِلَيْكَ بِهَا فِي سَالِفِ ٱلدَّهْرِ أَنْظُرُ

أيامَ كنتَ تتلفَّتُ ، والأكبادُ تَتفتَّتُ ، فاقصرِ الآنَ عمَّا صارَ وكانَ ؛ فإنَّهُ سوقٌ كسدَ ، ومتاعٌ فسدَ ، ودولةٌ أعرضَتْ ، وأيامٌ انقضَتْ ، ويومٌ صارَ أمسِ ، وحسرةٌ بقيَتْ في النفسِ ، فحتَّامَ تدلُّ وإلامَهْ ؟ وكم تَحتمِلُ وعلامَهْ ؟ (١) .

❁ ❁ ❁

ولأبي بكرٍ محمدِ بنِ أحمدَ اليوسفيِّ : الشوقُ الذي أقاسي ، والذي مرَّ براسي . . يَهُدُّ الجبالَ الرواسيَ ؛ مِنْ نواكبَ أوهَتِ المناكبَ ، وعوارضَ شيَّبَتِ العوارضَ ، ومحنٍ عظامٍ ، أثَّرَتْ في العِظامِ ، وللأيامِ دولٌ متعاقبةٌ ، ولِلصَّبرِ الجميلِ أحمدُ عاقبةٍ (٢) .

❁ ❁ ❁

وللقاضي أبي أحمدَ منصورِ بنِ محمدٍ الهرويِّ ، وكتبَ إلىٰ صديقٍ أهداهُ وردةً : وصلَتِ الوردةُ الفردةُ ، لا زالَ ذكرُهُ كريَّاها عَرْفاً ، ودهرُهُ [كفضْلِها] ظَرْفاً ، وحالُ أوليائِهِ كأغصانِها خضرةً ، ووجوهُ أعدائِهِ كلونِها صفرةً ، فسَرَّتِ القلبَ ، وسَرَّتِ الكربَ ، وأدَّتِ الأربَ ، وأهدَتِ الطربَ ، ودعتْ إلى الرسمِ المألوفِ ، وأمرَتْ بالمُنكرِ المعروفِ .

وافتْنا والليلُ قد حطَّ رِواقَهُ ، وحلَّ نِطاقَهُ ، والصُّبحُ قد بسطَ رداءَهُ ، ورفعَ

(١) انظر « أنوار الربيع » (٦/٢٥٨) ، والبيت المارُّ من بحر الطويل .

(٢) انظر « أنوار الربيع » (٦/٢٥٨) .

لواءَهُ ، والندىٰ طلٌّ ، والنسيمُ مبتلٌّ ، والمُزنُ منسجمٌ ، وثغرُ الصُّبحِ مبتسمٌ ، ونحنُ نبوحُ بما في الصُّدورِ ، ونطيرُ بأجنحةِ السُّرورِ ، فوُضِعَتِ الوردةُ على الرؤوسِ ، وأُدِيرَتْ معَ الكؤوسِ ، ونطقَتِ الأوتارُ ، وصدحَتِ الأطيارُ ، ولكلِّ ذي فطنةٍ فتنةٌ ، ولكلِّ ذي توبةٍ أوبةٌ ، وعندَ كلِّ لفتةٍ حَيرةٌ ، ومعَ كلِّ دورةٍ سكرةٌ .

ولهُ يُهنِّئُ مَنْ عادَتْ لهُ الوزارةُ : [من مجزوء الكامل]

اَلشَّمْسُ فِي رَأْدِ ٱلضُّحَىٰ ... وَٱلْبَدْرُ فِي جُنْحِ ٱلدُّجَىٰ
وَٱلْمَاءُ فِي حَرِّ ٱلصَّدَىٰ ... وَٱلْغَيْثُ جَادَ عَلَى ٱلثَّرَىٰ
وَٱلْمُزْنُ تَضْحَكُ فِي ٱلرُّبَىٰ ... وَٱلْوَرْدُ جَمَّشَهُ ٱلنَّدَىٰ
وَٱلصُّبْحُ تَقْدَمُهُ ٱلصَّبَا ... وَٱلْعَيْشُ فِي زَمَنِ ٱلصِّبَا
وَٱلْقُرْبُ صَبَّ عَلَى ٱلنَّوَىٰ ... وَٱلْقَلْبُ رَقَّ مَعَ ٱلْهَوَىٰ
وَٱلطَّرْفُ غَازَلَهُ ٱلْكَرَىٰ ... وَٱلصَّفْوُ بَاعَدَهُ ٱلْقَذَىٰ
وَٱلْحَلْيُ فِي ثَغْرِ ٱلدُّمَىٰ ... وَمَنَازِلٌ لَكَ بِٱلْحِمَىٰ
وَعُهُودُ سُعْدَىٰ بِٱللِّوَىٰ ... وَٱلدَّهْرُ يُسْعِفُ بِٱلْمُنَىٰ
وَٱلْبُرْءُ فِي عَقِبِ ٱلضَّنَىٰ ... وَٱلْفَقْرُ يَطْوِيهِ ٱلْغِنَىٰ
وَٱلْبِشْرُ يَتْبَعُهُ ٱلنَّدَىٰ ... وَٱلنَّشْرُ مِنْ بَعْدِ ٱلْبِلَا
وَٱلْوُدُّ فِي أَثَرِ ٱلْقِلَا ... وَٱلْمَحْلُ يَطْرُدُهُ ٱلْحَيَا
وَٱلْعَتْبُ يَمْحُوهُ ٱلرِّضَا ... وَٱلْكَفُّ تَسْمَحُ بِٱللُّهَىٰ
وَمُذَاكَرَاتُ ذَوِي ٱلنُّهَىٰ ... وَٱلرَّأْيُ يَعْضُدُهُ ٱلْحِجَا
وَٱلْجِدُّ سَاعَدَ وَٱعْتَلَىٰ ... وَٱلْحَظُّ أَدْرَكَ مَا رَجَا

بها وبما لها مِنَ الأمثالِ ، سارَتْ سوائرُ الأمثالِ ، فيما يوافقُ النفوسَ والطباعَ ، ويؤنسُ الأبصارَ والأسماعَ ، وأحسنُ مِنْ كلِّ هٰذا التمثيلِ ، أيامُ الشيخِ الجليلِ ، وقد أتاهُ اسمٌ لم يزلْ معناهُ .

فَيَا حُسْنَ ٱلزَّمَانِ وَقَدْ تَحَلَّىٰ بِهَٰذَا ٱلْفَخْرِ وَٱلْإِقْبَالِ صَدْرُهْ
وَكَانَ ٱلدَّهْرُ يَغْدُرُ بَعْدَ هَٰذَا فَحُلَّ وَفَاؤُهُ وَٱنْحَلَّ غَدْرُهْ
تَصَدَّرَ لِلْوِزَارَةِ مُسْتَحِقٌّ تَسَاوَىٰ قَدْرُهَا أَبَداً وَقَدْرُهْ
فَقُلْ فِي ٱلنَّصْلِ وَافَقَهُ نِصَابٌ وَقُلْ فِي ٱلْأُفْقِ أَشْرَقَ فِيهِ بَدْرُهْ (١)

والحمدُ للهِ الذي زانَ الشجرَ بالثمرِ ، وحلَّى البرجَ بالقمرِ ، وآنسَ العرينَ بالأسدِ ، وأهدى الروحَ إلى الجسدِ ، ولم أنسَ ـ أدامَ اللهُ عُلُوَّ مولانا ـ رسمَ التصديرِ ، وما يجبُ مراعاتُهُ على الصغيرِ والكبيرِ ، ولٰكنَّ التهنئةَ المرسومةَ يتهاداها الأكفاءُ ، ويتعاطاها النظراءُ ، فأمَّا الخدمُ معَ الصُّدورِ ، والنجومُ التالياتُ معَ الأهلَّةِ والبدورِ . . فالعادةُ [فيها الوفادةُ](٢) ، ثمَّ إن تَعذَّرَتِ الإرادةُ ، ولم تساعدِ السعادةُ . . فالدعاءُ موصولاً منشوراً ، والثناءُ منظوماً منثوراً ، وعلىٰ هٰذهِ الجملةِ عملتُ ، وإلىٰ هٰذا الجانبِ عدلتُ ، فأصدرتُ كلمةً نَتَجَها الودُّ الصَّريحُ ، ونسجَها الوَلاءُ الصحيحُ .

فَجَاءَتْ تُؤَدِّي وُجُوهَ ٱلرِّيَا ضِ أَضْحَكَهَا ٱلْعَارِضُ ٱلْهَامِعُ
وَلَيْسَ لَهَا غَيْرُ عَيْنِ ٱلرِّضَا لَدَيْكَ ذِمَامٌ وَلَا شَافِعُ (٣)

وللفاضلِ عبدِ الرحيمِ في صفةِ القلمِ : وقد أثمرَ هٰذا القلمُ أكرمَ الثمرِ

---

(١) الأبيات من الوافر .

(٢) الزيادة من « يتيمة الدهر » (٥/٢٣٦) .

(٣) البيتان من المتقارب ، وانظر « أنوار الربيع » (٦/٢٥٩) .

وهوَ يابسٌ ، وأبرَّ جوداً علىٰ أخضرِ المغارسِ ، وآتىٰ أُكُلَهُ كلَّ حينٍ ووقتٍ ، وطالَ وإن كانَ القصيرَ فقَصَّرَ عنهُ كلُّ نعتٍ (١) .

[رسالةُ القلمِ للجلالِ الدَّوَّانيّ]

وعلىٰ ذكرِ القلمِ قد عنَّ لي أن أوردَ هنا « رسالةَ القلمِ » لخاتمةِ المُحقِّقينَ جلالِ الدينِ الدَّوَّانيِّ ؛ لِمَا اشتملَتْ عليهِ مِنَ المعاني الغريبةِ ، التي هيَ بمنزلةِ الرياضِ الخصيبةِ ، تريكَ نتائجَ الأفكارِ ، وتجلو عليكَ عرائسَ الأسجاعِ في أرقِّ شعارٍ ، رحمَ اللهُ مَنْ أنشأَها ، وهدىٰ بها مَنْ قرأَها ؛ وهيَ :

(﴿ نٓ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴾ (٢) ، إنَّ هـٰذهِ تذكرةٌ لقومٍ يعقلونَ ، يا مَنْ فاقَ في البراعةِ ؛ سألتَني عَنْ وصفِ اليراعةِ ، فاستمعْ لِمَا يُتلىٰ عليكَ ، ذٰلكَ مِنْ أنباءِ الغيبِ نوحيهِ إليكَ : ﴿ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُواْ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ فَقَالُواْ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴾ (٣) ، إنَّهُ فتىً مِنْ أصحابِ الكهفِ والرقيمِ ، نَشَرَ لهُ ربُّهُ مِنْ رحمتِهِ ، وهَيَّأَ لهُ مرفقاً ، ووقعَ (٤) لهُ بخطٍّ مستقيمٍ ، نبيٌّ بُعِثَ مِنْ سُرَّةِ البطحاءِ ، وأُيِّدَ بفصاحةٍ أبكَتْ مصاقعَ البلغاءِ ، كليمٌ خُصَّ بالطُّورِ ، والكتابِ المسطورِ ، والرِّقِّ المنشورِ ، سفيرٌ بليغٌ نذيرٌ ، قد جاءَ بالبيناتِ والزُّبرِ والكتابِ المنيرِ .

قد بلغَ مِنْ ذروةِ الشرفِ منتهاهُ ، ومِنْ سنامِ المعالي أعلاهُ ، يُنمىٰ في شجرةِ النسبِ إلىٰ أوَّلِ ما خلقَ اللهُ ، ﴿ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن

(١) انظر « أنوار الربيع » (٢٦٣/٦) .

(٢) سورة القلم : (١) .

(٣) سورة الكهف : (٩ ـ ١٠) .

(٤) في « أنوار الربيع » (٢٦٤/٦) : (ورفع) بدل (ووقع) .

﴿لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[1] ، يقولُ إذا برزَ مِنْ بطنِ النونِ ، وشرعَ في الزبورِ : ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾[2] ، ألفٌ يقارنُ نوناً ، وإلفٌ يؤلفُ درّاً مكنوناً ، إذا شددتَ بهِ . . أنَّ ، وإن لنتَ بهِ . . اطمأنَّ ، عالمٌ مِنْ أهلِ الكتابِ علا كعبُهُ في الأحبارِ ، مرَّ علىٰ سائرِ الكتبِ السماوية مِنَ الصُّحفِ والأسفارِ ، ذو القرنَينِ يسيرُ المغربَ والمشرقَ في أقصرِ ساعةٍ ، استولىٰ على الأقاليمِ كلِّها ومدَّ فيها باعَهُ ، فصيحٌ جزلُ الكلامِ ، لـٰكنْ لا ينفكُّ كلامُهُ عَنِ الإبهامِ ، وإشراقيٌّ في طريقِ التعلُّمِ والتعليمِ ، لـٰكنَّهُ مِنَ المَشَّائينَ بنميمٍ ، منتصبُ القامةِ بادي البشرةِ أسودُ الراسِ ، ناطقٌ [فصيحٌ] ماشٍ علىٰ قدميهِ لـٰكنْ ليسَ مِنَ الناسِ .

أرىٰ قدمَهُ أراقَ دمَهُ ، ولسانَهُ مَهَّدَ عدمَهُ ، كفَّ نفسَهُ عَنِ الراحةِ ، وزاحمَ بالرُّكَبِ أهلَ الفصاحةِ ، حتىٰ صارَ يُضرَبُ بهِ المثلُ بينَ [الأماثلِ] ، ويُذعِنُ لنظمِهِ ونثرِهِ الأفاضلُ ، ذو اللسانَينِ وذو البيانَينِ ، قد هُدي النجدَينِ ، واقتحمَ العقبتَينِ ، وجمعَ بينَ العلمِ والعينِ ، مهندسٌ ينقشُ الخطوطَ على السُّطوحِ للتعاليمِ ، مُنجِّمٌ يُصلِحُ الزِّيجاتِ والتقاويمَ ، يَنقُصُ بالأصابعِ ظلَّ الأقدامِ ، ويَرقُمُ على الرُّخاماتِ دقائقَ الليالي والأيامِ ، لا يأبى السلاطينُ ما رسمَهُ ، ولا تتجاوزُ الأساطينُ عمَّا رقمَهُ .

أعجمُ يَعرِفُ اللغاتِ كلَّها ، أدهمُ قد طوى المَقاماتِ جلَّها ، يقولُ حينَ يبرزُ في نادي البيانِ : عندَ الامتحانِ يُكرَمُ المرءُ أو يُهانُ .

صوفيٌّ قطعَ المنازلَ وبلغَ الغاياتِ ، ورجعَ القهقرىٰ لتصحيحِ البداياتِ ،

---

(١) سورة الأنبياء : (٨٧) .

(٢) سورة البقرة : (٢٥٧) .

إن لم يُقطَعْ لسانُهُ . . لم يُفصِحْ بيانُهُ ، وإن لم يُشَقَّ رأسُهُ . . لم يَنطِقْ لسانُهُ .

عربيٌّ واسطيٌّ ، أصلُهُ هنديٌّ زنجيٌّ ، نسلُهُ طُوطيٌّ ، أسودُ المِنقارِ ، كأنَّ مِنقارَهُ مِنْ قارٍ ، ذو ذُؤابةٍ يُعلَمُ مِنْ مسيرِهِ طولُ حُلولِ الآجالِ ، ويُفهَمُ مِنْ ظهورِهِ انتقالُ الدَّولةِ وتداولُ الأقيالِ وتحوُّلُ الأحوالِ ، أحرزَ قصباتِ السَّبْقِ في مِضمارِ البيانِ ، حتىٰ صارَ بحيثُ تشيرُ إليهِ المَهَرةُ في ذٰلكَ الفنِّ بالبَنانِ ، كأنَّهُ عصا موسىٰ ، وقد أُلقِيَتْ فإذا هيَ حيةٌ تسعىٰ ، أبو قلمونٍ يَتقلَّبُ في الأطوارِ ، ويَتحوَّلُ مِنْ شعارٍ إلىٰ شعارٍ ، طَوراً تراهُ يَنظِمُ القوافيَ والأشعارَ ، وتارةً تلقاهُ يَنثرُ لآلئَ الحكمِ والأسرارِ ، ساعةً تبصرُهُ أنيسَ الأعلامِ ذوي البراعةِ ، وكَرَّةً تُصادِفُهُ سميرَ أهلِ المُجونِ والخَلاعةِ .

سَحَّارٌ يأتي بالغرائبِ ، مَكَّارٌ يُري الناظرينَ العجائبَ ، كاتبٌ شهيدٌ ، وحاسبٌ عتيدٌ ، تَجرَّعَ مرارةَ مذاقِ الكدِّ حتىٰ تَضلَّعَ مِنْ فنونِ العلومِ ، وتَحمَّلَ الصَّبرَ على استنشاقِ دخانِ السِّراجِ حتىٰ برعَ بينَ الفُضلاءِ ذوي الفهومِ ، لا يزالُ رطبَ اللسانِ في شكرِ باريهِ ، عذبَ البيانِ بذكرِ أياديهِ .

مُحدِّثٌ تُحدِّثُ عنهُ الآثارُ ، وتُنقَلُ عنهُ الأخبارُ في الأقطارِ ، بازيٌّ يمتطي أيديَ الصَّناديدِ ، لا يطيرُ مِنْ أيديهِم ويصيدُ ، لهُ إشارةٌ مُبهَمةٌ ، وعبارةٌ مُفهِمةٌ ، انقطعَ عن عترتِهِ ، لنيلِ طلبتِهِ ، حتىٰ بلغَ مبلغَ الرجالِ ، ونالَ مِنَ الشرفِ ما نالَ ، فحقَّ أنْ يُنشَدَ فيهِ قولُ مَنْ قالَ : [من الكامل]

وَرِثَ ٱلنَّجَابَةَ كَابِراً عَنْ كَابِرٍ كَٱلرُّمْحِ أُنْبُوباً عَلَىٰ أُنْبُوبِ

حكيمٌ تنطوي إشاراتُهُ علىٰ تلويحاتٍ إلىٰ قانونِ الشفاءِ ، وتحتوي تعليقاتُهُ علىٰ تنبيهاتٍ لمناهجِ النجاةِ عن دَرَكِ الجهلِ والشَّقاءِ ، لهُ مواقفُ يُحقِّقُ فيها مقاصدَ الكلامِ ، وعوارفُ معارفَ يكشفُ بها عن وجوهِ الفرائدِ اللثامَ ، يُقرِضُ

ذاتَ الشمالِ وهوَ مِنْ أهلِ اليمينِ ، ويَصدُقُ في أكثرِ الأقوالِ ولـٰكنَّهُ قد يمينُ ، لا تتنظمُ مصالحُ الأنامِ إلَّا بحسنِ مساعيهِ ، ولا تنضبطُ حوادثُ الأيامِ إلَّا بيُمْنِ مراعيهِ .

أجوفُ وهوَ مصدرُ المثالِ ، مهموزٌ سالمٌ مِنَ الاعتلالِ ، لفيفٌ مفروقٌ مِنْ إخوانِهِ ، خفيفٌ ناقصٌ مِنْ أوزانِهِ ، أصلٌ واحدٌ تَصدُرُ عنهُ الأمثلةُ لمعانٍ مقصودةٍ لا تحصلُ إلَّا بِهِ ، نصلٌ شاهدٌ لا [يُصابُ] غرضُ المطالبِ إلَّا بنابِهِ ، نَمومٌ يسعىٰ في هتكِ الأستارِ ، غَشومٌ تَعوَّدَ كشفَ الأسرارِ ، تقيٌّ لا يزالُ مُولَعاً بافتضاضِ أبكارِ بناتِ الأفكارِ ، خضرٌ خاضَ الظُّلماتِ حتى ارتوىٰ مِنْ ماءِ الحياةِ ، مستوفٍ قد أحاطَ بأبوابِ حواصلِ الأقاليمِ جمعاً وخرجاً ، وزيرٌ قد نظمَ غوامضَ أمورِ الممالكِ هرجاً ومرجاً ، مشيرُ ذوي النُّهىٰ في النوائبِ ومؤانسُهُم ، ما يكونُ مِنْ نجوىٰ ثلاثةٍ إلَّا هوَ رابعُهُم ، ولا خمسةٍ إلَّا هوَ سادسُهُم ، رشيقُ القَدِّ ، أسيلُ الخَدِّ ، أَليفُ الكَدِّ ، طويلُ المدِّ ، قد جاوزَتْ شمائلُهُ حدَّ العَدِّ ، أَلِفٌ ممدودٌ لا يُمنَعُ الصَّرفَ ، سالكٌ مرتاضٌ لـٰكنَّهُ يعبدُ الباريَ علىٰ حرفٍ ، تَعمَّمَ بشعارِ آلِ العباسِ ، وأقامَ أمرَ النجدةِ والباسِ ، فقالَ : يا أيُّها الناسُ : [من الوافر]

أَنَـا ٱبْـنُ جَـلَا وَطَـلَّاعُ ٱلـثَّـنَـايَـا ... مَـتَـىٰ أَضَـعِ ٱلْـعِـمَـامَـةَ تَـعْـرِفُـونِـي (١)

أجوفُ لا يَحفظُ السِّرَّ في قلبِهِ ، لا فرقَ في لغةِ العجمِ بينَ اسمِهِ وقلبِهِ ، لهُ أسماءٌ في لغةِ العربِ ، تقاليبُها كلُّها مُستعمَلةٌ ، وذٰلكَ مِنْ خصالِهِ التي قلَّما يتفقُ فيها شريكٌ لهُ .

آلةٌ تَعصِمُ مراعاتُها الذِّهنَ عنِ الخطأ والنسيانِ ، ينوبُ عنِ اللسانِ في البيانِ ، وعنِ السِّنانِ المُحدَّدِ بالسِّنانِ ، إذا رقى البَنانَ . . فهوَ مَلَكٌ لـٰكنَّهُ

(١) هو لسحيم بن وثيل ، انظر « خزانة الأدب » (١/٢٥٥) .

يُستكتَبُ ، فإذا أدَّىٰ نجومَ الكتابةِ . . خُلِّيَ سبيلُهُ أينَ يذهبُ ، نَسْخٌ مُحقَّقٌ توقيعاتُهُ على الرِّقاعِ أدراجَ الياقوتِ ، قد أقرَّ بريحانِ قامتِهِ عيونَ ابنِ مُقلةَ وياقوتَ ، شكلُهُ أُسطوانيٌّ وهوَ مخروطٌ ، شابٌّ مُترعرعٌ لٰكنَّهُ مخطوطٌ ، يُحِبُّهُ الناسُ ويراودونَهُ ، لٰكنْ إذا ظهرَ الشعرُ علىٰ عذارِهِ . . طَوَوُا الكَشحَ دونَهُ .

مسافرٌ يسفرُ عن أخبارِ المشارقِ والمغاربِ ، عارفٌ محيطٌ بجميعِ الأذواقِ والمشاربِ ، لسانُهُ نضناضٌ ، وبيانُهُ فضفاضٌ ، وحكمُهُ ماضٍ في السوادِ والبياضِ ، يقضي فيهما ما هوَ قاضٍ ، جاريةٌ تجري في البحرِ بإذنِ الباري ، فتأتي بدررِ معانٍ كأنَّها غُرَرُ الدَّراري ، ولقد أحسنَ مَنْ قالَ فيهِ مُلغِزاً ، ولبعضِ أوصافِهِ الغريبةِ مُبرِزاً (١) : [من السريع]

وَمَا غُلَامٌ رَاكِعٌ سَاجِدٌ ... أَخُو نُحُولٍ دَمْعُهُ جَارِ
مُلَازِمُ ٱلْخَمْسِ لِأَوْقَاتِهَا ... مُعْتَكِفٌ فِي خِدْمَةِ ٱلْبَارِي

كأنَّهُ وهوَ في يدِ السلطانِ ابنِ السلطانِ ، أبي المظفرِ يعقوبَ خانَ . . قصبُ السُّكَّرِ وقد نبتَ علىٰ ساحلِ عُمانَ ، عمَّ الورىٰ نائلُهُ ، وآوى السائلينَ ساحلُهُ ، كلَّا إنَّ نوالَ البحرِ إلىٰ فيضِ كفِّهِ نزرٌ ، ليسَ لهُ قدرٌ ، كيفَ لا ولهُ مَدٌّ لا يُعقِبُهُ جزرٌ ؟!

فَلَنْ أُشَبِّهَهُ بِٱلْبَحْرِ إِنَّ لَهُ ... مَدّاً يُعَاقِبُهُ جَزْرٌ بِأَرْجَاءِ (٢)

أو هوَ ـ والحالةُ هٰذهِ ـ خطٌّ تُخُيِّلَ في نواظرِ الأوهامِ ، مِنْ قطرةٍ نازلةٍ مِنْ غَمامٍ وأيِّ غَمامٍ ، يَدُرُّ بدُرِّ نوالِهِ علىٰ عواطفِ الأنامِ ، مِنَ الخواصِّ والعوامِّ ، وتَغمُرُ مِنحُهُ الجِسامُ ، رياضَ آمالِ الأفاضلِ الأعلامِ ، بكلِّ مَقامٍ ، أينَ جودُ الغَمامِ مِنْ جودِهِ العميمِ ؟! أم أينَ مِدرارُهُ مِنْ مِدرارِ كرمِهِ الجسيمِ ؟!

---

(١) انظر « خزانة الأدب » للحموي (١٦٧/٤) .

(٢) البيت من بحر البسيط .

مَـا نَـوَالُ ٱلْـغَـمَـامِ وَقْـتَ رَبِـيـعٍ	كَـنَـوَالِ ٱلْأَمِـيـرِ وَقْـتَ سَـخَـاءِ
فَـنَـوَالُ ٱلْأَمِـيـرِ بَـدْرَةُ مَـالٍ	وَنَـوَالُ ٱلْـغَـمَـامِ قَـطْـرَةُ مَـاءِ (١)

اللهمَّ ؛ خلِّدْ نفاذَ أرقامِ أقلامِهِ علىٰ صفحاتِ الأقاليمِ ما دامَ القلمُ الأعلىٰ ، ونفذْ مرادَ أعوانِ دولتِهِ بامتدادِ زمانِ صولتِهِ ما دامَتْ نقوشُ الأنقاسِ (٢) في صحائفِ القراطيسِ تُتلىٰ ، ومآثرُ السلاطينِ الكبارِ علىٰ صفحاتِ الأوراقِ تُروىٰ ، بحقِّ مَنْ نسخَ الكتبَ السالفةَ ولم يركَبْ بنانَهُ قلمٌ ، وهدى الحائرينَ إلىٰ أقومِ لَقَمٍ بعدَما وقبَ غواسقُ الظُّلَمِ) انتهتْ (٣) .

❋ ❋ ❋

---

(١) انظر « خزانة الأدب » للحموي (٢/٤٧٨) ، والبيتان من بحر مجزوء الخفيف .

(٢) **الأنقاس** : جمع نِقْس ؛ وهو المداد .

(٣) الرسالة القلمية (ق/٢٣٧ ـ ٢٣٨) ضمن مجموع .

السُّهولةُ

هٰذا النوعُ ربَّما تَخيَّلَ متخيِّلٌ الاستغناءَ عنهُ بالانسجامِ ، وبينَهُما بعدٌ ؛ **فالانسجامُ** : عبارةٌ عن سلاسةِ اللفظِ بحيثُ لا يَتعثَّرُ اللسانُ عندَ النطقِ بهِ ، سواءٌ كانَ غريباً أو أهليّاً ، وكانَ معناهُ خفيّاً أو جليّاً .

وأمَّا السُّهولةُ : فهيَ عبارةٌ عن كونِ الألفاظِ أهليَّةً أو قريبةً منها ، جليَّةَ المعاني ، سهلةَ المُتناوَلِ على الخاصَّةِ والعامَّةِ ، تُطمِعُ المُفحَمَ في أن يحاكيَها ، وتَقعُدُ بالماهرِ وقد أخذَهُ الطَّربُ عن أن يعانيَ أن يضاهيَها ، وإذا كانَتْ في كلامٍ . . فهوَ المعنيُّ باسمِ السَّهلِ المُمتنِعِ .

فمِنْ أمثلتِهِ : قولُ عربيٍّ (١) : [من الوافر]

أَلَيْسَ وَعَدْتَنِي يَا قَلْبُ أَنِّي ... إِذَا مَا تُبْتُ [عَنْ] لَيْلَىٰ تَتُوبُ
فَهَا أَنَا تَائِبٌ عَنْ حُبِّ لَيْلَىٰ ... فَمَا لَكَ كُلَّمَا ذُكِرَتْ تَذُوبُ

وللحكمِ بنِ عمرٍو الشاري (٢) : [من البسيط]

وَيْلِي عَلَىٰ مَنْ أَطَارَ ٱلنَّوْمَ وَٱمْتَنَعَا ... وَزَادَ قَلْبِي عَلَىٰ أَوْجَاعِهِ وَجَعَا
كَأَنَّمَا ٱلشَّمْسُ مِنْ أَعْطَافِهِ لَمَعَتْ ... حُسْناً أَوِ ٱلْبَدْرُ مِنْ أَزْرَارِهِ طَلَعَا
مُسْتَقْبِلٌ بِٱلَّذِي تَهْوَىٰ وَإِنْ كَثُرَتْ ... مِنْهُ ٱلذُّنُوبُ وَمَعْذُورٌ بِمَا صَنَعَا
فِي وَجْهِهِ شَافِعٌ يَمْحُو إِسَاءَتَهُ ... مِنَ ٱلْقُلُوبِ وَجِيهٌ حَيْثُمَا شَفَعَا

---

(١) انظر « أنوار الربيع » (٦/٢٧١) .
(٢) انظر « أنوار الربيع » (٦/٢٧١) .

ومِــنْ بـدائِـهِ أبـي الـفـتـحِ ابـنِ الأسـتـاذِ ابـنِ الـعـمـيـدِ وقـد جرىٰ فـي مـجـلـسِ أبـيـهِ إنـشـادُ أبـيـاتٍ اسـتـحـسـنـوا وزنَـهـا وطـرزَهـا ، أَوَّلُها [1] : [من المضارع]

لَـــئِـــنْ كَـــفَـــفْـــتَ وَإِلَّا شَـقَـقْـتُ مِـنْـكَ ثِـيَـابِـي

وأبو الفتحِ مصغٍ إليهم وهوَ في حداثةِ سِنِّهِ . . قولُهُ : [من المضارع]

يَـا مُـولَـعـاً بِـعَـذَابِـي أَمَـا رَحِـمْـتَ شَـبَـابِـي
تَـرَكْـتَ قَـلْـبِـي جَـرِيـحـاً نَـهْـبَ ٱلْأَسَـىٰ وَٱلـتَّـصَـابِـي
إِنْ كُـنْـتَ تُـنْـكِـرُ مَـا بِـي مِـنْ لَـوْعَـتِـي وَٱكْـتِـئَـابِـي
فَـٱرْفَـعْ قَـلِـيـلاً قَـلِـيـلاً عَـنِ ٱلْـعِـظَـامِ ثِـيَـابِـي

ولأبي الفرجِ المعروفِ بالوأواءِ الدمشقيِّ [2] : [من البسيط]

بِٱللهِ رَبِّكُمَا عُوجَا عَلَىٰ سَكَنِي وَعَاتِبَاهُ لَعَلَّ ٱلْعَتْبَ يَعْطِفُهُ
وَعَرِّضَا بِي وَقُولَا فِي حَدِيثِكُمَا مَا بَالُ عَبْدِكَ بِٱلْهِجْرَانِ تُتْلِفُهُ
فَإِنْ بَدَا لَكُمَا مِنْ سَيِّدِي غَضَبٌ فَغَالِطَاهُ وَقُولَا لَيْسَ نَعْرِفُهُ
وَإِنْ تَبَسَّمَ قُولَا فِي مُلَاطَفَةٍ مَا ضَرَّ لَوْ بِوِصَالٍ مِنْكَ تُسْعِفُهُ

ولمُؤيَّدِ الدَّولةِ أسامةَ بنِ مرشدٍ [3] : [من الوافر]

شَكَا أَلَمَ ٱلْفِرَاقِ ٱلنَّاسُ قَبْلِي وَرُوِّعَ بِٱلنَّوَىٰ حَيٌّ وَمَيْتُ
وَأَمَّا مِثْلُ مَا ضَمَّتْ ضُلُوعِي فَإِنِّي مَا سَمِعْتُ وَلَا رَأَيْتُ

---

(١) انظر « معاهد التنصيص » (٢/١٢٥ ـ ١٢٦) .
(٢) انظر « ديوان الوأواء الدمشقي » (ص ١٤٦) .
(٣) انظر « أنوار الربيع » (٦/٢٧٦) .

[من نسيمِ شعرِ البهاءِ زهيرٍ]

وهٰذا النوعُ يَتفِقُ للشعراءِ اتفاقاً ، ولا يكونُ شعرُ شاعرٍ كلُّهُ علىٰ هٰذا النمطِ ، خلا الصاحبَ بهاءَ الدِّينِ زهيراً المصريَّ ؛ فإنَّهُ قدِ انقادَ لهُ هٰذا النوعُ انقياداً في سائرِ شعرِهِ ، كأنَّكَ عندَ استماعِهِ في محادثةِ إنسانٍ ظريفٍ مِنْ لطفاءِ المصريِّينَ ، وهوَ وإن كانَ ديوانُهُ مشهوراً في الأيدي لا أحبُّ أن أخليَ الكتابَ مِنْ تحليتِهِ ببعضِ فرائدِهِ ، فمِنْ نسيمِ شعرِهِ قولُهُ (١) : [من مجزوء الرمل]

وَمُــــدَامٍ مِـــنْ رُضَـــابٍ ... بِـحَـبَـابٍ مِـنْ ثَـنَـايَـا
كَـانَ مَـا كَـانَ وَمِـنْـهُ ... بَـعْـدُ فِـي ٱلـنَّـفْـسِ بَـقَـايَـا

ومنهُ (٢) : [من مجزوء الرمل]

إِنَّ أَمْــرِي لَـعَـجِـيـبٌ ... مَـا يُـرَىٰ أَعْـجَـبُ مِـنْـهُ
كُـلُّ أَرْضٍ لِـيَ فِـيـهَـا ... غَـائِـبٌ أَسْـأَلُ عَـنْـهُ

ومنهُ (٣) : [من المجتث]

شَـوْقِـي إِلَـيْـكَ شَـدِيـدُ ... كَـمَـا عَـلِـمْـتَ وَأَزْيَـدْ
وَكَـيْـفَ تُـنْـكِـرُ شَـيْـئـاً ... بِـهِ ضَـمِـيـرُكَ يَـشْـهَـدْ

ومنهُ (٤) : [من السريع]

أَوْحَـشْـتَـنِـي وَٱللهِ يَـا مَـالِـكِـي ... قَـطَـعْـتُ يَـوْمِـي كُـلَّـهُ لَـمْ أَرَكْ

---

(١) انظر « ديوان البهاء زهير » (ص ٢٩٥) .
(٢) انظر « ديوان البهاء زهير » (ص ٢٦٣ ـ ٢٦٤) .
(٣) انظر « ديوان البهاء زهير » (ص ٨٨) .
(٤) انظر « ديوان البهاء زهير » (ص ١١٧) .

هَـٰذَا جَـفَـاءٌ مِـنْـكَ مَـا ٱعْـتَـدْتُـهُ ... فَـلَـيْـتَـنِـي أَعْـرِفُ مَـنْ غَـيَّـرَكْ

ومنهُ[1] : [من مجزوء الرمل]

سَـيِّـدِي قَـلْـبِـيَ عِـنْـدَكْ ... سَـيِّـدِي أَوْحَـشْـتَ عَـبْـدَكْ
أَتُـرَىٰ تَـذْكُـرُ عَـهْـدِي ... مِـثْـلَـمَـا أَذْكُـرُ عَـهْـدَكْ
أَتُـرَىٰ تَـحْـفَـظُ وُدِّي ... مِـثْـلَـمَـا أَحْـفَـظُ وُدَّكْ
قُـمْ بِـنَـا إِنْ شِـئْـتَ عِـنْـدِي ... مُـسْـرِعـاً أَوْ شِـئْـتَ عِـنْـدَكْ
أَنَـا فِـي دَارِيَ وَحْـدِي ... فَـتَـفَـضَّـلْ أَنْـتَ وَحْـدَكْ

ومنهُ[2] : [من المجتث]

هَـٰذَا كِـتَـابُ مُـحِـبٍّ ... قَـدْ زَادَ فِـيـكَ غَـرَامُـهْ
أَضْـنَـاهُ فَـرْطُ ٱشْـتِـيَـاقٍ ... فَـرَقَّ حَـتَّـىٰ كَـلاَمُـهْ
أَمَـا تَـرَىٰ كَـيْـفَ أَضْـحَـىٰ ... مِـثْـلَ ٱلـنَّـسِـيـمِ سَـلاَمُـهْ

ومنهُ[3] : [من المنسرح]

كَـلَّـمَـنِـي وَٱلْـمُـدَامُ فِـي فَـمِـهِ ... قَـدْ نَـفَـحَـتْ مِـنْ حَـبَـابِ مَـبْـسَـمِـهِ
وَمَـاسَ كَـٱلْـغُـصْـنِ فِـي تَـمَـايُـلِـهِ ... سَـكْـرَانُ يَـشْـتَـطُّ فِـي تَـحَـكُّـمِـهِ
بِـٱللهِ يَـا بَـرْقُ هَـلْ تُـحَـدِّثُـهُ ... عَـنْ نَـارِ وَجْـدِي وَعَـنْ تَـضَـرُّمِـهِ
وَهَـلْ نَـسِـيـمٌ سَـرَىٰ يُـبَـلِّـغُـهُ ... رِسَـالَـةً مِـنْ فَـمِـي إِلَـىٰ فَـمِـهِ

---

(١) انظر « ديوان البهاء زهير » (ص ٨٦) .
(٢) انظر « ديوان البهاء زهير » (ص ٢٣٤) .
(٣) انظر « ديوان البهاء زهير » (ص ٢٣٨) .

عَجِبْتُ مِنْ بُخْلِهِ عَلَيَّ وَمَا ... يَذْكُرُهُ ٱلنَّاسُ مِنْ تَكَرُّمِهِ
هُمْ عَلَّمُوهُ فَصَارَ يَهْجُرُنِي ... رَبِّ خُذِ ٱلْحَقَّ مِنْ مُعَلِّمِهِ

ومنهُ[(١)]: [من الوافر]

كَتَبْتُ إِلَيْكَ أَشْكُو فِي كِتَابِي ... أُمُوراً مِنْ فِرَاقِكَ أَشْتَكِيهَا
وَفِي سُوقِ ٱلْهَوَانِ عَرَضْتُ نَفْسِي ... رَخِيصاً لَمْ أَجِدْ مَنْ يَشْتَرِيهَا
فَهَلْ وَعْدٌ إِلَىٰ سَنَةٍ فَإِنْ لَمْ ... يَكُنْ فِيهَا يَكُنْ فِيمَا يَلِيهَا
وَقَدْ أَنْهَيْتُ مِنْ شَوْقِي فُصُولاً ... لِمَوْلَانَا عُلُوُّ ٱلرَّأْيِ فِيهَا

ومنهُ[(٢)]: [من المجتث]

مَلَكْتُمُونِي رَخِيصاً ... فَٱنْحَطَّ قَدْرِي لَدَيْكُمْ
فَأَغْلَقَ ٱللهُ بَاباً ... دَخَلْتُ مِنْهُ إِلَيْكُمْ
حَتَّىٰ وَلَا كَيْفَ أَنْتُمْ ... وَلَا ٱلسَّلَامُ عَلَيْكُمْ

ومنهُ[(٣)]: [من مجزوء الخفيف]

أَنَا أَدْرِي بِأَنَّنِي ... قَلَّ قَسْمِي لَدَيْكُمُ
فَإِلَىٰ كَمْ تَطَلُّعِي ... وَٱلْتِفَاتِي إِلَيْكُمُ
كَانَ مَا كَانَ بَيْنَنَا ... وَسَلَامٌ عَلَيْكُمُ

ومنهُ[(٤)]: [من المجتث]

---

(١) انظر « ديوان البهاء زهير » (ص ٢٨٩) .
(٢) انظر « ديوان البهاء زهير » (ص ٣٠٠ ـ ٣٠١) .
(٣) انظر « ديوان البهاء زهير » (ص ١٩٧ ـ ١٩٨) .
(٤) انظر « ديوان البهاء زهير » (ص ٢٨١) .

أَمَــــا تَـــــقَـــــرَّرَ أَنَّــــا   فَــلِــمْ تَــأَخَّــرْتَ عَــنَّــا
وَمَـــا ٱلَّــــذِي كَــــانَ حَــتَّــــىٰ   حَــلَــلْــتَ مَــا قَــدْ عَــقَــدْنَــا
وَلَـــمْ يَـــكُـــنْ لَـــكَ عُـــذْرٌ   وَلَــوْ يَــكُــونُ عَــلِــمْــنَــا
فَـــلَا تَـــلُـــمْـــنَـــا فَـــإِنَّـــا   قُــلْــنَــا وَقُــلْــنَــا وَقُــلْــنَــا

ومنهُ (١) : [من الرمل]

قَـالَ مَـا تَـرْجِـعُ عَـنِّـي قُـلْـتُ لَا   قَالَ مَا تَطْلُبُ مِنِّي قُلْتُ شَيّْ
فَـٱنْـثَـنَـىٰ يَـحْـمَـرُّ مِـنِّـي خَـجِـلاً   وَثَـنَـاهُ ٱلـتِّـيـهُ عَـنِّـي لَا إِلَـيّْ
كِـدْتُ بَـيْـنَ ٱلـنَّـاسِ أَنْ أَلْـثِـمَـهُ   آهُ لَـوْ أَفْـعَـلُ مَـا كَـانَ عَـلَـيّْ

ومنهُ (٢) : [من مجزوء الكامل]

قَـالُـوا كَـبِـرْتَ عَـنِ ٱلـصِّـبَـا   وَقَـطَـعْـتَ تِـلْـكَ ٱلـنَّـاحِـيَـهْ
فَـــدَعِ ٱلـــصِّـــبَـــا لِـــرِجَـــالِـــهِ   وَٱخْـلَـعْ ثِـيَـابَ ٱلْـعَـارِيَـهْ
وَنَـــعَـــمْ كَـــبِـــرْتُ وَإِنَّـــمَـــا   تِـلْـكَ ٱلـشَّـمَـائِـلُ بَـاقِـيَـهْ
وَيُـمِـيـلُـنِـي نَـحْـوَ ٱلـصِّـبَـا   قَـلْـبٌ رَقِـيـقُ ٱلْـحَـاشِـيَـهْ
فِـيـهِ مِـنَ ٱلـطَّـرَبِ ٱلْـقَـدِيـ   ـمِ بَـقِـيَّـةٌ فِـي ٱلـزَّاوِيَـهْ

ومنهُ (٣) : [من مجزوء الكامل]

مَـنْ لِـي بِـقَـلْـبٍ أَشْـتَـرِيـ   ـهِ مِـنَ ٱلْـقُـلُـوبِ ٱلْـقَـاسِـيَـهْ
وَإِلَـيْـكَ يَـا مَـلِـكَ ٱلْـمِـلَا   حِ وَقَـفْـتُ أَشْـكُـو حَـالِـيَـهْ

---

(١) انظر « ديوان البهاء زهير » (ص ٣٠٢) .
(٢) انظر « ديوان البهاء زهير » (ص ٢٩٥ ـ ٢٩٦) .
(٣) انظر « ديوان البهاء زهير » (ص ٢٩٧ ـ ٢٩٨) .

إِنِّـــي لأَطْـــلُـــبُ حَـــاجَـــةً ... لَـيْـسَـتْ عَـلَـيْـكَ بِـخَـافِـيَـهْ
أَنْــعِــمْ عَــلَــيَّ بِــقُــبْـلَـةٍ ... هِـــبَـــةً وَإِلَّا عَـــارِيَـــهْ
وَأُعِـــيـــدُهَـــا لَـــكَ لَا عَـــدِمْــ ... ــتُ بِـعَـيْـنِـهَـا وَكَـمَـا هِـيَـهْ
وَإِذَا أَرَدْتَ زِيَـــــــــادَةً ... خُـــذْهَـــا وَنَـــفْـــسِـــي رَاضِـــيَـــهْ

ومنهُ[1] : [من مجزوء الخفيف]

إِنْ شَـكَـا ٱلْـقَـلْـبُ هَـجْـرَكُـمْ ... مَـــهَّـــدَ ٱلْـــحُـــبُّ عُـــذْرَكُـــمْ
لَـــوْ أَمَـــرْتُـــمْ بِـــمَـــا عَـــسَـــىٰ ... مَـــا تَـــعَـــدَّيْـــتُ أَمْـــرَكُـــمْ
قَـــصِّـــرُوا عُـــمْـــرَ ذَا ٱلْـــجَـــفَـــا ... طَـــوَّلَ ٱللهُ عُـــمْـــرَكُـــمْ
شَـــرِّفُـــونِـــي بِـــزَوْرَةٍ ... شَـــرَّفَ ٱللهُ قَـــدْرَكُـــمْ
كُـــنْـــتُ أَرْجُـــو بِـــأَنَّـــكُـــمْ ... شَـــهْـــرُكُـــمْ لِـــي وَدَهْـــرُكُـــمْ
قَـــدْ نَـــسِـــيـــتُـــمْ وَإِنَّـــمَـــا ... أَنَـــا لَـــمْ أَنْـــسَ ذِكْـــرَكُـــمْ
لَـــوْ رَأَيْـــتُـــمْ مَـــحَـــلَّـــكُـــمْ ... مِـــنْ فُـــؤَادِي لَـــسَـــرَّكُـــمْ
لَـــوْ وَصَـــلْـــتُـــمْ مُـــحِـــبَّـــكُـــمْ ... مَـــا ٱلَّـــذِي كَـــانَ ضَـــرَّكُـــمْ

ومنهُ[2] : [من المجتث]

تَـــعِـــيـــشُ أَنْـــتَ وَتَـــبْـــقَـــىٰ ... أَنَـــا ٱلَّـــذِي مِـــتُّ عِـــشْـــقَـــا
حَـــاشَـــاكَ يَـــا نُـــورَ عَـــيْـــنِـــي ... تَـــلْـــقَـى ٱلَّـــذِي أَنَـــا أَلْـــقَـــىٰ
وَلَـــمْ أَجِـــدْ بَـــيْـــنَ مَـــوْتِـــي ... وَبَـــيْـــنَ هَـــجْـــرِكَ فَـــرْقَـــا

---

(١) انظر « ديوان البهاء زهير » (ص ١٢٠ ـ ١٢١) .
(٢) انظر « ديوان البهاء زهير » (ص ١٨٧) .

يَـــا أَنْـــعَـــمَ ٱلـــنَّـــاسِ بَـــالاً إِلَـىٰ مَـتَـىٰ فِـيـكَ أَشْـقَـىٰ
سَـمِـعْـتُ عَـنْـكَ حَـدِيـثـاً يَـــا رَبِّ لَا كَـــانَ صِـــدْقَـــا
وَمَـــا عَـــهِـــدْتُـــكَ إِلَّا مِـــنْ أَكْـرَمِ ٱلـنَّـاسِ خُـلْـقَـا
لَـــكَ ٱلْـــحَـــيَـــاةُ فَـــإِنِّـــي أَمُـــوتُ لَا شَـــكَّ حَـــقَّـــا
يَـــا أَلْـــفَ مَـــوْلَايَ مَـــهْـــلاً يَـــا أَلْـــفَ مَـــوْلَايَ رِفْـــقَـــا
قَـــدْ كَـــانَ مَـــا كَـــانَ مِـــنِّـــي وَٱللَّهُ خَـــيْـــرٌ وَأَبْـــقَـــىٰ

❋ ❋ ❋

الإدماجُ

هوَ أن يكونَ آخذاً في معنىً ، فيَهتِفُ منهُ بمعنىً آخَرَ مِنْ غيرِ إشعارٍ بالقصدِ إليهِ ؛ كقولِ أبي الطيبِ في استطالةِ اللَّيلِ[١] : [من الوافر]

أُقَلِّبُ فِيهِ أَجْفَانِي كَأَنِّي أَعُدُّ بِهَا عَلَى ٱلدَّهْرِ ٱلذُّنُوبَا

فقد أدمجَ فيهِ الشَّكوىٰ مِنَ الدَّهرِ .

وكقولِ الصَّاحبِ ابنِ عبادٍ مِنْ إدماجِ الفخرِ في مدحِ ابنِ العميدِ بهٰذهِ القصيدةِ النفيسةِ[٢] : [من الخفيف]

مَنْ لِقَلْبٍ يَهِيمُ فِي كُلِّ وَادِي وَقَتِيلٍ لِلْحُبِّ مِنْ غَيْرِ وَادِي
إِنَّمَا أَذْكُرُ ٱلْغَوَانِيَ وَٱلْمَقْـ ـصِدُ سُعْدَىٰ مُكَثِّراً لِلسَّوَادِ
وَإِذَا مَا صَدَقْتُ فَهْيَ مَرَامِي وَمُرَادِي وَرَوْضَتِي وَمَرَادِي
وَنَدَى ٱبْنِ ٱلْعَمِيدِ إِنِّي عَمِيدٌ مِنْ هَوَاهَا أَلِيَّةَ ٱلْأَمْجَادِ
لَوْ دَرَى ٱلدَّهْرُ أَنَّهُ مِنْ بَنِيهِ لَٱزْدَرَىٰ قَدْرَ سَائِرِ ٱلْأَوْلَادِ
وَرَأَى ٱلنَّاسُ كَيْفَ يَهْتَزُّ لِلْجُو دِ لَمَا عَدَّدُوهُ فِي ٱلْأَطْوَادِ
أَيُّهَا ٱلْآمِلُونَ حُطُّوا سَرِيعاً بِرَفِيعِ ٱلْعِمَادِ وَارِي ٱلزِّنَادِ
فَهْوَ إِنْ جَادَ ذُمَّ حَاتِمُ طَيٍّ وَهْوَ إِنْ قَالَ [فُلَّ] قُسَّ إِيَادِ
وَإِذَا مَا ٱرْتَأَىٰ فَأَيْنَ زِيَادٌ مِنْ دَهَاهُ وَأَيْنَ آلُ زِيَادِ
أَقْبَلَ ٱلْعِيدُ يَسْتَعِيرُ حُلَاهُ مِنْ عُلَاهُ ٱلْعَزِيزَةِ ٱلْأَنْدَادِ

---

(١) انظر « ديوان المتنبي » (ص ١٥٢) .

(٢) انظر « ديوان الصاحب ابن عباد » (ص ٢٠٧ ـ ٢٠٨) .

سَيُضَحِّي فِيهِ بِمَنْ لَا يُوَالِيـ ... ـهِ وَيَبْقَىٰ بَقِيَّةُ ٱلْأَعْيَادِ

وَمَدِيحِي إِنْ لَمْ يَكُنْ طَالَ أَبْيَا ... تاً فَقَدْ طَالَ فِي مَجَالِ ٱلْجِيَادِ

إِنَّ خَيْرَ ٱلْمُدَّاحِ مَنْ مَدَحَتْهُ ... شُعَرَاءُ ٱلْبِلَادِ فِي كُلِّ نَادِ

ألمَّ في هٰذا البيتِ الأخيرِ ـ وفيهِ الشاهدُ ـ بقولِ يزيدَ بنِ محمدٍ المُهلَّبيِّ [1] : [من الخفيف]

إِنْ أَكُنْ مُهْدِياً لَكَ ٱلشِّعْرَ إِنِّي ... لَٱبْنُ بَيْتٍ تُهْدَىٰ لَهُ ٱلْأَشْعَارُ

❋ ❋ ❋

(١) انظر « أنوار الربيع » (٢٨٢/٦) .

حسنُ البيانِ

هوَ كونُ العبارةِ وافيةً بمقصودِها دونَ استعانةٍ بتأويلٍ وإرادةٍ مُجرَّدةٍ عن كلِّ ما ليسَ لهُ دَخْلٌ في خُلاصةِ المقصودِ ، ويكفيكَ شاهداً لذٰلكَ قولُ عَرابةَ الأوسيِّ وقد قالَ لهُ معاويةُ رضيَ اللهُ عنهُ : بمَ استحققتَ قولَ الشَّمَّاخِ فيكَ [1] : [من الوافر]

رَأَيْتُ عَرَابَةَ ٱلْأَوْسِيَّ يَسْمُو ... إِلَى ٱلْخَيْرَاتِ مُنْقَطِعَ ٱلْقَرِينِ

إِذَا مَا رَايَةٌ رُفِعَتْ لِمَجْدٍ ... تَلَقَّاهَا عَرَابَةُ بِٱلْيَمِينِ

وبمَ سُدتَ قومَكَ ؟ قالَ : واللهِ ؛ ما أنا بأكرمِهِم حَسَباً ، ولا بأفضلِهِم نَسَباً ، ولٰكنْ أُعرِضُ عن جاهلِهِم ، وأسمحُ لسائلِهِم ؛ فمَنْ عملَ مثلَ عملي . . فهوَ مثلي ، ومَنْ زادَ . . فهوَ أفضلُ منِّي ، ومَنْ قَصَّرَ . . فإنِّي أفضلُ منهُ .

وقولِ بعضِ العربِ مِنَ الشعرِ [2] : [من الطويل]

وَإِنِّي مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ هُمُ هُمُ ... إِذَا مَاتَ مِنْهُمْ سَيِّدٌ قَامَ صَاحِبُهْ

نُجُومُ سَمَاءٍ كُلَّمَا ٱنْقَضَّ كَوْكَبٌ ... بَدَا كَوْكَبٌ تَأْوِي إِلَيْهِ كَوَاكِبُهْ

أَضَاءَتْ لَهُمْ أَحْسَابُهُمْ وَوُجُوهُهُمْ ... دُجَى ٱللَّيْلِ حَتَّىٰ نَظَّمَ ٱلْجَذْعَ ثَاقِبُهْ

وَمَا زَالَ مِنْهُمْ حَيْثُ كَانُوا مُسَوَّدٌ ... تَسِيرُ ٱلْمَنَايَا حَيْثُ سَارَتْ رَكَائِبُهْ

❋ ❋ ❋

(١) انظر « ديوان الشماخ الذبياني » رضي الله عنه (ص ٣٣٥ ـ ٣٣٦) ، وانظر الخبر في « أنوار الربيع » (٢٩٢/٦) .

(٢) انظر « أنوار الربيع » (٢٩١/٦) .

العقدُ والحلُّ

الأوَّلُ : نظمُ المنثورِ .

والثاني : نثرُ المنظومِ .

فالأوَّلُ : كقولِهِ [١] : [من البسيط]

إِنَّ ٱلْـقُـلُـوبَ لَأَجْـنَـادٌ مُـجَـنَّـدَةٌ ... بِـٱلْإِذْنِ مِـنْ رَبِّـهَـا تَـهْـوَىٰ وَتَـأْتَـلِـفُ

فَـمَـا تَـعَـارَفَ مِـنْـهَـا فَـهْـوَ مُـؤْتَـلِـفٌ ... وَمَـا تَـنَـاكَـرَ مِـنْـهَـا فَـهْـوَ مُـخْـتَـلِـفُ

عقدَ قولَهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « ٱلْأَرْوَاحُ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ ؛ مَا تَعَارَفَ مِنْهَا . . ٱئْتَلَفَ ، وَمَا تَنَاكَرَ مِنْهَا . . ٱخْتَلَفَ » [٢] ، ومنهُ تَعرِفُ أَنَّهُ لا يلزمُ الإتيانُ بجميعِ ألفاظِ المعقودِ .

وكقولِ أبي الطيبِ [٣] : [من الكامل]

اَلظُّلْمُ مِنْ شِيَمِ ٱلنُّفُوسِ فَإِنْ تَجِدْ ... ذَا عِـفَّـةٍ فَـلِـعِـلَّـةٍ لَا يَـظْـلِـمُ

عقدَ فيهِ قولَ حكيمٍ : الظُّلمُ مِنْ طباعِ النفوسِ ، وإنَّما يَصُدُّها عنهُ إحدىٰ عِلَّتينِ : دينيةٌ ؛ وهيَ خوفُ المَعادِ ، أو سياسةٌ ؛ وهيَ خوفُ القتلِ .

وكقولِ أبي تمامٍ في التعزيةِ [٤] : [من الطويل]

أَتَـصْـبِـرُ لِـلْـبَـلْـوَىٰ عَـزَاءً وَحِـسْـبَـةً ... فَـتُـؤْجَـرَ أَمْ تَـسْـلُـو سُـلُـوَّ ٱلْـبَـهَـائِـمِ

---

(١) انظر « أنوار الربيع » (٦/٣٠٥) .
(٢) أخرجه البخاري (٣٣٣٦) عن أم المؤمنين سيدتنا عائشة رضي الله عنها .
(٣) انظر « ديوان المتنبي » (ص ٤٢٨) .
(٤) انظر « ديوان أبي تمام » (٣/٢٥٩) .

عقدَ قولَ عليٍّ رضيَ اللهُ عنهُ للأشعثِ : أن تصبرَ صبرَ الأحرارِ ، وإلَّا . . سلوتَ سُلُوَّ البهائمِ .

❊ ❊ ❊

والثاني : كقولِ بعضِ المغاربةِ : فلمَّا قَبُحَتْ فَعَلاتُهُ ، وحنظلَتْ نَخَلاتُهُ . . لم يَزَلْ سوءُ الظَّنِّ يَقتادُهُ ، ويُصدِّقُ تَوَهُّمَهُ الذي يَعتادُهُ ، حلَّ فيهِ قولَ أبي الطيبِ [1] : [من الطويل]

إِذَا سَاءَ فِعْلُ ٱلْمَرْءِ سَاءَتْ ظُنُونُهُ وَصَدَّقَ مَا يَعْتَادُهُ مِنْ تَوَهُّمِ

❊ ❊ ❊

---

(١) انظر « ديوان المتنبي » (ص ٣٤٧) .

التشطيرُ

هوَ أن يَسجَعَ كلّاً مِنْ شطرَيِ البيتِ بسجعتَينِ تخالفُ الأُوليانِ الثانيتَينِ ؛ كقولِ أبي تمامٍ[1] : [من البسيط]

تَـدْبِـيـرُ مُـعْـتَـصِـمٍ بِـٱللهِ مُـنْـتَـقِـمٍ ‌ ‌ ‌ لِلهِ مُـرْتَـغِـبٍ فِـي ٱللهِ مُـرْتَـقِـبِ

* * *

(١) انظر « ديوان أبي تمام » (١/٥٨) .

براعةُ المطلبِ

هوَ أحدُ المواضعِ الأربعةِ التي سلفَ أنَّهُ ينبغي للمُتكلِّمِ الاعتناءُ بها ، والاجتهادُ في تحسينِها[1] ؛ وذٰلكَ بأن يكونَ الطَّلبُ خالياً مِنَ الضَّراعةِ إلَّا في الطَّلبِ مِنَ اللهِ جلَّ وعلا ، ومِنَ الإلحاحِ ، **وأحسنُ ما استُشهِدَ به لهٰذا النوعِ** : قولُ أبي الطيبِ[2] : [من الطويل]

إِذَا سَأَلَ ٱلْإِنْسَانُ أَيَّامَهُ ٱلْغِنَىٰ ... وَكُنْتَ عَلَىٰ بُعْدٍ جَعَلْتُكَ مَوْعِدَا

وَقَيَّدْتُ نَفْسِي فِي هَوَاكَ مَحَبَّةً ... وَمَنْ وَجَدَ ٱلْإِحْسَانَ قَيْداً تَقَيَّدَا

وقولُهُ[3] : [من الطويل]

وَكُلُّ ٱمْرِئٍ يُولِي ٱلْجَمِيلَ مُحَبَّبٌ ... وَكُلُّ مَكَانٍ يُنْبِتُ ٱلْعِزَّ طَيِّبُ

ولا أرىٰ مثلَ قولِهِ[4] : [من الطويل]

وَفِي ٱلنَّفْسِ حَاجَاتٌ وَفِيكَ فَطَانَةٌ ... سُكُوتِي كَلَامٌ عِنْدَهَا وَخِطَابُ

وما هوَ أصرحُ مِنْ ذٰلكَ . . أولىٰ أَلَّا يكونَ مِنْ براعةِ الطَّلبِ وإن أوردوهُ مِنْ شواهدِهِ ؛ حيثُ كانَ ينبغي أن يكونَ الطَّلبُ تلميحاً وإشارةً ، لا تصريحاً وعبارةً ، فحَسْبُ الطالبِ : أن يُجزِلَ الثناءَ علىٰ مَنْ يَقصِدُهُ ، ثمَّ يصفَ نفسَهُ بالصَّبرِ وأنفةِ الشَّكوىٰ واحتمالِ الأيامِ ، وأنَّهُ قد وصلَ إلىٰ موئلٍ منها وحمىً مِنْ حوادثِها ، وأمثالُ ذٰلكَ مِنَ المعاني ، مختاراً لهُ العباراتِ .

❋ ❋ ❋

---

(١) انظر (٢/١٢٣) .

(٢) انظر « ديوان المتنبي » (ص ٢٨٢) .

(٣) انظر « ديوان المتنبي » (ص ٣٥٤) .

(٤) انظر « ديوان المتنبي » (ص ٣٦٣) .

براعةُ الانتهاءِ ويُقالُ : حسنُ الختامِ

وهوَ عبارةٌ عن كونِ آخِرِ الكلامِ نظماً كانَ أو نثراً مُتميّزَ الحسنِ ، رائعَ الجودةِ ، مُشعِراً بالانتهاءِ ، يَحسُنُ السكوتُ عليهِ ؛ فإنَّهُ آخِرُ ما يصلُ إلى السمعِ ، ويبلغُ النفسَ ، ويَتعلَّقُ بهِ الحفظُ ؛ كقولِ أبي الطيبِ : [من الرجز]

إِذَا بَقِيتَ سَالِماً أَبَا عَلِيّْ فَٱلْمُلْكُ لِلهِ ٱلْعَلِيِّ ثُمَّ لِي

وتأمَّلْ في ذٰلكَ خواتمَ السُّورِ الشريفةِ . . تجدْها منهُ في أرفعِ رتبةٍ وأكملِ صفةٍ .

* * *

فنّا العَروض والقافية

العَروضُ

هوَ فنٌّ معرفةِ الموازينِ التي كانَتْ شعراءُ العربِ تَزِنُ بها أشعارَها ، فإنَّ الشعرَ كما عرفتَ كلامٌ موزونٌ مُقفّىً .

[البحورُ الستةَ عشرَ]

وتلكَ الموازينُ بشهادةِ الاستقراءِ ستةَ عشرَ ، وسمَّاها ناقلوها : **بحوراً** ، لكلِّ واحدٍ اسمٌ يَخُصُّهُ :

الأولُ : **الطَّويلُ** ؛ وأجزاؤُهُ ثمانيةٌ :

فَعُولُنْ مَفَاعِيلُنْ فَعُولُنْ مَفَاعِيلُنْ فَعُولُنْ مَفَاعِيلُنْ فَعُولُنْ مَفَاعِيلُنْ

الثاني : **المديدُ** ؛ وأجزاؤُهُ ستةٌ :

فَاعِلَاتُنْ فَاعِلُنْ فَاعِلَاتُنْ فَاعِلَاتُنْ فَاعِلُنْ فَاعِلَاتُنْ

الثالثُ : **البسيطُ** ؛ وأجزاؤُهُ ثمانيةٌ :

مُسْتَفْعِلُنْ فَاعِلُنْ مُسْتَفْعِلُنْ فَاعِلُنْ مُسْتَفْعِلُنْ فَاعِلُنْ مُسْتَفْعِلُنْ فَاعِلُنْ

الرابعُ : **الكاملُ** ؛ وأجزاؤُهُ ستةٌ :

مُتَفَاعِلُنْ مُتَفَاعِلُنْ مُتَفَاعِلُنْ مُتَفَاعِلُنْ مُتَفَاعِلُنْ مُتَفَاعِلُنْ

الخامسُ : **الوافرُ** ؛ وأجزاؤُهُ ستةٌ :

مُفَاعَلَتُنْ مُفَاعَلَتُنْ فَعُولُنْ مُفَاعَلَتُنْ مُفَاعَلَتُنْ فَعُولُنْ

السادسُ : **الرَّجَزُ** ؛ وأجزاؤُهُ ستةٌ :

مُسْتَفْعِلُنْ مُسْتَفْعِلُنْ مُسْتَفْعِلُنْ مُسْتَفْعِلُنْ مُسْتَفْعِلُنْ مُسْتَفْعِلُنْ

السابعُ : **الهَزَجُ** ؛ وأجزاؤُهُ :

مَـفَـاعِـيـلُـنْ مَـفَـاعِـيـلُـنْ مَـفَـاعِـيـلُـنْ مَـفَـاعِـيـلُـنْ

الثامنُ : **الرَّمَلُ** ؛ وأجزاؤُهُ :

فَـاعِـلَاتُـنْ فَـاعِـلَاتُـنْ فَـاعِـلَاتُـنْ فَـاعِـلَاتُـنْ فَـاعِـلَاتُـنْ فَـاعِـلَاتُـنْ

التاسعُ : **السريعُ** ؛ وأجزاؤُهُ :

مُـسْـتَـفْـعِـلُـنْ مُـسْـتَـفْـعِـلُـنْ فَـاعِـلُـنْ مُـسْـتَـفْـعِـلُـنْ مُـسْـتَـفْـعِـلُـنْ فَـاعِـلُـنْ

العاشرُ : **المُنسرِحُ** ؛ وأجزاؤُهُ :

مُسْتَفْعِلُنْ مَفْعُولَاتُ (دونَ تنوينٍ) مُسْتَفْعِلُنْ مُـسْـتَـفْـعِـلُـنْ مَـفْـعُـولَاتُ مُـسْـتَـفْـعِـلُـنْ

الحاديَ عشرَ : **الخفيفُ** ؛ وأجزاؤُهُ :

فَـاعِـلَاتُـنْ مُـسْـتَـفْـعِ لُـنْ فَـاعِـلَاتُـنْ فَـاعِـلَاتُـنْ مُـسْـتَـفْـعِ لُـنْ فَـاعِـلَاتُـنْ

الثانيَ عشرَ : **المُضارعُ** ؛ وأجزاؤُهُ :

مَفَاعِيلُ (دونَ تنوينٍ) فَاعِ لَاتُـنْ مَـفَـاعِـيـلُ فَـاعِ لَاتُـنْ

الثالثَ عشرَ : **المُقتضَبُ** ؛ وأجزاؤُهُ :

فَاعِلَاتُ (دونَ تنوينٍ) مُفْتَعِلُنْ فَـاعِـلَاتُ مُـفْـتَـعِـلُـنْ

الرابعَ عشرَ : **المُجتثُّ** ؛ وأجزاؤُهُ :

مُـسْـتَـفْـعِ لُـنْ فَـاعِـلَاتُـنْ مُـسْـتَـفْـعِ لُـنْ فَـاعِـلَاتُـنْ

الخامسَ عشرَ : **المُتقارِبُ** ؛ وأجزاؤُهُ :

فَـعُـولُـنْ فَـعُـولُـنْ فَـعُـولُـنْ فَـعُـولُـنْ فَـعُـولُـنْ فَـعُـولُـنْ فَـعُـولُـنْ فَـعُـولُـنْ

السادسَ عشرَ : **المُتدارِكُ** ؛ وأجزاؤُهُ :

فَـاعِـلُـنْ فَـاعِـلُـنْ فَـاعِـلُـنْ فَـاعِـلُـنْ   فَـاعِـلُـنْ فَـاعِـلُـنْ فَـاعِـلُـنْ فَـاعِـلُـنْ

[بعضُ مصطلحاتِ العروضِ]

هـٰذا ؛ والجزءُ الأخيرُ مِنَ الشطرِ الأولِ يُسمَّىٰ : **عَروضاً** ، ومِنَ الثاني يُسمَّىٰ : **ضرباً** ، ويُسمَّى الشطرُ : **مِصراعاً** .

ولهـٰذهِ الأجزاءِ تجزئةٌ إلىٰ مجموعاتٍ مِنْ أحرفٍ ، لكلِّ مجموعٍ اسمٌ ؛ فالمجموعُ مِنْ مُتحرِّكٍ وساكنٍ يُسمَّىٰ : **سبباً خفيفاً** ، ومِنْ مُتحرِّكَينِ يُسمَّىٰ : **سبباً ثقيلاً** ، ومِنْ مُتحرِّكَينِ بعدَهُما ساكنٌ يُسمَّىٰ : **وَتِداً مجموعاً** ، ومِنْ مُتحرِّكينِ بينَهُما ساكنٌ يُسمَّىٰ : **وَتِداً مفروقاً** .

[الزحافاتُ والعللُ]

وهـٰذهِ الأجزاءُ يَدخُلُها تغييراتٌ تنقسمُ إلىٰ نوعَينِ : نوعٌ يُسمَّىٰ : **زِحافاً** ، ونوعٌ يُسمَّىٰ : **عِلَّةً** .

❀ ❀ ❀

والزِّحافُ مفردٌ ومزدوجٌ :

فالمفردُ منهُ ثمانيةٌ :

الخَبْنُ : وهوَ حذفُ ثاني الجزءِ ساكناً .

والإضمارُ : إسكانُهُ مُتحرِّكاً .

والوَقْصُ : حذفُهُ مُتحرِّكاً .

والطَّيُّ : حذفُ رابعِهِ ساكناً .

والقبضُ : حذفُ خامسِهِ ساكناً .

والعَصْبُ : إسكانُهُ .

والعقلُ : حذفُهُ مُتحرّكاً .

والكَفُّ : حذفُ سابعِهِ ساكناً .

❊ ❊

والمزدوجُ أربعةٌ : الطَّيُّ معَ الخَبْنِ : **خَبْلٌ** ، وهوَ معَ الإضمارِ : **خَزْلٌ** ، والكَفُّ معَ الخَبْنِ : **شَكْلٌ** ، وهوَ معَ العَصْبِ : **نقصٌ** .

❊ ❊

والعللُ زيادةٌ : فزيادةُ سببٍ خفيفٍ على ما آخِرُهُ وَتِدٌ مجموعٌ : **ترفيلٌ** ، وحرفٍ ساكنٍ على ما آخِرُهُ وَتِدٌ مجموعٌ : **تذييلٌ** ، وعلى ما آخِرُهُ سببٌ خفيفٌ : **تسبيغٌ** .

ونقصٌ : فذهابُ سببٍ خفيفٍ : **حذفٌ** ، وهوَ معَ العَصْبِ : **قَطْفٌ** ، وحذفُ ساكنِ الوَتِدِ المجموعِ وإسكانُ ما قبلَهُ : **قطعٌ** ، وهوَ معَ الحذفِ : **بترٌ** ، وحذفُ ساكنِ السببِ وإسكانُ مُتحرّكِهِ : **قصرٌ** ، وحذفُ وَتِدٍ مجموعٍ : **حَذَذٌ** ، ومفروقٍ : **صَلْمٌ** ، وإسكانُ السابعِ المُتحرّكِ : **وقفٌ** ، وحذفُهُ : **كَسْفٌ** .

والعِلَّةُ إذا أُرِيدَتْ . . لزمَتْ في جميعِ الأبياتِ ، **ومَحَلُّها** : العَروضُ والضَّرْبُ ، والزِّحافُ لا يلزمُ ، **ومَحَلُّهُ** : ثواني الأسبابِ .

❊ ❊ ❊

تفصيلُ القولِ في الأوزانِ

الطَّويلُ

لم تَستعملِ العربُ عَروضَهُ إلَّا مقبوضةً ، فوجبَ اتباعُهُم ، إذا لم يكنْ تصريعٌ ، فقدِ استعملوها تامَّةً ؛ كقولِ امرئ القيسِ [١] :

أَلَا عِمْ صَبَاحاً أَيُّهَا ٱلطَّلَلُ ٱلْبَالِي   وَهَلْ يَعِمَنْ مَنْ كَانَ فِي ٱلْعُصُرِ ٱلْخَالِي

وقولِهِ [٢] :

قِفَا نَبْكِ مِنْ ذِكْرَىٰ حَبِيبٍ وَعِرْفَانِ   وَرَبْعٍ عَفَتْ آيَاتُهُ مُنْذُ أَزْمَانِ

واستعملوا ضربَهُ علىٰ ثلاثةِ أوجهٍ : **صحيحاً** ، ومقبوضاً فيصيرُ مَفاعِلُنْ ، ومحذوفاً فيصيرُ فَعولُنْ .

فالأولُ كقولِهِ [٣] :

إِذَا ٱلْمَرْءُ لَمْ يَخْزُنْ عَلَيْهِ لِسَانَهُ   فَلَيْسَ عَلَىٰ شَيْءٍ سِوَاهُ [بِخَزَّانِ]

وتقطيعُهُ :

([إذل] مر) : وتِدٌ وسببٌ ، (ألم يخ زن) : وتدٌ وسببانِ ، (علي هِ) : وتدٌ وسببٌ حُذِفَ ثانيهِ ، فالجزءُ مقبوضٌ ، ([لسا ن هو]) : وتدٌ وسببانِ حُذِفَ ثاني أولِهما ؛ فالجزءُ مقبوضٌ ، وهوَ العَروضُ ، وسبقَ لزومُ قبضِها ، (فلي س علىٰ شي إن سوا ه بخز زا ني) .

❊ ❊ ❊

(١) انظر « ديوان امرئ القيس » (ص ٢٧) .

(٢) انظر « ديوان امرئ القيس » (ص ٨٩) .

(٣) هو لامرئ القيس في « ديوانه » (ص ٩٠) .

والثاني كقولِهِ [1] :

أَقِيمُوا بَنِي أُمِّي صُدُورَ مَطِيِّكُمْ   فَإِنِّي إِلَىٰ قَوْمٍ سِوَاكُمْ لَأَمْيَلُ

والثالثُ كقولِهِ [2] :

لَعَمْرُكَ مَا حُسْنُ ٱلْوُجُوهِ بِنَافِعٍ   إِذَا كَانَتِ ٱلْأَعْرَاضُ غَيْرَ حِسَانِ
فَلَا تَجْعَلِ ٱلْحُسْنَ ٱلدَّلِيلَ عَلَى ٱلْفَتَىٰ   فَمَا كُلُّ مَصْقُولِ ٱلْحَدِيدِ يَمَانِي

* * *

(١) هو الشنفرىٰ في « ديوانه » (ص ٦٦) .
(٢) انظر « يتيمة الدهر » (٢/٤٥٧) .

المديدُ

لهُ ثلاثُ أعاريضَ ، وستةُ أضربٍ :

الأُولىٰ : صحيحةٌ ، وضربُها مثلُها ، وبيتُهُ[1] :

يَـا لَـبَـكْـرٍ أَنْـشِـرُوا لِـي كُـلَـيْـبـاً   يَـا لَـبَـكْـرٍ أَيْـنَ أَيْـنَ ٱلْـفِـرَارُ

❁ ❁ ❁

الثانيةُ : محذوفةٌ .

وأضربُها ثلاثةٌ :

الأولُ : مقصورٌ ، وبيتُهُ[2] :

لَا يَـغُـرَّنَّ ٱمْـرَأً عَـيْـشُـهُ   كُـلُّ عَـيْـشٍ صَـائِـرٌ لِـلـزَّوَالْ

الثاني : مثلُها ، وبيتُهُ[3] :

اِعْـلَـمُـوا أَنِّـي لَـكُـمْ حَـافِـظٌ   شَـاهِـداً مَـا كُـنْـتُ أَوْ غَـائِـبَـا

الثالثُ : أبترُ ، وبيتُهُ[4] :

إِنَّـمَـا ٱلـذَّلْـفَـاءُ يَـاقُـوتَـةٌ   أُخْـرِجَـتْ مِـنْ كِـيـسِ دِهْـقَـانِ

❁ ❁

(١) هو للمهلهل ، كما في « خزانة الأدب » (٢/١٦٢) .

(٢) انظر « القسطاس » للزمخشري (ص ١٠٥) .

(٣) انظر « القسطاس » (ص ١٠٦) .

(٤) انظر « القسطاس » (ص ١٠٦) .

[الثالثةُ] (١) **: محذوفةٌ مخبونةٌ ، ولها ضربانِ :**

الأولُ : مثلُها ، وبيتُهُ (٢) **:**

لِــلْــفَــتَــىٰ عَــقْــلٌ يَــعِــيــشُ بِــهِ ... حَــيْــثُ تَــهْــدِي سَــاقَــهُ قَــدَمُــهْ

والثاني : أبترُ ، وبيتُهُ (٣) **:**

رُبَّ نَـــارٍ بِـــتُّ أَرْمُـــقُـــهَـــا ... تَـــقْـــضَـــمُ ٱلْـــهِـــنْـــدِيَّ وَٱلْـــغَـــارَا

* * *

---

(١) انظر « القسطاس » (ص ١٠٦) .

(٢) هو لطرفة بن العبد في « ديوانه » (ص ٨٠) .

(٣) هو لعدي بن زيد في « ديوانه » (ص ١٠٠) .

البسيطُ

لهُ ثلاثُ أعاريضَ ، وستةُ أضربٍ :

الأُولىٰ : مخبونةٌ ، ولها ضربانِ :

الأولُ : مثلُها ، وبيتُهُ (١) :

يَـا حَـارِ لَا أُرْمَـيَـنْ مِـنْـكُـمْ بِـدَاهِـيَـةٍ   لَـمْ يَـلْـقَـهَـا سُـوقَـةٌ قَـبْـلِـي وَلَا مَـلِـكُ

الثاني : مقطوعٌ ، وبيتُهُ (٢) :

قَدْ أَشْهَدُ ٱلْغَارَةَ ٱلشَّعْوَاءَ تَحْمِلُنِي   جَرْدَاءُ مَعْرُوقَةُ ٱللَّحْيَيْنِ سُرْحُوبُ

❁ ❁ ❁

الثانيةُ : مجزوءةٌ صحيحةٌ ؛ أي : سالمةٌ مِنْ تغيُّرٍ لا يكونُ في الحشوِ ، وأضربُها ثلاثةٌ :

الأولُ : مجزوءٌ مذالٌ ، وقولُهُم : مجزوءةٌ ومجزوءٌ ؛ مِنْ تسميةِ الجزءِ باسمِ الكلِّ ؛ فإنَّ المجزوءَ اسمٌ للبيتِ الذي حُذِفَ منهُ عَروضُهُ وضربُهُ ، وبيتُهُ (٣) :

إِنَّـا ذَمَـمْـنَـا عَـلَـىٰ مَـا خَـيَّـلَـتْ   سَعْدَ بْنَ زَيْدٍ [وَعَمْراً] مِنْ تَمِيمْ

الثاني : مثلُها ، وبيتُهُ (٤) :

مَـاذَا وُقُـوفِـي عَـلَـىٰ رَبْـعٍ عَـفَـا   مُـخْـلَـوْلِـقٍ دَارِسٍ مُـسْـتَـعْـجِـمِ

(١) البيت لزهير بن أبي سلمىٰ في « ديوانه » (ص ١٣٦) .

(٢) البيت لامرئ القيس في « ديوانه » (ص ٢٢٥) .

(٣) انظر « القسطاس » (ص ١١٨) .

(٤) انظر « القسطاس » (ص ١١٩) .

الثالثُ : مجزوءٌ مقطوعٌ ، وبيتُهُ[1] :

سِـيـرُوا مَـعـاً إِنَّـمَـا مِـيـعَـادُكُـمْ   يَـوْمَ ٱلـثَّـلَاثَـاءِ بَـطْـنَ ٱلْـوَادِي

الثالثةُ : مجزوءةٌ مقطوعةٌ ، وضربُها مثلُها ، وبيتُهُ[2] :

مَـا هَـيَّـجَ ٱلـشَّـوْقَ مِـنْ أَطْـلَالٍ   أَضْـحَـتْ قِـفَـاراً كَـوَحْـيِ ٱلْـوَاحِـي

ويُسمَّىٰ حينَئذٍ **مُخلَّعاً** ومكبولاً ، وقد أكثرَ المُولَّدونَ مِنِ استعمالِهِ مُلتزِمينَ خَبْنَ عَروضِهِ وضربِهِ ؛ لخفَّتِهِ إذاً ؛ كقولِ بعضِهِم :

يَـا غُـصُـنـاً فِـي ٱلـرِّيَـاضِ مَـالَا   عَـلَـيْـهِ بَـدْرُ ٱلـسَّـمَـا تَـلَالَا

يَـا رَائِـحـاً بَـعْـدَ مَـا سَـبَـانِـي   حَـسْـبُـكَ رَبُّ ٱلـسَّـمَـا تَـعَـالَـىٰ

❋ ❋ ❋

(١) انظر « القسطاس » (ص ١١٩) .

(٢) انظر « القسطاس » (ص ١٢٠) .

الوافرُ

لهُ عَروضانِ ، وثلاثةُ أضربٍ :

الأولىٰ : مقطوعةٌ ، وضربُها مثلُها ، وبيتُهُ[1] :

لَـنَـا غَـنَـمٌ نُـسَـوِّقُـهَـا غِـزَارٌ كَـأَنَّ قُـرُونَ جِـلَّـتِـهَـا ٱلْـعِـصِـيُّ

❊ ❊ ❊

الثانيةُ : مجزوءةٌ صحيحةٌ ، ولها ضربانِ :

الأولُ : مثلُها ، وبيتُهُ[2] :

لَـقَـدْ عَـلِـمَـتْ رَبِـيـعَـةُ أَنَّ حَـبْـلَـكَ وَاهِـنٌ خَـلَـقُ

الثاني : مجزوءٌ معصوبٌ ، وبيتُهُ[3] :

أُعَـاتِـبُـهَـا وَآمُـرُهَـا فَـتُـغْـضِـبُـنِـي وَتَـعْـصِـيـنِـي

❊ ❊ ❊

(١) انظر « القسطاس » (ص ١٢٨) .

(٢) انظر « القسطاس » (ص ١٣٤) .

(٣) انظر « مفتاح العلوم » (ص ٦٤٢) .

الكاملُ

لهُ ثلاثُ أعاريضَ ، وتسعةُ أضربٍ :

الأُولىٰ : تامَّةٌ ، وأضربُها ثلاثةٌ :

الأولُ : مثلُها ، وبيتُهُ (١) :

وَإِذَا صَحَوْتُ فَمَا أُقَصِّرُ عَنْ نَدىً ... وَكَمَا عَلِمْتِ شَمَائِلِي وَتَكَرُّمِي

الثاني : مقطوعٌ ، وبيتُهُ (٢) :

وَإِذَا دَعَوْنَكَ عَمَّهُنَّ فَإِنَّهُ ... نَسَبٌ يَزِيدُكَ عِنْدَهُنَّ خَبَالَا

الثالثُ : أحذُّ مضمرٌ ، وبيتُهُ (٣) :

لِمَنِ ٱلدِّيَارُ بِرَامَتَيْنِ فَعَاقِلٍ ... دَرَسَتْ وَغَيَّرَ آيَهَا ٱلْقَطْرُ

الثانية : حذَّاءُ ، ولها ضربانِ :

الأولُ : مثلُها ، وبيتُهُ (٤) :

دِمَنٌ عَفَتْ وَمَحَا مَعَالِمَهَا ... هَطِلٌ أَجَشُّ وَبَارِحٌ تَرِبُ

---

(١) البيت لعنترة في « ديوانه » (ص ٢٠٧) .

(٢) هو للأخطل في « ديوانه » (ص ١٩٧) .

(٣) انظر « مفتاح العلوم » (ص ٦٤٥) .

(٤) انظر « القسطاس » (ص ١٤٠) .

الثاني : أحذُّ مضمرٌ ، وبيتُهُ[1] :

وَلَأَنْـتَ أَشْـجَـعُ مِـنْ أُسَـامَـةَ إِذْ   دُعِـيَـتْ نَـزَالِ وَلُـجَّ فِـي ٱلـذُّعْـرِ

❋ ❋ ❋

الثالثةُ : مجزوءةٌ صحيحةٌ ، وأضربُها أربعةٌ :

الأولُ : مجزوءٌ مُرفَّلٌ ، وبيتُهُ[2] :

وَلَـقَـدْ سَـبَـقْـتَـهُـمُ إِلَـيَّ   فَـلِـمْ نَـزَعْـتَ وَأَنْـتَ آخِـرْ

الثانيُ : مجزوءٌ مذالٌ ، وبيتُهُ[3] :

جَـدَثٌ يَـكُـونُ مَـقَـامُـهُ   أَبَـداً بِـمُـخْـتَـلِـفِ ٱلـرِّيَـاحْ

الثالثُ : مثلُها ، وبيتُهُ[4] :

وَإِذَا ٱفْـتَـقَـرْتَ فَـلَا تَـكُـنْ   مُـتَـخَـشِّـعـاً وَتَـجَـمَّـلِ

الرابعُ : مقطوعٌ ، وبيتُهُ[5] :

وَإِذَا هُـمُ ذَكَـرُوا ٱلْإِسَـا   ءَةَ أَكْـثَـرُوا ٱلْـحَـسَـنَـاتِ

❋ ❋ ❋

---

(١) هو لزهير بن أبي سلمىٰ في « ديوانه » (ص ٧٨) ، و« القسطاس » (ص ١٤١) .
(٢) انظر « القسطاس » (ص ١٤٦) .
(٣) انظر « القسطاس » (ص ١٤٧) .
(٤) انظر « القسطاس » (ص ١٤٧) .
(٥) انظر « القسطاس » (ص ١٤٨) .

الهَزَجُ

لهُ عَروضٌ وضربانِ :

الأولُ : مثلُها ، وبيتُهُ[١] :

عَـفَـا مِـنْ آلِ لَـيْـلَى ٱلـسَّـهْـ ـبُ فَـاْلْأَمْـلَاحُ فَـاْلْـغَـمْـرُ

الثاني : محذوفٌ ، وبيتُهُ[٢] :

وَمَـا ظَـهْـرِي لِـبَـاغِـي ٱلـضَّـيْـ ـمِ بِـاْلـظَّـهْـرِ ٱلـذَّلُـولِ

* * *

(١) انظر « القسطاس » (ص ١٥٧) .

(٢) انظر « القسطاس » (ص ١٥٨) .

الرَّجَزُ

لهُ أربعُ أعاريضَ ، وخمسةُ أضربٍ :

الأُولىٰ : تامَّةٌ ، ولها ضربانِ :

الأولُ : مثلُها ، وبيتُهُ (١) :

دَارٌ لِسَلْمَىٰ إِذْ سُلَيْمَىٰ جَارَةٌ   [قَفْرٌ] تَرَىٰ آيَاتِهَا مِثْلَ ٱلزُّبُرْ

الثاني : مقطوعٌ ، وبيتُهُ (٢) :

اَلْقَلْبُ مِنْهَا مُسْتَرِيحٌ سَالِمٌ   وَٱلْقَلْبُ مِنِّي جَاهِدٌ مَجْهُودُ

❊ ❊ ❊

الثانيةُ : مجزوءةٌ صحيحةٌ ، وضربُها مثلُها ، وبيتُهُ (٣) :

قَدْ هَاجَ قَلْبِي مَنْزِلٌ   مِنْ أُمِّ عَمْرٍو مُقْفِرُ

❊ ❊ ❊

الثالثةُ : مشطورةٌ ، وهيَ الضَّرْبُ ، وبيتُهُ (٤) :

مَا هَاجَ أَحْزَاناً وَشَجْواً قَدْ شَجَا

والشطرُ : هوَ جعلُ البيتِ ثلاثةَ أجزاءٍ ، فيتحدُ العَروضُ والضَّربُ ، وعليهِ أكثرُ رجزِ العربِ .

❊ ❊ ❊

---

(١) انظر « القسطاس » (ص ١٦٣) .

(٢) انظر « القسطاس » (ص ١٦٤) .

(٣) انظر « القسطاس » (ص ١٦٦) .

(٤) هو للعجاج في « ديوانه » (١٣/٢) .

الرابعةُ : منهوكةٌ ، وهيَ الضَّرْبُ ، وبيتُهُ[1] :

يَــا لَــيْــتَــنِــي فِــيــهَــا جَــذَعْ

❋ ❋ ❋

(١) هو لدريد بن الصمة في « ديوانه » (ص ١٢٨) .

الرملُ

لهُ عَروضانِ ، وستةُ أضربٍ :

الأُولىٰ : محذوفةٌ ، وأضربُها ثلاثةٌ :

الأولُ : تامٌّ ، وبيتُهُ (١) :

مِثْلَ سَحْقِ ٱلْبُرْدِ عَفَّىٰ بَعْدَكَ ٱلْـ ـقَطْرُ مَغْنَاهُ وَتَأْوِيبُ ٱلشَّمَالِ

الثاني : مقصورٌ ، وبيتُهُ (٢) :

أَبْلِغِ ٱلنُّعْمَانَ عَنِّي مَأْلُكاً أَنَّهُ قَدْ طَالَ حَبْسِي وَٱنْتِظَارِي

الثالثُ : مثلُها ، وبيتُهُ (٣) :

قَالَتِ ٱلْخَنْسَاءُ لَمَّا جِئْتُهَا شَابَ بَعْدِي رَأْسُ هَـٰذَا وَٱشْتَهَبْ

❊ ❊ ❊

الثانيةُ : مجزوءةٌ صحيحةٌ .

وأضربُها ثلاثةٌ :

الأولُ : مجزوءٌ مُسبَّغٌ ، وبيتُهُ (٤) :

يَا خَلِيلَيَّ ٱرْبَعَا وَٱسْـ ـتَخْبِرَا رَبْعاً بِعَسْفَانْ

(١) هو لعبيد بن الأبرص في « ديوانه » (ص ٥٨) .

(٢) هو لعدي بن زيد في « ديوانه » (ص ٩٣) .

(٣) انظر « القسطاس » (ص ١٧٧) .

(٤) انظر « القسطاس » (ص ١٧٩) .

الثاني : مثلُها ، وبيتُهُ[1] :

مُـــــقْـــــفِـــــرَاتٌ دَارِسَـــاتٌ مِـــثْـــلُ آيَـــاتِ ٱلـــزَّبُـــورِ

الثالثُ : مجزوءٌ محذوفٌ ، وبيتُهُ[2] :

مَــا لِــمَــا قَــرَّتْ بِــهِ ٱلْــعَــيْــــنَــانِ مِــنْ هَٰذَا ثَــمَــنْ

* * *

---

(١) انظر « القسطاس » (ص ١٧٩) .

(٢) انظر « القسطاس » (ص ١٨٠) .

السريعُ

لهُ أربعُ أعاريضَ ، وستةُ أضربٍ :

الأُولىٰ : مطويةٌ مكسوفةٌ ، وأضربُها ثلاثةٌ :

الأولُ : مطويٌّ موقوفٌ ، وبيتُهُ (١) :

أَزْمَانَ سَلْمَىٰ لَا يَرَىٰ مِثْلَهَا ٱلرَّ ... اؤُونَ فِي شَامٍ وَلَا فِي عِرَاقْ

الثاني : مثلُها ، وبيتُهُ (٢) :

هَاجَ ٱلْهَوَىٰ رَسْمٌ بِذَاتِ ٱلْغَضَا ... مُخْلَوْلِقٌ مُسْتَعْجِمٌ مُحْوِلُ

الثالثُ : أصلمُ ، وبيتُهُ (٣) :

قَالَتْ وَلَمْ تَقْصِدْ لِقِيلِ ٱلْخَنَا ... مَهْلاً لَقَدْ أَبْلَغْتَ أَسْمَاعِي

* * *

الثانيةُ : مخبولةٌ مكسوفةٌ ، وضربُها مثلُها .

وبيتُهُ (٤) :

اَلنَّشْرُ مِسْكٌ وَٱلْوُجُوهُ دَنَا ... نِيرٌ وَأَطْرَافُ ٱلْأَكُفِّ عَنَمْ

* *

---

(١) انظر « القسطاس » (ص ١٨٥) .

(٢) انظر « القسطاس » (ص ١٨٦) ، و« مفتاح العلوم » (ص ٦٦١) .

(٣) انظر « القسطاس » (ص ١٨٦) .

(٤) هو للمرقش الأكبر في « ديوانه » (ص ٦٨) .

الثالثةُ : موقوفةٌ مشطورةٌ ، وضربُها مثلُها ، وبيتُهُ[1] :

يُــوزِعْــنَ فِــي حَــافَــاتِــهِ بِــٱلْأَبْــوَالْ

الرابعةُ : مكسوفةٌ مشطورةٌ ، وضربُها مثلُها ، وبيتُهُ[2] :

يَــا صَــاحِــبَــيْ رَحْــلِــي أَقِــلَّا عَــذْلِــي

❋ ❋ ❋

---

(١) انظر « القسطاس » (ص ١٩٠) .

(٢) انظر « القسطاس » (ص ١٩١) .

المنسرحُ

لهُ ثلاثُ أعاريضَ ، وثلاثةُ أضربٍ :

الأُولىٰ : صحيحةٌ ، وضربُها مطويٌّ ، وبيتُهُ[1] :

إِنَّ ٱبْـنَ زَيْـدٍ لَا زَالَ مُـسْـتَـعْـمِـلاً   لِلْخَيْـرِ يُفْشِـي فِي مِصْـرِهِ ٱلْعُرُفَـا

بضمِّ الراءِ .

❋ ❋ ❋

الثانيةُ : موقوفةٌ منهوكةٌ ، وضربُها مثلُها ، وبيتُهُ[2] :

صَـبْـراً بَـنِـي عَـبْـدِ ٱلـدَّارْ

❋ ❋ ❋

الثالثةُ : مكسوفةٌ منهوكةٌ ، وضربُها مثلُها ، وبيتُهُ[3] :

وَيْـلُ ٱمِّ سَـعْـدٍ سَـعْـدَا

❋ ❋ ❋

---

(١) انظر « القسطاس » (ص ١٩٤) .

(٢) انظر « القسطاس » (ص ١٩٦) .

(٣) انظر « سيرة ابن هشام » (٢/٢٥٢) .

الخفيفُ

و(مستفعِ لُنْ) فيهِ وفي المُجتثِّ مفروقُ الوتدِ .

لهُ ثلاثُ أعاريضَ ، وخمسةُ أضربٍ :

الأُولىٰ : صحيحةٌ ، ولها ضربانِ :

الأولُ : مثلُها ، وبيتُهُ[(١)] :

حَلَّ أَهْلِي مَا بَيْنَ دُرْنَا فَبَادَو لَىٰ وَحَلَّتْ عُلْوِيَّةٌ بِٱلسِّخَالِ

الثاني : محذوفٌ ، وبيتُهُ[(٢)] :

لَيْتَ شِعْرِي هَلْ ثَمَّ هَلْ آتِيَنْهُمْ أَمْ يَحُولَنْ مِنْ دُونِ ذَاكَ ٱلرَّدَىٰ

الثانيةُ : محذوفةٌ : وضربُها مثلُها ، وبيتُهُ[(٣)] :

إِنْ قَدَرْنَا يَوْماً عَلَىٰ عَامِرٍ نَنْتَصِفْ مِنْهُ أَوْ نَدَعْهُ لَكُمْ

الثالثةُ : مجزوءةٌ صحيحةٌ ، ولها ضربانِ :

الأولُ : مثلُها ، وبيتُهُ[(٤)] :

لَيْتَ شِعْرِي مَاذَا تَرَىٰ أُمُّ عَمْرٍو فِي أَمْرِنَا

---

(١) هو للأعشى الكبير في « ديوانه » (١/٩٩) .

(٢) انظر « القسطاس » (ص ٢٠٢) .

(٣) انظر « القسطاس » (ص ٢٠٢) .

(٤) انظر « القسطاس » (ص ٢٠٦) .

الثاني : مجزوءٌ مخبونٌ مقصورٌ ، وبيتُهُ[1] :

كُـلُّ خَـطْـبٍ إِنْ لَـمْ تَـكُـو نُـوا غَـضِـبْـتُـمْ يَـسِـيـرُ

❋ ❋ ❋

(١) انظر « القسطاس » (ص ٢٠٦) .

المضارعُ

و(فاعِ لاتُنْ) فيهِ مفروقُ الوتدِ ، وبعضُ العَروضيّينَ يُوجِبُ كفَّ أوَّلِهِ وثالثِهِ ، كما في الشاهدِ .

لهُ عَروضٌ وضربٌ ، وبيتُهُ[1] :

دَعَانِي إِلَىٰ سُعَادِي دَوَاعِي هَوىٰ سُعَادِي

❋ ❋ ❋

(١) انظر « القسطاس » (ص ٢٠٩) .

المُقتضَبُ

لهُ عَروضٌ وضربٌ مطويانِ ، وبيتُهُ[1] :

أَقْــبَــلَــتْ فَــلَاحَ لَــهَــا عَــارِضَــانِ كَــٱلــسَّــبَــجِ

❋ ❋ ❋

(١) انظر « خزانة الأدب » للحموي (٣/٣٠) .

المُجتثُّ

لهُ عَروضٌ وضربٌ ، وبيتُهُ[1] :

اَلْـبَـطْـنُ مِـنْـهَـا خَـمِـيـصٌ وَٱلْـوَجْـهُ مِـثْـلُ ٱلْـهِـلَالِ

* * *

(١) انظر « القسطاس » (ص ٢١٧) .

المُتقارِبُ

لهُ عَروضانِ ، وستةُ أضربٍ :

الأُولىٰ : صحيحةٌ ، وأضربُها أربعةٌ :

الأولُ : مثلُها ، وبيتُهُ (١) :

فَــأَمَّــا تَــمِــيــمٌ تَــمِــيــمُ بْــنُ مُــرٍّ ... فَــأَلْــفَــاهُــمُ ٱلْــقَــوْمُ رَوبَــىٰ نِــيَــامَــا

الثاني : مقصورٌ ، وبيتُهُ (٢) :

وَيَــأْوِي إِلَــىٰ نِــسْــوَةٍ بَــائِــسَــاتٍ ... وَشُــعْــثٍ مَــرَاضِــيــعَ مِــثْــلِ ٱلــسَّــعَــالْ

الثالثُ : محذوفٌ ، وبيتُهُ (٣) :

وَأَرْوِي مِــنَ ٱلــشِّــعْــرِ شِــعْــراً عَــوِيــصــاً ... يُــنَــسِّــي ٱلــرُّوَاةَ ٱلَّــذِي قَــدْ رَوَوْا

الرابعُ : أبترُ ، وبيتُهُ (٤) :

خَــلِــيــلَــيَّ عُــوجَــا عَــلَــىٰ رَسْــمِ دَارٍ ... خَــلَــتْ مِــنْ سُــلَــيْــمَــىٰ وَمِــنْ مَــيَّــهْ

[الثانيةُ] : مجزوءةٌ محذوفةٌ ، ولها ضربانِ :

الأولُ : مثلُها ، وبيتُهُ (٥) :

أَمِــــنْ دِمْــــنَــــةٍ أَقْــــفَــــرَتْ ... لِــسَــلْــمَــىٰ بِــذَاتِ ٱلْــغَــضَــا

---

(١) انظر « القسطاس » (ص ٢٢٢) .

(٢) انظر « القسطاس » (ص ٢٢٣) .

(٣) انظر « القسطاس » (ص ٢٢٣) .

(٤) انظر « القسطاس » (ص ٢٢٤) .

(٥) انظر « القسطاس » (ص ٢٢٧) .

الثاني : مجزوءٌ أبترُ ، وبيتُهُ [1] :

تَــعَــفَّــفْ وَلَا تَــبْــتَــئِــسْ فَــمَــا يُــقْــضَ يَــأْتِــيــكَــا

* * *

(1) انظر « القسطاس » (ص ٢٢٨) .

المُتدارِكُ

لهُ عَروضانِ ، وأربعةُ أضربٍ :

الأُولىٰ : تامَّةٌ ، وضربُها مثلُها ، وبيتُهُ :

جَـاءَنَـا عَـامِـرٌ سَـالِـمـاً صَـالِـحـاً　　بَـعْـدَ مَـا كَـانَ مَـا كَـانَ مِـنْ عَـامِـرِ

الثانيةُ : مجزوءةٌ صحيحةٌ .

وأضربُها ثلاثةٌ :

الأولُ : مجزوءٌ مخبونٌ مُرفَّلٌ ، وبيتُهُ[1] :

دَارَ سُـعْـدَىٰ بِـشَـحْـرِ عُـمَـانِ　　قَـدْ كَـسَـاهَـا ٱلْـبِـلَـى ٱلْـمَـلَـوَانِ

الثاني : مجزوءٌ مذالٌ ، وبيتُهُ[2] :

هَـٰذِهِ دَارُهُـمْ أَقْـفَـرَتْ　　أَمْ زَبُـورٌ مَـحَـتْـهَـا ٱلـدُّهُـورْ

الثالثُ : مثلُها ، وبيتُهُ[3] :

قِـفْ عَـلَـىٰ دَارِهِـمْ وَٱبْـكِـيَـنْ　　بَـيْـنَ أَطْـلَالِـهَـا وَٱلـدِّمَـنْ

والخبنُ فيهِ حسنٌ ، وبيتُهُ[4] :

كُـرَةٌ طُـرِحَـتْ بِـصَـوَالِـجَـةٍ　　فَـتَـلَـقَّـفَـهَـا رَجُـلٌ رَجُـلُ

---

(١) انظر « العيون الغامزة » (ص ٥٩) .

(٢) انظر « العيون الغامزة » (ص ٥٩) .

(٣) انظر « العيون الغامزة » (ص ٦٠) .

(٤) انظر « العيون الغامزة » (ص ٥٩) .

والقطعُ في حشوهِ جائزٌ ، وبيتُهُ[1] :

مَـــا لِــــي مَـــــالٌ إِلَّا دِرْهَـــــمْ ... أَوْ بِــــــرْذَوْنِـــــي ذَاكَ ٱلْأَدْهَـــــمْ

وقدِ اجتمعا ، وبيتُهُ :

زُمَّـــتْ إِبِـــلٌ لِـلْـبَـيْـــنِ ضُـــحـــىً ... فِــي غَــوْرِ تِـهَــامَـةَ قَـــدْ سَـلَـكُـوا

❋ ❋ ❋

(١) انظر « العيون الغامزة » (ص ٦٠) .

القافيةُ

هيَ مِنْ آخِرِ البيتِ إلىٰ أوَّلِ مُتحرِّكٍ قبلَ ساكنٍ بينَهُما ، فهيَ في قولِهِ (١) : [من الطويل]

بِمُنْجَرِدٍ قَيْدِ ٱلْأَوَابِدِ هَيْكَلِ

كلمةُ : (هيكلِ) .

ولكلِّ حرفٍ تشتملُ عليهِ اسمٌ ؛ فالحرفُ الذي تُنسَبُ إليهِ القصيدةُ كاللَّامِ ؛ فيُقالُ : لاميةُ العربِ ، ولاميةُ العجمِ ، والهمزةِ ؛ فيُقالُ : همزيةُ فلانٍ . . يُسمَّىٰ : رويّاً ، والحرفُ الذي يَعقِبُهُ مِنْ مدٍّ أو هاءٍ كيفَ كانَتْ يُسمَّىٰ : وصلاً ، والمَدُّ المُتصِلُ بهاءِ الوصلِ يُسمَّىٰ : خروجاً ، والمَدُّ قبلَ الرَّويِّ يُسمَّىٰ : ردفاً ، والألفُ التي قبلَ الرَّويِّ بحرفٍ إن كانَتْ مِنْ كلمتِهِ أو مِنْ غيرِها وكانَ ضميراً أو بعضَ ضميرٍ . . يُسمَّىٰ : تأسيساً ، والحرفُ المُتحرِّكُ بعدَ التأسيسِ يُسمَّىٰ : دخيلاً .

❊ ❊ ❊

وكذا حركاتُها ، فحركةُ الرَّويِّ تُسمَّىٰ : مجرىً ، وحركةُ الوصلِ تُسمَّىٰ : نفاذاً ، وحركةُ ما قبلَ الردفِ تُسمَّىٰ : حذواً ، وحركةُ الدَّخيلِ تُسمَّىٰ : إشباعاً ، وحركةُ ما قبلَ التأسيسِ : رسّاً ، وحركةُ ما قبلَ الرَّويِّ المُقيدِ تُسمَّىٰ : توجيهاً .

[أنواعُ القافيةِ]

والقافيةُ : إمَّا مُطلقةٌ وهيَ مُتحرِّكةُ الرَّويِّ ، وإمَّا مُقيدةٌ ؛ وهيَ ساكنتُهُ .

---

(١) عجز بيت لامرئ القيس ، في « ديوانه » (ص ١٩) ، والبيت بتمامه :

وَقَدْ أَغْتَدِي وَٱلطَّيْرُ فِي وُكُنَاتِهَا ... بِمُنْجَرِدٍ قَيْدِ ٱلْأَوَابِدِ هَيْكَلِ

والمُطلقةُ : إمَّا مُجرَّدةٌ ، أو مردوفةٌ ، أو مُؤسسةٌ موصولةٌ باللينِ أوِ الهاءِ .

والمُقيدةُ : إمَّا مُجرَّدةٌ ، وإمَّا مردوفةٌ ، وإمَّا مؤسسةٌ .

فهٰذه تسعةُ أقسامٍ يُقالُ لها : أنواعُ القافيةِ .

ولفظُ القافيةِ : إن توالىٰ فيهِ أربعُ حركاتٍ بينَ ساكنيها . . يُسمَّىٰ : متكاوساً ، وإن توالىٰ ثلاثٌ . . يُسمَّىٰ : متراكباً ، وإن توالى اثنتانِ . . سُمِّيَ : مُتدارِكاً ، وإن فصلَ بينَهُما حركةٌ . . سُمِّيَ : متواتراً ، وإنِ اجتمعَ الساكنانِ . . سُمِّيَ : مترادفاً .

[عيوبُ القافيةِ]

وعيوبُ القافيةِ :

الإيطاءُ ؛ وهوَ إعادةُ كلمةِ الرَّويِّ لفظاً ومعنىً .

والتضمينُ ؛ وهوَ تعليقُ البيتِ بما بعدَهُ تعليقَ تتميمِ معنىً .

والإقواءُ ؛ وهوَ اختلافُ المجرىٰ بكسرٍ وضمٍّ .

والإصرافُ ؛ وهوَ اختلافُ المجرىٰ بفتحٍ وغيرِهِ .

والإكفاءُ ؛ وهوَ اختلافُ الرَّويِّ بحروفٍ متقاربةِ المخارجِ .

والإجازةُ ؛ وهوَ اختلافُهُ بحروفٍ متباعدةٍ .

والسنادُ ؛ وهوَ اختلافُ ما يُراعىٰ قبلَ الرَّويِّ مِنَ الحروفِ والحركاتِ ؛ وهوَ خمسةٌ :

سنادُ الردفِ ؛ وهوَ ردفُ أحدِ البيتَينِ دونَ الآخَرِ .

وسنادُ التأسيسِ ؛ وهوَ تأسيسُ أحدِهِما دونَ الآخَرِ .

وسنادُ الإشباعِ ؛ وهوَ اختلافُ حركةِ الدَّخيلِ .

وسنادُ الحذوِ ؛ وهوَ اختلافُ حركةِ ما قبلَ الردفِ .

وسنادُ التوجيهِ ؛ وهوَ اختلافُ حركةِ ما قبلَ الرَّويِّ المُقيَّدِ .

❊ ❊

هـٰذا ؛ وإذا كـانَ يكفي مِنَ القِلادةِ ما أحـاطَ بالعنقِ . . فمعرفتُكَ هـٰذا القَدْرَ مِنْ هـٰذَينِ الفنَّينِ لتلاحظَ وزنَ ما يَرِدُ عليكَ مِنَ الأشعارِ ، وتزنَ ما تريدُ أن تقولَ . . كافيةٌ ، وصرفُ الزمنِ للتوسُّعِ في غيرِ زوائدِ هـٰذَينِ الفنَّينِ أحسنُ .

❊ ❊ ❊

[قصائدُ لتعويدِ الذهنِ سرعةَ ملاحظةِ الأوزانِ]

وهٰذهِ قصائدُ أثبتُّها في هٰذا الموضعِ تُعوِّدُ فيها ذهنَكَ سرعةَ ملاحظةِ زنةِ الأشعارِ ؛ فإنَّ مِنَ اللازمِ للمُتأدِّبِ أنَّهُ إذا وردَ عليهِ الشعرُ . . لم يلبثْ أن يَعرِفَ وزنَهُ ، ويلاحظَهُ حالَ القراءةِ ؛ ليساعدَهُ علىٰ إجادةِ الإنشادِ ، ويَعصِمَهُ مِنْ فواتِ الخَلَلِ عليهِ .

قالَ ابنُ النبيهِ ؛ مِنَ **الطويلِ** ، والقافيةُ مِنَ المتواترِ مُجرَّدةٌ موصولةٌ بالألفِ [١] :

رَنَا وَٱنْثَنَىٰ كَٱلسَّيْفِ وَٱلصَّعْدَةِ ٱلسَّمْرَا ... فَمَا أَكْثَرَ ٱلْقَتْلَىٰ وَمَا أَرْخَصَ ٱلْأَسْرَىٰ
خُذُوا حِذْرَكُمْ مِنْ خَارِجِيِّ عِذَارِهِ ... فَقَدْ جَاءَ زَحْفاً فِي كَتِيبَتِهِ ٱلْخَضْرَا
غُـلَامٌ أَرَادَ ٱللهُ إِطْـفَـاءَ فِـتْـنَـةٍ ... بِعَارِضِهِ فَٱسْتُؤْنِفَتْ فِتْنَةٌ أُخْرَىٰ
تُكَلِّفُنِي ٱلسُّلْوَانَ عَنْهُ عَوَاذِلِي ... أَمَا عَلِمُوا أَنِّي بِطَلْعَتِهِ مُغْرَىٰ
فَـزَرْفَـنَ بِـٱلْأَصْـدَاغِ جَـنَّـةَ خَـدِّهِ ... وَأَرْخَىٰ عَلَيْهِ مِنْ ذَوَائِبِهِ سِتْرَا
أَغَنُّ يُنَاجِي شَعْرُهُ حَلْيَ خَصْرِهِ ... كَمَا يُعْتِبُ ٱلْمَعْشُوقُ عَاشِقَهُ سِرَّا
وَصَلْتُ بِدَاجِي شَعْرِهِ لَيْلَ وَصْلِهِ ... فَلَمْ أَخْشَ صُبْحاً غَيْرَ غُرَّتِهِ ٱلْغَرَّا
أَخُوضُ عُبَابَ ٱلْمَوْتِ مِنْ دُونِ ثَغْرِهِ ... كَذَاكَ يَخُوضُ ٱلْبَحْرَ مَنْ طَلَبَ ٱلدُّرَّا
غَزَالٌ رَخِيمُ ٱلدَّلِّ فِي يَوْمِ سِلْمِهِ ... وَلَيْثٌ لَهُ فِي حَرْبِهِ ٱلْبَطْشَةُ ٱلْكُبْرَىٰ
دَرِيٌّ بِحَمْلِ ٱلْكَأْسِ فِي يَوْمِ لَذَّةٍ ... وَلَٰكِنْ بِحَمْلِ ٱلسَّيْفِ يَوْمَ ٱلْوَغَىٰ أَدْرَىٰ

---

(١) انظر « ديوان ابن النبيه » (ص ٤١) .

أَهِـيـمُ بِـهِ فِـي عَـقْـدِهِ وَنِـجَـادِهِ　　فَلَا بُدَّ فِي ٱلسَّرَّاءِ مِنْهُ وَفِي ٱلضَّرَّا
وَصَامِتَةِ ٱلْخَلْخَالِ أَنَّ وِشَاحُهَا　　فَهَـٰذَا قَدِ ٱسْتَغْنَىٰ وَهَـٰذَا شَكَى ٱلْفَقْرَا
تَـلَأْلَأَ دُرُّ ٱلْعِقْدِ تِيهاً بِجِيدِهَا　　وَسَاكِنُ ذَاكَ ٱلنَّحْرِ لَا يَسْكُنُ ٱلْبَحْرَا
لَهَا مِعْصَمٌ لَوْلَا ٱلسِّوَارُ يَصُدُّهُ　　إِذَا حَسَرَتْ أَكْمَامَهَا لَجَرَىٰ نَهْرَا
دَعَتْنِي إِلَى ٱلسُّلْوَانِ عَنْهُ بِحُبِّهَا　　وَمَا كُنْتُ أَرْضَىٰ بَعْدَ إِيمَانِيَ ٱلْكُفْرَا
بِأَيِّ ٱعْتِذَارٍ أَلْتَقِي حُسْنَ وَجْهِهِ　　إِذَا خَدَعَتْنِي عَنْهُ غَانِيَةٌ عَذْرَا
تَقُولُ وَقَدْ أَزْرَىٰ بِهَا حُسْنُ وَصْفِهِ　　لَحَى ٱللهُ رَبَّ ٱلشِّعْرِ لَوْ نَظَمَ ٱلشِّعْرَا
أَلَمْ تَرَنِي بَيْنَ ٱلسِّمَاطَيْنِ مُنْشِداً　　كَأَنِّي عَلَىٰ شَاهَ ٱرْمَنٍ أَنْثُرُ ٱلدُّرَّا
مَلِيكٌ كَرِيمٌ بَاسِلٌ عَمَّ عَدْلُهُ　　فَمَنْ حَاتِمٌ وَٱبْنُ ٱلْوَلِيدِ وَمَنْ كِسْرَىٰ
أَبِيٌّ سَخِيٌّ تَحْتَ سَطْوَتِهِ ٱلْغِنَىٰ　　فَخَفْ وَتَيَقَّنْ أَنَّ فِي عُسْرِهِ يُسْرَا
هُوَ ٱلْبَحْرُ بَلْ أَسْتَغْفِرُ ٱللهَ إِنَّ فِي　　بَنَانِ يَدَيْهِ لِلنَّدَا أَبْحُراً عَشْرَا
إِذَا قَامَ يَنْمِيهِ ٱلْخَطِيبُ بِمِنْبَرٍ　　تَأَوَّدَ تِيهاً وَٱكْتَسَىٰ وَرَقاً خُضْرَا
لَحَى ٱللهُ حَرْباً لَمْ يَكُنْ قَلْبَ جَيْشِهَا　　وَمَجْلِسَ عَدْلٍ لَا يَكُونُ بِهِ صَدْرَا
أَطَلَّ عَلَىٰ أَخْلَاطَ يَوْمَ قُدُومِهِ　　بِلُجَّةِ جَيْشٍ يَمْلَأُ ٱلسَّهْلَ وَٱلْوَعْرَا
وَقَدْ بَرَزَتْ فِي شِكَّةٍ مُوسَوِيَّةٍ　　فَلَوْ أُمِرَتْ بِٱلزَّحْفِ مَا خَالَفَتْ أَمْرَا
تَلَقَّاهُ مِنْ بُعْدِ ٱلْمَسَافَةِ أَهْلُهَا　　[فَذَا] رَافِعٌ كَفّاً وَذَا سَاجِدٌ شُكْرَا
فَشَكَّكْتُ أَنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ حُشِرُوا ضُحىً　　أَمِ ٱلنَّاسُ يَسْتَسْقُونَ رَبَّهُمُ ٱلْقَطْرَا
تَسِيرُ مُلُوكُ ٱلْأَرْضِ تَحْتَ رِكَابِهِ　　وَأَعْنَاقُهُمْ مِنْ هَوْلِ هَيْبَتِهِ صُعْرَا
إِذَا ٱنْفَرَجَتْ عَنْهُ بُرُوقُ سُيُوفِهِمْ　　رَأَيْتَ ٱلنُّجُومَ ٱلزُّهْرَ قَدْ قَارَنَتْ بَدْرَا

فَلِلّهِ يَـوْمٌ عَـمَّ بَـلْـنِـيـسَ بِـشْـرُهُ وَسَارَتْ إِلَىٰ أَرْضِ ٱلْعِرَاقِ بِهِ ٱلْبُشْرَىٰ
تَـهَـنَّ أَمِـيـرَ ٱلْـمُـؤْمِـنِـيـنَ بِـمِـثْـلِـهِ نَصِيراً يَسُدُّ ٱلثَّغْرَ أَوْ يَفْتَحُ ٱلثَّغْرَا
حُـسَـامٌ إِذَا هَـزَّتْـهُ يُـمْـنَـاكَ هَـزَّةً تَـرَقْـرَقَ مَـاءٌ وَٱلْـتَـظَـىٰ حَـدُّهُ جَـمْـرَا
طِـرَازٌ عَـلَـىٰ كُـمِّ ٱلْـخِـلَافَـةِ مُـذْهَـبٌ وَجَوْهَرَةٌ فِي تَاجِهَا تَكْسِفُ ٱلْبَدْرَا
أَبَا ٱلْفَتْحِ شُكْراً لِٱخْتِصَاصِ صَنِيعَةٍ فَحَسْبُكَ فِي ٱلدُّنْيَا جَلَالاً وَفِي ٱلْأُخْرَىٰ

وقالَ مِنَ البسيطِ ، والقافيةُ مِنَ المتراكبِ[1] :

اَللهُ أَكْبَرُ لَيْسَ ٱلْحُسْنُ فِي ٱلْعَرَبِ كَمْ تَحْتَ لِمَّةِ ذَا ٱلتُّرْكِيِّ مِنْ عَجَبِ
صُبْحُ ٱلْجَبِينِ بِلَيْلِ ٱلشَّعْرِ مُنْعَقِدٌ وَٱلْخَدُّ يَجْمَعُ بَيْنَ ٱلْمَاءِ وَٱللَّهَبِ
تَـنَـفَّـسَـتْ عَـنْ عَـبِـيـرِ ٱلـرَّاحِ رِيـقَـتُـهُ وَٱفْتَرَّ مَبْسَمُهُ ٱلشَّهْدِيُّ عَنْ حَبَبِ
لَا فِي ٱلْعُذَيْبِ وَلَا فِي بَارِقٍ غَزَلِي بَلْ فِي لَمَىٰ فَمِهِ أَوْ ثَغْرِهِ ٱلشَّنِبِ
ثَغْرٌ إِذَا مَا ٱلدُّجَىٰ وَلَّىٰ تَنَفَّسَ عَنْ رِيحٍ مِنَ ٱلرَّاحِ أَوْ ضَرْبٍ مِنَ ٱلضَّرَبِ
كَـأَنَّـهُ حِـيـنَ يَـرْمِـي عَـنْ حَـنِـيَّـتِـهِ بَدْرٌ رَمَىٰ عَنْ هِلَالِ ٱلْأُفْقِ بِٱلشُّهُبِ
يَا جَاذِبَ ٱلْقَوْسِ تَقْرِيباً لِوَجْنَتِهِ وَٱلْهَائِمُ ٱلصَّبُّ مِنْهَا غَيْرُ مُقْتَرِبِ
أَلَـيْـسَ مِـنْ نَـكَـدِ ٱلْأَيَّـامِ يُـحْـرَمُـهَـا فَمِي وَيَلْثِمُهَا سَهْمٌ مِنَ ٱلْخَشَبِ
لَدْنُ ٱلْمَعَاطِفِ قَاسِي ٱلْقَلْبِ مُبْتَسِمٌ لَا عَنْ رِضاً مُعْرِضٌ عَنِّي بِلَا غَضَبِ
فَكَمْ لَهُ فِي ٱخْتِلَاقِ ٱلذَّنْبِ مِنْ سَبَبٍ وَلَيْسَ لِي فِي قِيَامِ ٱلْعُذْرِ مِنْ سَبَبِ

(١) انظر « ديوان ابن النبيه » (ص ٣١) .

تَـمِيلُ أَعْطَافُهُ تِيهاً بِمَا حَمَلَتْ ... كَمَا تَمِيلُ رِمَاحُ ٱلْخَطِّ بِٱلْعَذَبِ
أَشَارَ نَحْوِي وَجُنْحُ ٱللَّيْلِ مُعْتَكِرٌ ... بِمِعْصَمٍ مِنْ شُعَاعِ ٱلْكَأْسِ مُخْتَضَبِ
بِكْرٌ جَلَاها أَبُوهَا قَبْلَ مَا جُلِيَتْ ... فِي حُجْرَةِ ٱلدَّنِّ أَوْ فِي قِشْرَةِ ٱلْعِنَبِ
حَمْرَاءُ تَفْعَلُ بِٱلْأَلْبَابِ مَا فَعَلَتْ ... سُيُوفُ شَاهَ آرْمَنٍ فِي عَسْكَرٍ لَجِبِ
مَلْكٌ يُفَرِّقُ يَوْمَ ٱلسَّلْمِ مَا جَمَعَتْ ... يُمْنَاهُ فِي ٱلْحَرْبِ بِٱلْهِنْدِيَّةِ ٱلْقُضُبِ
ثَبْتٌ تَحُفُّ جَمَاهِيرُ ٱلْجُيُوشِ بِهِ ... كَأَنَّ أَفْلَاكَهَا دَارَتْ عَلَى ٱلْقُطُبِ
دَمُ ٱلْعِدَا وَصَلِيلُ ٱلْمُرْهَفَاتِ لَهُ ... أَحْلَىٰ وَأَطْيَبُ مِنْ كَأْسٍ عَلَىٰ طَرَبِ
فِي غَيْرِ مُوسَىٰ أَحَادِيثُ ٱلنَّدَى ٱخْتَلَفَتْ ... وَهْوَ ٱلْكَرِيمُ بِلَا شَكٍّ وَلَا رِيَبِ
ٱلْأَشْرَفُ ٱلْوَاهِبُ ٱلْآلَافَ مُبْتَسِماً ... وَذَاكَ تَعْجِزُ عَنْهُ عَبْسَةُ ٱلسُّحُبِ
صَحَّتْ لَهُ كِيمِيَاءُ ٱلْمَجْدِ إِذْ سَبَكَتْ ... يُمْنَاهُ لِلْبَذْلِ إِكْسِيراً مِنَ ٱلذَّهَبِ
لَا تَعْجَبَنَّ لِأَمْوَالٍ يُفَرِّقُهَا ... عَلَى ٱلْعُفَاةِ بَقَاهَا أَعْظَمُ ٱلْعَجَبِ
اَلطَّاهِرُ ٱلنَّسَبِ ٱبْنُ ٱلطَّاهِرِ ٱلنَّسَبِ ٱبْـ ... ـنِ ٱلطَّاهِرِ ٱلنَّسَبِ ٱبْنِ ٱلطَّاهِرِ ٱلنَّسَبِ
نَفْسٌ لِآبَائِهَا مِنْ نَفْسِهَا شَرَفٌ ... كَذَا ٱلثِّمَارُ لَهَا فَضْلٌ عَلَى ٱلْخَشَبِ
عَلَيْهِ نُورٌ إِلَهِيٌّ أَشِعَّتُهُ ... تُغْنِيهِ عَنْ كَثْرَةِ ٱلْحُجَّابِ وَٱلْحُجُبِ
مُتْ يَا حَسُودُ ٱنْتِظَاراً إِنَّ مَوْلِدَهُ ... قَدْ كَانَ فِي بُرْجِ سَعْدٍ غَيْرِ مُنْقَلِبِ
وَقْفٌ عَلَىٰ جَوْزِ هِرِّ ٱلرَّأْسِ عَاشِرُهُ ... وَبَيْتُ أَعْدَائِهِ وَقْفٌ عَلَى ٱلذَّنَبِ
يَا كَوْكَباً أَسْعَدَ ٱلْأَيَّامَ طَالِعُهُ ... وَهْوَ ٱلْوَبَاءُ لِأَهْلِ ٱلشِّرْكِ وَٱلصُّلُبِ
لَا خَيَّبَ ٱللّٰهُ فِي ذَا ٱلْعِيدِ عَوْدَةَ مَنْ ... رَجَاؤُهُ فِي نَدىٰ كَفَّيْكَ لَمْ يَخِبِ

❊ ❊

وقالَ مِنَ الكاملِ ، والقافيةُ مِنَ المتداركِ[1] :

أَفْدِيهِ إِنْ حَفِظَ ٱلْهَوَىٰ أَوْ ضَيَّعَا ... مَلَكَ ٱلْفُؤَادَ فَمَا عَسَىٰ أَنْ أَصْنَعَا
مَنْ لَمْ يَذُقْ ظُلْمَ ٱلْحَبِيبِ كَظَلْمِهِ ... حُلْواً فَقَدْ جَهِلَ ٱلْمَحَبَّةَ وَٱدَّعَىٰ
يَا أَيُّهَا ٱلْوَجْهُ ٱلْجَمِيلُ تَدَارَكِ ٱلصَّـ ... ـبْرَ ٱلْجَمِيلَ فَقَدْ عَفَا وَتَضَعْضَعَا
هَلْ فِي فُؤَادِكَ رَحْمَةٌ لِمُتَيَّمٍ ... ضَمَّتْ جَوَانِحُهُ فُؤَاداً مُوجَعَا
هَلْ مِنْ سَبِيلٍ أَنْ أَبُثَّ صَبَابَتِي ... أَوْ أَشْتَكِي بَلْوَايَ أَوْ أَتَوَجَّعَا
إِنِّي لَأَسْتَحْيِي كَمَا عَوَّدْتَنِي ... بِسِوَىٰ رِضَاكَ إِلَيْكَ أَنْ أَتَشَفَّعَا
يَا عَيْنُ عُذْرُكِ فِي حَبِيبِكِ وَاضِحٌ ... سُحِّي لِفُرْقَتِهِ دَماً أَوْ أَدْمُعَا
اَللهُ أَبْدَى ٱلْبَدْرَ مِنْ أَزْرَارِهِ ... وَٱلشَّمْسَ مِنْ قَسَمَاتِ مُوسَىٰ أَطْلَعَا
اَلْأَشْرَفُ ٱلْمَلِكُ ٱلَّذِي سَادَ ٱلْوَرَىٰ ... كَهْلاً وَمُكْتَمِلَ ٱلشَّبَابِ وَمُرْضَعَا
رُدَّتْ بِهِ شَمْسُ ٱلسَّمَاحِ عَلَى ٱلْوَرَىٰ ... فَاسْتَبْشَرُوا وَرَأَوْا بِمُوسَىٰ يُوشَعَا
سَهْلٌ إِذَا لَمَسَ ٱلصَّفَا سَالَ ٱلنَّدَىٰ ... صَعْبٌ إِذَا لَحَظَ ٱلْأَصَمَّ تَصَدَّعَا
دَانٍ وَلَٰكِنْ مِنْ سُؤَالِ عُفَاتِهِ ... سَامٍ عَلَىٰ سَمْكِ ٱلسَّمَاءِ تَرَفَّعَا
يَا بَرْقُ هَٰذَا مِنْكَ أَصْدَقُ شِيمَةً ... يَا غَيْثُ هَٰذَا مِنْكَ أَحْسَنُ مَوْقِعَا
يَا رَوْضُ هَٰذَا مِنْكَ أَبْهَجُ مَنْظَراً ... يَا بَحْرُ هَٰذَا مِنْكَ أَعْذَبُ مَشْرَعَا
يَا سَهْمُ هَٰذَا مِنْكَ أَصْوَبُ مَقْصِداً ... يَا سَيْفُ هَٰذَا مِنْكَ أَسْرَعُ مَقْطَعَا
يَا صُبْحُ هَٰذَا مِنْكَ أَسْفَرُ غُرَّةً ... يَا نَجْمُ هَٰذَا مِنْكَ أَهْدَىٰ مَطْلَعَا
حَمَلَتْ أَنَامِلُهُ ٱلسُّيُوفَ فَلَمْ تَزَلْ ... شُكْراً لِذَٰلِكَ سُجَّداً أَوْ رُكَّعَا

(١) انظر « ديوان ابن النبيه » (ص ١٦) .

حَلَّتْ فَلَا بَرِحَتْ مَكَاناً لَمْ يَزَلْ مِنْ دُرِّ أَفْوَاهِ ٱلْمُلُوكِ مُرَصَّعَا
أَمُظَفَّرَ ٱلدِّينِ ٱسْتَمِعْ قَوْلِي وَقِلْ لِعِثَارِ عَبْدٍ أَنْتَ مَالِكُهُ لَعَا
أَيَضِيقُ بِي حَرَمُ ٱصْطِنَاعِكَ بَعْدَ مَا قَدْ كَانَ مُنْفَرِجاً عَلَيَّ مُوَسَّعَا
هَـٰذَا وَقَدْ طَرَّزْتُ بِٱسْمِكَ مِدْحَةً لَا تَرْتَضِي شَنَفَ ٱلثُّرَيَّا مَسْمَعَا
عَذْرَاءُ مَا قَعَدَ ٱلزَّمَانُ بِرَبِّهَا إِلَّا وَقَامَ بِهَا خَطِيباً مِصْقَعَا
وَعَلَىٰ كِلَا ٱلْحَالَيْنِ إِنِّي شَاكِرٌ دَاعٍ لِأَنَّ ٱللّٰهَ يَسْمَعُ مَنْ دَعَا

❁ ❁

وقالَ مِنَ الرَّجَزِ ، والقافيةُ مِنَ المُتدارِكِ (١) :

وَحَقِّ مَنْ بَدَّلَ نَوْمِي بِٱلسَّهَرْ وَعَذَّبَ ٱلْقَلْبَ بِأَنْوَاعِ ٱلْفِكَرْ
وَأَسْقَمَ ٱلْجِسْمَ بِسُقْمِ جَفْنِهِ وَأَسْهَرَ ٱلطَّرْفَ وَلِلْقَلْبِ أَسَرْ
مَا خِلْتُ ذَاكَ ٱلْوَجْهَ لَمَّا أَنْ بَدَا فِي جُنْحِ لَيْلٍ شَعْرُهُ إِلَّا قَمَرْ
وَهْوَ فَمَا ظَنَّ دُمُوعَ مُقْلَتِي لِمَا جَرَىٰ مِنْ فَيْضِهَا إِلَّا مَطَرْ
أَحْوَرُ وَٱلْفُتُورُ حَشْوُ طَرْفِهِ يَا حَبَّذَا ذَاكَ ٱلْفُتُورُ وَٱلْحَوَرْ
مَرَّ بِنَا يَخْطُرُ فِي مِشْيَتِهِ وَٱلْقَلْبُ مِنْ خَطْرَتِهِ عَلَىٰ خَطَرْ
هَزَّ لَنَا مِنْ قَدِّهِ رُمْحاً وَمِنْ أَلْحَاظِهِ يَا عَاذِلِي سَيْفاً شَهَرْ
مُخَالِفٌ إِنْ قُلْتُ دَعْ زِيَارَتِي زَارَ وَإِنْ قُلْتُ لَهُ صِلْنِي هَجَرْ
وَٱللّٰهِ مَا غَدَرْتُهُ إِلَّا وَفَىٰ وَلَا وَفَيْتُ عَهْدَهُ إِلَّا غَدَرْ

❁ ❁ ❁

---

(١) انظر « ديوان ابن النبيه » (ص ٦١) .

وقالَ مِنَ السَّريعِ ، والقافيةُ مِنَ المُتدارِكِ[1] :

يَـا نَـارَ أَشْـوَاقِـيَ لَا تَـخْـمُـدِي   لَـعَـلَّ ضَـيْـفَ ٱلطَّـيْـفِ أَنْ يَـهْـتَـدِي
حَـسِـبْـتُـهُ مَـاءً فَـصَـادَفْـتُـهُ   لَـمْـعَ سَـرَابٍ لَـيْـسَ يُـرْوِي ٱلصَّـدِي
تَـكَـلَّـفَـتْ عَـيْـنِـي لَـهُ هَـجْـعَـةً   كَـنُـغْـبَـةِ ٱلطَّـائِـرِ فِـي ٱلْـمَـوْرِدِ
صَـوَّرَ فِـي مِـرْآتِـهَـا صُـورَةً   تَـجِـلُّ عَـنْ لَـمْـسِ فَـمٍ أَوْ يَـدِ
إِنْ نَـعِـمَـتْ فِـي ٱللَّـيْـلِ رُوحِـي بِـهِ   فَـسَـوْفَ يَـشْـقَـىٰ جَـسَـدِي فِـي غَـدِ
اَلصَّـدُّ وَٱلْـهِـجْـرَانُ قَـدْ جُـمِـعَـا   بِـٱللهِ قُـلْ لِـي فِـيـمَـنْ أَقْـتَـدِي
أَشْـكُـو إِلَى ٱللهِ مَـلُـولاً إِذَا   قُـلْـتُ ٱنْـتَـهَـىٰ فِـي هَـجْـرِهِ يَـبْـتَـدِي
اَلْـبَـدْرُ فِـي مَـكْـسِـرِ سِـرْبُـوشِـهِ[2]   حُـفَّ بِـلَـيْـلِ ٱلشَّـعْـرِ ٱلْأَسْـوَدِ
رَيَّـانُ فِـي قُـرْطُـقِـهِ جَـدْوَلٌ   لَـٰكِـنْ لَـهُ قَـلْـبٌ مِـنَ ٱلْـجَـلْـمَـدِ
كَـأَنَّـمَـا هِـمْـيَـانُـهُ بَـرْزَخٌ   يَـمْـنَـعُ مَـوْجَ ٱلـرِّدْفِ أَنْ يَـعْـتَـدِي
غَـازَلَـنَـا مِـنْ نَـرْجِـسٍ ذَابِـلٍ   وَٱفْـتَـرَّ عَـنْ نُـورِ أَقَـاحٍ نَـدِي
وَقَـامَ يَـلْـوِي عِـطْـفَـهُ قَـائِـلاً   لَا تَـغْـتَـرِرْ بِـي فَـكَـذَا مَـوْعِـدِي
فَـقُـلْـتُ بِـٱللهِ مَـاتَ ٱلْـوَفَـا   فَـقَـالَ مُـوسَـىٰ لَـمْ يَـمُـتْ خُـذْ يَـدِي
اَلْـمَـلِـكُ ٱلْأَشْـرَفُ شَـاهَ ٱرْمَـنٍ   رَبُّ ٱلْـمَـعَـالِـي وَٱلـنَّـدَىٰ وَٱلـنَّـدِي
مَـلْـكٌ لَـهُ ٱلْـفَـضْـلُ عَـلَـىٰ تُـبَّـعٍ   وَٱلْـفَـضْـلُ لَا يُـكْـسَـبُ بِـٱلْـمَـوْلِـدِ
لَـوْ لَـمْ تَـرَ ٱلْأَمْـلَاكُ فِـي وَجْـهِـهِ   غُـرَّتَـهُ ٱلْـغَـرَّاءَ لَـمْ تَـسْـجُـدِ

---

(١) انظر « ديوان ابن النبيه » (ص ١٣) .
(٢) السربوش : فارسي ، وهو ما تسميه العامة : الطربوش .

اَلـطَّـاعِـنُ ٱلـنَّـجْـلَاءَ مَـكْـحُـولَـةً ... نَـابَ لَـهَـا ٱلـنَّـقْـعُ عَـنِ ٱلْإِثْـمِـدِ
وَٱلـضَّـارِبُ ٱلْـفَـوْهَـاءَ مُـفْـتَـرَّةً ... عَـنْ صَـارِمٍ كَـٱلْـمَـبْـسِـمِ ٱلْأَدْرَدِ
يُـصْـدِي إِذَا أَرْوَاهُ مَـاءُ ٱلـطِّـلَـىٰ ... وَأَعْـجَـبُ ٱلْأَشْـيَـاءِ رَيُّ ٱلـصَّـدِي
تَـقُـولُ لِـلْـخُـرْصَـانِ أَسْـيَـافُـهُ ... بِـنَـا كُـفِـيتِ ٱلـطَّـعْـنَ لَا [تُـرْعَـدِي]
نَـحْـنُ بِـسَـدِّ ٱلـثَّـغْـرِ أَوْ فَـتْـحِـهِ ... أَدْرَىٰ وَقَـدْ قُـمْـنَـا بِـهِ [فَـٱقْـعُـدِي]
سَـلْـهُ تَـجِـدْ أَفْـتَـىٰ جَـمِـيعِ ٱلْـوَرَىٰ ... فَـلْـيَـهْـتَـدِ ٱلـسَّـائِـلُ أَوْ يَـجْـتَـدِي
يُـزْرِي عَـلَـىٰ قُـبْـحِ عُـبُـوسِ ٱلْـحَـيَـا ... حَـيَـاؤُهُ ٱلـطَّـلْـقُ ٱلْـجَـمِـيـلُ ٱلـنَّـدِي
يَـا مَـلِـكَ ٱلْأَرْضِ وَإِنْ كَـانَ فِـي ... حُـصُـونِـهِ يَـا مَـلِـكَ ٱلْـفَـرْقَـدِ
مَـلَأْتَـهَـا بِـٱلْـخَـيْـلِ وَٱلـرَّجْـلِ وَٱلْـ ... ـبِـيضِ ٱلْـمَـوَاضِـي وَٱلْـقَـنَـا ٱلْأَمْـلَـدِ
تَـكَـادُ أَنْ تَـزْحَـفَ يَـوْمَ ٱلْـوَغَـىٰ ... إِلَى ٱلْـعِـدَا مِـنْ أُفْـقِـهَـا ٱلْأَبْـعَـدِ
لَـبِـسْـتَ مِـنْـهَـا تَـاجَ مُـلْـكٍ عَـلَـىٰ ... كِـسْـرَىٰ أَنُـوشِـرْوَانَ لَـمْ يُـعْـقَـدِ

❁ ❁

وقالَ مِنَ المنسرحِ ، والقافيةُ مِنَ المتراكبِ (١) :

يَـا بَـارِقـاً أَذْكَـرَ ٱلْـحَـشَـا شَـجَـنَـهْ ... مَـنْـزِلُـنَـا بِـٱلْـعَـقِـيـقِ مَـنْ سَـكَـنَـهْ
أَمَـرْتَـعُ ٱلـلَّـهْـوِ يَـانِـعٌ خَـضِـرٌ ... أَمْ غَـيَّـرَ ٱلـدَّهْـرُ بَـعْـدَنَـا دِمَـنَـهْ
يَـا بَـرْقُ هَـٰذَا جِـسْـمِي يَـذُوبُ ضَـنـىً ... وَمُـهْـجَـتِـي بِـٱلْـعَـقِـيـقِ مُـرْتَـهَـنَـهْ
يَـا بَـرْقُ أَشْـكُـو عَـسَـاكَ تُـخْـبِـرُهُـمْ ... وَكُـلُّ مَـنْ هَـامَ يَـشْـتَـكِـي شَـجَـنَـهْ
بَـلِّـغْ حَـدِيـثَ ٱلْـحِـمَـىٰ وَسَـاكِـنِـهِ ... لِـمُـغْـرَمٍ أَنْـحَـلَ ٱلْـهَـوَىٰ بَـدَنَـهْ

---

(١) انظر « ديوان ابن النبيه » (ص ٢٦) .

أَسْمِعْهُ ذِكْرَ ٱلْحَبِيبِ مُقْتَرِباً   فَقَدْ أَصَمَّتْ عُذَّالُهُ أُذُنَهْ

هُمْ آنَسُوهُ لَٰكِنْ بِوَحْشَتِهِمْ   وَنَفَّرُوا عَنْ جُفُونِهِ وَسَنَهْ

أَشْقَى ٱلْمُحِبِّينَ عَادِمٌ وَطَراً   فَكَيْفَ إِنْ كَانَ عَادِماً وَطَنَهْ

سَقْياً لِأَيَّامِنَا ٱلَّتِي سَلَفَتْ   كَانَتْ بِطِيبِ ٱلْوِصَالِ مُقْتَرِنَهْ

لَوْ بِيعَ يَوْمٌ مِنْهَا وَكَيْفَ بِهِ   كُنْتُ بِعُمْرِي مُسْتَرْخِصاً ثَمَنَهْ

إِلَيْكَ يَا عَاذِلِي فَلَسْتُ أَنَا   أَوَّلَ صَبٍّ جَمَالُهُمْ فَتَنَهْ

فَكَمْ لِنَفْسِي عَلَيَّ سَيِّئَةً   وَكَمْ لِمُوسَىٰ عَلَيَّ مِنْ حَسَنَهْ

مُجَازِفٌ فِي عَطَاءِ آمِلِهِ   مُحَرَّرُ ٱلرَّأْيِ عِنْدَ مَنْ وَزَنَهْ

لِلْأَجْرِ وَٱلشُّكْرِ خَازِنٌ أَبَداً   وَلَمْ يَصُنْ مَالَهُ وَلَا خَزَنَهْ

مُؤَيَّدُ ٱلرَّأْيِ مَنْ يُنَافِسُهُ   تَحْتَ حَضِيضِ ٱلْخُمُولِ قَدْ دَفَنَهْ

لَوْ لَمْ تُقَيَّضْ لِلْجُودِ رَاحَتُهُ   لَمْ نَعْتَرِفْ فَرْضَهُ وَلَا سُنَنَهْ

لَهُ بَنَانٌ تُهْدِي [لَنَا] مِنَحاً   وَمَنْ يُعَادِيهِ يَشْتَكِي مِحَنَهْ

وقالَ مِنَ الخفيفِ ، والقافيةُ مِنَ المتواترِ(١) :

قُمْتُ لَيْلَ ٱلصُّدُودِ إِلَّا قَلِيلَا   ثُمَّ رَتَّلْتُ ذِكْرَكُمْ تَرْتِيلَا

وَوَصَلْتُ ٱلسُّهَادَ أَقْبَحَ وَصْلٍ   وَهَجَرْتُ ٱلرُّقَادَ هَجْراً جَمِيلَا

مَسْمَعِي كَلَّ عَنْ كَلَامِ عَذُولٍ   حِينَ أَلْقَىٰ عَلَيْهِ قَوْلاً ثَقِيلَا

---

(١) انظر « ديوان ابن النبيه » (ص ٥٦) .

وَفُـؤَادٌ قَـدْ كَـانَ بَـيْـنَ ضُـلُـوعِـي أَخَـذَتْـهُ ٱلْأَحْـبَـابُ أَخْـذاً وَبِـيـلَا

قُـلْ لِـرَاقِـي ٱلْـجُـفُـونِ إِنَّ لِـعَـيْـنِـي فِـي بِـحَـارِ ٱلـدُّمُـوعِ سَـبْـحاً طَـوِيـلَا

مَـاسَ عُـجْـباً كَـأَنَّـهُ مَـا رَأَىٰ غُـصْـ ـنـاً رَطِـيـباً وَلَا كَـثِـيـباً مَـهِـيـلَا

وَحَـمَـىٰ عَـنْ مُـحِـبِّـهِ كَـأْسَ ثَـغْـرٍ حِـيـنَ أَضْـحَـىٰ مِـزَاجُـهَـا زَنْـجَـبِـيـلَا

بَـانَ عَـنِّـي فَـصِـحْـتُ فِـي أَثَـرِ ٱلْـعِـيـ ـسِ ٱرْحَـمُـونِـي وَمَـهِّـلُـوهُـمْ قَـلِـيـلَا

أَنَـا عَـبْـدٌ لِـلْـفَـاضِـلِ ابْـنِ عَـلِـيٍّ قَـدْ تَـبَـتَّـلْـتُ بِـٱلـثَّـنَـا تَـبْـتِـيـلَا

لَا تَـسُـمْـهُ وَعْـداً بِـغَـيْـرِ نَـوَالٍ إِنَّـهُ كَـانَ وَعْـدُهُ مَـفْـعُـولَا

وَإِذَا كَـانَ خَـصْـمَـكَ ٱلـدَّهْـرُ وَٱلْـحُـ ـكْـمُ إِلَى ٱللهِ فَـٱتَّـخِـذْهُ وَكِـيـلَا

رَاعَ أَعْـدَاءَهُ بِـصُـفْـرِ ٱلْـيَـرَاعَـا تِ فَـأَنْـسَـىٰ صَـرِيـرَهُـنَّ ٱلـصَّـلِـيـلَا

إِنَّ مَـدْحِـي لَـهُ أَشَـدُّ وِطَـاءً وَقَـرِيـضِـي أَقْـوَىٰ وَأَقْـوَمُ قِـيـلَا

فَـٱسْـتَـمِـعْ لَـفْـظَـهُ وَلُـذْ بِـحِـمَـاهُ تَـلْـقَ قَـوْلاً جَـزْلاً وَنَـيْـلاً جَـزِيـلَا

جَـلَّ عَـنْ سَـائِـرِ ٱلْـخَـلَائِـقِ فَـضْـلاً فَـٱخْـتَـرَعْـنَـا فِـي مَـدْحِـهِ ٱلـتَّـنْـزِيـلَا

لَا أَذُمُّ ٱلـزَّمَـانَ إِذْ أَنْـتَ فِـيـهِ يَـا سَـحَـابَ ٱلـنَّـدَىٰ لِـرِزْقِـي كَـفِـيـلَا

لِـي دُيُـونٌ عَـلَـىٰ عُـلَاكَ وَهَـٰذَا وَقْـتُ يُـسْـرٍ فَـوَفِّ وَٱصْـنَـعْ جَـمِـيـلَا

أَتَـمَـنَّـىٰ رِزْقَ ٱلْـمُـقِـيـمِ عَـلَى ٱللهِ وَإِنْ رُمْـتُ رِحْـلَـةً وَنُـزُولَا

❊ ❊

وقـالَ الحسنُ بنُ هانئٍ الحكميُّ أبو نُواسٍ مِنَ المديدِ ، والقافيةُ مِنَ **المتراكبِ**(١) :

---

(١) انظر « ديوان أبي نواس » (ص ٢٧٣) .

أَيُّـهَـا ٱلْـمُـنْـتَـابُ مِـنْ عُـفُـرِهْ[1] ... لَـسْـتَ مِـنْ لَـيْـلِـي وَلَا سَـمَـرِهْ
لَا أَذُودُ ٱلـطَّـيْـرَ عَـنْ شَـجَـرٍ ... قَـدْ بَـلَـوْتُ ٱلْـمُـرَّ مِـنْ ثَـمَـرِهْ
فَـٱتَّـصِـلْ إِنْ كُـنْـتَ مُـتَّـصِـلاً ... بِـقُـوَىٰ مَـنْ أَنْـتَ مِـنْ وَطَـرِهْ
خِـفْـتُ مَـأْثُـورَ ٱلْـحَـدِيـثِ غَـداً ... وَغَـداً دَانٍ لِـمُـنْـتَـظِـرِهْ
خَـابَ مَـنْ أَسْـرَىٰ إِلَـىٰ بَـلَـدٍ ... غَـيْـرِ مَـعْـلُـومٍ مَـدَا سَـفَـرِهْ
وَسَّـدَتْـنِـي ثِـنْـيُ سَـاعِـدِهِ ... سِـنَـةً حَـلَّـتْ إِلَـىٰ شُـفُـرِهْ
فَـٱمْـضِ لَا تَـمْـنُـنْ عَـلَـيَّ يَـداً ... مَـنُّـكَ ٱلْـمَـعْـرُوفَ مِـنْ كَـدَرِهْ
رُبَّ فِـتْـيَـانٍ رَبَـأْتُـهُـمُ ... مَـسْـقِـطَ ٱلْـعَـيُّـوقِ فِـي سَـحَـرِهْ
فَـٱتَّـقَـوْا بِـي مَـا يَـرِيـبُـهُـمُ ... إِنَّ تَـقْـوَى ٱلـشَّـرِّ مِـنْ حَـذَرِهْ
وَٱبْـنُ عَـمٍّ لَا يُـكَـاشِـفُـنَـا ... قَـدْ لَـبِـسْـنَـاهُ عَـلَـىٰ غَـمَـرِهْ
كَـمَـنَ ٱلـشَّـنْـآنُ فِـيـهِ لَـنَـا ... كَـكُـمُـونِ ٱلـنَّـارِ فِـي حَـجَـرِهْ
وَرُضَـابٍ بِـتُّ أَرْشُـفُـهُ ... يَـنْـقَـعُ ٱلـظَّـمْـآنَ مِـنْ خَـصَـرِهْ
عَـلَّـنِـيـهِ خُـوطُ إِسْـحِـلَـةٍ[2] ... لَانَ ثَـنْـيَـاهُ لِـمُـهْـتَـصِـرِهْ
ذَا وَمُـغْـبَـرٍّ مَـخَـارِمُـهُ ... [تَـحْـسُـرُ] ٱلْأَبْـصَـارُ عَـنْ قُـطُـرِهْ[3]
لَا تَـرَىٰ عَـيْـنُ ٱلْـبَـصِـيـرِ بِـهِ ... مَـا خَـلَا ٱلْآجَـالَ مِـنْ [بَـقَـرِهْ][4]
خَـاضَ بِـي لُـجَّـيْـهِ ذُو جَـزَرٍ ... يُـفْـعِـمُ ٱلْـفَـضْـلَـيْـنِ مِـنْ ضُـفُـرِهْ

---

(١) في « ديوان أبي نواس » (ص ٢٧٣) : (عن) بدل (من) ، والعُفُر هنا : البعد .
(٢) الإسحلة : شجرة الأراك .
(٣) المخارم : طرق الجبال ، والقطر : الجوانب .
(٤) الآجال : أولاد البقر .

يَـكْـتَـسِـي عُـثْـنُـونُـهُ زَبَـداً فَـنُـصَـيْـلَاهُ إِلَـىٰ [نُـخَـرِهْ] [١]

ثُـمَّ يَـعْـتَـمُّ ٱلْـحِـجَـاجُ بِـهِ كَـٱعْـتِـمَـامِ ٱلْـفُـوفِ فِـي عُـشَـرِهْ [٢]

ثُـمَّ تَـذْرُوهُ ٱلـرِّيَـاحُ كَـمَـا طَـارَ قُـطْـنُ ٱلـنَّـدْفِ عَـنْ وَتَـرِهْ

كُـلُّ حَـاجَـاتِـي تَـنَـاوَلَـهَـا وَهْـوَ لَـمْ يَـنْـقُـضْ قُـوَىٰ أَشَـرِهْ

ثُـمَّ أَدْنَـانِـي إِلَـىٰ مَـلِـكٍ يَـأْمَـنُ ٱلْـجَـانِـي لَـدَىٰ حُـجَـرِهْ

تَـأْخُـذُ ٱلْأَيْـدِي مَـظَـالِـمَـهَـا ثُـمَّ تَـسْـتَـذْرِي إِلَـىٰ عَـصَـرِهْ

كَـيْـفَ لَا يُـدْنِـيـكَ مِـنْ أَمَـلٍ مَـنْ رَسُـولُ ٱللهِ مِـنْ نَـفَـرِهْ

فَـٱسْـلُ عَـنْ نَـوْءٍ تُـؤَمِّـلُـهُ حَـسْـبُـكَ ٱلْـعَـبَّـاسُ مِـنْ مَـطَـرِهْ

مَـلِـكٌ قَـلَّ ٱلـشَّـبِـيـهُ لَـهُ لَـمْ تَـقَـعْ عَـيْـنٌ عَـلَـىٰ خَـطَـرِهْ

لَا تُـغَـطَّـىٰ عَـنْـهُ مَـكْـرُمَـةٌ بِـرُبَـىٰ وَادٍ وَلَا خَـمَـرِهْ

ذُلِّـلَـتْ تِـلْـكَ ٱلْـفِـجَـاجُ لَـهُ فَـهْـوَ مُـخْـتَـارٌ عَـلَـىٰ بَـصَـرِهْ

سَـبَـقَ ٱلـتَّـفْـرِيـطَ رَائِـدُهُ وَكَـفَـاهُ ٱلْـعَـيْـنُ مِـنْ أَثَـرِهْ

وَإِذَا مَـجَّ ٱلْـقَـنَـا عَـلَـقـاً وَتَـرَاءَى ٱلْـمَـوْتُ فِـي صُـوَرِهْ

رَاحَ فِـي ثِـنْـيَـيْ مُـفَـاضَـتِـهِ أَسَـداً يَـدْمَـىٰ شَـبَـا ظُـفُـرِهْ

تَـتَـأَيَّـا ٱلـطَّـيْـرُ غُـدْوَتَـهُ ثِـقَـةً بِـٱلـشِّـبْـعِ مِـنْ جَـزَرِهْ

وَتَـرَى ٱلـسَّـادَاتِ مَـاثِـلَـةً لِـسَـلِـيـلِ ٱلـشَّـمْـسِ مِـنْ قَـمَـرِهْ

---

(١) في الأصل : (نحره) .

(٢) الحجاجان : العظمان اللذان ينبت عليهما شعر الحاجب ، والفوف : القشرة الرقيقة على النواة ، والعُشَر : شجر له ثمر أبيض .

فَــهُــمُ شَــتَّــىٰ ظُــنُــونُــهُــمُ حَــذَرَ [ٱلْـمَـكْـنُـونِ] مِـنْ فِـكَـرِهْ
وَكَــرِيــمُ ٱلْــخَــالِ مِــنْ يَــمَــنٍ وَكَــرِيــمُ ٱلْــجَـدِّ مِــنْ مُـضَــرِهْ
قَـدْ لَـبِـسْـتَ ٱلـدَّهْـرَ لِـبْـسَ فَـتـىً أَخَــذَ [ٱلْآدَابَ] عَــنْ غِــيَــرِهْ

وقالَ كمالُ الدينِ ابنُ النبيهِ مِنَ الرَّمَلِ ، والقافيةُ مِنَ المتراكبِ[١] :

إِنَّ عَـيْـنـاً مِـنْـكُـمُ قَـدْ ظَـمِـئَـتْ قَـدْ سَـقَـاهَـا ٱلـدَّمْـعُ حَـتَّـىٰ رَوِيَـتْ
آهُ مِــنْ وَجْـدٍ جَـدِيـدٍ لَـمْ يَـزَلْ وَعِــظَــامٍ نَــاحِــلَاتٍ بَــلِــيَــتْ
أَنَــا وَٱلْأَظْـعَــانُ مِــنْ شَـوْقٍ مَـعـاً نَـحْـوَكُـمْ أَعْـنَـاقُـنَـا قَـدْ لُـوِيَـتْ
أَنْــتُــمُ ٱلْأَنْــجُــمُ مُـذْ غُـيِّـبْـتُـمُ بِـسِـوَىٰ أَنْـوَارِكُـمْ مَـا هُـدِيَـتْ
سَاكِنِي ٱلْفُسْطَاطِ لَوْ أَبْصَرْتُكُمْ جُـلِّـيَـتْ مِـرْآةُ عَـيْـنٍ صَـدِيَـتْ
إِنْ أَعَــادَ ٱللهُ شَــمْــلِــي بِـكُـمُ سَـعِـدَتْ آمَـالُ نَـفْـسٍ شَـقِـيَـتْ
إِنَّ أَرْضــاً أَنْــتُــمُ سُــكَّــانُــهَــا غَـنِـيَـتْ عَـنْ أَنْ تَـقُـولُـوا سُـقِـيَـتْ
فَــوُجُــوهٌ كَــرِيَــاضٍ أَزْهَــرَتْ وَرِيَــاضٌ كَــوُجُــوهٍ جُــلِــيَــتْ
بِـأَبِـي مِـنْـكُـمْ غَـزَالٌ مُـهْـجَـتِـي بِـظُـبَـا أَلْـحَـاظِـهِ قَـدْ غُـزِيَـتْ
سَــاحِــرُ ٱلْأَلْــحَــاظِ أَلْـوَىٰ وَعْـدَهُ فَـهْـوَ كَـٱلْأَصْـدَاغِ لَـمَّـا لُـوِيَـتْ
بَـلِّـغِـيـهِ يَـا نَـسِـيـمَ ٱلـرِّيـحِ عَـنْ مُـهْـجَـةِ ٱلْـمُـشْـتَـاقِ مَـاذَا لَـقِـيَـتْ
إِنَّ أَسْــرَارَ ٱلْــهَــوَىٰ مَــا نُـشِـرَتْ وَأَحَـادِيـثَ ٱلـضَّـنَـىٰ مَـا طُـوِيَـتْ
وَلَــقَــدْ كَــانَ لِــنَـفْـسِـي جَـلَـدٌ وَأَرَاهَــا ٱلْــيَــوْمَ فِــيــهِ دُهِــيَــتْ

(١) انظر « ديوان ابن النبيه » (ص ١٧) .

لِيَ عُذْرٌ فِي ٱلنَّوَىٰ عَنْ أَرْضِكُمْ ... فَسَقَتْهَا أَدْمُعِي إِنْ رَضِيَتْ
إِنَّمَا مَنْبِجُ مُوسَىٰ جَنَّةٌ ... عِنْدَهَا أَوْطَانُنَا قَدْ نُسِيَتْ
مَلِكٌ مُذْ جَرَّدَتْ هَيْبَتُهُ ... أَغْمَدَ ٱلْأَسْيَافَ حَتَّىٰ صَدِيَتْ
هُوَ فِي ٱلْهَيْجَاءِ نَارٌ تَلْتَظِي ... وَهْوَ فِي ٱلسِّلْمِ جِنَانٌ جُنِيَتْ
لَا يُبَالِي إِنْ خَلَتْ أَكْيَاسُهُ ... وَلَهُ ٱلْأَرْضُ بِشُكْرٍ مُلِيَتْ
خُذْ أَحَادِيثَ عُلَاهُ إِنَّهَا ... بِأَسَانِيدِ مَدِيحِي رُوِيَتْ
قَامَ بِٱلدُّنْيَا وَبِٱلْأُخْرَىٰ مَعاً ... فَهْيَ ضَرَّاتٌ بِهِ قَدْ رَضِيَتْ
حَسَنُ ٱلظَّاهِرِ لِلنَّاسِ وَلِلهِ ... مِنْهُ حَسَنَاتٌ خَفِيَتْ
يَخْضَعُ ٱلْجَبَّارُ مِنْ هَيْبَتِهِ ... وَٱلرَّعَايَا فِي حِمَاهُ حُمِيَتْ
يَا مَلِيكَ ٱلدِّينِ وَٱلدُّنْيَا وَيَا ... صَفْوَةَ ٱلْمَجْدِ ٱلَّتِي قَدْ بَقِيَتْ
وَيْحَ أَعْدَائِكَ بَلْ وَيْلٌ لَهُمْ ... مَعْشَرٌ أَبْصَارُهُمْ قَدْ عَمِيَتْ
كُلُّ يَوْمٍ لَكَ فِي أَكْبَادِهِمْ ... بِمَعَالِيكَ جِرَاحٌ دَمِيَتْ

❊ ❊ ❊

وقالَ مِنَ الوافرِ[1] :

أَمَاناً أَيُّهَا ٱلْقَمَرُ ٱلْمُطِلُّ ... فَمِنْ جَفْنَيْكَ أَسْيَافٌ تُسَلُّ
يَزِيدُ جَمَالُ وَجْهِكَ كُلَّ يَوْمٍ ... وَلِي جَسَدٌ يَذُوبُ وَيَضْمَحِلُّ
وَمَا عَرَفَ ٱلسَّقَامُ طَرِيقَ جِسْمِي ... وَلَٰكِنْ دَلَّ مَنْ أَهْوَىٰ يَدُلُّ
يَمِيلُ بِطَرْفِهِ ٱلتُّرْكِيِّ عَنِّي ... صَدَقْتُمْ إِنَّ ضِيقَ ٱلْعَيْنِ بُخْلُ

---

(١) انظر « ديوان ابن النبيه » (ص ٣٥) .

إِذَا نُـشِـرَتْ ذَوَائِـبُـهُ عَـلَـيْـهِ تَـرَىٰ مَـاءً يَـرِفُّ عَـلَـيْـهِ ظِـلُّ
وَقَـدْ يَـهْـدِي صَبَاحُ ٱلْـخَـدِّ قَـوْمـاً بِـلَـيْـلِ ٱلـشَّـعْـرِ قَـدْ تَـاهُـوا وَضَـلُّـوا
أَيَـا مَـلِـكَ ٱلْـقُـلُـوبِ فَـتَـكْـتَ فِـيـهَـا وَفَـتْـكُـكَ فِـي ٱلـرَّعِـيَّـةِ لَا يَـحِـلُّ
قَـلِـيـلُ ٱلْـوَصْـلِ يَـنْـفَـعُـهَـا فَـإِنْ لَـمْ يُـصِـبْـهَـا وَابِـلٌ مِـنْـهُ فَـطَـلُّ
أَدِرْ كَـأْسَ ٱلْـمُـدَامِ عَـلَـى ٱلـنَّـدَامَـىٰ فَـمِـنْ خَـدَّيْـكَ لِـي رَاحٌ وَنُـقْـلُ
فَـنِـيـرَانِـي بِـغَـيْـرِكَ لَـيْـسَ تُـطْـفَـا وَأَحْـزَانِـي بِـغَـيْـرِكَ لَا تُـبَـلُّ
بِـمَـنْـظَـرِكَ ٱلْـبَـدِيـعِ تُـدِلُّ تِـيـهـاً وَلِـي مَـلِـكٌ بِـدَوْلَـتِـهِ أَدَلُّ
أَبُـو ٱلْـفَـتْـحِ ٱلْـكَـرِيـمُ ٱلـطَّـلْـقُ مُـوسَـىٰ فَـتـىً يُـعْـطِـي ٱلْـجَـزِيـلَ وَيَـسْـتَـقِـلُّ
بِـهِ أَضْـحَـتْ فِـجَـاجُ ٱلْأَرْضِ خِـصْـبـاً فَـمَـا لِـلْـمَـحْـلِ فِـي بَـلَـدٍ مَـحَـلُّ
أَغَـرُّ عَـلَـىٰ سَـرِيـرِ ٱلْـمُـلْـكِ مِـنْـهُ سُـلَـيْـمَـانٌ وَأَهْـلُ ٱلْأَرْضِ نَـمْـلُ
وَيَـمْـلَأُ غَـيْـرُهُ كِـيـسـاً فَـكِـيـسـاً وَمِـلْءُ زَمَـانِـهِ كَـرَمٌ وَعَـدْلُ
وَقَـالُـوا حِـفْـظُ هَـٰذَا ٱلْـمَـالِ عَـقْـلٌ فَـقُـلْـتَ نَـعَـمْ وَبَـعْـضُ ٱلْـعَـقْـلِ جَـهْـلُ
فَـلَـيْـسَ يَـذُمُّـهُ إِلَّا مَـطَـايَـا إِلَـىٰ أَبْـوَابِـهِ تُـطْـوَىٰ وَسُـبْـلُ
تُـمَـلِّـكُـهُ ٱلْـبِـلَادَ قَـنـاً وَجُـرْدٌ وَبُـتْـرٌ مَـنْ يُـطَـاوِلُـهَـا يَـذِلُّ
إِذَا ٱنْـبَـثَّـتْ عَـسَـاكِـرُهُ ٱتِّـسَـاعـاً تَـضَـايَـقَ دُونَـهَـا حَـزْنٌ وَسَـهْـلُ
بَـوَارِقُـهَـا لِـعَـيْـنِ ٱلْأُفْـقِ دَاءٌ وَعِـثْـيَـرُهَـا لِـعَـيْـنِ ٱلـشَّـمْـسِ كُـحْـلُ (١)
لِـمَـوْلَانَـا ٱلْـخَـلِـيـفَـةِ فِـيـهِ رَأْيٌ حَـدِيـدٌ لَا يُـفَـلُّ وَلَا يُـقَـلُّ
تَـأَمَّـلَ فِـي ٱلْـكِـنَـانَـةِ مِـنْـهُ سَـهْـمـاً سَـدِيـداً لَا يَـطِـيـشُ وَلَا يَـزِلُّ

---

(١) العثير : التراب .

فَـهَـيَّـأَهُ وَأَرْسَـلَـهُ ٱخْـتِـصَـاصـاً وَرَوَّاهُ ٱلْـحَـدِيـثَ وَذَاكَ فَـضْـلُ
فَـدَامَـتْ هَـٰذِهِ ٱلـنُّـعْـمَـىٰ عَـلَـيْـهِ وَدَامَ فَـإِنَّـهُ لِـلْـخَـيْـرِ أَهْـلُ

❁ ❁ ❁

وقالَ مِنَ المتقاربِ (١) :

دَعِ ٱلنَّوْحَ خَلْفَ حُدُوجِ ٱلرَّكَائِبْ وَسَلِّ فُؤَادَكَ عَنْ كُلِّ ذَاهِبْ
بِبِيضِ ٱلسَّوَالِفِ حُمْرِ ٱلْمَرَاشِـ ـفِ صُفْرِ ٱلتَّرَائِبِ سُودِ ٱلذَّوَائِبْ
فَمَا ٱلْعَيْشُ إِلَّا إِذَا مَا نَظَمْتَ بِثَغْرِ ٱلْحَبَابِ ثَنَايَا ٱلْحَبَائِبْ
أُحَاشِيكَ مِنْ وَقْفَةٍ بِٱلطُّلُولِ تَبُلُّ ٱلصَّدَىٰ بِصَدَاهَا ٱلْمُجَاوِبْ
تُكَلِّفُ صُمَّ ٱلْحِجَارِ ٱلْكَلَامَ وَكَمْ فِي جُنُونِ ٱلْهَوَىٰ مِنْ عَجَائِبْ
وَلَوْ كُنْتَ تَشْكُو ٱلْهَوَىٰ صَادِقاً لَمَا عَلَّلَتْكَ ٱلْأَمَانِي ٱلْكَوَاذِبْ
تَأَمَّلْ كُؤُوسَ عَتِيقِ ٱلرَّحِيقِ تَرَى ٱلْمَاءَ يَجْمُدُ [وَٱلْخَمْرَ] ذَائِبْ
لَهَا فِي ٱلزُّجَاجَةِ رَقْصُ ٱلشَّبَابِ وَمَفْرِقُهَا أَشْمَطُ ٱللَّوْنِ شَائِبْ
وَتَرْعُدُ غَيْظاً إِذَا أُبْرِزَتْ مِنَ ٱلدَّنِّ كَٱلْمُحْصَنَاتِ ٱلْكَوَاعِبْ
كَأَنَّ ٱلْحَبَابَ عَلَىٰ رَأْسِهَا جَوَاهِرُ قَدْ كُلِّلَتْ فِي عَصَائِبْ
لِحُمْرَتِهَا صَحَّ عِنْدَ ٱلْمَجُو سِ أَنَّ ٱلسُّجُودَ إِلَى ٱلنَّارِ وَاجِبْ
شَهِدْنَا وَمُطْرِبُنَا خَاطِبٌ زَوَاجَ ٱبْنَةِ ٱلْكَرْمِ بِٱبْنِ ٱلسَّحَائِبْ
فَمِنْ قَطَرَاتِ ٱلرَّذَاذِ ٱلنِّثَارُ وَمِنْ وَشْيِ زَهْرِ ٱلرَّبِيعِ ٱلْمَرَاتِبْ
رِيَاضٌ كَخُضْرَةِ جَوِّ ٱلسَّمَاءِ وَأَزْهَارُهَا مِثْلُ زَهْرِ ٱلْكَوَاكِبْ

---

(١) انظر « ديوان ابن النبيه » (ص ٢٣) .

فَلِلْوَحْشِ سِرْبٌ بِقِيعَانِهَا وَلِلطَّيْرِ فِي جَوِّهَا سَطْرُ كَاتِبْ
بَرَزْنَا إِلَى ٱللَّهْوِ فِي حَلْبَةٍ حِسَانِ ٱلْوُجُوهِ خِفَافِ ٱلْمَرَاكِبْ
بَنَادِقُهُمْ فِي عُيُونِ ٱلْقِسِيِّ كَأَحْدَاقِهِمْ فِي قِسِيِّ ٱلْحَوَاجِبْ
فَتِلْكَ لَهَا طَائِرٌ فِي ٱلسَّمَاءِ وَهَٰذِي لَهَا طَائِرُ ٱلْقَلْبِ وَاجِبْ
وَحَلَّتْ سَوَابِقُ شُهْبٌ خَوَاطِـ ـفُ حُجْنُ ٱلْمَنَاسِرِ حُوُّ ٱلْمَخَالِبْ
بُزَاةٌ لَهَا حَدَقُ ٱلْأُفْعُوَانِ وَأَظْفَارُهَا كَحُمَاةِ ٱلْعَقَارِبْ
فَلِلْأُفْقِ نَسْرَانِ ذَا وَاقِعٌ وَذَا طَائِرٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ هَارِبْ
وَأَطْلَقَ كَلَّابُنَا ضَارِياً يُبَارِي هُبُوبَ ٱلصَّبَا وَٱلْجَنَائِبْ
تَطِيرُ بِهِ أَرْبَعٌ كَٱلرِّيَاحِ وَيَفْتَرُّ عَنْ مُرْهَفَاتٍ قَوَاضِبْ
وَيَضْرِبُ فِي لَيْلِ جِلْبَابِهِ شُعَاعُ شِهَابٍ مِنَ ٱلْعَيْنِ ثَاقِبْ
وَعُدْنَا نَجُرُّ ذُيُولَ ٱلسُّرُو رِ وَٱلطَّيْرُ وَٱلْوَحْشُ مِلْءُ ٱلْحَقَائِبْ
كَمَا ٱبْتَهَجَتْ مِنْ سُرُورٍ خِلَاطٌ وَقَدْ جَاءَ مُوسَىٰ يَجُرُّ ٱلْمَوَاكِبْ
مَلِيكٌ إِذَا سَارَ بَيْنَ ٱلسُّيُوفِ تَرَى ٱلْبَدْرَ بَيْنَ ٱشْتِبَاكِ ٱلْكَوَاكِبْ
وَتَزْأَرُ مِنْ تَحْتِ ذَاكَ ٱلرِّكَابِ أُسُودٌ لَهَا مِنْ ظُبَاهَا مَخَالِبْ
فَتِلْكَ ٱللَّهَاذِمُ زُهْرُ ٱلنُّجُومِ وَمُعْتَكِرُ ٱلنَّقْعِ جُنْحُ ٱلْغَيَاهِبْ
بَدَا فَهَوَتْ فِي ٱلتُّرَابِ ٱلثُّغُورُ كَمَا ٱنْتَظَمَ ٱلدُّرُّ فَوْقَ ٱلتَّرَائِبْ
يُنَادُونَهُ بِٱخْتِلَافِ ٱللُّغَاتِ كَتَلْبِيَةِ ٱلْحَجِّ مِنْ كُلِّ جَانِبْ
يُخِيفُهُمُ بَأْسُ بَرْقِ ٱلْحَدِيدِ وَيُطْمِعُهُمْ سَحُّ سُحْبِ ٱلْمَوَاهِبْ
تَؤُمُّ ٱلْجَوَارِحُ أَعْلَامَهُ تَرُوحُ بِطَاناً وَتَغْدُو سَوَاغِبْ

كَــأَنَّ ٱلــصَّــنَــاجِــقَ أَوْكَــارُهَــا فَكَمْ عُصْبَةٍ تَحْتَ تِلْكَ ٱلْعَصَائِبْ
أَيَـا مَـلِـكَ ٱلْأَرْضِ حَـقّـاً إِلَـيْـكَ مَـآلُ مَـشَـارِقِـهَـا وَٱلْـمَـغَـارِبْ
سَـتُـفْـتَـحُ قَـسْـطِـيـنَـةٌ عُـنْـوَةً وَمَـا كَـانَ لِـلـرُّومِ مِـنْـهَـا يُـقَـارِبْ
كَـأَنِّـي بِـأَبْـرَاجِـهَـا قَـدْ هَـوَتْ وَصَخْرِ ٱلْمَجَانِيقِ فِيهَا ضَوَارِبْ
وَقَدْ زَحَفَ ٱلْبُرْجُ زَحْفَ ٱلْعَرُوسِ إِلَـيْـهَـا يَـجُـرُّ ذُيُـولَ ٱلْـكَـتَـائِـبْ
وَمَـا لُـبْـسُـهُ غَـيْـرَ نَـسْـجِ ٱلْـحَـدِيـدِ وَمَا حَلْيُهُ غَيْرَ بِيضِ ٱلْقَوَاضِبْ
وَأُضْـرِمَـتِ ٱلـنَّـارُ حَـشْـوَ ٱلـنُّـقُـوبِ وَثَارَ ٱلدُّخَانُ كَجُنْحِ ٱلْغَيَاهِبْ
وَلَـيْـسَ ٱلْـكَـهَـانَـةُ مِـنْ شِـيـمَـتِـي وَلَٰكِنَّ حِـزْبَـكَ بِـٱللهِ غَـالِـبْ
لَـكَ ٱللهُ مِـنْ قَـائِـلٍ قَـاتِـلٍ يُقَاتِلُ بِٱلْكُتْبِ قَبْلَ ٱلْكَتَائِبْ
فَمَا مَجْلِسُ ٱلْعَدْلِ يَوْمَ ٱلْقَضَاءِ بِـأَوْلَىٰ بِـهِ مِـنْ سُرُوجِ ٱلسَّلَاهِبْ

وقالَ زهيرٌ مِنَ المُجتثِّ[(١)] :

مَــوْلَايَ كُــنْ لِــي وَحْــدِي فَــإِنَّــنِــي لَــكَ وَحْــدَكْ
وَكُــنْ بِــقَــلْــبِــكَ عِــنْــدِي فَــإِنَّ كُــلِّــيَ عِــنْــدَكْ
لِــي فِــيــكَ قَــصْــدٌ جَــمِــيــلٌ لَا خَــيَّــبَ ٱللهُ قَــصْــدَكْ
حَــاشَــاكَ تُــؤْثِــرُ بُــعْــدِي وَلَــسْــتُ أُوثِــرُ بُــعْــدَكْ
إِنْ تَــنْــسَ عَــهْــدِي فَــإِنِّــي وَٱللهِ لَــمْ أَنْــسَ عَــهْــدَكْ
أَضَــعْــتَ وُدَّ مُــحِــبٍّ مَــا زَالَ يَــحْــفَــظُ وُدَّكْ

---

(١) انظر « ديوان البهاء زهير » (ص ٨٦) .

مَـــا لِـــي عَـــلَـــيْـــكَ ٱعْـــتِـــرَاضٌ أَدِّبْ كَـــمَـــا شِـــئْـــتَ عَـــبْـــدَكْ
مَـــوْلَايَ إِنْ غِـــبْـــتَ عَـــنِّـــي وَا سُـــوءَ حَـــالِـــيَ بَـــعْـــدَكْ

وأوزانُ هٰذهِ القصائدِ علىٰ تفاوتِها في كثرةِ الاستعمالِ . . هيَ الأكثرُ استعمالاً ، وبقيَّتُها قليلٌ ، تَقرأُ الديوانَ الكبيرَ فلا تجدُ منها بيتاً .

هٰذا ؛ ولم يزلِ الناسُ مقتصرينَ على الأوزانِ العربيةِ حتىٰ مضىٰ صدرٌ مِنَ الإسلامِ ، ثمَّ تَكلَّمَ الناسُ بعدُ بكلامٍ موزونٍ ، مُعرَبٍ وملحونٍ ، موافقٍ للأوزانِ العربيةِ وغيرِ موافقٍ ، ونَوَّعُوهُ إلىٰ ستةِ أنواعٍ أضافوها للشعرِ ، وسمَّوْها : **الفنونَ السبعةَ** ، وعملوا فيها رسائلَ ، وعَرَّفوا الشعرَ بأنَّهُ الكلامُ الموزونُ بالأوزانِ العربيةِ الذي لا يجوزُ فيهِ اللحنُ المُقفَّىٰ .

* * *

الفنُّ الثاني

الموالي

وأوَّلُ مَنْ تَكلَّمَ بهٰذا النوعِ بعضُ أتباعِ البرامكةِ بعدَ ما حصلَ لهُم ، فكانوا يَنوحونَ عليهِم بهِ ، ويكثرونَ مِنْ قَولِهِم : يا موالي ، فصارَ يُعرَفُ بهٰذا الاسمِ ، وهوَ مشهورٌ ، فلا حاجةَ لتمثيلِهِ .

❋ ❋ ❋

الفنُّ الثالثُ
فنُّ التوشيحِ

وغالبُ ما كانَ منهُ مُعرَبٌ ، وهوَ مختلفُ الأوزانِ والأوضاعِ .

والسببُ في ذٰلكَ : أنَّ تأليفَ التوشيحِ كانَ لغرضِ تطبيقِ ألفاظٍ علىٰ مُؤلَّفاتٍ مِنَ الأصواتِ بمُقتضىٰ صناعةِ المُوسيقا ، فكانَ أهلُ تلكَ الصِّناعةِ يُؤلِّفونَ مِنَ الأصواتِ التي تخرجُها الضَّرباتُ على الأوتارِ المختلفةِ مثلاً مُؤلَّفاً يناسبُ أن تُقابَلَ الأصواتُ المُندرِجةُ فيهِ بحروفٍ مُتحرِّكةٍ أو ساكنةٍ ، فكانَ مُؤلِّفُ التوشيحِ تابعاً لِمَا تقتضيهِ تلكَ الأصواتُ ؛ فتارةً توافقُ الأوزانَ العربيةَ ، وتارةً تخالفُها .

وقد ذُكِرَ كثيرٌ مِنَ التواشيحِ في كثيرٍ مِنَ الكتبِ الأدبيَّةِ ؛ مثلُ كتابِ « نفحِ الطِّيبِ » ، و« سفينةِ الشيخِ محمدِ شهابٍ » رحمَهُ اللهُ تعالىٰ .

ومِنْ أَلطفِها : توشيحُ القاضي هبةِ اللهِ المشهورِ بابنِ سناءِ المُلكِ ، فلا بأسَ بإيرادِهِ مثالاً لهٰذا النوعِ ؛ وهوَ[1] :

كَلِّلِي * يَا سُحْبُ تِيجَانَ ٱلرُّبَىٰ بِٱلْحُلِي ‏ ‏ ‏ ‏ وَٱجْعَلِي * سِوَارَكِ مُنْعَطَفَ ٱلْجَدْوَلِ

دورٌ

يَا سَمَا * فِيكِ وَفِي ٱلْأَرْضِ نُجُومٌ وَمَا
كُلَّمَا * أَغْرَبْتِ نَجْماً أَشْرَقَتْ أَنْجُمَا
وَهْيَ مَا * تَهْطِلُ إِلَّا بِٱلطِّلَىٰ وَٱلدِّمَا

---

(١) انظر « المستطرف » (٣/١٥٢) .

قفلُهُ

فَٱهْطِلِي * عَلَىٰ قُطُوفِ ٱلْكَرْمِ كَيْ تَمْتَلِي وَٱنْقُلِي * لِلدَّنِّ طَعْمَ ٱلشَّهْدِ وَٱلْفُوفَلِ

دورٌ

تَتَّقِدْ * كَٱلْكَوْكَبِ ٱلدُّرِّيِّ لِلْمُرْتَصِدْ

يَعْتَقِدْ * فِيهَا ٱلْمَجُوسِيُّ بِمَا يَعْتَقِدْ

فَٱتَّئِدْ * يَا سَاقِيَ ٱلرَّاحِ بِهَا وَٱعْتَمِدْ

قفلُهُ

وَٱمْلَ لِي * حَتَّىٰ تَرَانِي عَنْكَ فِي مَعْزِلِ قَلِّلِ * فَٱلرَّاحُ كَٱلْعِشْقِ ٱنْ يَزِدْ يَقْتُلِ

دورٌ

مَنْ ظَلَمْ * فِي دَوْلَةِ ٱلْحُسْنِ إِذَا مَا حَكَمْ

فَٱلسَّدَمْ (١) * يَجُولُ فِي بَاطِنِهِ وَٱلنَّدَمْ

وَٱلْقَلَمْ * يَكْتُبُ مَا سُطِّرَ فَوْقَ ٱلْقِمَمْ

قفلُهُ

مَنْ وَلِي * فِي دَوْلَةِ ٱلْحُسْنِ وَلَمْ يَعْدِلِ يُعْزَلِ * إِلَّا لِحَاظَ ٱلرَّشَأ ٱلْأَكْحَلِ

دورٌ

لَا أَرِيمْ (٢) * عَنْ شُرْبِ صَهْبَاءَ وَعَنْ عِشْقِ رِيمْ

---

(١) السدم : الهمُّ ، أو هو مع الندم ، أو غيظ مع حزن .

(٢) الرَّيْم : التباعد .

فَٱلنَّعِيمْ * عَيْشٌ جَدِيدٌ وَمُدَامٌ قَدِيمْ

لَا أَهِيمْ * إِلَّا بِهَـٰذَيْنِ فَقُمْ يَا نَدِيمْ

قفلُهُ

وَٱنْهَلِ * مِنْ أَكْؤُسٍ صُوِّرْنَ مِنْ صَنْدَلِ　　أَفْضَلِ * مِنْ نَكْهَةِ ٱلْعَنْبَرِ وَٱلْمَنْدَلِ

دورٌ

هَلْ يَعُودْ * عَيْشٌ قَطَعْنَاهُ بِوَادِي زَرُودْ

وَٱلْجُنُودْ * فِي حَضْرَتِي تَضْرِبُ جَنْكاً وَعُودْ

وَٱلْحَسُودْ * فِي مَعْزِلٍ عَنَّا غَداً لَا يَسُودْ

قفلُهُ

عُذَّلِي * لَا تَعْذِلُونِي فَٱلْهَوَىٰ لَذَّ لِي　　مَا ٱلْخَلِي * فِي ٱلْحُبِّ مِثْلُ ٱلْعَاشِقِ ٱلْمُبْتَلِي

دورٌ

أَسْفَرَتْ * لَيْلَتُنَا بِٱلْأُنْسِ مُذْ أَقْمَرَتْ

بَشَّرَتْ * بِمُلْتَقَى ٱلْمَحْبُوبِ وَٱسْتَبْشَرَتْ

شَمَّرَتْ * فَقُلْتُ لِلظَّلْمَاءِ مُذْ قَصَّرَتْ

قفلُهُ

طَوِّلِي * يَا لَيْلَةَ ٱلْوَصْلِ وَلَا تَنْجَلِي　　وَٱسْبِلِي * سِتْرَكِ فَٱلْمَحْبُوبُ فِي مَنْزِلِي

دورُ المديح

يَا نَسِيمْ * بَلِّغْ سَلَامَ ٱلْمُسْتَهَامِ ٱلسَّقِيمْ

لِكَـرِيـمْ * طَٰـهَ إِمَـامِ ٱلْـمُـرْسَـلِـيـنَ ٱلْـعَـظِـيـمْ

عَنْ أَلِيـمْ * وَجْدِي بِهِ حَدِّثْ وَشَوْقِي ٱلْقَدِيـمْ

قفلُهُ

لَيْسَ لِي * مِنْ مَلْجَأٍ سِوَى ٱلْحِمَى ٱلْأَفْضَلِ   اَلْجَلِي * وَآلِهِ أُولِي ٱلْجَنَابِ ٱلْعَلِي

* * *

الفنُّ الرابعُ
فنُّ الدُّوبيتِ

وهٰذا الاسمُ مِنْ كلمتَينِ : فارسيةٍ ؛ وهيَ (دو) بمعنى اثنَينِ ، وعربيةٍ ؛ وهيَ (بيتٌ) أحدُ أبياتِ الشعرِ ، وبهِ سُمِّيَ هٰذا النوعُ ؛ لكونِهِ يُنظَمُ بيتَينِ بيتَينِ ، يَتصوَّرُ الناظمُ معنىً ويُسكِنُهُ فيهما .

وهوَ مشهورٌ عندَ العجمِ بالرباعيِّ ، ولبعضِ شعرائِهم اختصاصٌ بشهرةِ إجادةِ الرباعياتِ .

وأجزاؤُهُ : (**فَعْلُنْ**) بسكونِ ثانيهِ ، (**مُتَفَاعِلُنْ**) وتارةً يُغيَّرُ إلىٰ (**مُتَفَاعِيلُ**) بتقديمِ ساكنِ الوتدِ علىٰ مُتحرِّكِهِ الثاني ، (**فَعُولُنْ فَعِلُنْ**) بتحريكِ ثانيهِ ، ومثالُهُ : قولُ بعضِهِم :

أَهْوَىٰ رَشَأً حَوَىٰ مِنَ ٱلْحُسْنِ فُنُونْ   عَيْنَاهُ تَقُولُ لِلْهَوَىٰ كُنْ فَيَكُونْ
غَنَّىٰ فَتَمَايَلَ ٱلنَّدَامَىٰ طَرَباً   لَا شَكَّ هُوَ ٱلنَّسِيمُ وَٱلْقَوْمُ غُصُونْ

وقولُ سيِّدي عمرَ بنِ الفارضِ (١) :

أَهْوَىٰ رَشَأً رُشَيِّقُ ٱلْقَدِّ حُلَيّْ   قَدْ سَلَّطَهُ ٱلْغَرَامُ وَٱلْوَجْدُ عَلَيّْ
إِنْ قُلْتُ خُذِ ٱلرُّوحَ يَقُلْ وَا عَجَبا   اَلرُّوحُ لَنَا فَهَاتِ مِنْ عِنْدِكَ شَيْ

❁ ❁ ❁

---

(١) انظر « ديوان ابن الفارض » (ص ١٩٣) .

الفنُّ الخامسُ
الزَّجَلُ

ويُقالُ : إنَّ أوَّلَ مَنْ تَكلَّمَ بهِ صبيٌّ مغربيٌّ يُقالُ لهُ : ابنُ قزمانَ ؛ وذٰلكَ أنَّهُ وهوَ في المكتبِ عشقَ بعضَ صبيانِهِ ، فرُفِعَ أمرُهُ للمُؤدِّبِ ، فزجرَهُ ومنعَهُ مِنْ مجالسةِ حبيبِهِ ، فكتبَ في لوحِهِ قولَهُ هٰذا :

الـــمــــلاح ولاد أمــــــاره　　ولـــوحـــاش ولاد نــــصـــاره

وابـــن قُــزْمـــان جـــا يغـفـر　　مـــا قـبـلـو لـشـيـخ غـفـاره

فاطَّلعَ عليهِ المُؤدِّبُ ، فقالَ : قد هجوتَنا بكلامٍ مجزولٍ ، فيُقالُ : إنَّهُ سُمِّيَ زَجَلاً مِنْ هٰذهِ الكلمةِ ، ثمَّ صارَ ابنُ قزمانَ هٰذا شيخَ صناعةِ هٰذا الفنِّ .

وهوَ فنُّ العامَّةِ الذينَ لا يَعرِفونَ الإعرابَ ، فأذكياؤُهُم يَنظِمونَهُ بلغتِهِم ، وأوزانُهُ كثيرةٌ جدّاً ، حتىٰ إنَّ أهلَهُ يقولونَ : صاحبُ ألفِ وزنٍ ليسَ بزَجَّالٍ ، ويُسمُّونَ ما يناظرُ القصيدةَ منهُ : حملاً .

ومِنْ ظريفِهِ حملُ ابنِ الفحَّامِ ؛ وهوَ :

مطلعٌ ودائرةٌ

في بحر عشقك ولغرام لغريم　　كم من هلك يا من حلا منهلك

ون كان عذولي شبَّهك بالهلال　　يا بدر من لا يعرفك يجهلك

دورٌ في البحرِ

في بحر عشقك زد شجوني شجن　　من مدمعي بحر لجوىٰ قد وفىٰ

أضحىٰ بغير مقيس تجنىٰ لجنون وزد علىٰ أعلىٰ لفسيح ما خفىٰ

وصبَّح منادي لشوق عليا سأل بالوجد ولبلبال وطل واكتفىٰ

ونبت أشجاني لعبو هواك وصرت غارق في لجاج لهلك

ون كن عذولي شبهك بالهلال يا بدر من لا يعرفك يجهلك

دورٌ في القمرِ

من ين يكون يا بهجة لعاشقين للبدر حسنك ولقوام لرشيق

ومين يشبه طلعتك في لكمال بطلعة لبدر لمنير لشريق

ومين يقس فرقك بفرقو إذا فرقت عنو يا غزال لفريق

إن شافك لبدر ستحىٰ وختفىٰ منك وأطرق في ظلام لحلك

ون كن عذولي شبَّهك بالهلال يا بدر من لا يعرفك يجهلك

دورٌ في تشبيهِ الخالِ

خالك بخدك جل من قد صنع نقطه من لعنبر علىٰ لح نضار

أو صفر كاتب في صحيفة عقيق أو عبد زنجي يحرس لجلنار

أو هو مجوسي من كبار لمجوس رام السجود لما رأىٰ لخد نار

في ما صفا لن خدك لعندمي يظهر سود عن كل من أم لك

ون كن عذولي شبَّهك بالهلال يا بدر من لا يعرف يجهلك

دورٌ في اللحاظِ

لما علا عرش الخديد ستوىٰ خالك وهو رب لجمال لعظيم

أرسل نـذيـر لـلـخـط يـدع لـقـلـوب	لـسـبـل عـشـقـك ولـغـرام لـغـريـم
وسـن هـجـرك ولـجـفـا افـرضـه	نـادت وقـلـبـي بـالـمـحـبـة كـلـيـم
آمـنـت بـالله يـا نـذيـر لـلـحـاظ	هـٰأنت سـاحـر ولـهـوىٰ أرسـلـك
ون كـن عـذولـي شـبَّـهـك بـالـهـلال	يـا بـدر مـن لا يـعـرفـك يـجـهـلـك

دورٌ في الثغرِ

لـنـا روىٰ خـدك صـحـيـح لـخـبـر	عـن عـارضـك عـن خـالـك لـعـنـبري
عـن نـكـهـة لـرق عـن رحـيـق لـلـمـا	عـن مـبـسـمـك عـن ريـقـك لـسـكـري
بـأن فـي رشـفـو حـيـاة لـنـفـوس	وصـح أسـنـد ثـغـرك لـجـوهـري
فـكـيـف تـعـجـب مـن صـحـيـح لـخـبر	يـروه نـذيـر لـلـحـظ عـن سـلـسـلـك
ون كـن عـذولـي شـبَّـهـك بـالـهـلال	يـا بـدر مـن لا يـعـرفـك يـجـهـلـك

دورٌ في العذارِ

وحـن عـلـيـنـا جـر عـذار لـدقـيـق	ولـعـارض لـلام حـتـرمـت لـمـنـام
جـانـي عـذل جـاهـل قـلـيـل لأدب	عـارض ولـم فـي حـب عـارض ولام
لـمـا رأيـتـه مـا قـبـل مـعـذره	ولا رثـىٰ فـي الـحـب نـادت سـلام
يـا لائـمـي فـي عـارضـن عـارضـيـن	كـم صـب مـن جـور الـعـوارض هـلـك
ون كـن عـذولـي شـبَّـهـك بـالـهـلال	يـا بـدر مـن لا يـعـرفـك يـجـهـلـك

دورٌ في جمعِ أوصافِ الجمالِ

يـا ظـبـي راتـع فـي ريـاض لـحـشـا	يـا بـدر مـشـرق فـي سـمـاء لـجـمـال

يا شمس في برج لحمل أشرقت		يا غصن في روض لبها مس ومال
يا جامع وصاف لجمال لجميل		يا مفرد لحسن لحسن ولدلال
يا عن حياتي كن طبيب لكئيب		بحق من بالحسن قد كملك
ون كن عذولي شبَّهك بالهلال		يا بدر من لا يعرفك يجهلك

دورٌ

هل تدر بالله يا فريد لجمال		من علم الظبي لنفور لنفار
أو من أعار البدر حسن السنا		ولترا ذا لح في دجى الاعتكار
وسحرها روت لبديع لحلال		إيش هو لسبب فه أو لإيش ستعار
شاف لغزل حسنك وشاف لقمر		نورك وذل لسحر من عز لك
ون كن عذولي شبَّهك بالهلال		يا بدر من لا يعرفك يجهلك

دورٌ في قصَّةِ سيدِنا يوسفَ

نسا زليخا لو رأوا يا عزيز		حسنك وشكلك ولجمال لجميل
وطابع لحسن لحسن ولدلال		وللحظ والطرف لغضيض لكحيل
لقطعوا منهم بدال لكفوف		أكبد ولا بالقطع يشفي لغليل
وتخرس لألسن إذا ما رأوك		وهم يقولوا دا ملك أو ملك
ون كن عذولي شبَّهك بالهلال		يا بدر من لا يعرفك يجهلك

دورٌ في جهاتِ الحجازِ

بالله يا ريم لنقا ولعذيب		بحسن نر وجناتك الأبرقين

جد بالشفا واسمح بلثم لشفا   علي أفز يا بدر بالشفوتين
وكن مفرح من صبا منحني   تروي دموع لسفح من كل عين
يا كعبة لعشاق ومروي لصفا   ريقك شفا يا سعد من قبلك
ون كن عذولي شبَّهك بالهلال   يا بدر من لا يعرفك يجهلك

دورُ المديحِ

يا فاتح لخر يا ختام الرسل   يا منتهىٰ للعلم يا مبتدىٰ
يا مصطفىٰ أنت لصراط لقويم   يا سر عين لغيب لمن اهتدىٰ
هٰأنت باب لله حياة لنفوس   وخالقك قد أرسلك للهدىٰ
وليلة الإسرا كما أرخوا   أدنك وبالخلق لحسن كملك
ون كن عذولي شبَّهك بالهلال   يا بدر من لا يعرفك يجهلك

❋ ❋ ❋

الفنُّ السادسُ والسابعُ
فنُّ كانَ وكانَ ، وفنُّ [القوما]

وهما كما قالَ أصحابُ هٰذهِ الفنونِ : فرعانِ مِنَ الزَّجَلِ ، وإنَّما أفردُوهُما نوعَينِ بسببِ تغيراتٍ لا تكونُ في الزَّجَلِ ؛ مثالُ الأوَّلِ :

يــا رايــحــن لــزبــكــيــه   بــالله خــدونــي مــعــكــم
ايــك أرىٰ بــاب لــهــوىٰ   وشــاهــد الأقــمــار

ومثالُ الثاني :

يــا رب يــا ســتــار   لا تــكــشــف الأســتــار
وغــفــر لــعــبــدك ذنــوبــه   إنــك كــريــم غــفــار

❋ ❋ ❋

تمّ المجلّد الثّاني

ويليه المجلّد الثّالث

وأوّله: (المقصد الرّابع في الكتابة، وقرض الشعر، والإنشاء)

محتوى المجلد الثاني

* * *